

الْيَا قُوتُ الْمَرْجَانِ

فِي عَقِيدَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ

بِجَمْعٍ وَتَرْتِيبٍ

الدكتور عبد اللطيف بن خالد آل موسى

مَرَّجَعُهُ وَقَدْ مَرَّلَهُ

الدكتور سعيد بن حسين العفائي

الطبعة الخامسة

١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م

طَبْعَةٌ جَدِيدَةٌ وَمُحَقَّقَةٌ

لا إله إلا الله

الله
رسول
محمد

مؤسسة

الإسلام

الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بقلم الدكتور/ سيد بن حسين العفاني

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب].
أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فإن طلب الحق أحلى في النفوس الأبية من الشمس في رابعة النهار، وقطب تدور عليه همم الأخيار وعباب تنصب منه جداول الأنهار، والحق له قوته وصدقه وثباته، وكلمة الحق كالشجرة الطيبة ثابتة شامخة مثمرة لا تززعها الأعاصير، ولا تعصف

بها رياح الباطل. والحق الأصيل لا يموت ولا يزوى، مهما زحمة الشر والزيف وأخذ عليه الطريق، إن الخير بخير وإن الشر بشر.

وعقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان نور أشرفت به نفوس سلفنا ومن سار على دربهم، فرأوا الطريق واضحة إلى الله عز وجل لا يشوبها غبش فلسفي، ولا يحجبها ضباب أهل الكلام، ولا غبش الأوهام والخرافات، أو غبش الأرجحة وعدم الثبات على طريق الله، فما تعثروا تعثر أهل البدع ولا اضطربوا ولا ترددوا ولا احتاروا، بل أيقنوا أن الحق في فهم الإسلام من نبعه الأصيل الذي لا تكدره الدلاء.. نبع الكتاب والسنة بفهم الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وأن الحق أن يسير الناس على دربهم، وأن الخير كل الخير فيما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتقاد وفهم.

وروى مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ؛ فطوبى للغرباء» وهم «الذين يصلحون إذا فسد الناس». كما جاء في رواية جابر وهذه الغربة لا وحشة على صاحبها، بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس.. والواحد منهم هو السواد الأعظم، وهو الجماعة ولو كان وحده وسط أهل البدع.

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة». (رواة الحاكم في المستدرک وصححه الألباني). وعن المغيرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون».

عقيدة السلف نور تشرق به نفس صاحبها ودنيا الناس بعيداً عن غبش وظلمات أهل البدع والأهواء من أهل الاعتزال ومن المتكلمين ومن الخوارج والمرجئة، وزبالات الصوفية وأساطيرها وشركياتها وخرافاتنا وسقط متاع التاريخ من الفكر الفلسفي أو القطوف العفنة من حدائق الخوارج الدموية، أو حنظل المعتزلة وثمارها

النكدة، أو الفروع الجافة التي لا ظل لها من أشجار مدرسة القرآنيين منكري السنة، أو غوص في مستنقع الضلال الآسن الشيعي، وتفاهة أقوال الجهمية والحلولية والمعطلة، والقائلين بوحدة الوجود والباطنية والملاحدة والمجسمة والمشبهة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة؛ ما أنا عليه وأصحابي». رواه الترمذي وحسنه الألباني.

وقال صلى الله عليه وسلم: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنان وسبعون في النار». رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

إن العقيدة السلفية ليست منهجاً فكرياً ونظريات ثقافية يحفظها الإنسان حفظاً جيداً ويحسن الإجابة عنها بل هي منهج يتحرك به الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته يبدأ مثل ما بدأ به النبيون في الدعوة إلى الله من توحيد الله وسجود العقل والقلب على عتبة العبودية، ويشاهد العبد فيه أثار ونور توحيد الأسماء والصفات، وأثر ذلك في أفعاله، فهي ليست متون جامدة بعيدة عن واقع الإنسان. وهذا الكتاب الطيب العطر المبارك «الياقوت والمرجان في عقيدة أهل الإيمان» الذي خطه يراع أخينا وحيينا في الله الدكتور عبد اللطيف بن خالد آل موسى حفظه الله تعالى ورعاه يدلّ على قدر صاحبها وكرامته وتمكنه، وليس غريباً على المدينة المرابطة غزة بلدة الشافعي الذي كان أشهر من الدنيا في الدنيا أن تُخرج هذا الثمر الطيب من رجال وأهل علم يذبون عن السنة ويسرون عليها وينافحون أهل البدع ويحذرون الناس من دجلهم وباطلهم.

فَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَبَارِكَ فِي جَهْدِ الدُّكْتُورِ عَبْدِ اللطيفِ وَقَلَمِهِ وَأَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْكِتَابَ
النَّافِعَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

الدكتور/ سيد بن حسين العفاني
الرابع من ذي الحجة سنة ١٤٢٧هـ



الركن الأول من أركان الإيمان

الإيمان بالله



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التوحيد

اعلم أرشدك الله أن التوحيد ثلاثة أنواع:

(توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات)

أولاً: توحيد الربوبية:

وهو إفراد الله بأفعاله، أي: اعتقاد أن الله سبحانه وتعالى خالق العباد ورازقهم ومحبيهم، ومميتهم، وهذا النوع من التوحيد لا يخرج الإنسان من دائرة الشرك إلى دائرة الإسلام ولا يعصم دمه، ولا ينجيه من عذاب الجحيم، وهذا النوع من التوحيد قد أقر به المشركون السالفون وجميع أهل الملل من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس ولم ينكر توحيد الربوبية إلا الدهرية فيما سبق والشيوعية في زماننا، والدليل على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية:

قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [قصص: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُكُمْ ۖ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِن تَصَرَّفْتُمْ ۚ﴾ [يونس: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩].

ثانياً: توحيد الألوهية:

وهو إفراد الله بسائر العبادات المشروعة والتي لا تصرف لا لنبي مرسل، ولا لملك

مقرب فضلاً عن غيرهما، كالصلاة، والطواف، والحج، والصوم، والنذر، والاعتكاف، والذبح، والسجود، والركوع، والخوف، والرجاء، والرغبة، والرغبة، والخشية، والاستغاثة إلى غير ذلك من أنواع العبادات التي شرعها الله في قرآنه المجيد أو شرعها رسول الله ﷺ بالسنة الصحيحة القولية والفعلية، فمن صرف شيئاً من هذه العبادات لغير الله يكون مشركاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

تفسير العبادة:

❁ العبادة في اللغة معناها: التذلل والخضوع، ويقال: طريق معبد ي مذل. ❁ وفي الشرع: معنى العبادة كما قال شيخ الإسلام: هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على السنة الرسل. وقال أيضاً: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

أنواع العبادات وأدلتها:

أولاً: الركوع والسجود: لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

ثانياً: دليل الصلاة والذبح: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأنعام].

ثالثاً: دليل النذر والطواف: قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَوفُوا بِأَلْبَتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

رابعاً: دليل الحلف: قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» (١).

خامساً: دليل الاستعانة: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

(١) صحيح، جزء من حديث رواه الترمذي (١٥٣٥)، وأبو داود (٣٢٥١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠٤)، وأحمد في المسند (٥٣٥٢).

وقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١).

سادساً: دليل الاستغاثة: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩].

سابعاً: دليل الدعاء: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

ثامناً: دليل الخوف: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

تاسعاً: دليل الرجاء: قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

عاشراً: دليل الرهبة: قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [النحل: ٥١].

الحادي عشر: دليل الخشية: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشُون﴾ [المائدة: ٤٤].

الثاني عشر: دليل الرغبة والرهبة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الثالث عشر: دليل الخشوع: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

الرابع عشر: دليل المحبة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(١) صحيح، جزء من حديث رواه الترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع

(٧٩٥٧)، وأحمد في المسند (٢٦٦٤، ٢٧٥٨، ٢٨٠٠).

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم، والحديث الصحيح من صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ على الحقيقة من غير تأويل ولا تكيف، ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تفويض كالأستواء والنزول واليد والمجيء وغيرها من الصفات نفسرها بما ورد عن السلف، فالأستواء مثلاً ورد تفسيره عن أبي العالية ومجاهد من التابعين في صحيح البخاري بأنه العلو والارتفاع اللذان يلقيان بجلاله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ولذلك لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن الأستواء قال: «الأستواء غير مجهول - أي معلوم - والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» والمعنى: أن الأستواء معلوم أي: هو العلو والارتفاع اللذان يلقيان بجلال الله ولا يعرف كيفيته إلا الله ولا يشبه مخلوقاته.

والتأويل: هو صرف ظاهر الآيات والأحاديث الصحيحة عن ظاهرها إلى معنى آخر باطل مثل استوى بمعنى استولى.

والتعطيل: هو جحد صفات الله ونفيها عنه كالعلو لله على السماء فقد زعمت الفرق الضالة أن ذات الله في كل مكان.

والتكيف: هو تكيف صفات الله، وأن كيفيتها كذا وكذا، فعلو الله على السماء والعرش لا يشبه مخلوقاته ولا يعلمه إلا الله.

والتمثيل: هو تمثيل صفات الله بصفات خلقه، فلا يقال ينزل الله إلى السماء الدنيا كنزولنا، فلا يعلم كنهه وكيفية هذا النزول إلا الله.

والتفويض: هو عدم تفسير صفات الله واعتبارها من الآيات المتشابهات التي يفوض أمرها إلى الله كعدم تفسير الأستواء مثلاً، وهو تعطيل لصفة العلو.



معنى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾

قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ فَقَالَ بِإِضْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُثُهَا إِلَى النَّاسِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»^(١).

سئل أبو حنيفة رحمه الله عن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقال: لقد كفر لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وعرشه فوق سبع سماوات، سئل: فإن قال إنه على العرش؛ ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أنه في السماء، ومن أنكر أنه في السماء فقد كفر^(٢).

نقل البخاري في كتاب التوحيد عن أبي العالية ومجاهد معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] «علا وارتفع».

قال المفسر الطبري في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أي: علا وارتفع.

وقيل لعبد الله بن المبارك: كيف تعرف ربنا؟ قال: إنه فوق السماء السابعة على العرش، ولقد تكرر في القرآن الاستواء على العرش سبع مرات مما يدل على أن علو الله على عرشه صفة كمال لله، لها أهمية عظيمة.

ولما سئل الإمام مالك رحمه الله عن الاستواء قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب.

والمعنى: أن الاستواء معلوم معناه في اللغة وهو العلو والارتفاع لا يعلم كيفيته إلا الله، ولا يشبه مخلوقاته.

(١) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (١٢١٨/١٤٧)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٦٥).

(٢) شرح الطحاوية (٣٢٢).

فلا يجوز تفسير استوى بمعنى استولى لأنه لم يرد ذلك في اللغة العربية، وما يستشهدون به من قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبraq
فيقول ابن الجوزي في تفسيره (زاد المسير): (هذا شعر لم يعلم قائله ولا يؤخذ به).

ولو فسرنا استوى بمعنى استولى فمعنى ذلك أن الله لم يكن مستولياً على عرشه قبل ذلك وكان بيد غيره، ثم استولى عليه، وهذا المعنى باطل يخالف الحقيقة. ولو جاء تفسير الشعر بالاستيلاء، لم يجز بالنسبة لله؛ لأنه لا يشبه المخلوقات، ولقد أمر الله اليهود أن يقولوا: ﴿حَقَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] فقالوا: «حنطة» تحريقاً، وأخبرنا الله أنه استوى على العرش فقال المتأولون: (استولى) فانظر ما أشبه لامهم التي زادوها، بنون اليهود التي زادوها. [قاله ابن القيم].



معنى لا إله إلا الله

كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»: تعني لا معبود بحق إلا الله فهي تنفي العبودية لغير الله وتثبتها لله وحده، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَكْذُبُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٢٢] وهي تنفي أربعة أمور وتثبت أربعة أمور: تنفي:

- ١- الآلهة: وهي ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضرر فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل.
- ٢- الطواغيت: وهي كل ما عُبد من دون الله أو رُشح للعبادة وهو راضٍ بذلك.
- ٣- الأنداد: وهي كل من جذبك عن دين الله من أهل أو مسكن أو عشيرة أو مال.
- ٤- الأرباب: وهو كل من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته مصدقا لقوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. وتثبت:

- ١- القصد: أي لا تقصد إلا الله.
- ٢- التعظيم والمحبة: لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].
- ٣- الخوف والرجاء: لقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦].
- ٤- التقوى: وهي كما قال ابن مسعود: «أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله».... قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].



شروط لا إله إلا الله

الشرط الأول:

العلم بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

الشرط الثاني:

اليقين المنافي للشك: اليقين المنافي للشك (أي أن يستيقن قائلها بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً منافياً للشك)، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

الشرط الثالث:

القبول والانقياد لما اقتضته هذه الكلمة بالقلب واللسان، لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»^(٣).

(١) صحيح، رواه مسلم (٤٣/٢٦)، وأحمد في المسند (٤٦٦، ٥٠٠).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٤٤/٢٧)، وأحمد في المسند (٩١٧٠).

(٣) ذكره الألباني في مشكاة المصابيح (١٦٧/٣٦/١) بسند ضعيف، وقال النووي في أربعينه: هذا حديث صحيح روياه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

الشرط الرابع:

الصدق المنافي للكذب، بحيث يتواطأ القلب واللسان والجوارح في مفهوم الكلمة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۖ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۖ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۚ﴾ [العنكبوت]، وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(١).

الشرط الخامس:

الإخلاص لهذه الكلمة؛ وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]. وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أَشْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»^(٢).

وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله عن العمل: (إن الله تعالى لا يقبل العمل حتى يكون خالصًا صوابًا فإذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة).

الشرط السادس:

المحبة والولاء لهذه الكلمة، ولما اقتضته، ولأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وقال تعالى: ﴿يَتْلَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

(١) صحيح، رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٥٣/٣٢).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٩٩).

وفي الحديث: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^(١).

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: (وعلاوة حب العبد ربه .. تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، ومولاة من وإلى الله ورسوله، ومعاداة من عادى الله ورسوله، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه). معارج القبول.

ويقول ابن القيم في قصيدته النونية:

شرط المحبة أن توافق من تحب	على محبة بلا عصيان
فإذا ادعيت له المحبة مع خلافاك	ما يحب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدعي	حبا له ما ذاك في إمكان
وكذا تعادي جاهدا أحبابه	أين المحبة يا أبا الشيطان
ليس العبادة غير توحيد المحبة	مع خضوع القلب والأركان
ولقد رأينا من فريق يدعي	الإسلام شركا ظاهر التبيان
جعلوا له شركاء وألوههم	وسؤوهم به في الحب لا السلطان

الشرط السابع:

البراءة والبغض والمعاداة لأعداء هذه الكلمة غير الملتزمين بها وبشروطها وهذه البراءة تختلف حسب إيمان المسلم وحسب الظروف التي تمر، فأحيانا لا يستطيع المسلم أن يبرأ وينكر إلا بالقلب، وأحيانا يستطيع أن يبرأ وينكر بالقلب واللسان، وأحيانا يكون له من القوة ما يجعله يعلن البراءة بالقوة وحد السيف والسنان، ولذلك جاء في الحديث: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ

(١) صحيح، رواه البخاري (١٦، ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١)، ومسلم (٦٧/٤٣)، والنسائي (٤٩٨٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ فِيقْلَبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيْمَانِ»^(١).

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم؛ ولكن من رضي وتابع، قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ فقال: لا، ما صلوا»^(٢).

وفي الحديث جعل النبي ﷺ المانع من مقاتلة أمراء الجور إقامتهم الصلاة، وفي الحديث بين المصطفى ﷺ أنه من كره بالقلب فقد برئ، ومن أنكر باللسان فقد سلم؛ بل إن الإسلام يبيح للمسلم تحت الضغوط الشديدة من قبل الكفار والمشركين أن ينطق بكلمة الكفر مادام قلبه مطمئناً بالإيمان، وهذا ما حدث مع عمار بن ياسر يوم أن عذبه المشركون عذاباً شديداً وأجبروه على النطق بكلمة الكفر، فأعطاهم ما أرادوا من التصريح بالكفر باللسان مكرهاً، فقال له النبي ﷺ: «كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان، فقال المصطفى ﷺ: إن عادوا فعد، فنزل قول الله عز وجل: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]»^(٣).

ولذلك فالإكراه على التلفظ بكلمة الكفر لا يخرج المسلم عن دينه مادام قلبه مطمئناً بالإيمان، ومن ثم لا يخرج المسلم عن دائرة الإسلام، ولا يحكم عليه بالردة إلا إذا انشرح صدره بالكفر، وانشرح الصدر هذا غيب، والغيب لا يعلمه إلا الله، ولذلك حتى يُحكم على الرجل بالكفر لا بد أن يكون قد كفر كفراً بواحاً صراحاً

(١) صحيح، رواه مسلم (٧٨/٤٩)، والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٠٨)، وأبي داود (١١٤٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦٣/١٨٥٤)، والترمذي (٢٢٦٥)، وأحمد في المسند (٢٥٩٨٩)، (٢٦٠٣٧، ٢٦٠٦٦).

(٣) صحيح، رواه الحاكم في المستدرک (٣٣٦٢/٤٩٩) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

لا يحتمل التأويل، ولذلك نسب إلى الإمام مالك رحمه الله أنه قال: (من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهًا ويحتمل الإيمان من وجه واحد حُمِلَ أمرُهُ على الإيمان).

من مظاهر مولاة الكفار

١- التشبه بهم في الملبس والعادات والتقاليد والخصائص وغيرها:

قال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(١).

فيحرم التشبه بالكفار في الملبس والعادات والتقاليد والخصائص كلبس الثياب المعصفرة ورباط العنق، وحلق اللحي وإطالة الشوارب والرطانة بلغتهم إلا عند الحاجة.

٢- الإقامة في بلادهم وعدم الهجرة إلى بلاد المسلمين:

حَرَّمَ الإسلام إقامة المسلم بين أظهر الكفار إذا كان يقدر على الهجرة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُكَلِّكَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ قَالُوا لَيْكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ۝٩٩ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٠٠﴾ [النساء]. فلم يعذر الله عز وجل في الإقامة في بلاد الكفر إلا المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة.

٣- السفر إلى بلاد الكفار بغرض النزهة ومتعة النفس:

وهذا محرم إلا عند الضرورة كالعلاج، والتعليم للتخصصات النافعة التي لا يمكن تحصيلها في بلاد المسلمين، والتجارة ونشر الدعوة الإسلامية بشرط أن يكون المسلم مظهرًا لدينه، معتزًا بإسلامه مبتعدًا عن مواطن الشر.

(١) حسن، رواه أبو داود (٤٠٣١) رحسنه الألباني في الترغيب والترهيب (٢٠٨٩).

٤- مظاهر الكفار والمشركين على المسلمين:

وهذا من نواقض الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، ويدخل في هذا الجاسوس الذي يتجسس على أمور المسلمين لصالح أعداء الله عز وجل.

٥- الاستعانة بهم واتخاذهم بطانة وتوليّتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧٨﴾ هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٧٩﴾ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا...﴾ [آل عمران].

فهذه الآيات تشرح دخائل الكفار، وما يكونونه نحو المسلمين من بغض، وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة، وما يحبونه من مضرة المسلمين، وإيصال الأذى إليهم بكل وسيلة.

روى الإمام أحمد بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه: لي كاتب نصراني قال: مالك قاتلك الله، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]، ألا اتخذت حنيفاً؟! قلت: يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله.

وروى الإمام أحمد ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى بَدْرٍ فَتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَحِقَهُ عِنْدَ الْجُمُرَةِ فَقَالَ: إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ؟» قَالَ: لَا قَالَ: «ارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»^(١).

(١) صحيح، رواه مسلم (١٨١٧/١٥٠)، والترمذي (١٥٥٨)، وأحمد في المسند (٢٤٦٣٢).

ومن هذه النصوص يتبين لنا تحريم تولية الكفار أعمال المسلمين التي يتمكنون بواسطتها من الاطلاع على أحوال المسلمين وأسرارهم، ويكيدون لهم يالحاق الضرر بهم.

٦- التأريخ بتاريخهم:

ولذلك لما أراد الصحابة رضي الله عنهم وضع تاريخ للمسلمين في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه عدلوا عن تواريخ الكفار وأرخوا بهجرة الرسول ﷺ مما يدل على وجوب مخالفة الكفار في هذا، وفي غيره مما هو من خصائصهم، والله المستعان.

٧- مشاركتهم في أعيادهم:

وقد فسّر قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] أي: ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار.

٨- مدحهم والإشادة بحضارتهم ... من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم دون النظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه]، وليس معنى ذلك أن المسلمين لا يتخذون أسباب القوة من تعلم الصناعات، ومقومات الاقتصاد المباح والأساليب العسكرية بل ذلك مطلوب.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وهذه المنافع والأسرار الكونية هي في الأصل للمسلمين قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الحج: ١٣].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

فالجواب أن يكون المسلمون سبّاقين إلى استغلال هذه المنافع وهذه الطاقات، ولا يستجدون الكفار في الحصول عليها، بل يجب أن تكون لهم مصانع وتقنيات.

٩- التسمي بأسمائهم:

يقول النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه أبو داود بسند جيد: «إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ»^(١).

وثبت في الحديث الصحيح: «خَيْرُ الْأَسْمَاءِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»^(٢). ولذلك لا يجوز للمسلمين أن يتسموا بأسماء أجنبية ويتركوا أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم والأسماء المعروفة في مجتمعهم.

١٠- الاستغفار لهم والترحم عليهم:

وقد حرم الله ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة]؛ لأن هذا يتضمن حبهم وتصحيح ما هم عليه.

من مظاهر مولاة المسلمين

١- الهجرة إلى بلاد المسلمين وهجر بلاد الكفار:

والهجرة هي الانتقال من بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين، والهجرة بهذا المعنى ولأجل هذا الغرض واجبة وباقية إلى طلوع الشمس من مغربها عند قيام الساعة، وقد تبرأ النبي ﷺ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، فتحرم على المسلم الإقامة في بلاد الكفار إلا إذا كان لا يستطيع الهجرة منها، أو كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الَّتِي ظَالَمُوا أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ

(١) ضعيف، رواه أبو داود (٤٩٤٨) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٣٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (١٧١٥٤).

وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمِثْ فِي الْأَرْضِ مُرَافَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ [النساء].

٢- مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في

دينهم ودنياهم:

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

٣- التألم لألمهم والسرور بسرورهم:

لقوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(١)، «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ»^(٢).

٤- احترام حقوق المؤمنين:

حقوق المسلم على أخيه المسلم كثيرة.. سنذكر منها أربعين حقًا وأدبًا، عليك أن تتأدب بها أيها الأخ الحبيب نحو أخيك المسلم قد ذكرناها مشفوعة بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، منها:

أولاً: رد السلام أو إفشاء السلام:

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦].
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٣).

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٦/٢٥٨٦).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٠٢٧)، ومسلم (٦٥/٢٥٨٥).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٩٣/٥٤)، وأبو داود (٥١٩٣).

ثانيًا: يشمته إذا عطس:

لقوله ﷺ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ؛ فَإِذَا قَالَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحْ بَالَكُمْ»^(١).

ثالثًا: أن يعود إذا مرض:

لقوله ﷺ: «فُكُّوا الْعَانِي [يَعْنِي الْأَسِيرَ] وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعَوِّدُوا الْمَرِيضَ»^(٢).

رابعًا: أن يشيع جنازته:

لقوله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ»^(٣).

خامسًا: أن يبرأ قسمه:

إذا أقسم عليه في شيء غير محذور ولا معصية حتى لا يحنث أخوك المسلم في يمينه.

سادسًا: إجابة الداعي:

أي إذا دعاك أخوك المسلم إلى طعام فلبّ إن لم يكن عندك عذر.

سابعًا: نصره المظلوم أمام ظالمه في المواطن التي يُنتهك فيها عرضه، وتُستحل فيها حرمة:

لحديث البراء بن عازب قال: «أَمَرْنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَإِثْرَارِ الْقَسَمِ وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ وَإِجَابَةِ الدَّاعِي»^(٤).

ثامنًا: الوصل والزيارة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مُمْشَاكَ وَتَبَوَّاتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنَزَلًا»^(٥).

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٢٢٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٠٤٦، ٥١٧٤، ٣٥٧٣، ٥٦٤٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٥٢/٩٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح، رواه البخاري (٥١٧٥، ٥٦٣٥)، ومسلم (٣/٢٠٦٦)، والنسائي (١٩٣٩).

(٥) صحيح، رواه الترمذي (٢٠٠٨)، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٢٥٧٨).

تاسعاً: أن ينصحه إذا استنصحه في شيء:

فبين له ما فيه من الخير والشر كذلك ينصحه إذا وجدته قصّر في جنب الله عز وجل، لقوله ﷺ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

عاشراً: أن يحبّ له ما يحبه لنفسه، وأن يكره له ما يكره لنفسه:

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٢).

الحادي عشر: ألا يمسه بسوء وألا يروعه:

لقوله ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(٣).

وقوله ﷺ: «مَنْ أَمِنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»^(٤).

وقوله ﷺ: «لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوَّعَ مُسْلِمًا»^(٥).

الثاني عشر: ألا يتكبر عليه:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [فمنان].

ولقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٦).

الثالث عشر: ألا يهجره فوق ثلاثة أيام:

لقوله ﷺ: «لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا

(١) صحيح، رواه مسلم (٩٥/٥٥).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٧١/٤٥).

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٠، ٦٤٨٤)، مسلم (٦٤/٤٠).

(٤) رواه أحمد (٦٨٨٦، ٦٩٧٨)، والحاكم في المستدرک (٢٧/١) بسند صحيح.

(٥) صحيح، رواه أبو داود (٥٠٠٤)، وقال الألباني: صحيح، وأحمد في المسند (٢٢٥٥٥)،

وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٦) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٦٤/٢٨٦٥)، وأبو داود (٤٨٩٥)، وابن ماجه

وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»^(١).

الرابع عشر: ألا يغتابه:

لقوله ﷺ: «أَتَذُرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَابْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(٢).

الخامس عشر: ألا ينم عليه:

لقوله ﷺ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبُؤْلِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»^(٣).
ولقوله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»^(٤).

السادس عشر: ألا يسبه بغير حق حيًا كان أو ميتًا:

لقوله ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(٥).
وقوله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا»^(٦).

السابع عشر: ألا يحسده:

لقوله ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَسَسُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٧).

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٠٧٧، ٦٢٣٧)، ومسلم (٢٥٦٠/٢٥) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه مسلم (٧٠/٢٥٨٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٢١٨، ١٣٦١، ١٣٧٨)، ومسلم (١١١/٢٩٢).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٦٩/١٠٥، ١٧٠).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٤٨، ٦٠٤٤، ٧٠٧٦)، ومسلم (١١٦/٦٤)، والترمذي

(١٩٨٣، ٢٦٣٥)، والنسائي (٤١٠٥، ٤١٠٦-٤١١٢)، وابن ماجه (٦٩، ٣٩٣٩).

(٦) صحيح، رواه البخاري (١٣٩٣، ٦٥١٦)، والنسائي (١٩٣٦).

(٧) صحيح، رواه مسلم (٣٠/٢٥٦٣).

الثامن عشر: ألا يظن به سوءاً (ألا يسيء به الظن):

لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].
ولقوله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(١).

التاسع عشر: ألا يحتقره أو يسخر منه أو ينزهه بلقب سوء:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].
ولقوله ﷺ: «يَحْسِبُ امْرِئٌ مِّنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»^(٢).

العشرون: ألا يتجسس عليه:

لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

الحادي والعشرون: ألا يفشه وألا يخدعه وألا يحمل عليه السلاح:

لقوله ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٣).

الثاني والعشرون: ألا يغدر به إذا عاهده، وأن يتجنب معه صفات المنافقين:

لقوله ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِيَ خَانَ»^(٤).

وفي رواية: «وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٥).

(١) صحيح، رواه البخاري (٥١٤٤، ٦٠٦٤، ٦٠٦٦، ٦٧٢٤)، ومسلم (٢٨/٢٥٦٣)،
والترمذي (١٩٨٨)، وأبو داود (٤٩١٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣٢/٢٥٦٤)، وأبو داود (٤٨٨٢)، وابن ماجه (٤٢١٣).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٠١/١٦٤).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٣٣، ٢٦٨٢، ٦٠٩٥)، ومسلم (١٠٧/٥٩).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٣١٧٨)، ومسلم (١٠٦/٥٨).

الثالث والعشرون: ألا يماطله في دين إذا كان قادراً على سداد دينه:
لقوله ﷺ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»^(١).

الرابع والعشرون: ألا يتبع عورته:

لقوله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»^(٢).

الخامس والعشرون: أن يخالقه بخلق حسن، فيبذل له المعروف ويلين له الجانب:
لقوله ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٣).

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (البر شيء هين، وجه طليق وكلام لين).
السادس والعشرون: أن يوقره إن كان كبيراً، وأن يرحمه إن كان صغيراً، وأن
يجله إن كان عالماً:

لقوله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا»^(٤).
وقوله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ»^(٥).

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٢٨٧، ٢٢٨٨، ٢٤٠٠)، ومسلم (٣٣/١٥٦٤)، والترمذي (١٣٠٨)، والنسائي (٤٦٨٨، ٤٦٩١)، وأبو داود (٣٣٤٥)، وابن ماجه (٢٤٠٣).
(٢) حسن صحيح، رواه أبو داود (٤٨٨٠)، قال الألباني: حسن صحيح، وأحمد في المسند (١٩٢٧٧، ١٩٣٠٢).

(٣) حسن، رواه الترمذي (١٩٨٧)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، وقال الحاكم في المستدرك (١٧٤/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٤) صحيح، رواه الترمذي (١٩٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٥)، وأحمد في المسند (٢٧٨٢٣).

(٥) حسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٣).

السابع والعشرون: أن يعفو عن زلته:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]،
 ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].
 ولقوله ﷺ: «مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا» (١).

الثامن والعشرون: أن ينفس عنه كربات الدنيا إذا ضاقت عليه الأرض بما رحبت:

لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (٢).

التاسع والعشرون: أن يشفع له في قضاء حاجته إذا كان ذا منزلة عند الخلق

ويقدر على ذلك:

لقوله ﷺ: «اشْفَعُوا تُؤْخَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ» (٣).

الثلاثون: أن يدعو له بظهر الغيب:

لقوله ﷺ: «مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ» (٤).

وفي رواية: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ» (٥).

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٩/٢٥٨٨).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣٨/٢٦٩٩)، والترمذي (١٤٢٥، ١٩٣٠، ٢٩٤٥)، وأبو داود (٤٩٤٦)، وابن ماجه (٢٢٥).

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (١٤٥/٢٦٢٧)، والترمذي (٢٦٧٢)، والنسائي (٢٥٥٦).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٨٧/٢٧٣٢).

(٥) صحيح، رواه مسلم (٨٨/٢٧٣٣).

الحادي والثلاثون: أن يعيده إذا استعاده بالله، وأن يعطيه إذا سألته بالله وأن يكافئه على معروفه:

لقوله ﷺ: «مَنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَقَالَ سَهْلٌ وَعُثْمَانُ: وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ - ثُمَّ اتَّفَقُوا - وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، قَالَ مُسَدَّدٌ وَعُثْمَانُ: فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا اللَّهَ لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»^(١).

الثاني والثلاثون: ألا يتعرض لما سبق إليه من المباحات، فلا يبيع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبته:

جاء في الحديث: «لَا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ»^(٢).
الثالث والثلاثون: أن يكرمه ضيفا:

لقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»^(٣).

الرابع والثلاثون: أن يكون معهم في حال العسر واليسر والشدة والرخاء: خلاف أهل النفاق الذين يكونون مع المؤمنين في حالة اليسر والرخاء ويتخلون عنهم في حال الشدة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١].

الخامس والثلاثون: الرفق بضعفائهم:

لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُزْرَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ»^(٤).

(١) صحيح، رواه النسائي (٢٥٦٧)، وأبو داود (٥٠١٩) واللفظ له، صححه الألباني في الصحيحة (٢٥٤).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٢١٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٥٠/١٤١٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٦٠١٨، ٦١٣٦، ٦١٣٨، ٦٤٧٥)، ومسلم (٧٥، ٧٤/٤٧) كل الروايات عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٨٩٦).

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

السادس والثلاثون: الاستغفار للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

(من السابع والثلاثين حتى الأربعين: حقوق خاصة بالجيران)

السابع والثلاثون: عدم أذية الجار:

لقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ»^(١).

وقوله ﷺ: «وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ»^(٢). أي: لا يأمن ظلمه وغشمه وأذيته.

الثامن والثلاثون: أن يثبت له حق الشفعة:

بمعنى لا يبيع أو يؤجر ما يتصل بجاره حتى يعرض الأمر على جيرانه الأقرب فالأقرب دون غيرهم، لقوله ﷺ: «من كان له شريك في حائط، فلا يبيع نصيبه من ذلك حتى يعرضه على شريكه»^(٣).

التاسع والثلاثون: ألا يمنع جاره من أن يضع خشبة في جداره:

لقوله ﷺ: «لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشْبَهُ فِي جِدَارِهِ»^(٤).

الأربعون: إذا ابتلى بجار سوء فليصبر عليه وأن يقابل الإساءة بالإحسان: واعلم أيها الحبيب أنه ليس من حق الجار كف الأذى عنه فقط بل احتمال الأذى

(١) صحيح، رواه البخاري (٥١٨٨، ٦٠١٨، ٦١٣٦، ٦٤٧٥)، ومسلم (٧٥/٤٧)، وأبو داود (٥١٥٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٠١٦).

(٣) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٤٤٦/٥).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٤٦٣)، رواه مسلم (١٣٦/١٦٠٩)، وأبو داود (٣٦٣٤)، وابن ماجه (٢٣٣٥).

منه والصبر عليه والإحسان إليه رحم الله القائل: (اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله؛ فإن أصبت أهله فهم أهله؛ وإن لم تصب أهله فأنت أهله).

تنبيه: وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الصف: ٨].

فمعناه أن من كف أذاه من الكفار فلم يخرج المسلمين من ديارهم فإن المسلمين يقابلون ذلك بمكافأته بالإحسان والعدل معه في التعامل الدنيوي ولا يحبونه بقلوبهم، لأن الله قال: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الصف: ٨]، ولم يقل توالونهم وتحبونهم.

ونظير هذا قوله تعالى في الوالدين الكافرين: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥]، وقد جاءت أم أسماء إلى أسماء تطلب صلتها وهي كافرة فاستأذنت رسول الله ﷺ في ذلك فقال لها: «صِلِ أُمِّكَ»^(١). وقد قال تعالى: ﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فالصلة والمكافأة الدنيوية شيء، والمودة شيء آخر؛ لأن في الصلة وحسن المعاملة ترغيباً للكافر في الإسلام، فهما من وسائل الدعوة بخلاف المودة والمولاة فهما يدلان على إقرار الكافر على ما هو عليه والرضى عنه وذلك يسبب عدم دعوته للإسلام. وكذلك تحريم مولاة الكفار لا تعني تحريم التعامل معهم بالتجارة المباحة واستيراد البضائع والمصنوعات النافعة والاستفادة من خبراتهم ومخترعاتهم؛ فالتبي ﷺ استأجر ابن أريقط الليثي ليدله على الطريق وهو كافر واستدان من بعض اليهود.

وما زال المسلمون يستوردون البضائع والمصنوعات من الكفار، وهذا من باب الشراء منهم بالثمن وليس لهم علينا فيه فضل ومنة، وليس هو من أسباب محبتهم وموالاتهم؛ فإن الله أوجب محبة المؤمنين ومولاتهم وبغض الكافرين ومعاداتهم.

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (٥٠/١٠٠٣).

وقال تعالى عائبا على بني إسرائيل: ﴿تَكْرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (٨١) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا أَخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ [المائدة].

القسم الثالث: من يُحِبُّ من وجه ويبغض من وجه:

فتجتمع فيه المحبة والعداوة وهم عصاة المؤمنين، يُحبون لما فيهم من الإيمان ويبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك، ومحبتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم، فلا يجوز السكوت على معاصيهم بل يُنكر عليهم ويُؤمرون بالمعروف ويُنهون عن المنكر وتُقام عليهم الحدود والتعزيرات حتى يكفوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم؛ لكن لا يبغضون بغضا خالصا ويتبرأ منهم كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك، ولا يُحبون ويوالون حبا ومولاة خالصين كما تقوله المرجئة بل يعتدل في شأنهم على ما ذكرنا كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

والحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان، والمرء مع من أحب يوم القيامة كما في الحديث، وقد تغير الوضع وصار غالب مولاة الناس ومعاداتهم لأجل الدنيا فمن كان عنده مطمع من مطامع الدنيا وآلوه وإن كان عدوا لله ولرسوله ولدينه والمسلمين، ومن لم يكن عنده مطمع من مطامع الدنيا عادوه ولو كان وليا لله ولرسوله عند أدنى سبب وضايقوه واحتقروه.

وتشيع المسلمون اليوم إلى شيع وأحزاب كل حزب بما لديهم فرحون الكل ينظر إلى جماعته وحزبه بأنهم الفرقة الناجية، وغيرهم على ضلال وعلى هلاك وعلى شفا جرف هار، والكثير من المسلمين اليوم يضع مصلحة الحزب فوق مصلحة الدين حتى وإن زعم أنه يخدم دين الله عز وجل، ولذلك أصبح القانون الذي يحكم في البلاد وبين العباد (إن كنت من حزبنا وجماعتنا فأنت حبيبنا، وإن لم تكن من حزبنا

وجماعتنا فأنت بغیضنا حتی وإن قلت: قال الله .. قال رسوله)، وأصبح القانون الذي يحكم بين الناس (من يدفع أكثر فنحن معه) ... فأصبح الرجل يبيع دينه بعرض من الدنيا بثمان بخص دراهم معدودة، وأصبح في دينه من الزاهدين، وصدقت فينا نبوءة النبي ﷺ إذ يقول في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم رحمه الله في صحيحه: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(١).



(١) صحيح، رواه مسلم (١١٨/١٨٦).

معنى محمد رسول الله

معنى أشهد أن محمداً رسول الله: أي الإيمان بأنه مرسل من عند الله عز وجل، ونصدقه فيما أخبر، ونطيعه فيما أمر، ونجتنب ما نهى عنه وزجر، وألا نتعبد الله إلا بما شرع، لا بالأهواء والبدع .. فتأملوا قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].
وتأملوا قول النبي ﷺ: «مَنْ أَخَذَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(١). أي: مردود على صاحبه.

«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ وَعَصُوا عَلَيْهَا بِالتَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢).



(١) صحيح، (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧/١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤) كلهم عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩).

أسماء الله الحسنى

أسماء الله الحسنى هي التي أثبتها تعالى لنفسه وأثبتها له عبده ورسوله محمد ﷺ وآمن بها جميع المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الأنعام]، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر]، ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر].

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». وزاد همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إِنَّهُ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ»^(١).

ورواه الترمذي وزاد: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُدِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْخَفِيفُ الْمُقَيِّتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْحَجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ الْوَدُودُ الْحَمِيدُ الْبَاقِ الْبَاقِ الْبَاقِ الْحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْمُحْصِي الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْحَيُّ الْمَيِّتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاحِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخَّرُ الْأَوَّلُ الْآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِي الْمُتَعَالِي الْبَرُّ التَّوَّابُ الْمُتَّقِمُ الْعَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ الْمَلِكِ ذُو الْجَلَالِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٦/٢٦٧٧).

وَالْإِكْرَامِ الْمُقْسِطِ الْجَامِعِ الْغَنِيِّ الْمُنْعِي الْمَانِعِ الضَّارِّ النَّافِعِ النُّورِ الْهَادِي الْبَدِيعِ الْبَاقِي
الْوَارِثِ الرَّشِيدِ الصَّبُورِ»^(١).

وقد حررها الحافظ ابن حجر رحمه الله في (التلخيص) تسعة وتسعين اسماً من
كتاب الله العزيز منطبقة على لفظ الحديث ورتبها هكذا: «الْإِلَهُ الرَّبُّ الْوَاحِدُ، اللَّهُ
الرَّبُّ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهِتَمُّ، الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ،
الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ، الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ، الْأَوَّلُ الْآخِرُ، الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الْعَلِيُّ
الْعَظِيمُ التَّوَّابُ، الْحَلِيمُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ، الشَّكِرُ الْعَلِيمُ الْغَنِيُّ، الْكَرِيمُ الْعَفُوُّ الْقَدِيرُ،
اللطيفُ الْخَبِيرُ السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ الْمُؤَلَّى النَّصِيرُ، الْقَرِيبُ الْمُجِيبُ الرَّقِيبُ، الْحَسِيبُ
الْقَوِيُّ الشَّهِيدُ، الْحَمِيدُ الْمُجِيدُ الْمُحِيطُ، الْحَفِيزُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْخَلَّاقُ،
الْفَتَّاحُ الْوَدُودُ الْغَفُورُ، الرَّءُوفُ الشَّكُورُ الْكَبِيرُ، الْمُتَعَالِ الْمَقِيتُ الْمُسْتَعَانُ، الْوَهَّابُ
الْحَفِيُّ الْوَارِثُ، الْوَلِيُّ الْقَائِمُ الْقَادِرُ، الْعَالِمُ الْقَاهِرُ الْبَرُّ، الْحَافِظُ، الْأَخَذُ الصَّمَدُ،
الْمَلِكُ الْمُقْتَدِرُ الْوَكِيلُ، الْهَادِي الْكَفِيلُ الْكَافِي، الْأَكْرَمُ الْأَعْلَى الرَّزَّاقُ، ذُو الْقُوَّةِ
الْمَتِينِ، غَافِرُ الذَّنْبِ، قَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ، ذُو الطَّوْلِ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ، سَرِيعُ
الْحِسَابِ، فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، نُورُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ، مَالِكُ الْمَلِكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» أهـ.

وقد عدها جماعة غير من ذكرنا كسفيان بن عيينة وابن حزم والقرطبي وغيرهم.
واعلم أخ الإسلام زادك الله علماً أن هناك عدة أمور متعلقة بأسماء الله الحسنى
لا بد للمؤمن الموحد الحريص على صحة إسلامه وسلامة عقيدته أن يتعلمها:

أولاً: اعلم أن أسماء الله عز وجل ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين المذكورة
في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن الكريم؛ بل ولا فيما
علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين لحديث ابن مسعود عند أحمد والترمذي

(١) ضعيف، رواه الترمذي (٣٥٠٧)، ثم قال: هذا حديث غريب. وقال الألباني في المشكاة
(٢٢٨٨): ضعيف.

وقال: حديث حسن صحيح وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِي حُكْمِكَ عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِّيتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»^(١).

ثانيًا: واعلم أن من أسماء الله عز وجل ما لا يطلق عليه إلا مقترنًا بمقابله فإذا أطلق وحده أوهم نقصًا - تعالى الله عن ذلك - فمنها المعطي المانع، والضرار النافع، والقابض الباسط، والمعز المذل، والخافض الرافع، فلا يطلق على الله عز وجل المانع والضرار والقابض والمذل والخافض كلاً على انفراده، بل لابد من ازدواجها بمقابلهما، إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك، ومن ذلك المنتقم لم يأت في القرآن إلا مضافاً إلى (ذو) كقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [ال عمران: ٤] أو مقيداً بالمجرمين كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

ثالثًا: اعلم أنه قد ورد في القرآن أفعال أطلقها الله عز وجل على نفسه على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة، وهي فيما سيقّت فيه مدح وكمال، لكن لا يجوز أن يشتق له تعالى منها أسماء ولا تطلق عليه في غير ما سيقّت فيه من الآيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [ال عمران: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ﴾ ① ② الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ③ [البقرة]، ونحو ذلك فلا يجوز أن يطلق على الله تعالى مخادع ماكر ناس مستهزئ ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه، ولا يقال يستهزئ ويخادع ويمكر وينسى على سبيل الإطلاق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١) رواه أحمد في المسند (٣٧٠٤).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنی، ومن ظن من جهال المصنفين في شرح الأسماء أن من أسمائه تعالى المستهزئ الكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد تصم الأسماع عند سماعه، وغرّ هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء، وأسماءه تعالى كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنی وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم، وهذا جهل عظيم؛ فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقاً بل تمدح في موضع وتذم في موضع فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله تعالى مطلقاً، فلا يقال إنه تعالى يمكر ويخدع ويستهزئ ويكيد، فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يُسمى بها بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنی المرید ولا المتكلم ولا الفاعل ولا الصانع لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها كالحليم والحكيم والعزیز والفعال لما يريد، فكيف يكون منها الماكر والمخدع والمستهزئ، ثم يلزم هذا الغلط أن يجعل من أسمائه الحسنی الداعي الآتي الجائي والذاهب والقادم والرائد والناسي والقاسم والساخط والغضبان واللاعن إلى أضعاف أضعاف ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن الكريم، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل، والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق).

رابعاً: واختلف العلماء في معنى قوله ﷺ: «مَنْ أَحْصَاهَا».

فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها وأن إحدى الروايتين مفسرة للأخرى.

وقال الخطابي: يحتمل وجوهاً: أحدها أن يعدها حتى يستوفيها، بمعنى أن لا يقتصر على بعضها فيدعو الله بها كلها ويثني عليه بجميعها فيستوجب المؤعد عليها من الثواب، وثانيها المراد بالاحصاء الإطاعة، والمعنى من أطاق القيام بحق

هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بموجبها فإذا قال : (الرزاق) وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء، ثالثها المراد بها الإحاطة بجميع معانيها، وقيل: أحصاها عمل بها فإذا قال: (الحكيم) سلم لجميع أوامره وأقداره وأنها جميعاً على مقتضى الحكمة، وإذا قال (القدوس) استحضر كونه مقدساً منزهاً عن جميع النقائص، واختاره أبو الوفاء ابن عقيل.

وقال ابن بطال: طريق العمل بها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم فيمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها يعني فيما يقوم به، وما كان يختص به نفسه كالجبار والعظيم فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرغبة. أهـ.

والظاهر أن معنى حفظها وإحصائها هو معرفتها والقيام بعبوديتها كما أن القرآن لا ينفع حفظ ألفاظه من لا يعمل به، بل جاء في المُرَّاق من الدين أنهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم.

خامساً: وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، قال ابن عباس وابن جريج ومجاهد: هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه فسموا به أوثانهم فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان، وقيل: هي تسميتهم الأصنام بالآلهة، ورؤي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] أي: يكذبون.

وقال قتادة: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] يشركون في أسمائه.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد التكذيب، وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمة الحفر. أهـ.

وهذه الأقوال متقاربة، والإلحاد يعمها وهو ثلاثة أقسام:

الأول: إلحاد المشركين: وهو ما ذكره ابن عباس وابن جريج ومجاهد من عدولهم بأسماء الله تعالى عما هي عليه وتسميتهم أوثانهم بها مضاهاة لله عز وجل ومشاقة له ولرسوله ﷺ.

الثاني: إلحاد المشبهة: الذين يكتفون صفات الله عز وجل ويشبهونها بصفات خلقه مضادة له تعالى وردًا لقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وهو مقابل لإلحاد المشركين فأولئك جعلوا المخلوق بمنزلة الخالق وسووه به، وهؤلاء جعلوا الخالق بمنزلة الأجسام المخلوقة وشبهوه بها تعالى وتقدس عن إفكهم.

الثالث: إلحاد النفاة وهم قسمان: قسم أثبتوا ألفاظ أسمائه تعالى دون ما تضمنه من صفات الكمال فقالوا: رحمن رحيم بلا رحمة، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، وأطردوا بقية الأسماء الحسنی هكذا وعطلوها عن معانيها وما تقتضيه وتتضمنه من صفات الكمال لله تعالى، وهم في الحقيقة كمن بعدهم وإنما أثبتوا الألفاظ دون المعاني تسترًا وهو لا ينفعهم، وقسم لم يتستر بما تستر به إخوانهم بل صرحوا بنفي الأسماء وما تدل عليه من المعاني واستراحوا من تكلف أولئك ووصفوا الله تعالى بالعدم المحض الذي لا اسم له ولا صفة وهم في الحقيقة جاحدون لوجود ذاته تعالى مكذبون بالكتاب وبما أرسل الله به رسله.

وأصحاب هذه الأقسام الأربعة كل فريق منهم يكفر مقابله، وهم كما قالوا كلهم كفار بشهادة الله وملائكته وكتبه ورسله والناس أجمعين من أهل الإيمان والإثبات الواقفين مع كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وآله وصحبه أجمعين... انظر معارج القبول للحكمي في باب أسماء الله الحسنی. [بتصرف].



الشرك الأكبر والأصغر

أولاً: الشرك الأكبر وأنواعه:

الشرك الأكبر أن تجعل لله نداً (مثيلاً) تدعوه كما تدعو الله، أو تصرف له نوعاً من أنواع العبادة كالاستعانة أو الذبح أو النذر أو غيرها، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»^(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].
وللشرك أنواع كثيرة:

١- شرك الدعاء: وهو دعاء غير الله من الأنبياء والأولياء لطلب الرزق أو شفاء المرض أو في إغناء ذوي الفاقات أو معافاة أصحاب العاهات والبليات أو فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: أي: المشركين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

٢- شرك النية: وهو العمل الصالح للدنيا فقط، لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [١٥] أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٦] [هود].

٣- شرك المحبة: وهو محبة أحد الأولياء كمحبة الله لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٤- شرك الطاعة: وهو طاعة العلماء والمشايخ في المعصية مع اعتقادهم جواز

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٤٧٧، ٤٧٦١، ٦٠٠١، ٦٨١١، ٦٨٦١، ٧٥٢٠)، ومسلم

ذلك لقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد فسرت العبادة بطاعتهم في المعصية بتحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، قال ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١).

٥- شرك الحلول: وهو الاعتقاد بأن الله حلّ في مخلوقاته، وهذه عقيدة ابن عربي الصوفي المدفون بدمشق وغيره حتى قال شاعرهم:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة

ومنهم من قال: (سبحاني ما أعظم شاني).

ومنهم من قال: (وما في الحجة إلا الله)، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه] أي: أن الله عز وجل استوى على عرشه فوق السماء السابعة وهو بائن عن خلقه.

٦- شرك التصرف: وهو اعتقاد أن بعض الأولياء لهم تصرفات في الكون يدبرون أموره كالأقطاب والأغواث مع أن الله تعالى يسأل المشركين

الأقدمين قائلًا: ﴿وَمَنْ يُدْرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

فكان المشركون الأقدمون أحسن حالًا من أصحاب شرك التصرف.

والشرك الأكبر يحبط العمل ويخرج من الملة، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر].

ثانيًا: الشرك الأصغر:

الشرك الأصغر لا يخرج فاعله من الإسلام، ولكنه من الكبائر ومن أنواعه:

١- الرياء اليسير: والتصنع للمخلوق، كالمسلم الذي يعمل لله، ويصلي لله،

ولكنه يحسن صلاته وعمله ليمدحه الناس، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٠٩٨)، قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط

الشيخين.

رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: ١١٠]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟»^(١).

٢- الحلف بغير الله: لقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»^(٢).

٣- الشرك الخفي: وفسره ابن عباس بقول الرجل لصاحبه: (ما شاء الله وشئت)، ومثله: لولا الله وفلان، ويجوز أن نقول: (لولا الله ثم فلان)، وقد أمر النبي ﷺ أن يقولوا: «مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ»^(٣).



(١) صحيح، رواه أحمد (٢٧٧٤٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (١٥٣٥)، صحيحه الألباني في الصحيحة (٢٠٤٢).

(٣) صحيح، رواه النسائي (٣٧٧٣)، صحيحه الألباني في الصحيحة (١٣٦).

الكفر وأنواعه

كفر أكبر .. كفر أصغر

أولاً: الكفر الأكبر وأنواعه:

الكفر الأكبر يخرج صاحبه من الإسلام وهو الكفر الاعتقادي وأنواعه كثيرة منها:

١- كفر التكذيب: وهو تكذيب القرآن أو الحديث، أو بعض ما جاء فيهما، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨]. وقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

٢- كفر الإباء والاستكبار مع التصديق: وهو عدم الانقياد للحق مع الإقرار به، ككفر إبليس، والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

٣- كفر الظن والشك يوم القيامة: أو إنكاره وعدم التصديق به والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الكهف: ٣٦] إلى قوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الكهف: ٣٧].

٤- كفر الإعراض: وهو عدم الاستجابة لمطالب الإسلام وتركها والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحزاب: ٣].

٥- كفر النفاق الأكبر: وهو إظهار الإسلام باللسان واعتقاد الكفر بالقلب والجنان، ومخالفته بالأعمال، لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [النافقون: ٣]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

٦- كفر الاستهزاء: فمن استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه فقد كفر

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْدِي اللَّهِ وَأَيْدِيهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٦٦ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة].

ثانياً: الكفر الأصغر وأنواعه:

الكفر الأصغر: هو الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام ولكنه من الكبائر مثل:

١- كفر النعمة: والدليل قوله تعالى يخاطب المؤمنين من قوم موسى عليه السلام:

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ٧ [إبراهيم: ٧].

٢- الكفر العملي: وهو كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر، ومع بقاء

اسم الإيمان على فاعلها مثل قوله ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ

كُفْرٌ»^(١). وقوله ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ

السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ

مُؤْمِنٌ»^(٢). فهذا كفر لا يخرج صاحبه من الإسلام، بخلاف الكفر

الاعتقادي؛ ولكنه من الكبائر.



(١) صحيح، رواه البخاري (٤٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٨١٠)، ومسلم (١٠٠/٥٧).

احذروا الطواغيت

اعلم -رحمك الله تعالى- أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله تعالى.

الطاغوت: هو كل ما عُبد من دون الله، ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، ولقد أرسل الله الرسل ليأمرُوا أَقْوَامَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، واجتناب الطاغوت، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٢٦].

والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة:

١- الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله والدليل قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَخْعَذَ إِلَيْكُمْ يَبْنَئِيْ عَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [إبر].

٢- واضع الدستور المغير لأحكام الله تعالى: والدليل قوله تعالى منكرًا على المشركين المشرعين بما لم يرض به الله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

٣- الحاكم بغير ما أنزل الله: إذا اعتقد عدم صلاحية ما أنزل الله أو أجاز الحكم بغيره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

٤- الذي يدعي علم الغيب من دون الله من العرفان والكهان: لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

٥- الذي يعبد الناس ويدعونه من دون الله وهو راض بذلك: والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِّنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

واعلم أنه يجب على المؤمن أن يكفر بالطاغوت حتى يكون مؤمنًا مستقيمًا، والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وهذه الآية دليل على أن عبادة الله لا تنفع إلا باجتناب عبادة ما سواه.

أنواع النفاق

أولاً: النفاق الأكبر:

النفاق الأكبر هو إظهار الإسلام باللسان واعتقاد الكفر بالقلب والجنان ومخالفته بالأعمال وهو على أنواع:

١- تكذيب الرسول ﷺ.

٢- تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٣- بغض الرسول ﷺ.

٤- بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٥- الفرح بهزيمة المسلمين وانكسار شوكتهم.

٦- كراهية انتصار دين الإسلام.

وصاحب النفاق الأكبر عذابه أشد من الكفار، وخطره أعظم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، ولهذا وصف الله الكافرين بآيتين، ووصف المنافقين بثلاث عشرة آية في أوائل سورة البقرة.

ثانياً: النفاق الأصغر:

وهو النفاق العملي كالمسلم المتصف بصفة من صفات المنافقين التي أخبر عنها الرسول ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^(١).

وفي رواية: «وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٢)، وهذا النفاق لا يُخرج صاحبه من الإسلام، إلا أنه من الكبائر.

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣، ٢٦٨٢، ٦٠٩٥)، ومسلم (١٠٧/٥٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣١٧٨)، ومسلم (١٠٦/٥٨).

مظاهر الشرك

١- دعاء غير الله: ويظهر ذلك في الأناشيد والقصائد التي تقال بمناسبة احتفال مولد أو ذكرى تاريخية، فقد ينشدون:

يا إمام الرسل يا سندي أنت باب الله ومعتدي
وفي دنياي وآخرتي يا رسول الله خذ بيدي
من يبدلني عسري يسرا إلاك يا تاج الحضرة

ولو سمع الرسول ﷺ مثل هذا لتبرأ منه، إذ لا يبدل العسر باليسر إلا الله وحده ومثلها قصائد الشعر التي تكتب في الجرائد والمجلات والكتب، فيها طلب المدد والعون والتصر من الرسول والأولياء والصالحين العاجزين عن تحقيقها...

٢- دفن الأولياء والصالحين في المساجد: فترى في بعض المساجد القبور، وقد بنيت عليها القباب، وبعض الناس يسألون أهلها من دون الله، ونهى الرسول ﷺ عن ذلك بقوله: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(١). فإذا كان دفن الأنبياء في المساجد من عادة الكفار، فكيف يجوز دفن المشايخ والعلماء؟

٣- النذر للأولياء: بعض الناس يندرون ذبيحة أو مالاً للولي الفلاني، وهذا النذر شرك يجب عدم تنفيذه؛ لأن النذر عبادة وهي لا تصرف إلا لله وحده.

٤- الذبح عند قبور الأنبياء والأولياء، ولو كانت النية أن الذبيحة لله، فهو يشبه عمل المشركين الذين كانوا يذبحون عند قبور أصنامهم الممثلة لأوليائهم.

٥- الطواف حول قبور الأنبياء والأولياء كالجيلاني والرفاعي والبدوي والحسين وغيرهم؛ لأن الطواف عبادة لا تجوز إلا حول الكعبة لقوله تعالى:

﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

(١) صحيح، رواه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (١٩/٥٢٩).

٦- الصلاة إلى القبور: وهي غير جائزة لقوله ﷺ: «لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا»^(١).

٧- شد الرحال إلى القبور للتبرك بها، أو الصلاة عندها لا يجوز، لقوله ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(٢).

فنقول: ذهبنا لزيارة المسجد النبوي والسلام على صاحبه.



(١) صحيح، رواه مسلم (٩٧/٩٧٢).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (٥١١/١٣٩٧).

الطِّيرَةُ وَالْفَأَلُ

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عَنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

كان آل فرعون إذا أصابتهم الحسنة -أي الخصب والسعة والعافية كما فسرهم مجاهد وغيره- قالوا: نحن أهل الجديرون به، وإن أصابتهم السيئة أي: البلاء والضيق والقحط، يطيروا بموسى ومن معه فيقولون: أصابنا هذا البلاء والضيق والقحط بشؤم موسى وأصحابه، فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عَنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] أي: شؤمهم عند الله، ومن قبله، وإنما جاءهم الشؤم من قبل الله بكفرهم، وتكذيبهم بآيات الله ورسله وليس بسبب موسى ومن معه، وهذا يشبه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ قُلُّ كُلٍّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَأَلْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

أي: الكل من عند الله؛ ولكن هذا الشؤم الذي أجراه الله عليهم إنما أجراه بسبب كفرهم وتكذيبهم لآيات الله ورسله وليس بسبب موسى ومن معه، وكيف يكون ذلك وما جاء به موسى خير محض والطيرة إنما تكون بالشر لا بالخير؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧] أي: أكثرهم جهال لا يدرون، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أن ما جاء به موسى عليه السلام ليس فيه شيء يقتضي الطيرة لأنه خير محض.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا عَذْوَى وَلَا طِيرَةٌ وَلَا هَامَةٌ وَلَا صَفَرٌ»^(١). وزاد مسلم: «وَلَا نَوْءٌ وَلَا غُولٌ»^(٢).

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٧٥٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٠٦/٢٢٢٠).

المعنى:

لا عدوى: لنعلم أن هذه الميكروبات والفيروسات التي تسبب الأمراض، والتي تنتقل من شخص مريض إلى آخر سليم بالعدوى، إنما هي كائنات تُسبح لله تبارك وتعالى؛ فإذا أراد الله تبارك وتعالى أن تصيب شخصاً أو تنتقل من مريض إلى سليم فإنما يكون ذلك بمشيئة الله ولحكمة يعلمها الله، ولذلك فمعنى لا عدوى: يعني على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله، هذا ما قاله ابن القيم، وابن صلاح، وابن رجب.

ولذلك فالإنسان مطلوب منه أن يأخذ بالأسباب ويتعلق بربها والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر، ولذلك فلا يرد السليم على الأماكن التي تنتشر بها الأوبئة والأمراض أخذاً بالأسباب، لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «لَا يُورَدَنَّ مُرَضٌّ عَلَى مُصِحٍّ»^(١)، «وَفِرٌّ مِنَ الْمُجْدُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ»^(٢). وقال في الطاعون: «فَمَنْ سَمِعَ بِهِ يَأْرِضُ فَلَا يُقَدِّمَنَّ عَلَيْهِ»^(٣). والمرض: هو الذي إبله مراض، والمصح: هو الذي إبله صحاح.

ولا طيرة: قال ابن القيم: هذا يحتمل أن يكون نفياً (أي: ليس هناك شيء اسمه التشاؤم) ويحتمل أن يكون نهياً بمعنى (لا تطيروا) والنفي هنا أبلغ من النهي لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، وفي صحيح مسلم عن معاذ بن الحكم السلمي، أنه قال لرسول الله ﷺ: «وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ؟ قَالَ: ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدُّنَّهُمْ»^(٤). فأخبر النبي ﷺ أن تأذيه وتشاؤمه إنما هو شيء في نفسه وعقيدته، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده لا ما رآه أو سمعه،

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٧٧١).

(٢) رواه البخاري معلقاً في باب الجذام.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٦٩٧٤).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٣٣/٥٣٧).

وبذلك تطمئن قلوبهم ونفوسهم إلى وحدانية الله وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة مثل: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيْرَةٌ إِلَّا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالْذَّارِ»^(١).

فأجابت طائفة من العلماء على هذا الحديث بقولهم:

إنما الشؤم بهذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها فيكون شؤمها عليه، وأما من توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكون مشئومة عليه ويدل على ذلك ما رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس مرفوعاً: «لا طيرة، والطيرة على من تطير»^(٢)، فقد يجعل الله سبحانه وتعالى تطير العبد وتشاؤمه سبباً لحلول المكروه بساحته كما يجعل الثقة به والتوكل عليه وإفراد الخوف والرجاء منه من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر، وقد خُصت هذه الثلاثة بالذكر؛ لأن أكثر شؤم الناس يكون فيها، ولهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيْرَةٌ وَيُعْجِبُنِي الْقَالَ قَالُوا: وَمَا الْقَالَ؟ قَالَ: كَلِمَةُ طَيِّبَةٌ»^(٣)، ففي الحديث بين النبي ﷺ أن القول يعجبه، وأنه ليس من الطيرة المنهي عنها.

ومعنى التفاؤل: مثل أن يكون رجلاً مريضاً، فيسمع رجلاً يقول: يا سالم أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد.

قال ابن القيم: والله سبحانه وتعالى قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم ومحبته، وميل نفوسهم إليه. أهـ. ولذلك فإذا قرعت الأسماء الحسنة مثل ناجح وواجد، وظافر وراشد، وسالم، وفالح، وفائز الأسماع استبشرت بها النفس وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب.

قال الحلبي: وإنما كان يعجبه القول؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تبارك وتعالى

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٧٧٢)، ومسلم (١١٦/٢٢٢٥).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٢٢٩/٢٨٧/٢٥).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (١١٢/٢٢٢٤).

بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن الظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تبارك وتعالى على كل حال.

ولأبي داود عن عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: أَحْمَدُ الْقُرَشِيُّ قَالَ: ذُكِرَتْ الطَّيْرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَحْسَنْهَا الْقَالُ وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا؛ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»^(١). وفي حديث ابن عمرو مرفوعًا: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»^(٢)، ولذلك فمن تطير أي تشاءم بشيء مسموع أو مرئي فرجع عن عزمه على سفره مثلاً أو امتنع عما عزم على فعله فقد قرع باب الشرك، وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله، ولذلك فالطيرة لا ترد مسلماً عما عزم على فعله، ولا تثنيه عن سفره أو قصده.

ولذلك فإن رأى أحدنا ما يكره، فليقل: «اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» فهذا دعاء مناسب بينه النبي ﷺ لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعا، ولا تدفع ضرا، ويُعدُّ من اعتقدها سفيهاً مشركاً، وقولك: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» فيه تبرؤك من حولك وقوتك، واستعانتك بحول الله وقوته، فلا تحول ولا انتقال من حال إلى حال إلا بقوة الله تبارك وتعالى، وعن ابن مسعود مرفوعاً: «الطَّيْرَةُ مِنَ الشُّرْكِ، وَمَا مِنَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»^(٣).

وإنما جعلت الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب نفعا أو يدفع عنهم ضرا إذا عملوا بموجبه، فيتعلق القلب بغير الله، وهذا نوع من الشرك لأن الذي يأتي بالحسنات هو الله، والذي يدفع السيئات هو الله.

(١) رواه أبو داود (٣٩١٩)، ضعفه الألباني في ضعيف الكلم الطيب (٢٥٢)، والمشكاة (٤٥٩١).

(٢) صحيح، صححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٤٠).

(٣) رواه الترمذي (١٦١٤) وصححه وجعل الترمذي آخره من قول ابن مسعود، ورواه غيره.

وقوله: «وَمَا مِنَّا» هنا في الحديث إضمار، والتقدير هنا (وما منا إلا ويعتري قلبه شيء من ذلك) وهذا نوع من أدب الكلام؛ ولكن لما توكلنا على الله وآمنا به واتبعنا ما جاء به الرسول ﷺ، أذهب الله ذلك عنا، وأقر قلوبنا على السنة واتباع الحق.

ولا نوء: عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاِسْتِشْقَاءُ بِالتَّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ، وَقَالَ: النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَثْبُ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قِطْرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»^(١).

وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «أَتَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»^(٢).

ولا غول: بالفتح (مصدر) معناه: البعد والهلاك، وبالضم (اسم) جمعه أغوال أو غيلان والغول كما يقول أبو السعادات: هو من جنس الجن والشيطان كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تترأى للناس فتتغول تغولاً أي: تتلون تلوناً في صور شتى، وتغولهم أي: تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبي ﷺ وأبطله. وقيل: قوله لا غول: ليس نفيًا لعين الغول ووجوده وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتيالها، فيكون المعنى بقوله: (لا غول) أنها لا تستطيع أن تضل أحداً، ويشهد له الحديث الآخر: «لا غول ولكن السعالي سحرة الجن» أي: ولكن في الجن سحرة لهم تلبس وتخيل، ومن الحديث: «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان»^(٣).

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩/٩٣٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٨٤٦، ١٠٣٨)، ومسلم (١٢٥/٧١).

(٣) رواه أحمد في المسند (١٤٦٧٢) وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

ولا هامة: قال الفراء: الهامة طائر من طير الليل كأنه يعني البومة، قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت إلي نفسي أو أحدًا من أهل داري.

وقال الزبير بن بكار في (الموافقات): إن العرب كانت في الجاهلية تقول إذا قُتل الرجل، ولم يُؤخذ بثأره، خرجت من رأسه هامة (وهي دودة) فتدور حول قبره وتقول: اسقوني، وفي ذلك يقول شاعرهم:

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

ولا صفر: قيل فيه عدة أقوال أرجحها أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بشهر صفر، ويقولون: إنه شهر مشؤوم وربما ينتهي أحدهم عن السفر فيه فأبطل النبي ﷺ ذلك، رجحه ابن رجب ولعل هذا القول أشبه الأقوال، ولذلك فالتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها وكذلك التشاؤم بأي يوم من الأيام أو أي شهر من الشهور، كتشاؤم أهل الجاهلية بالنكاح في شهر شوال خاصة.

نواقض الإسلام (المخرجة من الملة)

اعلم -أرشدك الله تعالى- أن الله خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات]، ولكن هناك نواقض تخرج المسلم من دائرة الإسلام إلى دائرة الردة منها:

أولاً: الشرك الأكبر بأنواعه:

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

١- شرك الدعاء.

٢- شرك النية والقصد.

٣- شرك المحبة.

٤- شرك الطاعة.

- ٥- شرك الحلول.
- ٦- شرك التصرف.
- ثانيًا: الكفر الأكبر بأنواعه:
 - ١- كفر التكذيب.
 - ٢- كفر الإباء والاستكبار.
 - ٣- كفر الظن.
 - ٤- كفر الإعراض.
 - ٥- كفر الاستهزاء والاستخفاف باسم من أسماء الله أو أمر من أوامره أو نهْي من نواهيه أو وعد من وعوده أو بآياته أو برسوله.
 - ٦- كفر النفاق الأكبر.
- ثالثًا: النفاق الأكبر بأنواعه:
 - ١- بغض النبي ﷺ.
 - ٢- بغض بعض ما جاء به النبي ﷺ.
 - ٣- تكذيب النبي ﷺ.
 - ٤- تكذيب بعض ما جاء به النبي ﷺ.
 - ٥- الفرح بهزيمة المسلمين.
 - ٦- كراهية انتصار دين الله تعالى.
- رابعًا: من لم يكفر المشركين أو الكفار اجمع على كفرهم أو صحح مذاهبهم أو شك في كفرهم .. كفر إجماعًا.
- خامسًا: مظاهر الكفار والمشركين ومعاونتهم على المسلمين: والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].
- سادسًا: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم أو يسألهم الشفاعة أو ليقربوه إلى الله زلفى .. كفر إجماعًا: والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ

أُولَئِكَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ [الزمر: ٣].

سابعًا : الحكم بغير ما أنزل الله: في ست حالات:

- ١- إذا جحد الحاكم أحقية الحكم بما أنزل الله.
 - ٢- إذا اعتقد الحاكم أن الأحكام الوضعية أفضل من حكم الله ورسوله.
 - ٣- إذا اعتقد الحاكم أن الأحكام الوضعية مساوية في الفضل لحكم الله ورسوله.
 - ٤- إذا اعتقد الحاكم جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله.
 - ٥- إذا أوجد محاكم وضعيةً محايدةً ومعاداةً لله ولرسوله تستند في حكمها على الحكم الفرنسي أو الأمريكي أو البريطاني أو ما إلى ذلك من مذاهب الكفار.
 - ٦- حكام الفرع الذين يحكمون بالعرف والعادة وحكايات الآباء والأجداد (وهو ما يعرف بالسواليف) رغبةً وإعراضًا عن حكم الله ورسوله.
- فإذا فعل ذلك الحاكم واعتقده فقد كفر كفرًا أكبر يخرج من الملة.
- أما إذا قضى الحاكم في قضية معينة بشهوته، وهواه، وهو يعلم أنه بهذا الحكم مجانب للحق والصواب، وأنَّ حكم الله ورسوله هو الأفضل، وأنه مستحق للعقوبة بذلك، فقد كفر كفرًا أصغر لا ينقل عن الملة ولكنه من الكبائر، وهذا هو الذي قال فيه ابن عباس: (كفر دون كفر، كفر لا ينقل عن الملة) ، وفي رواية: (هي لهم كفر، وليس كمن كفر بالله ورسوله).

الوصايا الذهبية في الحكم على من استبدل شرع الله والحاكمية بأحكام وضعية:

- ١- إنَّ الذي يتولى الحكم عليهم العلماء الربانيون الراسخون في العلم، أصحاب الدراية والخبرة وليس الجهلاء الذين يقفزون في الهواء قفزات هوجاء.
- ٢- لا بد أن تتحقق شروط التكفير وتنفي موانعه، ولذلك يُنسب إلى الإمام مالك أنه قال: (من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهًا ويحتمل الإيمان من وجه واحد لحمل أمره على الإيمان).

٣- هل من حكم بهذه الأحكام الوضعية قد فعل ذلك محادةً ومعاداةً لله ولرسوله أم فعل ذلك جهلاً أو خوفاً وجنباً من أعداء الله عز وجل، فالحكم على الحاكم في الحالتين مختلف تماماً.

٤- لا بد من إقامة الحجة على الحاكم بغير ما أنزل الله، فينصح من قبل العلماء الربانيين، وتُقدم له الأدلة والبراهين على وجوب الحكم بما أنزل الله، وخطر استبدال شرع الله والحاكمية بأحكام وضعية، فإن عدل عن موقفه قبل منه وكف عنه، ووجبت طاعته ومناصحته بالمعروف.

٥- إن تبين بالأدلة الدامغة والقاطعة بعد إقامة الحجة عليه (أي الحاكم بغير ما أنزل الله) عناده، وسوء قصده، فلا يجوز تكلف التأويلات في حقه، بل لا بد من الخروج عليه بعد توافر أربعة شروط: (أن تكون الظروف مواتية - والحسابات دقيقة - وأن يملك المسلمون من القوة والحيلة ما يمكنهم من كسر شوكته - وألا يترتب على ذلك مفسدة أكبر)؛ فإن لم تتوافر هذه الشروط مجتمعة يحرم الخروج عليه، والذي يقدر ذلك العلماء الربانيون الراسخون في العلم أصحاب الدراية والخبرة وليس الجهلاء الذين يقفزون قفزات هوجاء في الهواء.

ملاحظة: قسم العلماء الإمارة إلى ثلاثة أنواع:

أولاً: الإمارة البرّة: وهي التي تكون فيها الراية برّةً والأمير برّاً ومثال ذلك الخلافة الراشدة التي كانت في عهد الخلفاء الراشدين.

ثانياً: الإمارة الفاجرة: وهي التي تكون فيها الراية برّةً والأمير فاجراً، ولذلك لما أنكر الخوارج ضرورة الخلافة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال علي رضي الله عنه وأرضاه: لا بد للمؤمنين من إمارة برّة كانت أو فاجرة فقالوا: يا أمير المؤمنين هذه الإمارة البرّة قد عرفناها فما هي الفاجرة فقال: يكفي أن تؤمن بها السبيل وتقام بها الحدود ويُجاهد بها الأعداء ويُقسم فيها الفبي.

ثالثاً: الأمانة الكافرة: وهي التي تكون فيها الراية كافرة والأمير فاجراً كافراً. ثامناً: ومن نواقض الإسلام: السحر والكهانة والعرافة أو إدعاء أن الوحي ينزل عليه (بعض هؤلاء الذين يدّعون أن الوحي ينزل عليهم ينشأ لهم عن جنون فهؤلاء لا نقصدهم وإنما نقصد من صار له شوكة وأتباع):

فمن فعله أو رضى به، أو اعتقد أن الكاهن أو العراف يعلم الغيب واعتقد صدقه فقد كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ولقوله ﷺ فيما ثبت عنه: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(١).

تاسعاً: من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي: وأنه يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام.. كفر إجماعاً: فقد جاء في الحديث الصحيح: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»^(٢).

عاشراً: استباحة محرم أجمع المسلمون على تحريمه.. كاستباحة الخمر أو الزنى أو الربا أو أكل لحم الخنزير أو استباحة واستحلال دماء المعصومين.

الحادي عشر: تحريم ما أجمع المسلمون على حله: كتحریم الطيبات.

الثاني عشر: إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة:

مثل إنكار وحدانية الله وأنه الخالق المدبر لهذا الكون أو إنكار وجود الجن أو الملائكة أو أن القرآن وحي من الله أو إنكار البعث والجزاء أو الجنة أو النار أو إنكار فريضة الصلاة والزكاة والصيام والحج.

الثالث عشر: سب الذات الإلهية أو القرآن أو السنة أو الدين.

(١) رواه الحاكم في المستدرک (١/١٨/١٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً من حديث ابن سيرين، ولم يخرجاه.

(٢) سبق تخريجه.

الرابع عشر: سب النبي ﷺ أو أي نبي من الأنبياء.
الخامس عشر: إلقاء المصحف في القاذورات أو كتب الحديث استهانةً بها
واستخفافاً بما جاء فيها.

ما يترتب على الردة من عقوبات وأحكام:

١- تُحبط جميع الأعمال الصالحة التي فعلها المرتد قبل الردة.

٢- عليه غضب من الله تعالى.

٣- يستوجب العذاب الشديد في الآخرة.

استناداً لقول الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ، فِيمَتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل].

٤- يستتاب المرتد ويعطى فترة زمنية قدرها بعض العلماء بثلاثة أيام يراجع فيها نفسه، وتُفند فيها وساوسه، وتُناقش فيها أفكاره، وتُقدم له الأدلة والبراهين التي تعيد الإيمان إلى القلب واليقين إلى النفس، وتريح ما علق بالوجدان من ريب وشكوك فإن عدل عن موقفه بعد كشف شبهاته ورجع إلى الإسلام، وأقر بالشهادتين واعترف بما كان ينكره وبرئ من كل دين يخالف دين الإسلام قبلت توبته وإلا أقيم عليه حد الردة ألا وهو القتل بالسيف حدّاً استناداً إلى قول النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١). «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا يَأْخُذَ ثَلَاثٌ: رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ فَإِنَّهُ يُرْجَمُ،

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٠١٧).

وَرَجُلٌ خَرَجَ مُحَارِبًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ أَوْ يُضْلَبُ أَوْ يُتَّقَى مِنَ الْأَرْضِ أَوْ يُقْتَلُ نَفْسًا فَيُقْتَلُ بِهَا»^(١).

والذين رأوا تقدير المدة بثلاثة أيام اعتمدوا على ما روي أن رجلاً قدم إلى عمر رضي الله عنه من الشام فقال : هل من مغربة خير؟ قال: نعم. رجل كفر بعد إسلامه، فقال عمر: فما فعلتم به؟ قال: قربناه فضربنا عنقه، قال: هلا حبستموه في بيت ثلاثاً وأطعمتموه كل يوم رغيفاً، واستبتموه لعله يتوب ويراجع أمر الله، اللهم إني لم أحضر، ولم آمر، ولم أرض إذ بلغني، اللهم إني أبرأ إليك من دمه.

٥- تفسخ العلاقة الزوجية بين الزوجين بردة أحدهما فإن تاب المرتد منهما وعاد إلى الإسلام من جديد، كان لا بد من مهر وعقد جديدين إذا أراد استئناف الحياة الزوجية بينهما.

٦- لا يرث المرتد قريبه المسلم، ولا يورث ماله، وما ترك من مال يكون فيثا للمسلمين يصرف في المصالح العامة للأمة لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لَا يَرِثُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ وَلَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُؤْمِنَ»^(٢).

٧- ويرى بعض العلماء أنه يفقد أهلية الولاية على غيره، فلا يجوز له أن يتولى عقد تزويج بناته ولا أبنائه الصغار، وتعتبر عقوده بالنسبة لهم باطلة لسلب ولايته لهم بالردة.

٨- لا يُغسل ولا يُصلّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نُقَمِّ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ (التوبة).



(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٣٥٣)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٤٢).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٤٢٨٣)، ومسلم (١/١٦١٤).

التبرك

تعريفه: طلب اليمن والبركة، والبركة هي النماء في الخير والزيادة فيه.
 شرط التبرك: لا يكون إلا بما عُلمَ شرعاً أن فيه بركة وأذن الشارع الحكيم بطلبه
 والتماسه.

بما يكون التبرك؟

١- في الزمان: كليلة القدر لقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۚ﴾^(١)
 نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۚ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ
 الْفَجْرِ ﴿٥﴾ [القدر].

ويكون التبرك بها بإحياء هذه الليلة بتلاوة القرآن وقيام الليل والدعاء فيها لما
 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ
 لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).

وروى أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت:
 قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ:
 «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ غَفُورٌ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»^(٢). إسناده صحيح.

٢- وفي المساجد: كالمساجد الثلاثة وغيرها من المساجد التي أسست على
 التقوى، ويكون التبرك فيها بالصلاة والاعتكاف والذكر وقراءة القرآن،
 والاستغفار لقوله ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا
 وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(٣).

(١) صحيح، رواه البخاري (١٩٠١، ٢٠١٤)، ومسلم (١٧٥/٧٦٠).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وصححه الألباني في مشكاة
 المصابيح (٢٠٩١)، وأحمد في المسند (٢٤٨٥٦، ٢٤٩٦٧، ٢٤٩٦٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (٥١١/١٣٩٧).

٣- وفي الأشياء: كماء زمزم، لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «زمزم طعام طعم وشفاء سقم»^(١).

٤- وفي المجالس كمجالس العلم والذكر لقوله ﷺ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٢).

٥- وفي الأمكنة: كبيت الله الحرام، ويكون ذلك بالمتابعة بين الحج والعمرة، والطواف والصلاة وقراءة القرآن. لما جاء في الحديث الصحيح: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»^(٣)، وكالأراضي المقدسة: (كالحجاز والشام) بالإقامة فيها على حسن سيرة وكمال أدب والحياة فيها والموت فيها.

٦- التبرك بقراءة القرآن: ويكون ذلك بتلاوته وتدبر آياته وتطبيق أحكامه، وتحكيم شرائعه والاستشفاء به قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء]. وفي الحديث الصحيح: «القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»^(٤).

٧- التبرك بمجالسة الصالحين: ومرافقتهم في أسفارهم وطلب الدعاء منهم لقوله

(١) صحيح، رواه البزار في مسنده (٣٣٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٥٧٢). والحديث في صحيح مسلم (١٣٢/٢٤٧٣) بلفظ: «قَالَ: فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكْثُرَتْ عُكْرُ بَطْنِي وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةً جُوعٍ قَالَ: إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامٌ طُعِمَ» عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣٩/٢٧٠٠).

(٣) صحيح، رواه الترمذي (٨١٠)، والنسائي (٢٦٣١)، صححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٥٢٤).

(٤) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه (١٧٩٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠١٩).

ﷺ: «مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»^(١).

٨- وفي الأشخاص: كذوات الأنبياء، ولا يجوز التبرك بالأشخاص لا بذواتهم، ولا آثارهم إلا بذات النبي ﷺ وآثاره إذ لم يرد الدليل إلا بها، وقد انقطع ذلك بموته ﷺ وذهاب آثاره. فقد ورد في صحيح البخاري: «مَا تَنْخَمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَةٌ وَجِلْدُهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ»^(٢). فهذا فيه دلالة على أنهم كانوا يقتتلون على ما تساقط من وضوئه ﷺ ويتبركون به.

حكمه: أقصى درجات حكمه الشرعي أنه مستحب؛ ولكن إذا كان سيؤدي إلى فعل مكروه أو ارتكاب محرم فيجب تركه، ويتعين عدم فعله؛ لأن درء المفسد مقدم على جلب المنافع، ويشهد لهذا ما فعله عمر بن الخطاب، وهو أحد الخلفاء الراشدين الموصى شرعاً باتباع سنتهم؛ فإنه رضي الله عنه لما رأى الناس يكثرون النزول تحت شجرة الرضوان وهم في طريقهم إلى مكة أمر بقطعها حسماً لمادة الفساد، إذ لو تركت لعبدت كما عبد غيرها من الأشجار باسم التبرك.



(١) صحيح، رواه مسلم (٢٧٣٢/٨٦).

(٢) صحيح، جزء من حديث طويل رواه البخاري (٢٧٣٤).

اتخاذ القبور أعياداً

يقول ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»^(١).

ولذلك فمن المفاصد، اتخاذ القبور أعياداً فترى غلاة المتخذين لها عيداً يقبلونها، ويطوفون حولها ويصلون إليها، ولذلك لو نظرت إلى الذين يشدون الرحال إلى المساجد التي فيها القبور، كمقام الحسين، والسيدة زينب، والسيد البدوي، وإبراهيم الدسوقي، وغيرهم، وقد حنوا لها الجباه وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت الأصوات بالضجيج وتباكوا حتى يسمع لهم النشيج ورأوا أنهم قد أربحوا في الربح على الحجيج، واستغاثوا بمن لا يديء ولا يعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ما لم يحزره من صلى إلى القبليتين، فتراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً، وقد ملئوا أكفهم خيبة وخسراناً.

تالله لغير الله بل للشيطان، ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويُسأل من تفريج الكربات، وإغاثة اللّهفات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي العاهات والبلبات، ثم اثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركاً وهدى للعالمين، ثم أكملوا مناسك حج القبر بالخلق والتقصير، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن، وقربوا له القرابين، فكانت صلاتهم وطوافهم ونسكهم لغير رب العالمين ولو رأيتهم وهم يهتثون بعضهم البعض قائلين: أجزل الله لنا ولكم الأجر الجزيل، عافانا الله من ذلك فهذا هو مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح].

قال ابن عباس وغيره من السلف: هؤلاء كانوا صالحين من قوم نوح فلما ماتوا

(١) صحيح، رواه أبو داود (٢٠٤٢)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٢٦).

عكف الناس على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، فعبدوهم، فكان هذا هو مبدأ عبادة الأوثان، وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى هذا المحذور.



التوسل المشروع والممنوع

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة].

تعريف الوسيلة: هي التقرب إلى الله تعالى بعملٍ صالح طلبًا للقرب منه والحظوة لديه والدرجة عنده سبحانه وتعالى، أو جلب خير أو دفع ضرر أو قضاء حاجة. شروط يجب توافرها في عملية التوسل:

- ١- أن يكون المتوسل مؤمنًا، فلا تكون الوسيلة من كافر.
- ٢- أن يكون العمل المتوسل به قرينة (مما شرع الله عز وجل لعباده أن يتقربوا به إليه سبحانه).
- ٣- أن يكون موافقًا في أدائه لما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام. ولذلك فلا تقبل الوسيلة من الكافر، ولا يصح أن تكون البدعة وسيلة يتقرب بها، وإن كانت الوسيلة مخالفة في الأداء لما كان عليه النبي ﷺ فلا تصح بحال من الأحوال.

أنواع التوسل المشروع:

(١) التوسل بالإيمان:

والدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا ءَامَنَّا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]. وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

(٢) التوسل بتوحيد الله:

كدعاء يونس عليه السلام حين ابتلعه الحوت في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٨٧] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٨٨] [الأنبياء].

(٣) التوسل بأسماء الله:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله ﷺ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ»^(١).

(٤) التوسل بصفات الله:

كقوله ﷺ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ»^(٢).

(٥) التوسل بالفرائض والنوافل من صلاة وزكاة وحج واعتمار وصدقة

وجهاد ورباط وغيرها:

قال تعالى في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري وغيره: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ»^(٣).

✽ الصلاة:

لقوله ﷺ في الحديث الصحيح وقد سئل عن أحب الأعمال إلى الله تعالى فقال: «الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا»^(٤).

✽ الصيام:

جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(٥).

روى أحمد والترمذي بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ الصَّائِمُ حَتَّىٰ يُفْطَرَ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(٦).

(١) صحيح، رواه أحمد (٣٧٠٤)، والحاكم في المستدرک (٥٠٩/١)، صحيحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٢)، والسلسلة الصحيحة (١٢٤).

(٢) حسن، رواه الترمذي (٣٥٢٤)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٧٧).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٥٢٧، ٥٩٧٠)، ومسلم (١٣٩/٨٥).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١٦٧/١١٥٣) واللفظ له.

(٦) صحيح، رواه الترمذي (٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢)، وصحيحه الألباني في الصحيحة

(١٧٩٧)، وأحمد في المسند (٧٩٨٣).

✽ الصدقة:

جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»^(١).

«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(٢).

✽ الحج والاعتمار:

جاء في الحديث الصحيح: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»^(٣).

✽ الجهاد والرباط:

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٤)، «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَمَوْضِعُ سَوْطٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَالرَّوْحَةُ يَرْوِحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْعَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»^(٥)، وفي الحديث الصحيح: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتَانَ»^(٦).

(٦) تلاوة القرآن والذكر والتسبيح والاستغفار:

✽ القرآن:

جاء في الحديث الصحيح: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٧)، «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٦١٦)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٤١٧، ٦٠٢٣، ٦٥٣٩)، ومسلم (٦٨/١٠١٦).

(٣) صحيح، رواه النسائي (٢٦٣٠)، صحيحه الألباني.

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٧٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (١١٦/١٨٨٤)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) صحيح، رواه البخاري (٢٨٩٢).

(٦) صحيح، رواه مسلم (١٦٣/١٩١٣).

(٧) صحيح، رواه البخاري (٥٠٢٧).

مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ»^(١)، ويقال له إذا دخل الجنة: «اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مِثْلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا»^(٢).

✽ الذكر والتسبيح:

جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل يقول الله تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْسِي أَتَيْتُهُ هَرُولَةً»^(٣).

✽ الاستغفار:

جاء في الحديث الصحيح: «مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»^(٤).

(٧) الصلاة على النبي ﷺ:

جاء في الحديث الصحيح: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(٥).

(٨) التوسل بدعاء النبي ﷺ يوم أن كان حيًا:

بأن يأتي السائل فيسأل الرسول ﷺ أن يطلب له من الله العافية، كما طلب الأعرابي من الرسول أن يستسقي لهم، وكما طلب الأعمى من الرسول أن يدعو الله أن يرد عليه بصره، هذا إن صح حديث الأعمى، ولكن بعض المحدثين قد ضعفوه لأن في سنده أبا جعفر الرازي وهو سيئ الحفظ، يهمل كثيرًا فلا يحتج بما ينفرد به.

(١) صحيح، رواه مسلم (٧٩٨/٢٤٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٩١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٢٢)، وأحمد في المسند (٦٧٦٠).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦٧٥).

(٤) رواه أبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩)، وأحمد في المسند (٢٢٣٤).

(٥) صحيح، رواه مسلم (١١/٣٨٤).

وكما طلبت الجارية السوداء التي كانت تصرع وتتكشف من النبي ﷺ أن يدعو الله لها أن يعافيه، فخيرها النبي ﷺ بين الصبر، وبين أن يدعو لها فقال: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ»^(١)، فاختارت الصبر، وسألت النبي ﷺ أن يدعو لها ألا تتكشف حينما تصرع فدعا لها. والقصة ثابتة في صحيح البخاري.

(٩) التوسل بدعاء المؤمنين الصالحين:

فقد جاء في الحديث الصحيح: «مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ»^(٢)، وقد توسل الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ بدعاء العباس رضي الله عنه فخرج فصلى بهم صلاة الاستسقاء فاستجاب الله تعالى له وسقاهم بعد قحط شديد وهذا ثابت في صحيح البخاري.

(١٠) التوسل بفعل الخيرات مطلقاً:

كبير الوالدين والأمانة وحفظ الحقوق وغيرها، وهذا ثابت في صحيح مسلم، وكذلك البخاري في قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين حبسوا في الغار حيث سقطت صخرة على فم الغار فسدته عليهم فتوسل اثنان منهم ببر فعلوه لوجه الله فتوسل الأول إلى الله بالإحسان للوالدين، وتوسل الآخر إلى الله بحفظ حق الأجير ففرج عنهم^(٣).

(١١) التوسل بترك المحرمات:

كالزنى والخمر وغيرها من المحرمات فقد توسل أحد أصحاب الغار الذين حبسوا في الغار، حيث سقطت صخرة على فم الغار فسدته عليهم بتركه الزنى من ابنة عمه

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٥٤/٢٥٧٦).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٨٧/٢٧٣٢).

(٣) إشاره إلى قصة أصحاب الغار رواها البخاري (٢٢١٥، ٢٢٧٢، ٢٣٣٣) ومواضع، ومسلم (١٠٠/٢٧٤٣).

بعد أن قدر عليها ففرّج الله عنهم، فقد توسل إلى الله بقوله: «اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي يَنْتُ عَمَّ كَانَتْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنْ السَّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَقْضِيَ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَتَخَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطِيتُهَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ فَأَفْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْفَرَجْتُ الصَّخْرَةَ»^(١).

الوسائل المحرمة

(١) دعاء الأولياء والصالحين والاستعانة بهم:

كدعاء الأنبياء أو الأولياء أو الصالحين في جلب خير أو كشف ضرر أو قضاء حاجة أو إغاثة لهفة أو تفريج كربة أو جلب رزق فهذا شرك أكبر يخرج من الملة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس] أي: من المشركين. كأن يقول: يا سيدي فلان خذ بيدي.

يا مولاي فلان أنا في حماك.

يا بدوي أغثنى أو فرج كربى.

(٢) النذور للأولياء والصالحين أو الذبح على أرواحهم على الأضرحة والمشاهد وفي القباب:

بعض الناس يندرون ذبيحة أو مالا للولي الفلاني ... كأن يقول: يا سيدي فلان إن رزقني الله طفلاً نذرت أن أذبح عند قبرك كبشاً أو أصلي عند قبرك ركعتين. فهذا نذر لغير الله فهو ليس قرينة ولا عملاً صالحاً يتوسل به، وإنما عبادة صرفت لغير الله تعالى فصاحبها قد أقحم نفسه في باب من أبواب الشرك، وهذا عمل

(١) انظر التخريج السابق.

يشبه عمل المشركين الذين كانوا يذبحون عند قبور أصنامهم الممثلة لأوليائهم.

(٣) الطواف حول قبور الأنبياء والصالحين:

كالجيلاني والرفاعي والبدوي والحسين، فهذا ليس قرينة ولا عملاً صالحاً يتوسل به، إنما هو عبادة صرفت لغير الله تعالى؛ لأن الطواف لا يكون إلا ببيت الله لقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

(٤) شد الرحال إلى قبور الأولياء والصالحين أو الصلاة عندها أو العكوف

حولها وإقامة الحفلات والحضرات:

فهذا ليس عمل قرينة ولا عملاً صالحاً يتوسل به بل مخالفة شريعة وعمل فاسد لا يفعله إلا من سفه نفسه لقول النبي ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(١).

والصلاة إلى القبور أو غيرها لا تجوز لقوله ﷺ: «لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا»^(٢).

(٥) التوسل بجاه فلان أو بحق فلان: (التوسل البدعي)

فهذا توسل مبتدع لم يعرفه سلف هذه الأمة ولا صدرها الأول الصالح، وما كان من جنس البدع والأمور المحدثّة لا يكون وسيلة تعطى بها الرغائب وتقضى بها الحاجات والله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿مَّا فَرْطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ولقول أبي هريرة في السنة الصحيحة: «علمنا رسول الله ﷺ كل شيء حتى الخراءة»، وقد روى مسلم رحمه الله عن سلمان قال: «قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُم نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةِ؟! قَالَ: فَقَالَ: أَجَلٌ»^(٣).

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (٥١١/١٣٩٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٩٧/٩٧٢).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٥٧/٢٦٢).

وقد نقل عن أبي حنيفة الإنكار الشديد على من سأل الله تعالى بحق فلان إذ لا حق لأحد على الله تعالى فيسأل به وإنما الله ذو الفضل فيسأل من فضله كما قال تعالى: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء].
ورحم الله القائل:

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع

الرد على حجج المبتدعين وتفنيدها:

(١) حديث الاحتجاج بتوسل آدم بحق محمد عند الله تعالى:

والذي جاء فيه: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه قال: يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك»^(١). وهذا حديث موضوع.

(٢) حديث: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا»^(٢).

هذا حديث ضعيف فقد قال الهيثمي في مجمع الزوائد: هذا إسناد مسلسل بالضعفاء (عطية العوفي، والفُضيل بن مرزوق، والفضل بن الموفق) كلهم ضعفاء. ولو أننا سلمنا بصحة الحديث فما هو حق السائلين؟

فحق السائلين على الله هو إجابة دعواهم وإعطائهم سؤالهم وهما صفتان لله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

- (١) موضوع، رواه الحاكم في المستدرک (٦١٥/٢)، وقد علق الذهبي على هذا الحديث في المستدرک فقال: موضوع. وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٥): موضوع.
(٢) ضعيف، رواه ابن ماجه (٧٧٨)، ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٥٧١).

(٣) حديث فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب:

وقد توفيت وكانت قد ربت النبي ﷺ فجلس عند رأسها وقال: «رحمك الله يا أُمِّي بعد أُمِّي» فلما أدخلها في اللحد قال: «اللَّهُ الَّذِي يُخَيِّي وَيُمَيِّتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، اغْفِرْ لَأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، وَلَقِّنْهَا حُجَّتَهَا، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا، بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي، فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»^(١).

والجواب: هذا الحديث ضعيف أيضاً فيه روح بن صالح المصري وهو ضعيف، وعلى فرض التسليم بصحته فحق الأنبياء على الله هو صفة من صفات الله تعالى وهو نصرته لهم وإرضائهم وإعلاؤهم على أعدائهم.

(٤) أما احتجاجهم على الاستغاثة بقوله تعالى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ [القصر: ١٥]. فما أسمعجه من استدلال وما أبرده !!! فهو استغاثة حي بحي فيما يقدر عليه وهذا جائز وليس فيه خلاف.

(٥) حديث: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور». فهو حديث مكذوب من وضع الزنادقة.

(٦) حديث: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم»^(٢).

(٧) حديث الرجل الأعمى الضرير: الذي أتى إلى النبي ﷺ فقال: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ وَإِنْ شِئْتَ أَخَرْتُ ذَاكَ فَهُوَ خَيْرٌ فَقَالَ ادْعُهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوئَهُ فَيُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِي لِي اللَّهُمَّ شَفْعَهُ فِي»^(٣).

هذا التوسل مركب من عدة أمور لا يتم إلا بها:

(١) ضعيف، ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٣).

(٢) موضوع، قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٢): لا أصل له. لم يختلف في وضعه اثنان.

(٣) صحيح، رواه ابن ماجه (١٣٨٥)، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٦٨١)، وأحمد في المسند (١٦٧٨٩) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات.

- ١- هذا الرجل سأل النبي ﷺ أن يدعو له وقد دعا له النبي ﷺ.
 ٢- هذا الرجل قد قدم النبي ﷺ بين يدي دعواه فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ».

وهذه الأمور قد تعذر الحصول عليها بوفاة النبي ﷺ فلو قام أحدنا اليوم وقال: يا رسول الله أدع الله لي أن يعافيني لكان قوله باطلاً وضلالاً، ولا معنى له لأن النبي ﷺ لا يسمعه ولا يراه، ولو قام أحدنا وقال: اللهم إني أسالك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة... لكان كاذباً في قوله لأنه لم يقدم النبي ﷺ بين يدي دعواه، ومن هنا لم يبق هذا التوسل بهذه الكيفية جائزاً ولا نافعاً.

أضف إلى ذلك أن بعض المحدثين قد ضعفوا حديث الأعمى إذ أن في سنده أبا جعفر الرازي وهو سيء الحفظ يهم كثيراً ولا يحتج به بما ينفرد به.

(٨) حديث استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس رضي الله عنهما لما قحطوا فقال عمر: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيَسْقَوْنَ»^(١) ثم قال: قم يا عباس فادع الله لنا.

فلم لا نتوسل نحن اليوم بالنبي ﷺ؟

نقول: معنى قول عمر نتوسل إليك بنبينا أي: بطلبهم منه أن يدعو الله تعالى لهم أن يسقيهم الغيث فيستجيب الله دعوته ويسقيهم كما حصل ذلك مراراً لا أنهم كانوا يتوسلون إلى الله بذات النبي أو بجاهه ﷺ والنبي غائب عنهم، ولو كان ذلك جائزاً بعد موته، لما عدلت الصحابة عن الرسول إلى العباس بن عبد المطلب، وهذا من الواضح بمكان لا يخفى إلا على من أعماه التعصب والعناد وسلك سبيل أهل الضلال والفساد.

ومعنى نتوسل إليك بعم نبينا أي: طلبوا من العباس عم النبي ﷺ أن يدعو الله عز وجل أن يسقيهم الغيث، فقام العباس، فدعا لهم فأرخت السماء أمثال الجبال من الأمطار الغزيرة فسقوا بعد قحط.

(١) صحيح رواه البخاري (١٠١٠، ٣٧١٠).

الاستشفاع .. التشفع .. الشفاعة

معنى الاستشفاع:

أن يطلب إنسان من آخر التوسط له عند ذي سلطان ليقضي له حاجته أو يتجاوز عنه في ذنب قارفه أو جريمة ارتكبتها، والشفع هو خلاف الوتر (أي الفرد). ولذلك فالرجل فرد فإذا أدخل واسطة وطلب منه شفاعته كان معه شفعا أي: اثنين بعد أن كان فردا.

حكم الاستشفاع:

١- يندب للرجل أن يشفع لأخيه المسلم عند ذي سلطان من أهل الدنيا ليقضي

له حاجته أو ليتجاوز عنه في ذنب قارفه أو جريمة ارتكبتها لقوله تعالى: ﴿مَنْ

يَشْفَعُ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ

كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيبًا ۝﴾ [النساء: ٨٥].

ويؤجر الشافع على شفاعته حتى ولو لم تُقضى حاجة من شفّع له لقوله ﷺ:

«اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ»^(١).

٢- لا يجوز الاستشفاع في إثم كإسقاط حق من الحقوق أو تعطيل حد من

الحدود لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ

وَالْعُدْوَانِ ۝﴾ [المائدة: ٢].

ولذلك أنكر النبي ﷺ على أسامة بن زيد حينما أراد أن يشفع في المرأة المخزومية

التي كانت تستعير المتاع وتجحدّه، فرفع أمرها إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ:

لأسامة: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟»^(٢).

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (١٤٥/٢٦٢٧)، والترمذي (٢٦٧٢)، والنسائي (٢٥٥٦).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٤٧٥، ٦٧٨٨)، ومسلم (٨/١٦٨٨، ٩)، والترمذي (١٤٣٠)، والنسائي (٤٨٩٨)، وأبو داود (٤٣٧٣)، وابن ماجه (٢٥٤٧).

٣- في دار الدنيا: لا يجوز الاستشفاع عند الله بأحد من الأولياء أو الصالحين من الأحياء أو الأموات كأن يقول: (يا سيدي فلان اشفع لي عند ربي في قضاء كذا وكذا).

فمن فعل ذلك فقد جمع بين عظيمتين:
الأولى: دعاء غير الله تعالى وهذا شرك أكبر.
الثانية: قياس الخالق على المخلوق وتشبيهه به، حيث طلبوا له واسطة كما تطلب للمخلوق من ذوي السلطان.

فإن الله عليم بأحوال عباده، ولا يحتاج إلى من يعلمه بأحوالهم من الوسطاء. ولذلك قبح بالعبد أن يستشفع على ربه بأحد من خلقه، وحسن به أن يسأل ربه مباشرة وبغير واسطة، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة]، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر].
ولذلك فالمت غير مكلف بعبادة ولا دعاء ولا يسمع من يناديه، ولا يعرف من يستشفع به فنداؤه وطلب الدعاء منه والاستشفاع به لا يفعله إلا من سفه نفسه وسلك سبيل أهل البدع والضلال.

٤- في دار الآخرة: الشفاعة تنقسم يوم القيامة إلى قسمين:

أولاً: شفاعة منفية، لا حقيقة لها ولا وجود؛ من صورها:

أ- شفاعة الآلهة التي عبدت من دون الله للكفار والمشركين سواء المرجو شفاعته كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو من الجن أو الشياطين أو الحيوانات أو الجمادات، وذلك قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [٢٣] قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً [الزمر: ٤٣-٤٤]؛ ولأن من عبد غير الله تعالى مشرك كافر، ولا شفاعة لكافر، قال تعالى: ﴿فَمَا تَفْعَلُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر].

ب- الشفاعة بدون إذن من الله للشافع أو عدم رضاه عن المشفوع قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم].

ثانيًا: شفاعة مشبهة:

أ- شفاعات النبي ﷺ:

ومنها الشفاعة العظمى التي تكون في فصل القضاء حيث «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْعَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَيَّ نُوحَ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَيَّ إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ فَذَكَرْهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَيَّ مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى

مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أَوْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمِّتِي يَا رَبُّ أُمِّتِي يَا رَبُّ أُمِّتِي يَا رَبُّ فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمَيْرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى^(١).

هَجَرَ: بلدة في البحرين، وقصة الشفاعة العظمى ثابتة في البخاري ومسلم.

والشفاعة العظمى في فصل القضاء هي المقام المحمود الذي ذكر في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. ولأن النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه بعد أن ذكر حديث الشفاعة تلا قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقال: «وَهَذَا الْمَقَامُ الْحَمْدُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيُّكُمْ»^(٢).

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (٣٢٧/١٩٤)، والترمذي (٢٤٣٤)، والنسائي (١١٤٠).

(٢) صحيح، جزء من حديث طويل رواه البخاري (٧٤٤٠).

✽ من شفاعته: شفاعته لأهل الكبائر من أمته: فبعد أن يتلظى أهل الكبائر في جهنم لا يخلدون فيها، وإنما يشفع لهم النبي ﷺ ويؤذن لهم بدخول الجنة... فعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي». صحيح، رواه الترمذي (٢٤٣٥)، وأبو داود (٤٧٣٩)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٥٩٨).

✽ ومن شفاعته: أنه يشفع لمن مات من أمته لا يشرك بالله شيئاً لقوله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا». صحيح، رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (٣٣٨/١٩٩) واللفظ لمسلم عن أبي هريرة.

ب- شفاعاة الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء:

أولاً: شفاعاة الملائكة: ثابتة بقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم].
ثانياً: شفاعاة الأنبياء والعلماء والشهداء: ثابتة بعموم قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي السنة، فقد أخرج ابن ماجه والبخاري والبيهقي عن النبي ﷺ: «يشفع يوم القيامة الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»^(١). وإسناده حسن.

وقوله ﷺ: «يُشْفَعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»^(٢).

ج- شفاعاة القرآن: لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «القرآن شافع مشفع، ماحل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»^(٣).

(١) صحيح، رواه ابن ماجه (٤٣١٣)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٦١١).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٢٥٢٢)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه (١٧٩٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠١٩).

د- الصيام والقرآن: لما جاء في الحديث الصحيح: «الصَّيَّامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصَّيَّامُ: أَيُّ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»^(١).

هـ- وأعظم هذه الشفاعات شفاعه رب العباد:

فيقول النبي ﷺ في الصحيحين: «فَيُشَفَّعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَقْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَيَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيُخْرَجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤلُؤُ فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ فَيَقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»^(٢).

والشفاعات الثابتة للأنبياء والعلماء والشهداء والملائكة مقيدة بثلاثة شروط:

١- أن لا يشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له (أي: الشافع) لقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- أن يكون المشفوع فيه قد ارتضى الله قوله وعمله لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

٣- لا يشفع أحد فيمن مات على الشرك والكفر وذلك لأن الله تعالى حكم بخلود الكفار والمشركين في نار جهنم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٤٨].
ولذلك قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

(١) رواه أحمد في المسند (٦٥٨٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

(٢) جزء من حديث طويل رواه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (٢٩٩/١٨٢).

✽ بالنسبة إلى شفاعة النبي ﷺ: حتى يستوجب العبد شفاعة النبي ﷺ لابد من خمسة شروط:

١- يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، ولذلك فمن أراد شفاعة النبي ﷺ فليسألها من الله، وليقل: اللهم ارزقني شفاعة نبيك أو اللهم شفّع في نبيك، أو اللهم اجعلني ممن تشفع فيهم نبيك، أو اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك، ولا يجوز أن يخاطب الإنسان النبي ﷺ فيقول: يا محمد اشفع لي أو يا محمد أغثني أو يا محمد أستجير بك، فهذا من شرك الدعاء الذي يخرج من الملة.

٢- الإخلاص في توحيد الربوبية، والألوهية والأسماء والصفات: لقوله ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»^(١).

٣- الموت على التوحيد الخالص: لقوله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»^(٢).

٤- كثرة الصلاة: لما صح عنه ﷺ عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كُنْتُ أَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوُضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»^(٣).

٥- الصلاة على النبي ﷺ وسؤال الوسيلة له لما رواه مسلم بسنده عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا

(١) صحيح، رواه البخاري (٩٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (٣٣٨/١٩٩) واللفظ لمسلم عن أبي هريرة.

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢٢٦/٤٨٩).

مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَتْرَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشُّفَاعَةُ^(١).



(١) صحيح، رواه مسلم (١١/٣٨٤).

محبة الله عز وجل

✽ هي المنزلة التي تنافس فيها المتنافسون، وشمر إليها السابقون وهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح وقرّة العيون، (من قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ولا يشعر بهذا النعيم إلا من ذاق).

✽ وهي الحياة التي من فقدوها فهو في جملة الأموات، والنور الذي من فقداه فهو يرتع في بحر الظلمات، ولذلك ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة.

✽ فمتى رسخت هذه المحبة في قلب العبد المؤمن، وعمقت جذورها، كان الله هو الغاية من كل عمل، وآثره على كل شيء وضحي من أجله بكل شيء. أخرج البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ» (١).

✽ رحم الله الحسن البصري إذ يقول: (رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله امضاه، وإن كان لغيره تأخر).

✽ فالنفس لا تزال مريضة، والإيمان لا يزال ناقصاً، إذا كان هناك ثمة شيء أحب إليها من الله ورسوله وجهاد في سبيله قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

(١) صحيح، رواه البخاري (١٦، ٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١)، ومسلم (٦٧/٤٣)، والنسائي

(٤٩٨٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣).

❁ وقد جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم عن النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١). فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْآنَ يَا عُمَرُ»^(٢). فإذا كان النبي ﷺ أولى بنا من أنفسنا في المحبة ولوازمها أفليس رب محمد ﷺ، رب الأرباب أولى بنا من أنفسنا في المحبة ولوازمها؟ ... بلى والله.

❁ كيف لا نحبه، وهو الذي يدبر أمرنا، ويدبر أمر الخلائق، فيأمر وينهى ويخلق ويرزق ويحيي ويميت ويقضي وينفذ، ويعز ويذل.

❁ كيف لا نحبه، وهو ربنا الواحد الأحد الذي إذا شاء جاء ما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء.

❁ كيف لا نحب ربنا، وهو الذي أحاط سمعه بالأصوات كلها فلا تختلف عليه ولا تشتبه، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على كثرة حاجاتها، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلظه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح ذوي الحاجات.

❁ كيف لا نحب ربنا، وهو الذي أحاط بصره بالمرئيات جميعها فيرى ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

❁ كيف لا نحبه، وهو الذي لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع أقوامًا ويضع آخرين، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النار أو النور لو كشفه لأحرقت سُُبُحَات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

❁ كيف لا نحبه، وهو الذي يده ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار،

(١) صحيح، رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٧٠/٤٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٦٣٢).

قلوب العباد ونواصيهم بيده وأزمنة الأمور معقودة بقضائه وقدره، ولا يتعاضمه ذنب أن يغفره، ولا حاجة يسألها أن يعطيها ما ذكر على عسير إلا وهان، ولا على صعب إلا تيسر ولان، ولا على مشقة إلا ونخت، ولا على كربة إلا وانفرجت.

❁ كيف لا تحبون ربكم أيها الموحدون، وهو الذي شملت قدرته كل شيء ووسعت رحمته كل شيء وسعت نعمته إلى كل حي، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن]. يغفر ذنبًا ويستر عيبًا ويكشف كربًا ويغني فقيرًا، ويفقر غنيًا، ويعلم جاهلًا ويهدي ضالًا، ويرشد حيران، ويغيث لهفان، ويشبع جائعًا، ويكسو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويجبر كسيرًا، ويعافي مبتليًا ويقبل تائبًا ويجزي محسنًا وينصر مظلومًا ويقصم جبارًا، ويقيل عثرة ويستر عورة، ويؤمن روعة ويرحم غربة، ويؤنس وحشة، فهو الملك فلا شريك له، والفرد فلا ند له، والصمد فلا صاحبة ولا ولد له ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصر: ٨٨].

❁ أحبوا ربكم أيها المسلمون فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم الراحمين، بيده ملكوت كل شيء ولا شريك له ولا معين، لا راد لقضائه، ولا مضاد لأمره، ولا معقب لحكمه ألا له الحكم وهو أحكم الحاكمين، اتصف بصفات الكمال، وتقديس عن كل نقص ومحال وتعالى عن الأشباه والأمثال.

❁ فهو الخافض الرافع، الضار النافع، المعطي المانع فلا رافع لمن خفض، ولا خافض لمن رفع، ولا نافع لمن ضر، ولا ضار لمن نفع، ولا مانع لمن أعطى، ولا معطي لمن منع.

❁ كيف لا نحبه وهو الذي يجود على عبده بالنوال قبل السؤال ويعطي سائله فوق ما تعلق به الآمال، ويغفر لمن تاب إليه ولو بلغت ذنوبه عدد الأمواج

والحصى والتراب والرمال، بابه الكريم مناخ الآمال ومحط الأوزار، وسماء عطاياه لا تقلع عن الغيث بل هي مدرار.

هناك خمسة تقريرات في محبة الله عز وجل لابد من معرفتها:

١- والله ما خُلِقَت السماوات والأرض إلا من أجل توحيدِهِ ومحَبَّتِهِ، وما جردت سيوف الجهاد إلا من أجل توحيدِهِ ومحَبَّتِهِ، وما قام سوق الجنة والنار إلا من أجل توحيدِهِ ومحَبَّتِهِ.

٢- لا طريق إلى محبة الله عز وجل إلا باقتفاء أثر رسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، فيأتمر العبد بما أمر ظاهرًا وباطنًا وينزجر عما نهى عنه ظاهرًا وباطنًا فقد جعله الله عز وجل فارقًا بين أوليائه وبين أعدائه قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران].

٣- كل من تنكب الطريق، وضل السبيل، وشاقَّ سيد المرسلين، كان مصيره جهنم وبئس المصير، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء]. ... وكان له نصيب يوم القيامة من قول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [يونس]. يَتَوَلَّىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ [الفرقان].

٤- لا طريق إلى محبة الله حتى يضطلع العبد بفرائض الإسلام ونوافله، ويتحمل أعباءه وتبعاته، لما أخرجه البخاري عن النبي ﷺ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ فَإِذَا أَحَبَّهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا

وَإِنْ سَأَلْنِي لِأُعْطِيْتَهُ وَلَيْتِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١).

٥- وأحباء الله هم أولياؤه الذين يتخلقون بأخلاقه، فالله كريم يحب الكرماء، عليم يحب العلماء، قوي يحب الشجعان، ولذلك فأحباء الله سلم لأوليائه حرب لأعدائه متأهبون دائماً لإعلاء كلمة «لا إله إلا الله» لا يخافون في الله لومة لائم.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [المائدة].

- ولقد كان الصحابة الكرام محبين لله ولرسوله أكثر مما سواهما - أكثر من أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم ومن الماء البارد على الظمأ - فبذلوا في سبيل الله كل نفس ونفيس، ودفعوا مهجهم في سبيل الله تعالى ﴿إِنْ اللَّهَ اشْتَرَيْتَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

- فهذا أنس بن النضر كان قد تغيب عن غزوة بدر فقال: (لئن أراني الله تعالى مشهداً فيما بعد مع رسول الله لأرين الله عز وجل ما أصنع). فلما كان يوم أحد قال: (واها لريح الجنة إني أجده دون أحد) ثم قاتل حتى قُتل، فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، ولم تعرفه إلا أخته، عرفته بينانه.

وفيه وفي أصحابه نزلت هذه الآية الكريمة: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا

اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ [الأحزاب].
 - وها هي الخنساء قد أوصت أبناءها الأربعة عندما أرسلتهم إلى معركة القادسية
 فقالت: (يا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله إلا هو،
 إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجنت حسبكم ولا غيرت
 نسبكم واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية: اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا
 الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وجللت نارًا على
 أرواقها فتيمموا وطيسها، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة، فلما أضاء
 الصباح، باكروا إلى مراكزهم، فتقدموا واحدًا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون
 فيها وصية أمهم حتى استشهدوا جميعًا فلما بلغها الخبر قالت: الحمد لله الذي
 شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته).

- وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثارت عليه نفسه ذات يوم فأراد أن يذلها
 فدعا المسلمين للاجتماع وصعد المنبر ثم قال: (أيها الناس، لقد رأيتموني وأنا أرى
 غنم خالات لي من بني مخزوم نظير قبضة من تمر أو من زبيب)، ثم ينزل من على
 المنبر بين دهشة المجتمعين وتساؤلهم، ويتقدم منه رجل لم يُطق على ما رأى صبرًا
 وهو (عبد الله بن عوف) فيقول: (ما زدت على أن حقرت نفسك يا أمير
 المؤمنين)، فقال عمر: (يا ابن عوف خلوت بنفسي، فقالت: أنت أمير المؤمنين ليس
 بينك وبين الله أحد، فمن ذا الذي هو أفضل منك؟؟ فأردت أن أعرفها قدرها).
 - وقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحمًا معلقًا في يد جابر بن عبد الله
 فقال له: ما هذا يا جابر؟ فقال: هو لحم اشتهيته فاشتريته يا أمير المؤمنين فقال: أو
 كلما اشتييت اشتريت، أما تخاف أن يقال لك يوم القيامة: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَتَكُمْ فِي
 حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠].

- وحين دُعِيَ للقاء ربه، واقتربت اللحظات التي سيودع فيها دنيا الناس وكان
 شغله الشاغل وقبْذ اختيار الرجل الذي سيسلمه الأمانة والزمَام فاقترَب منه المغيرة

ابن شعبة قائلاً له: أن أدلك عليه يا أمير المؤمنين، إنه عبد الله بن عمر، هنالك انتفض عمر وقال: (لا أرب لنا في أموركم إنني ما حمدت الخلافة يوماً حتى أرغب فيها لرجل من أهل بيتي، إن كانت خيراً، فقد أصبنا منه، وإن كانت شراً فحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد، ويسأل عن أمر أمة محمد، ألا إنني قد جهدت نفسي وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافاً لا أجر ولا وزر إنني لسعيد).
 بالله ما أتقاه وما أنقاه، وما أبره وما أطهره !!! نقول فيه ما قاله فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لقد أتعبت من سيأتي بعدك يا ابن الخطاب عزله حبه لله وحيأؤه من الله عن كل ترف وأبى أن يصيب من الطعام إلا تقوئاً ومن العيش إلا كفافاً.

- هؤلاء أناس تربوا على موائد القرآن وعلى موائد محبة الرحمن، ولذلك فاحرص أخي المسلم على مجالسة المحبين الصادقين، وانتق من أطايب كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر، لذلك كان عمر رضي الله عنه يقول: (اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم فإنه تتجلى لهم أمور صادقة).



أوثق عرى الإيمان

«الحب في الله .. والبغض في الله»

إن الله وحده هو الذي ألف بين قلوب المؤمنين الصادقين، فأصبحوا بنعمة الله إخواناً، فتلاشت من بينهم كل الأحقاد التاريخية والثارات القبلية والأطماع الشخصية والرايات العنصرية الجاهلية وانضوا تحت راية الحق الكبير المتعال على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ولا تجارة يديرونها... ولذلك فالله وحده هو الذي يستطيع أن يثبت الأقدام، ويربط على القلوب ويجمع على كلمة التوحيد، فتستحيل قلوب الناس النافرة وطباعهم الشמוש إلى قلوب متآخية متراسة يذل بعضها لبعض أما العوارض الفانية والمطامع الشخصية والمصالح الدنيوية فإنها تشتت ولا تجمع وتخالف ولا تألف وتفرق ولا توفق، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ نَصْرَهُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ١٦٧﴾
وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٦٨﴾ [الأنفال].

ولذلك فيوم القيامة كل المتحايين ستقلب محبتهم ومودتهم بغضاً وعداوة إلا المتقين الذين ارتبطوا بحبل الله المتين فإذا أحب أحدهم أحب لله وإذا أبغض أبغض لله وإذا أعطى أعطى لله وإذا منع منع لله، وأما أولئك الذين جمعتهم العوارض الفانية والمطامع الشخصية والمصالح الدنيوية والقيم الأرضية والرايات العنصرية الجاهلية فسينقلبون إلى خصوم يتلاحون بعد أن كانوا أجباء يتناجون، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [الزخرف]، ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ٢٧﴾ يَوَلِّتَنِي لَيْتَنِي لَوْ أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا ٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ٣٠﴾ [الفرقان].

ولذلك فينما الأخلاء مشغولون في خصوماتهم وحسراتهم يفرق الأمن والطمأنينة والسكينة على المتحابين في جلال الله تعالى، والمتواصلين في جلال الله تعالى، والمتناصحين في جلال الله تعالى ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف].

واعلم أيها الأخ الحبيب أن المرء يوم القيامة يحشر مع من أحب فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟» قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ؛ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحْبِبْتَ»^(١).

وهناك ستة أسباب تقوي الحب في الله:

أولاً: إخبار من تحب أنك تحبه في الله فإن ذلك أبقى في الألفة وأثبت في المودة: قال ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ»^(٢).

ثانياً: إفشاء السلام فإنه يزيل الوحشة ويذهب الدهشة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفُسُّوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٣).
ثالثاً: الهدية: قال ﷺ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»^(٤).

رابعاً: تخول الزيارة: أي عدم الإكثار منها لأن الإكثار من الزيارة يحدث الملل ويورث فتوراً في المحبة لقوله ﷺ: «زُرْ غَبَا تَزِدْ حَبًّا»^(٥).

(١) صحيح، رواه البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٣٩/١٦٤).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٥١٢٤)، صحيحه الألباني في صحيح أبي داود.

(٣) صحيح، رواه مسلم (٩٣/٥٤)، وأبو داود (٥١٩٣).

(٤) حسن، رواه البخاري في الأدب المفرد، والسيوطي في الجامع الصغير (٣٣٧٤)، حسنه الألباني في إرواء الغليل (١٦٠١).

(٥) صحيح، رواه البيهقي والطبراني، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٦٨).

ولله درُّ القائل:

عليك بإغباب الزيارة إنها
فإني رأيت الغيث يُسأم دائماً
إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلماً
ويُسأل بالأيدي إذا كان مُمسكاً

خامساً: القصد في الحب والبغض:

لقوله ﷺ: «أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»^(١).

سادساً: الحرص على الطاعة وترك المعصية:

لأن ذلك يورث محبة الله عز وجل للعبد، ومن أحبه الله عز وجل كتب له القبول الحسن بين عباده ولذلك فمن أراد عزة فليطع العزيز ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم].

وقال ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»^(٢).

والحب في الله والبغض في الله له ست فضائل:

الأولى: محبة الله عز وجل للمتحابين بجلاله:

قال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ»^(٣).

وقال ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَتَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أَرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ

(١) صحيح، رواه الترمذي (١٩٩٧)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٠٩) واللفظ له، ومسلم (١٥٧/٢٦٣٧)، والترمذي (٣١٦١).

(٣) صحيح، رواه أحمد في المسند (٢١٤٩٧) قال الأرناؤوط: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

مِنْ نِعْمَةٍ تَرْبُهَا؟ قَالَ: لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ»^(١).

الثانية: المتحابون في الله عز وجل تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله: قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيُّنَ الْمُتَحَابِّينَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أَظْلُهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»^(٢).

الثالثة: المتحابون في الله على منابر من نور يوم القيامة: قال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْطِيهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»^(٣).

الرابعة: المتحابون في الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون: قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْطِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ قَالَ هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس]»^(٤).

الخامسة: الحب في الله سبب في حلاوة الإيمان: قال ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ فَلْيُحِبِّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٥).

(١) صحيح، رواه مسلم (٣٨/٢٥٦٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣٧/٢٥٦٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٢١)، وأحمد في المسند (٢١٥٧٥) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير حبيب بن أبي مرزوق فقد روى له الترمذي والنسائي وهو ثقة.

(٤) صحيح، رواه أبو داود (٣٥٢٧)، صححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٥) حسن، رواه أحمد في المسند (١٠٣٦٠)، قال الأرناؤوط: إسناده حسن.

سادسًا: الحب في الله طريق إلى الجنة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(١).

❁ ولا بد للمسلم أن يحرص على دوام الحب في الله لأخيه المسلم فالنبي ﷺ يقول في الحديث الصحيح: «ما تحاب رجلان في الله تبارك وتعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لصاحبه»^(٢).

❁ واعلم أيها الأخ الحبيب أنه إنه إذا اجترح أحد المتحابين في الله ذنبًا كان الفراق عقوبة لهما جزاء وفاقًا لقوله ﷺ: «ما تواد اثنان في الله عز وجل أو في الإسلام فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما»^(٣).

لذلك إذا أحس العبد من أخيه جفاء فليتفقد نفسه ابتداءً فإن وجدها اجترحت سيئة فليتب سريعًا يستقم له ود أخيه.

ومن لوازم المحبة:

١- أن يحب العبد لأخيه كما يحب لنفسه: لقوله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٤).

٢- أن يتعهد العبد أخاه بالنصح كلما استنصحه أو كلما وجده قصر في جنب الله عز وجل لقوله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٥).

٣- الوصل والزيارة: بشرط أن يتخول الزيارة وألا يكثر منها حتى لا يورث ذلك

(١) صحيح، رواه مسلم (٩٣/٥٤)، وأبو داود (٥١٩٣).

(٢) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٤٤)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٠١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٣٧).

(٤) صحيح، رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٧١/٤٥).

(٥) صحيح، رواه مسلم (٩٥/٥٥).

الملل والفتور في المحبة لقوله ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْسَاكَ وَتَبَوَّاتِ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا». ولقوله ﷺ: «رَزَّ غِيَا تَزِدُّ حَبًّا»^(١).

ومن الأمور الموجبة للبغض في الله:

١- الكفر: قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٢- النفاق: لقوله تعالى في حق المنافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ فَنَقَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا يُوَفَّقُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

٣- الابتداع في دين الله عز وجل:

فيجب على المؤمن اعتزالهم لأن مخالطتهم كالسموم الفتاكة التي تفتك بالروح والجسد، فهؤلاء إذا جردت بينهم التوحيد قالوا: انتقصت من قدر الأولياء والصالحين، وإذا جردت بينهم المتابعة للنبي ﷺ قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين، وإذا وصفت الله عز وجل بما وصف به نفسه من غير غلو ولا تقصير ومن غير تكليف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تفويض قالوا: أنت من المشبهين، وإن حرصت بينهم على إحياء السنن قالوا: أنت تريد إثارة الفتن فأنت من أهل البدع المضلين.

٤- المعاصي: من اقترف من هذه القاذورات فإنه أتى بابًا يغيضه الله فعلى العبد المؤمن أن يغيض فعله وينصح له وألا يكون عونًا للشيطان عليه بأن يكون هدفه من وراء تذكيره بعيوبه وأخطائه النصيح والإرشاد وتحذير المسلمين من الشر، وليس المعايرة والتجريح وتتبع العورات.

(١) حسن، رواه الترمذي (٢٠٠٨)، وقال الألباني: حسن.

(٢) صحيح، رواه البيهقي والطبراني، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٥٦٨).

هناك أمور لا تنافي البغض في الله:

١- اللين في عرض الدعوة وتبليغها إلى العصاة حتى لا يتركوا في حماة

المعصية دون تذكير أو تحذير لقوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل].

واعلم أيها الأخ الحبيب أن النفوس الشاردة والقلوب القاسية لا تلين إلا بإظهار العطف والشفقة والحرص ولذلك كان التوجيه الرباني إلى موسى وهارون عندما أرسلهما إلى طاغوت مصر وإلى فرعونها: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [١٢٣] فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [١٢٤] [طه].

وهذا النمط من الآيات القرآنية لا يعارض قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّارُ جَهْدًا أَلْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة]. فالغلظة المأمور بها مجالها في مقامين:

الأول: القتال: وهو مقام يحتاج إلى شدة وغلظة كما قال جل ثناؤه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَتِيلُوا الَّذِينَ يَكُونُكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [١٢٣] - [التوبة].

الثاني: الرد على الكفار الذين بلغتهم الدعوة وحاربوها والمنافقين وأهل البدع والشبهات المضلة الذين يصدون عن المنهج الحق: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [١١] فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [١٢] أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [١٣] وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [١٤] [النساء].

ولذلك كان الرسول ﷺ ينصب منبراً لحسان بن ثابت ليهجو المشركين، ودعا رسول الله ﷺ على كسرى عندما مزق كتابه الذي أرسله إليه يدعو إلى الله تعالى، وبذلك يثبت خطأ قول بعض أهل العلم الذين يزعمون أن مقام الدعوة لين كله ابتداءً وانتهاءً وأن الغلظة مجالها القتال فحسب.

وليعلم الموفق لطاعة ربه واتباع سنة رسوله ﷺ أن اللين في الدعوة لا يعني المداينة والتنازل عن شيء من الدين وتمييع الإسلام ليتناسب مع الأهواء والشهوات بحجة أن الدين يسر، وكذلك لا تعني الغلظة بالكلمة البليغة والحجة الدامغة السب والشتم والسفاهة.

٢- الإحسان إلى الكافر المعاهد والذمي المستأمن:

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الصف: ٨].

أخيراً: اعلم أيها الحبيب أن الحب في الله والبغض في الله قمة سامقة في الكمال الإيماني ترنو إليها أبصار المتنافسين وتهوى إليها أفئدة المتسابقين بعد أن لفحهم هجير العلاقات الأرضية الموتورة، فاحرص أخ الإيمان أن تنتظم في عقد المتحايين في الله المتواصلين في الله، المتبازلين في الله الذين يغطهم الأنبياء والشهداء.



محبة رسول الله ﷺ

أحبائي في الله: محبة رسول الله ﷺ عبادة وطاعة مفروضة انقسم بها الناس وتشعبوا إلى ثلاث فرق:

- ١- فريق أحبه حبًا عظيمًا مسنونًا على الكتاب والسنة.
 - ٢- فريق جفاه وأعرض عنه وعاداه ونصب له الحرب الشعواء.
 - ٣- فريق غلا في حبه حتى خرج عن الملة.
- فأما الفريق الذي جفاه ونصب له الحرب الشعواء وعاداه:

فهم فريق أطفأ الله بصائرهم، وأعمى أبصارهم ... حتى خرج علينا رجلٌ سفيه كتب كتابًا سماه الكتاب الأخضر، وصف فيه الرسول ﷺ بأنه رجلٌ رجعي .. بدوي .. متخلف أساء إلى العرب لا يعرف علم الاجتماع ولا يعرف العمران، ولا علم النفس ، ولا علم التربية! .. فيا صاحب الكتاب الأخضر .. سَوَّدَ الله صحائفك يوم القيامة، أرسولنا لا يعرف التربية ولا يعرف علم الاجتماع؟! إذا فمن الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ومن الذي بنى البيوت وأقام الأسر على منهاج قويم وأساس متين هل هو رسول الله ﷺ أم أنت وأبوك وجدك يا معتوه الذين تربيتهم في مقابر الإلحاد وفي زنانات الشيوعية وفي أفران النازية؟! وهاهو عابد المرأة، وعابد الكأس، وعابد الشهوة، وعابد الأغنية الماجنة، وعابد المجلة الخليعة (نزار قباني) لا رفع الله شامته، ولا قبل الله حجته قد تهكم بالشرعية واستهزأ بالرسالة الخالدة واعترض على الدين ثم يأتي إلى طاغوت من طاغيت العرب فيقول له:

ملأنا لك الأقداح يا من بحبه سكرنا كما الصوفي بالله يسكر
فأنت أبو الثورات أنت وقودها وأنت لنا المهدي وأنت المحرر

فهذا الصنف عادوا محمدًا عليه الصلاة والسلام واستهزءوا بالقرآن، وتضاحكوا بالسُّنَّة، وحاربوا الشباب المسلم ووصفوه بالتطرف والرجعية والتزمت والأصولية،

فنحن نقول لهم: إذا كنا نحن أهل التطرف والرجعية والتزمت فمن أنتم؟ أنتم دعاة الفسق والمجون أنتم الذين روجتم للتبرج والسفور وأشعثتم المخدرات والخمور، أنتم الذين أوجدتم كتب ماركس وستالين ولينين، أنتم الذين أركبتم اليهود على ظهور المسلمين أنتم عملاء الشيوعية الحاقدة والصليبية المجرمة والصهيونية العالمية، ولتعلموا أن شباب المسلمين هم أهل القرآن هم أهل المساجد هم أحفاد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي:

عُبَادُ لَيْلٍ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ بِهِمْ كَمْ عَابِدٍ دَمَعَهُ فِي الْخَدِّ أَجْرَاهُ
وَأُسْدُ غَابٍ إِذَا نَادَى الْجِهَادَ بِهِمْ هَبُوا إِلَى الْمَوْتِ يَسْتَجِدُونَ رُؤْيَاهُ
يَا رَبِّ فَابْعَثْ لَنَا مِنْ مِثْلِهِمْ نَفَرًا يُشِيدُونَ لَنَا مَجْدًا أَضْعَانَاهُ

أما الفريق الثاني: فهم المغالون في حب رسول الله ﷺ:

حتى قال شاعرهم البوصيري لما جاء إلى قبره عليه الصلاة والسلام:

يَا سَيِّدَ الْخَلْقِ مَالِي مِنْ أَلُوذٍ بِهِ سَوَاكَ عِنْدَ حَدُوثِ الْحَادِثِ الْعَمِيمِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].
ويقول: إذا أتني مصيبة دهياء وبلية صلعاء استجرت بك.

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وتقديساً عظيماً وتنزه عن هذا الكلام الذي هو شرك وهدم للعقيدة الصحيحة، فالنبي ﷺ لا يُلَاذُ به ولا يُسْتَجَارُ به عند المصائب، وإنما يُلَاذُ ويُسْتَجَارُ بالله عز وجل.

ولذلك قال تعالى في كتابه العزيز مبيّناً حال النبي ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. فالنبي ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً فضلاً عن أن يملك لغيره، فكيف يُلَاذُ به ويُسْتَجَارُ به؟ ولذلك جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه: «أَحْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظُكَ أَحْفَظُ اللَّهَ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١).

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٥١٦)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧)، وأحمد

في المسند (٢٦٦٤، ٢٧٥٨) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

وقد تجد غلاة المتصوفة يأتي أحدهم عند القبر حليقاً مسبلاً إزاره يلبس الذهب والحريز، وربما يشرب الخمر تجده يُطَبَّلُ وَيُزْمَرُ ويتمسح بالقبر! أين السُّنة؟ وأين الشريعة؟ هل التبرك بالبدوي أو الجيلاني أو الحسين أو السيدة زينب من السُّنة؟ كلا والله، إن السُّنة بريئة من هذا الانحراف وهذا الضلال ولذلك فمن أتى إلى قبر ليتبرك به أو ليستشف بصاحبه أو ليستشفى به فقد باع حظه من دين الله وصدق الله العظيم إذا يقول: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر].

وهاهو البرعي شاعر اليمن الصوفي المغالي يأتي إلى قبر المصطفى ﷺ في المدينة يكي ويطلب المغفرة من الرسول ويقول:

يا رسول الله يا من ذكره في نهار الحشر رمزاً ومقاماً
فأقلني من عشرتي يا سيدي ومن اكساب الذنب من خمسين عاماً
سبحان الله؛ من الذي يُقِيلُ العثرة إلا الله؟ ومن الذي يغفر الذنوب إلا الله؟
وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان].

وقد صح عن النبي ﷺ أن قال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(١).

وقال أيضاً: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»^(٢)، ولذلك فرسول الله ﷺ هو عبد الله ورسوله أوحى إليه، ولا يملك ضرراً ولا نفعاً ولا يشفي، ولا يعافي ولا يضر ولا ينفع، فالضر والنفع بيد الله، والخفض والرفع بيد الله، والعطاء والمنع بيد الله، فالله عز وجل هو الخافض الرافع، الضار النافع المعطي المانع، فلا رافع لمن خفض، ولا

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) صحيح، رواه مالك في الموطأ (٤١٦)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٧٥٠).

خافض لمن رفع، ولا نافع لمن ضر، ولا ضار لمن نفع، ولا مانع لمن أعطى، ولا معطي لمن منع.

فغلاة المتصوفة جعلوا محبة الرسول ﷺ نشيداً ورقصاً وشعوذةً وتمايلاً وكهنوتاً، ومراسيم ما أنزل الله بها من سلطان.

الفريق الثالث: حُبُّ أهل السنة والجماعة للرسول ﷺ:

فقد أحبوا رسول الله ﷺ حباً خالصاً لا معادة معه ولا مغالاة، مع يقينهم الجازم بأنه عبد الله ورسوله، ولكنه لا يملك لهم نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، نَوَّرَ الله بصائرهم وأعلى منازلهم، ولقد أحبوا رسولهم أكثر من أنفسهم وأزواجهم وأولادهم وأكثر من الماء البارد على الظمأ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١).

فهاهو الإمام مالك رحمه الله، ما ركب دابة في المدينة احتراماً للثرى الذي فيه جسد رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وكان مرة يقرأ في كتابه الموطأ متناً بالشرح أحاديث رسول الله ﷺ فيلدهغه العقرب ثلاث عشرة مرة، ولم يقطع الحديث فيقول له الناس: رأينا وجهك قد تغير فقال: لدغتنى عقرب وأنا أقرأ الحديث، قالوا: فلم لم تقطع الحديث؟ فقال: عجباً لكم أقطع حديث الحبيب من أجل نفسي.

وهاهو سعيد بن المسيب وهو في سكرات الموت يسأل عن حديث للرسول ﷺ فيقول: أجلسوني كيف يسأل عن كلام الحبيب وأنا مضطجع لا بد أن أجلس توقيراً له عليه الصلاة والسلام.

وهاهو ابن عمر يقول للصحابية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»^(٢). فيقول ابنه بلال وكان رجلاً شاباً: (والله لنمنعنهن لا يتخذن

(١) صحيح، رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٧٠/٤٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٩٠٠)، ومسلم (١٣٦/٤٤٢).

المساجد دخلاً ولا دغلاً) فغضب ابن عمر غضباً شديداً على ابنه وقال له: أحدثك عن الرسول عليه الصلاة والسلام وتعرض فوالله وتالله وبالله لا أكلمك حتى أموت، فما كلمه حتى مات؛ لأنه اعترض اعتراضاً بسيطاً، فما بالك بمن يستهزئ بالسنة ويعترض على سيرة محمد عليه الصلاة والسلام .. أين يذهب من الله عز وجل؟ ومن علامات حبه ﷺ:

١- الاتباع لسنته وترك الابتداع، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

٢- عدم الاعتراض على شرعته أو الاستهزاء بسنته التي أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. فمن استهزئ بشيء من سنته فهو كافر حلال الدم ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

٣- كثرة الصلاة والسلام عليه: يقول ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(١). يقول أبي بن كعب سيد القراء: يا رسول الله كم أجعل لك من صلاتي؟ (يعني من دعائي إذا دعوت الله فكم أخصص لك من دعائي) قال: ما شئت، قال: الربع؟ قال: ما شئت، قال: الثلث؟ قال: ما شئت وإن زدت فأحسن، قال: النصف؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ما شئت حتى قال أبي بن كعب: سأجعل لك دعائي كله يا رسول الله، فقال له عليه الصلاة والسلام: إذا يغفر ذنبك وتكفى همك. وأحسن الدعاء له هو الصلاة والسلام عليه.

٤- نشر سنته في الناس تعليمًا وتدريبًا، وفتوى ودعوة وتبليغًا، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، فهو القائل عليه الصلاة والسلام: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ

(١) صحيح، رواه مسلم (١١/٣٨٤).

آيَةٌ^(١). «نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَغَهُ كَمَا سَمِعَ قَرُبَ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»^(٢).

فلا يجوز التكتُم على العلم؛ لأن التكتُم على العلم من شيم بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّكِنُوتُ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة].

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٨٧﴾﴾ فَيُسَّ مَا يَشْتُرُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [آل عمران].



(١) صحيح، رواه البخاري (٣٤٦١).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٦٥٧)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٦٤).

الولاية

مواصفات الولي:

هناك مواصفات لابد من توافرها في أولياء الله عز وجل حتى نسلم لهم بهذه
الولاية منها:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف]

أي: أن الله تبارك وتعالى لا يكله إلى نفسه، بل يتولى ورعايته وحفظه.

٢- أن هذا الولي يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن

يتخللها عصيان وإن أحدث هذا الولي ذنباً لعدم عصمته، أحدث له توبة

على الفور، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ

هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [التوبة] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس].

إذن فهؤلاء الأولياء قد آمنوا بالله واتفقوا، فأتَمروا بما أمر، وانتهوا عما نهى وزجر
وأحبوا لله، وأبغضوا لله، وأعطوا لله ومنعوا لله.

ولذلك جاء في الحديث: «أَوْسَطُ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»^(١).

«مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اكْتَمَلَ الْإِيمَانُ»^(٢).

طبقات الأولياء:

أفضل أولياء الله هم أنبياءه، وأفضل أنبيائه المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو

العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم صلوات ربي وسلامه

أجمعين، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

(١) رواه أحمد في المسند (١٨٠٥٣) وقال الأرنؤوط: حديث حسن بشواهده.

(٢) حسن، رواه أبو داود (٤٦٨١)، حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٢٩).

وأفضل أولي العزم محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وإمامهم إذا وفدوا، صاحب لواء الحمد، وصاحب الحوض المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة الذي بعثه الله بأفضل كتبه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس .. جعله الله فارقاً بين أوليائه، وبين أعدائه فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به واتبعه وصدقه فيما أخبر، وأتمر بما أمر ظاهراً وباطناً وانتهى عما نهى ظاهراً وباطناً ولم يقدم قول أحد على قوله كائناً من كان. وأما من ادعى محبته وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله، بل هو من أعداء الله وأولياء الشيطان قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، ويلي هؤلاء الأنبياء والمرسلين في المرتبة نوعان من الأولياء: مقربون وأصحاب يمين قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٦﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٧﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٩﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿٢٠﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿٢١﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿٢٢﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٢٣﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنَزَفُونَ ﴿٢٤﴾ وَفِيهَا مِمَّا يَشْتَرُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٦﴾ وَخُورٌ عَيْنٌ ﴿٢٧﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ﴿٢٨﴾ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٣٠﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٣١﴾﴾ [الواقعة].

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٣٢﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٣٣﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٣٤﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٥﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣٦﴾ وَفِيهَا كَثِيرٌ مِّنْ لَّدُنَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٧﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٨﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنِشَاءً ﴿٣٩﴾ فَجَعَلْنَهُمْ أَتَكَارًا ﴿٤٠﴾ غُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٤١﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٤٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٤٣﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر]، فأمه محمد ﷺ هم الذين أورثوا الكتب بعد الأمم المتقدمة، وهذا التقسيم خاص بأمه محمد ﷺ.

فالظالم لنفسه: هو صاحب الذنب المصير عليه.

والمقتصد: هو المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم.

والسابق بالخيرات: هو المؤدي للفرائض والنوافل المجتنب للمحارم والمكاره.

ولذلك جاء في الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْظِيَّتِهِ وَلَيْتَنِ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَتِهِ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١).

ولذلك فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إلى الله بالفرائض، المجتنبون للمحارم ولكنهم لا يكلفون أنفسهم بالمندوبات المستحبات ولا الكف عن فضول المباحات.

وأما السابقون فقد تقربوا إليه بالفرائض والنوافل، وفعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات، وقد صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله عز وجل فكانت أعمالهم كلها عبادات، ولذلك فمرتبة المقربين أعلى عند الله من مرتبة الأبرار أصحاب اليمين.

وفي الحديث: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ اخْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(٢).

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٦٦٤ / ٣٤).

بعض التقريرات:

التقرير الأول:

ليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً فلا يخطئ لأن العصمة لم تثبت إلا للأنبياء، لذلك لا يجوز للناس الإيمان بجميع ما يقوله هذا الولي إلا أن يكون مطابقاً للكتاب والسنة ولا يجوز له نفسه أن يعتمد على ما يُلقى في قلبه من خواطر وإلهامات ومكاشفات ومخاطبات إلا أن يكون مطابقاً للكتاب والسنة، فإن وافق الكتاب والسنة قبله، وإن خالفهما لم يقبله وإن لم يعلم أوافق هو أم مخالف توقف فيه، فهذا هو عمر بن الخطاب الذي يقول عنه النبي ﷺ في الصحيحين: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ»^(١).

وفي حديث آخر رواه الترمذي وحسنه: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ»^(٢)، كان يقول: (اقربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم فإنه تتجلى لهم أمور صادقة)، ومع أن عمر يُعتبر محدث هذه الأمة إلا أنه كان يعرض ما يقع له على الكتاب والسنة فتارة يوافقهما فيكون ذلك من فضائل عمر كما نزل القرآن بموافقته أكثر من مرة، وتارة يخالفهما فيرجع عمر عن ذلك كما رجع عما بدا له يوم الحديبية حيث إن النبي ﷺ كان قد صالح المشركين بعد مراجعة ومداولة جرت بينه وبينهم على أن يرجع في ذلك العام، ويعتمر من العام القادم، وشرط لهم بعض الشروط التي فيها غضاضة على المسلمين في الظاهر، فشق ذلك على كثير من المسلمين، ولكن الله ورسوله أعلم وأحكم بما في ذلك من مصلحة الأمة. وكان عمر فيمن كره ذلك فقال للرسول: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى

(١) صحيح رواه البخاري (٣٤٦٩، ٣٦٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٣٩٨/

٢٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٣٦٨٢)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣٦).

بَاطِلٌ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَيْسَ قَتَلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمُ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا، قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَلَيْسَ قَتَلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمُ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَعَلَّامٌ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، قَالَ: فَتَزَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْفَتْحِ فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ فَتَحَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ^(١) فكان أبو بكر رضي الله عنه أكمل موافقة لله ورسوله من عمر، ورجع عمر عما بدا له.

وكذلك لما مات النبي ﷺ، أنكر عمر موته أولاً، «فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالِي وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ قَالَ: يَا بَيَّ أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْخَالِفُ عَلَى رِسَالِكَ فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَتْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِيَّاهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر]، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران]^(٢) فتراجع عمر عما بدا له.

وكذلك في قتال مانعي الزكاة، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

(١) صحيح رواه البخاري (٣١٨٢، ٤٨٤٤)، ومسلم (٩٤/١٧٨٥) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٦٧٠).

فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا قًا -وفي رواية عقلاً- كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ»^(١).

ولهذا نظائر تبين تقدم أبي بكر على عمر مع أن عمر مُحدث؛ فإن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله والمحدث يأخذ عن قلبه أشياء، وقلبه ليس بمعصوم فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي المعصوم ﷺ.

وقد كان عمر رضي الله عنه يشاور الصحابة وينظرهم في بعض الأمور، فأحياناً يحتج عليهم وأحياناً يحتجون عليه بالكتاب والسنة، ولا يقول لهم: (أنا محدث ملهم مخاطب ينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني)، ولذلك فأبي بكر ادعى أنه ولي وأنه ملهم ومخاطب وعلى أتباعه أن يتبعوه في كل أحواله من غير اعتبار للكتاب والسنة، فهو مخطئ وهم مخطئون لأن كل رجل يؤخذ من أقواله ويرد إلا صاحب هذا القبر أي النبي ﷺ كما قال الإمام مالك، وليس أحد حجة على الإسلام والمسلمين إلا النبي ﷺ، ومن خالف هذا فليس من أولياء الله حتى وإن طار في الهواء أو مشى على الماء، لذلك فهو إما أن يكون كافراً أو يكون مفرطاً في الجهل كان الجنيد رحمه الله يقول: (علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن، ويكتب الحديث، فلا يصلح له أن يتكلم في علمنا) أو قال: (لا يقتدى به).

وقال أبو عثمان النيسابوري: (من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالبدعة لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤٠٠، ١٤٧٥، ٦٩٢٤)، ومسلم (٣٢/٢٠).

وقال أبو عمر بن نجيد: (كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل)، وكثير من الناس من يخطئ في هذا الموضع، فيظن في شخص أنه ولي الله، ويظن أن ولي الله يقبل منه ويسلم له في كل أقواله وأفعاله وأحواله ومكاشفاته ومخاطباته وإلهاماته، حتى وإن خالف الكتاب والسنة، وهو بذلك يكون قد وافق هذا الرجل الذي اعتقد بأنه ولي وخالف الكتاب والسنة، وخالف ما بعث الله به رسوله الذي جعله فارقاً بين أوليائه وأعدائه فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص إلى البدعة والضلال أولاً وإلى الكفر والنفاق أخيراً.. وبذلك يكون له نصيب من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧) ﴿يَنبَوِّتُنِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ (٢٨) ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (٢٩) [الفرقان].

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (٣٠) ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ (٣١) ﴿رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا﴾ (٣٢) [الأحراب].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (٣٣) ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (٣٤) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِي مَا كُنَّا تَبَرُّوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (٣٥) [البقرة].

... وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَبَّهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣٦) [التوبة].

وقد فسرت عبادتهم بطاعتهم في معصية الله فأحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم فكانت تلك عبادتهم، ولذلك يقال في مثل هؤلاء إنهم مغرورون مخدوعون، وقد حرّموا الوصول بتضييع الأصول.

التقرير الثاني:

لا طريق إلى ولاية الله إلا بمتابعة النبي ﷺ ظاهراً وباطناً ... فقد أرسله الله تبارك وتعالى إلى جميع الخلق إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم، علمائهم وعُبادهم ملوكهم وسوقتهم ... ولو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق، لكن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به، ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لكن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِءَ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

ولذلك لو كان الرجل من أكبر الأولياء كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم

يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة، فكيف إذا لم يكن كذلك، ولذلك فمن ظن أن لأحد من أولياء الله طريقاً إلى الله غير متابعة النبي محمد بن عبد الله ﷺ باطناً وظاهراً فقد أخطأ خطأً يجره أولاً إلى البدعة والضلال، وأخيراً إلى الكفر والنفاق. ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر كان مخطئاً من وجهين:

الأول: أن موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل فقط، وليس مبعوثاً للخضر، ولذلك لم يكن على الخضر اتباعه ... أمّا نبينا محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين، الجن والإنس، ولو أدرك النبي ﷺ من هو أفضل من الخضر كإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم اتباعه فكيف بالخضر سواء أكان نبياً أو ولياً، ولذلك قال الخضر لموسى: (أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه)، وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول مثل هذا.

الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفاً لشرعية موسى عليه السلام، وموسى عليه السلام لم يكن يعلم الأسباب التي تبيح ذلك، فلما بينها له وافقه على ذلك: ... فإن خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفاً من الملك الظالم أن يأخذها إحسان إليهم، وذلك جائز.

... ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع إلا بقتله جاز قتله بشرط أن تكون علمت من أمر الغلام ما علمه الخضر من أمر ذلك الغلام وأنى لك هذا!! وإلا فلا تقتلهم. والذي نخلص إليه أن العالم كله إنسه وجنه مأمور باتباع الرسول الأمي محمد بن عبد الله عليه صلوات ربي وسلامه، ومن ظن أن بإمكانه الخروج عن نهج محمد ﷺ إلى نهج آخر ولو كان نهج عيسى وموسى وإبراهيم فهو ضال مضل قال ﷺ: «لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتهم، أنا حظكم من النبيين وأنتم حظي من الأمم»^(١).

(١) حسن، رواه البيهقي في شعب الإيمان، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٠٨).

التقرير الثالث:

يظن بعض الناس أن شخصاً معيناً وليّ لله لأنه قد صدر عنه بعض المكاشفات والتصرفات الخارقة للعادة مثل:

- ✽ أن يشير إلى شخص فيموت.
- ✽ أن يمشي على الماء أحياناً أو أن يملأ إبريقاً من الهواء.
- ✽ أن يطير في الهواء إلى مكة وغيرها أو إلى بيت المقدس.
- ✽ أن يخبر الناس بما سرق لهم.
- ✽ أن بعض الناس قد استغاث به وهو غائب أو ميت فقضى حاجته.
- ✽ ومنهم من يرى أشخاصاً في اليقظة يدعي أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين.
- ✽ ومنهم من يأتيه أشخاص في صورة جميلة ويقال له هؤلاء هم الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك.
- ✽ ومنهم من يمشي على جمر النيران.

... وقد تحصل هذه المكاشفات والخوارق لأولياء الله، كما قد تحصل لأعداء الله وأولياء الشياطين من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وعباد النيران وأهل البدع، ومشركي الهند والترك، واليونان ومن له اجتهادات في العلم والزهد والعبادة، وليس بمتبع للرسول، ولا مؤمن بما جاءوا به، ولذلك اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعتة لرسول الله ﷺ وموافقتة لأمره ونهيه.

... ولذلك فقد تحدث هذه المكاشفات أو الخوارق لأشخاص يكون أحدهم:

- ✽ لا يتوضأ ولا يصلي الصلوات المكتوبة، بل يكون ملابساً للنجاسات معاشراً للكلاب، يأوي إلى الحمّامات والمقابر والمزابل، ورائحته خبيثة لا يتطهر الطهارة الشرعية.

... ولذلك قال النبي ﷺ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ»^(١).
«خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحَيَّةُ وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ وَالْفَأْرَةُ وَالْكَلْبُ
الْعَقُورُ وَالْحَدْيَا»^(٢).

«لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ»^(٣).

«مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا لَا يُغْنِي عَنْهُ زَرْعًا وَلَا ضَرْعًا نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ»^(٤).
«إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(٥).

✽ أو قد تجده يأكل الحيات والعقارب وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق
أو يشرب البول.

✽ أو قد تجده من الذين يؤثرون سماع الأغاني والأشعار، ومزامير الشيطان،
وسماع الكف والدف على كلام الرحمن، فيرقص ليلاً طويلاً، فإذا جاءت
الصلاة صلى قاعدًا أو نقرها نقر الديك والسماع المحدث سماع الكف
والدف، ومزامير الشيطان، ودق الطبول، لم يكن الصحابة والتابعون لهم
بإحسان، وسائر الأكابر من أئمة الدين يجعلون هذا طريقًا إلى الله تبارك
وتعالى، ولا يعدونه من القرب والطاعات بل يعدونه من البدع المذمومة،
حتى قال الشافعي رحمه الله: (خلفت ببغداد شيئًا يسمونه (التغبير) أحدثته
الزنادقة يصدون به الناس عن القرآن، وأولياء الله يعرفون ذلك، ويعلمون أن

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢٢٥، ٣٣٢٢، ٤٠٠٢، ٥٩٤٩)، ومسلم (٨٣/٢١٠٦)،
(٨٤)، وأبو داود (٤١٥٥)، والترمذي (٢٨٠٤)، والنسائي (٤٢٨٢، ٥٣٤٧، ٥٣٤٨،
٥٣٥٠)، وابن ماجه (٣٦٤٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦٧/١١٩٨).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٠٣/٢١١٣)، وأبو داود (٢٥٥٥)، والترمذي (١٧٠٣).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٣٢٣، ٣٣٢٥)، ومسلم (٦١/١٥٧٦)، والنسائي (٤٢٨٥)،
وابن ماجه (٣٢٠٦).

(٥) صحيح، رواه مسلم (٦٥/١٠١٥)، والترمذي (٢٩٨٩).

للشيطان فيه نصيبًا وافراً ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم).
وقد يحدث هذا السماع المحدث البدعي أثراً في النفوس أعظم من تأثير الخمر
ولهذا إذا قويت سكرة أهله نزلت عليهم الشياطين وتكلمت على السنة بعضهم
وحملت بعضهم في الهواء، وقد تحصل عداوة بينهم كما تحصل بين شراب الخمر
ويظن الجهال أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين، وإنما هي من أحوال الشياطين.
❀ ولذلك يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (لا يسأل أحدكم عن
نفسه إلا القرآن؛ فإن كان يحب القرآن، فهو يحب الله، وإن كان يبغض
القرآن فهو يبغض الله ورسوله).

❀ وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: (لو طهرت قلوبنا لما شبت من كلام
الله عز وجل).

❀ وقال أيضاً عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (الذكر ينبت الإيمان في
القلب كما ينبت الماء البقل، والغناء ينبت النفاق، كما ينبت الماء البقل).

❀ أو قد تجده من الذين يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً.
❀ قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ [الجن].
قال غير واحد من السلف: كان الرجل من الإنس إذا نزل بالوادي قال: أعوذ
بعظيم هذا الوادي من سفهاء قومه، فلما استغاثت الإنس بالجن ازدادت الجن
طغياناً وكفراً.

ولذلك هناك كثير من الناس الذين يعوذون برجال من الجن -لهم طرق معينة في
إخراج اللبس الجني أو المس الجني من الرجل المصروع بالجن أعاذنا الله منهم ومن
طرقهم فمئتها:

الطريقة الأولى:

طريقة الاسترضاء: وفي هذه الطريقة يقوم المعالج باسترضاء الجني الصارع، فيلبي
له جميع طلباته، فأحياناً يطلب منه ذبح حيوان لولي من الأولياء أو من يظن أنهم

من الأولياء، أو يأمر بلبس الذهب أو شرب الدخان أو غيرها من الأمور المحرمة وسبب حرمة هذه الطريقة عدة أمور:

- ١- إعانة الظالم على ظلمه.
- ٢- طاعة الجني في معصية الله كمن يلبس ذهبًا ويكون رجلًا أو يشرب الدخان أو ما شابه ذلك.
- ٣- تلبية هذه الطلبات تزيد الجني طغيانًا وعتوًا وكفرًا، وغالبًا ما ينكث الجني عهده، ويعاود إلى المريض مرات ومرات.

الطريقة الثانية:

طريقة الاستعانة: وهذه الطريقة لا يقوم بها إلا ساحر فيستعين بالجن الذي يخدمه لاستخراج الجني الصارع للمريض فأحيانًا يكون أضعف فلا يستطيع، وأحيانًا يكون أقوى فيستطيع.

الطريقة الثالثة:

طريقة الإقسام: فيقوم المعالج بالإقسام على الجن الصارع بسيد من الجن إذ أن الجن منهم السيد والمسود ومنهم العظيم في قومه والحقير، فيقوم هذا الساحر بالتعرف على قبيلة الجني الصارع، وذلك بمساعدة الجني المساعد له، ثم يقسم الساحر بعظيم هذه القبيلة على الجني الصارع، فيخاف الجني الصارع ويخرج، وفي هذه الطريقة ما لا يخفى من الشرك؛ لأن فيها سؤال غير الله، واستعانة بغير الله، وقد قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١).
... ولذلك فمن أراد أن يقسم على الجني الصارع، فليقسم عليه بأن يخرج طاعة لله، ولا يقسم عليه لا بعظيمه ولا بحقيره.

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٥١٦)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧)، وأحمد في المسند (٢٦٦٤، ٢٧٥٨) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

الطريقة الرابعة:

طريقة سجن الجنى الصارع: حيث يقوم الساحر بالتقرب إلى رؤساء هذه القبيلة بأنواع معينة من الشرك، ثم يطلب منهم سجن هذا الجنى الصارع للآدمي، فيقومون بسجنه.

الطريقة الخامسة:

طريقة حفلات الزار: فإذا ما أَلَمَّ الصرع من الجن بامرأة من الإنس جاءت لها شياطين النساء يتاجرن بعقلها، ويزينن لها أن ما دهاها هو صرع من الجن وأن في استطاعتهن أن يذهبن هذا المرض، فيطلبن منها طلبات يعز وجودها وتثقل كاهل زوجها، فيطلبن منها من الحلبي أنواعًا، ومن الدجاج والخراف أصنافًا وتارة تتعالى في الطلب فتطلب جملاً أو عجلاً عندما تأنس منهم ثروة، عندما تراهم من الأغنياء، ثم يقام الحفل، ويسمين المريضة عروسًا ويخلعن عليها ثيابًا سافرة غالية الثمن قصيرة الأجل قليلة الغناء، ثم يُركبن هذه العروس الجمل أو العجل أو الفحل ويوقدن حولها الشموع ويضربن بالدفوف، ويصحن بالأغاني الخليعة التي تستهوي الأفتدة، وتنبت النفاق في القلب، وتصيح مزامير الشيطان، فينعش الجنى الصارع مصروعه، وتدب في جسد المصروع نشوة الفرح بهذا المهرجان العظيم، وعلى أثر هذا الزار، إما أن يهادن الجنى مصروعه من الإنس لفترة من الزمن فيظل ملتبسًا كامنًا في جسده ولكن يخفف عنه نوبات الصرع، ثم يتمرد عليه الجنى مرة بعد مرة فتعاوده نوبات الصرع من جديد، وإما أن يكون قد خرج الجنى الصارع فعلاً من جسده، لأنه قد نفذت له جميع طلباته، فقضى وطره من المصروع وأهله، ولكن بعد فترة يعود إليها، ويعاودها المرض من جديد، ويتدرج شياطين الجن والإنس في الطلبات حتى إذا ما خوى البيت، ونَفَذَ ما في الجيب قضى المريض نجه وترك العيون دامية وصدق القائل:

ثلاثة تشقى بهن الدار العرس والمأتم ثم الزار

وليت الأمر يقف عند هذا الحد، بل من النساء من يتخذن هذه الحفلات لأغراض غير شريفة يجتمع فيها الرجال والنساء سرًا وجهرًا، يستمتع بعضهم ببعض -أعاذنا الله من الإفك والتضليل- فمن كان له مسكة من عقل علم أن هذه الطريقة محرمة بلا أدنى شك، ولكن ما لجرح بميت إيلام، فخر عليهم السقف من فوقهم، لا عقل ولا نقل، وحرموا من الوصول إلى الحق بتضييع الأصول.

فمن أبي أن يكون عبدًا لله كان عبدًا لغير الله، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، ولسانك إن لم تشغله بذكر الله شغلك بالغيبة والتميمة، ومدح الناس وذمهم، وقول الزور والباطل، والفحش والتفحش، وقلبك إن لم تشغله بمحبة الله شغلك بمحبة الخلق من دون الله، وهناك طرق أخرى قد ضربنا عنها صفحًا؛ ولكن لا بد أن تعرف أن أي شيطان لن يخدم إنسيًا إلا بعد أن يتأكد من شركه وهذا الشرك ربما يكون ظاهرًا، وربما يكون باطنًا، أو ربما يكون مبثوثًا في تلك العزائم والطلاسم أو الأفعال التي يطلبها الجنى من الساحر الخادم له، ومن تليس الجن على الساحر أن العزائم التي يأمرونه بها قد يكون فيها بعض آيات من القرآن، وذلك ليفهم الساحر أن طريقته صحيحة لأنها من القرآن، فيغتر المسكين، ويتمسك بها. (راجع وقاية الإنسان من الجن والشيطان للشيخ وحيد عبد السلام بالي حفظه الله) بتصرف.

والجن منهم المسلم، ومنهم المشرك، ومنهم اليهودي، ومنهم النصراني، ومنهم السني، ومنهم البدعي، ومنهم الشيطان المتمرد وهم على مذاهب شتى كما قال تعالى في كتابه العزيز على لسانهم: ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ [الجن] أي: مذاهب شتى.

ولنعلم أيها الأخوة والأحباب أن محمدًا ﷺ بعثه الله تعالى إلى الثقلين الإنس والجن باتفاق أئمة المسلمين، فلم يبق إنسي ولا جني إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ورسالته، فيأتمر بما أمر وينتهي عما نهى، وعندما استمعت الجن القرآن من رسول

اللَّهُ بِيْطْنَ نَخْلَةً لِّمَا رَجَعَ مِنَ الطَّائِفِ وَلَوْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٢٩) قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ [الأحقاف].

ثم لما سمعت الجن القرآن أتوا إلى النبي ﷺ وآمنوا به وهم جن نصيبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم يَتَنَمَّاهُمْ جُلُوسٌ لَّيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ: وُلِدَ اللَّيْلَةُ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِنَّهَا لَا يُزَمَىٰ بِهَا لَمُوتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يُلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ، قَالَ: فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَتَخْطِفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْدِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُزَمُّونَ بِهِ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ» (١).

وثبت أن النبي ﷺ قرأ عليهم سورة الرحمن وكان إذا قرأ: ﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن] قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد (٢).

وقد ثبت في الحديث الصحيح أنهم لما اجتمعوا بالنبي ﷺ سأله الزاد لهم

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٢٢٩/١٢٤)، والترمذي (٣٢٢٤).

(٢) حسن، رواه الترمذي (٣٢٩١)، حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥١٣٨).

ولدوابهم فقال: «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفَ لِدَوَابِّكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ»^(١).

ملاحظة:

ينقسم الأنبياء عليهم السلام إلى قسمين فمنهم من هو عبد رسول، ومنهم من هو ملك نبي، وقد خير الله محمداً ﷺ بين أن يكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً، فاختر أن يكون عبداً رسولاً، فالنبي الملك مثل داود وسليمان ويوسف علي رسولنا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ولذلك قال الله تعالى في قصة سليمان الذي قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) [ص: أي: أعط من شئت واحرم من شئت، لا حساب عليك، ولذلك فالنبي الملك يتصرف في الولاية بما يحبه ويختاره من غير إثم عليه.

أما العبد الرسول فلا يعطي أحداً إلا بأمر ربه ولا يعطي من يشاء بل يعطي من أمره ربه بإعطائه ويولي من أمره ربه بتوليته فأعماله كلها عبادات لله تبارك وتعالى ولذلك كان النبي كما ثبت في صحيح البخاري يقول: «مَا أُعْطِيَكُمْ وَلَا أَمْنَعُكُمْ إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَضْعُ حَيْثُ أُمِرْتُ»^(٢). ولذلك فالعبد الرسول أفضل من النبي الملك.

والجن والإنس على أحوال:

فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله، من عبادة الله وحده وطاعة نبيه، فهذا من أفضل أولياء الله، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه، ومنهم من يأمرهم ويناهم، ولكنه يستعملهم في أمور مباحة فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون

(١) صحيح، رواه مسلم (٤٥٠/١٥٠)، والترمذي (٣٢٥٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣١١٧).

مثل ذلك، هذا إذا قدر أنه من أولياء الله فغايته أن يكون في عموم أولياء الله تعالى مثل النبي الملك مع العبد الرسول، ومنهم من يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله كأن يستعملهم في الشرك أو في قتل معصوم الدم أو في العدوان على أحد من الإنس كتمريضه وإنسائه العلم أو يستعملهم في جلب من يطلب فيه الفاحشة، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، فإن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص.

ومن الناس من يكون غير تام العلم بالشرعية فيستعين بهم فيما يظن أنه من الكرامات مثل: أن يستعين بهم على الحج أو أن يحملوه إلى عرفات، ولا يحج الحج الشرعي الذي أمر به الله ورسوله ومن هؤلاء المحمولين، من حمل مرة إلى عرفات، ورجع في نفس الليلة فرأى في النوم ملائكة يكتبون الحجاج، فقال: ألا تكتبوني؟ فقالوا: لست من الحجاج (يعني أنك لم تحج حجا شرعيا).

✽ منهم من يطير به الجن عند السماع البدعي ودق الطبول ومزامير الشيطان.

✽ منهم من يحملونه من مدينة إلى مدينة وهذا النوع من الناس مغرور قد مكروا به.

✽ وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن بل قد سمع فقط أن أولياء الله لهم كرامات، وخوارق وعادات، وهؤلاء ليس عندهم من حقائق الإيمان، ومعارف القرآن ما يميز به بين الكرامات الرحمانية والتلييسات الشيطانية.

✽ ومنهم من يدعو غير الله تبارك وتعالى من الأنبياء والأولياء في طلب رزق أو شفاء مريض أو كشف ضرر أو جلب خير فيكتفي منه الشيطان بهذا النوع من الشرك ألا وهو شرك الدعاء فيظهر على يديه بعض خوارق العادات، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: أي: من المشركين]. ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾

يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ [يونس].

❀ أو يكون من الذين يشدون الرحال إلى قبور الأولياء والصالحين أو إلى المساجد التي دفن بها الأولياء أو من يزعمون أنهم أولياء وصالحون، إما للتبرك، وإما للطواف، وإما للصلاة، وإما للنذر لهؤلاء الأولياء بذبح الذبائح وتوجيه الأموال لهم.

وهذه كلها مظاهر من مظاهر الشرك من فعلها استكفى منه الشيطان بذلك؛ لأنه قد ملّك رقبتة للشيطان فخر عليه السقف من فوقه لا قرآن ولا عقل، فعند ذلك يسجد له الشيطان مطيعاً، فيظهر له بعض المكاشفات والخوارق للعدادات، فيظن هذا المسكين أنه قد أصبح من أولياء الله المخلصين، فتكون ﴿ظَلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ بِرَبِّهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

فلنعلم أيها الأخوة:

❀ أن الرحال لا تشد إلا إلى ثلاثة مساجد لقوله ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(١).

❀ أن دفن الأولياء والصالحين في المساجد هو مظهر من مظاهر الشرك نهى عنه النبي ﷺ فقال: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(٢). وقال ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»^(٣).

❀ والصلاة إلى القبور غير جائزة لقوله ﷺ: «لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا»^(٤).

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (٥١١/١٣٩٧).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (١٩/٥٢٩).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢٣/٥٣٢).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٩٧/٩٧٢).

❁ والنذر لا يكون إلا لله، والطواف لا يكون إلا ببيت الله العتيق لقوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، فالنذر والطواف من العبادات التي لا تصرف إلا لله، فلا تصرف لا لنبي مرسل ولا لملك مقرب فضلاً عن غيرهما فلا طواف حول قبر الحسين والجيلاني والرفاعي والبدوي والدسوقي وغيرهم لأنه مظهر من مظاهر الشرك.

❁ والذبح أيضاً عبادة لا تصرف إلا لله ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، فلا تصرف لا لنبي مرسل ولا لملك مقرب فضلاً عن غيرهما... والذبح عند قبور الأنبياء والصالحين غير جائزة حتى وإن كانت النية لله؛ لأنه يشبه عمل المشركين الذين كانوا يذبحون عند قبور أصنامهم الممثلة لأوليائهم.

❁ والتبرك لا يكون إلا بما علم شرعاً أنه فيه بركة، وأذن الشارع الحكيم في طلبها والتماسها، كبيت الله الحرام بالحج والعمرة والطواف به، والدعاء عنده، وماء زمزم الذي قال فيه الرسول ﷺ: «زمزم طعام طعم وشفاء سقم» (١).
وكالمساجد الثلاث، والمساجد الأخرى التي أسست على التقوى، يكون التبرك فيها بالصلاة والاعتكاف، والذكر وقراءة القرآن، وكمجالس العلم والذكر وقراءة القرآن الكريم، وكمجالسة الصالحين ومرافقتهم في أسفارهم وطلب دعائهم.
وأقصى درجات حكمه الشرعي أنه مستحب؛ ولكن إذا كان سيؤدي إلى فعل

(١) صحيح، رواه البزار في مسنده (٣٣٤٣) بهذا اللفظ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٥٧٢). والحديث في صحيح مسلم (١٣٢/٢٤٧٣) بلفظ: «قَالَ: فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ فَسَمِعْتُ حَتَّى تَكَثَّرَتْ عُكْنُ بَطْنِي وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةً جُوعٍ قَالَ: إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامٌ طُعِمَ» عن أبي ذر رضي الله عنه.

مكروه أو ارتكاب محرم فإنه يجب تركه، ويتعين عدم فعله لأن درء المفسد مقدم على جلب المنافع، ويشهد لهذا فعل عمر بن الخطاب، وهو أحد الخلفاء الراشدين الموصى شرعاً باتباع سنتهم؛ فإنه رضي الله عنه لما رأى رغبة الناس عند المرور بالحديبية في طريقهم إلى مكة في النزول تحت شجرة بيعة الرضوان للتبرك أمر بقطعها حسماً لمادة الفساد، إذ لو تركت لعبدت كما عبد غيرها من أشجار كثيرة باسم التبرك.

✽ ولنعلم أن الرجل إذا ادعى الولاية، ودعا الناس إلى الاعتراف له بها، واستغل ذلك إلى مصلحته الشخصية من جلب منافع خاصة من جاه ومال، وما إلى ذلك من الحظوظ النفسية والدينية فهو رجل دجال لا بركة عنده ولا خير فيه، فلا تحل مجالسته ولا احترامه فضلاً عن التبرك به؛ لأن موجبات البركة هي العلم، والإيمان والتقوى وهذه الأمور قد انعدمت في ذلك الرجل الدعي.

تنبيه:

يقول الرسول ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا يُثُوتَكُمْ قُبُورًا وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»^(١).

- ولذلك فمن المفسد اتخاذ القبور أعياداً، فترى غلاة المتخذين لها عيداً يقبلونها، ويطوفون حولها، ويصلون إليها، فلو نظرت إلى الذين يشدون الرحال إلى المساجد التي فيها القبور كمقام الحسين والسيدة زينب، والسيد البدوي، وإبراهيم الدسوقي، وقد حنوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالضحيج، وتباكوا حتى يُسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربحوا في الربح على الحجيج واستغاثوا بمن لا يديء ولا يعيد حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ما لم يحرزه من صلى إلى القبلتين، فتراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً، وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسراً فلغير الله بل للشيطان ما يراق هنا من العبرات، ويرتفع من الأصوات،

(١) صحيح، رواه أبو داود (٢٠٤٢)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٢٦).

ويُطلب من الميت من الحاجات، ويُسأل من تفريج الكربات، وإغاثة اللّهفات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي العاهات والبليات ثم انشؤا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركاً وهدى للعالمين.

ثم أكملوا مناسك حج القبر بالخلق والتقصير، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن، وقربوا له القرابين فكانت صلاتهم ونسكهم وطوافهم لغير رب العالمين، ولو رأيتهم يهتئون بعضهم بعضاً، قائلين: أجزل الله لنا ولكم الأجر الجزيل، عافانا الله من ذلك، فهذا مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُ ۚ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُ ۚ وَدَاً وَلَا سَوْاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح].

✽ قال ابن عباس وغيره من السلف: هؤلاء كانوا صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكف الناس على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، فعبدوهم، فكان هذا مبدأ عبادة الأوثان.

وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه، يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى هذا المحذور.

التقرير الرابع:

التمييز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

ولذلك فمن كان خبيراً بحقائق الإيمان كان فارقاً بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية، مميزاً بين علامات أولياء الرحمن وعلامات أولياء الشيطان؛ لأن الله قذف في قلبه من نوره، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد]. ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى].

وقد جاء في الحديث القدسي الصحيح عند البخاري وغيره عن رب العزة: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ

عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْظَمَتِهِ وَلَيْسَ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١).

فمن كان من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وأولياء الشيطان كما يفرق الصيرفي الخدق بين الدرهم الجيد والدرهم المزيف، وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الفارس الشجاع، والفارس الجبان.

ولذلك فكرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، أما ما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة، وقراءة القرآن والذكر، وقيام الليل، والدعاء، وإنما تحصل بالشرك وأنواعه، فهو من أولياء الشيطان.

ولذلك فهذه الشراكيات تفتح لأصحابها اتصالاً بالجن والشياطين فيظهرون لهم بعض خوارق العادات فيظن ذلك المغرور بأنه قد أصبح من أخص أولياء الله، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْزُهُمْ أَرْأَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ [مريم].

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

﴿وَمَن يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف].

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن].

وقال غير واحد من السلف: كان الرجل من الإنس إذا نزل بالوادي قال: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهاء قومه، فلما استغاثت الإنس بالجن، ازدادت الجن طغياناً وكفراً.

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٠٢).

وقد يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون:

- ١- فإن كان نصرانيًا واستغاث بجرجس أو غيره جاء الشيطان في صورة جرجس أو غيره، وإن كان منتسبًا إلى الإسلام، واستغاث بشيخ يحسن الظن به جاءه الشيطان في صورة ذلك الشيخ، وإن كان من مشركي الهند جاءه الشيطان في صورة من يعظمه ذلك المشرك.
- ٢- ومنهم من يرى أشخاصًا في اليقظة ويدعي أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين، وأنه السيد البدوي أو الشيخ إبراهيم الدسوقي أو الشيخ الرفاعي، وقد حدث هذا لغير واحد، وهؤلاء منهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره، وإنما هو جنى قد تصور بتلك الصورة.
- ٣- ومنهم من يرى فارسًا قد خرج من قبر من يزوره أو دخل في قبر من يزوره، ويكون ذلك شيطانًا قد تمثل بصورة ذلك الفارس.
- ٤- ومنهم من يرى في منامه أن بعض أكابر الصحابة كالصديق وغيره، قد قص شعره أو حلقه وألبسه طاقية، فيصبح وقد حُلِقَ شعره أو قصر، وعلى رأسه طاقية، وإنما الجن هم الذين حلقوا شعره وقصروه.
- ٥- ومنهم من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الوضع.
- ٦- ومنهم من يطير به الجنى إلى مكة أو بيت المقدس أو غيرها.
- ٧- ومنهم من يخاطبه الشيطان ويقول له: أنا من أمر الله ويخبره بأنه هو المهدي المنتظر الذي بشر به النبي ﷺ، ويقول له علامة أنك المهدي تنبت في جسدك شامة، فتنبت ويراها، وذلك كله من مكر الشيطان.
- ٨- ومنهم من تحمله الجن عشية عرفة ثم تعيده من ليلته فلا يحج حجاجًا شرعيًا، بل يذهب بشيابه ولا يُحرم إذا حاذى الميقات، ولا يلبي ولا يقف بمزدلفة، ولا يطوف بالبيت ولا يسعى بين الصفا والمروة، ولا يرمي الجمرات بل

يقف بعرفة بشيابه ثم يرجع من ليلته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: من هؤلاء المحمولين من حمل إلى عرفات ورجع، فرأى في النوم ملائكة يكتبون الحجاج فقال: ألا تكتبوني؟ فقالوا: لست من الحجاج، يعني أنك لم تحج حجاً شرعياً.

٩- ومنهم من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخضر، كما كانت تدخل الشياطين في الأصنام وتكلم المشركين فيخبره ببعض الأمور ويعينه على بعض مطالبه.

١٠- ومن هؤلاء من إذا حضر سماع المكاء والتصديّة يتنزل عليه شيطانه حتى يحمله في الهواء، ويخرجه من تلك الدار، فإذا حضر رجل من أولياء الله تعالى يتمتع بشخصية عمرية يفرق منها الشيطان، طرد شيطانه، فسقط ذلك الرجل كما جرى لغير واحد.

١١- كان شيخ بمصر قد أوصى خادمه فقال: إذا أنا مت، فلا تدع أحداً يغسلني، فأنا أحيأ وأغسل نفسي، فلما مات رأى خادمه شخصاً في صورته فاعتقد أنه دخل وغسل نفسه، فلما قضى ذلك الداخِل غسل الميت غاب، وكان ذلك شيطاناً وقد أضل الميت، وقال: إنك بعد الموت تحيا فتغسل نفسك.

١٢- ومنهم من يرى عرشاً في الهواء وفوقه نور، ويسمع من يخاطبه، ويقول له: أنا ربك وقد رفعت عنك التكليف؛ فإن كان من أهل المعرفة علم أنه شيطان، فزجره، واستعاذ بالله منه فيزول.

١٣- ومنهم من تنزل عليه الشياطين فتكلم على لسانه كلاماً لا يعلم وربما لا يفقه، وربما تكلم باللسنة مختلفة كما يتكلم الجنّي على لسان المصروع؛ فإذا أفاق لم يشعر بشيء، كالمصروع تماماً الذي يتخبطه الشيطان من المس، فقد يضرب هذا المصروع ضرباً شديداً مبرحاً، ولو وقع هذا الضرب على رجل غير مصروع لأماته أو أمرضه، ومع ذلك فالضرب لا يؤثر على هذا

المصروع لأنه كان يقع على الجنى الذي لبسه.

١٤- ومنهم من يكشف بعض الحاضرين بما في قلبه، وشيطانه الذي يتنزل عليه هو الذي يدلّه على ذلك، فهذا عبد الله بن صياد، وقد ورد ذكره في الصحيحين، فقد ظن بعض الصحابة أنه الدجال، وقد توقف النبي ﷺ في أمره في بداية الأمر، حتى تبين له فيما بعد أنه ليس الدجال، وإنما هو من جنس الكهان الذين تنزل عليهم الشياطين، فقال له النبي ﷺ: «إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا» فقال ابنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ فَقَالَ: «أَحْسَأُ فَلَنْ تَعْدُو قَدْرَكَ»^(١)، يعني أنك من إخوان الكهان الذين يكون لأحدهم القرين من الشياطين فيخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما في الحديث الصحيح الذي يرويه البخاري: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الْأُمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوجِّهِهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ»^(٢).

١٥- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: إني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها، وأعرف من يخاطبهم الشجر والحجر ويقول له: هنيئًا لك يا ولي الله فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك عنه، وأعرف من يقصد الصيد فتخاطبه العصافير وغيرها، وتقول: خذني حتى يأكلني الفقراء ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنسي.

١٦- ومنهم من تريه الجن أنوارًا وتحضر عنده من يطلبه، وإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله.

(١) صحيح، رواه البخاري (١٣٥٥، ٣٠٥٥، ٦١٧٣، ٦٦١٨)، ومسلم (٨٦/٢٩٢٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢١٠).

١٧- ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق، فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح، وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة.

١٨- ومنهم من يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله كالتعدي على أحد من خلق الله كتمريضه، وإنسائه العلم، ولا يحدث لهذا الشخص أي بلية إلا بإرادة الله «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١). ولو كان هذا الرجل الذي يريدون ضرره يتمتع بشخصية إيمانية عُمرية يفرق منها الشيطان ما استطاع هذا الرجل ولا قرينه من الجن أن يقفوا في طريقه فضلاً عن أن يتوجهوا له بضرر فحسب أحد على وجه الأرض أن يملك لك نفعا أو ضرا، فالله تبارك وتعالى هو الضار النافع، الخافض الرافع، المعطي المانع، فلا نافع لمن ضر، ولا ضار لمن نفع، ولا رافع لمن خفض، ولا خافض لمن رفع، ولا مانع لمن أعطى، ولا معطي لمن منع.

خلاصة القول:

هذه التلبيسات الشيطانية قد تحدث لطوائف معينة من الناس قد قدموا تنازلات في اتجاه الشيطان ومن هؤلاء:

١- قد تحدث لرجل معاشر للنجاسات، معاشر للكلاب رائحته خبيثة لا يتطهر الطهارة الشرعية، يأوي إلى الحمامات والمقابر والمزابل، ولا يصلي الصلاة الشرعية.

٢- لرجل يأكل الحيات والعقارب والخنافس وأذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق، أو يشرب البول أو الدم.

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٩٥٧)، وأحمد في المسند (٢٦٦٤)، قال الأرناؤوط: إسناده قوي.

٣- لرجل يدعو غير الله تبارك وتعالى من الأنبياء والأولياء في طلب رزق أو شفاء مريض أو كشف ضرر أو جلب خير، فيكتفي منه الشيطان بهذا النوع من الشرك ألا وهو شرك الدعاء.

٤- لرجل يشد الرحال إلى قبور الأولياء والصالحين أو إلى المساجد التي دفن بها أولياء أو من يزعمون أنهم أولياء - إما للتبرك - وإما للطواف - وإما للصلاة - وأما للنذر لهؤلاء الأولياء بذبح الذبائح وتوجيه الأموال إليهم.

٥- لرجل من الذين يؤثرون سماع الأغاني والأنشيد والأشعار ومزامير الشيطان ودق الطبول وضرب الدفوف على سماع كلام الرحمن، فتجده يرقص ليله الطويل مع المردان والنسوان، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعدًا أو نقرها نقر الديك.

٦- لرجل من الذين يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا.

٧- أو قد تحدث لرجل من الأحرار والرهبان من اليهود والنصارى، أو عباد النجوم والكواكب أو عباد الأوثان أو قد تحدث لمشركي الهند واليونان والترك حتى يوهمهم الشيطان بأنهم ينتفعون بعبادتهم وطاعتهم لتلك الآلهة من دون الله، وتكون عبادتهم في الحقيقة إنما هي للشيطان قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِبْرَاهِيمَ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١٦٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [سبأ].

التقرير الخامس:

كرامات أولياء الرحمن:

أما كرامات أولياء الله فسيبها الإيمان والتقوى، وإنما حصلت له بركة اتباعهم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فأتمروا بما أمر، وانتهوا عما نهى، فأيدهم الله بملائكته، وبروح منه، فكانت الكرامة بشارة لهم في الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿أَلَا

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ أَنْ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٩﴾ [يونس].

وهي تعطى بحسب حاجة الرجل:

✽ فقد تعطى لرجل عظيم الدرجة عند الله فيجري الله على يديه من الخوارق ما يساعده على تبيان الحق للناس، فتساعده على هداية الخلق بإذن الله تعالى.

✽ وقد تعطى لرجل متوسط الدرجة عند الله ولكنه موحد التوحيد الصحيح حتى تزيد من إيمانه وتثبته على طريق الحق.

✽ وقد يعطيها الله تبارك وتعالى لولي من أوليائه محتاج حتى تسد حاجته.

✽ وقد لا تعطى الكرامة لرجل عظيم الدرجة عند الله لغناه عنها لا لنقص في درجته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة.

وهذه الكرامات والخوارق للعادات إن استعان بها الولي على ما يحبه الله ويرضاه ازداد رفعة وقرباً من الله، وإن استعان بها على ما نهى الله عنه ورسوله كالشرك والظلم والفواحش، كان كأمثاله من المذنبين، فيستحق بذلك الذم والعقاب، إلا أن يتداركه الله بتوبة نصوح أو حسنات ماحيات، ولذلك كثيراً ما يعاقب أصحاب الخوارق، تارة بسلبها كما يعزل الملك عن ملكه، وتارة بسلب التطوعات والنوافل منه، فينقل من الولاية الخاصة إلى الولاية العامة، وتارة بسلب العالم علمه، وتارة ينزل إلى درجة الفساق، وتارة يرتد عن الإسلام وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية فإن كثيراً من هؤلاء من يرتد عن الإسلام إلا أن تتداركه رحمة الله فيبعث الله له رفقة من الربانيين الذين يعرفونه طريق الكتاب والسنة، وكثير منهم لا يعرف أن هذه الخوارق شيطانية بل يظنها من كرامات أولياء الله.

- ولما كانت الخوارق كثيراً ما تنقص بها درجة الرجل، كان كثير من الصالحين من يتوب من مثل ذلك وكانت تعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها وإن أعطيت

له، فلا يقف عندها، ولا يجعلها همته، ولا يتبجح بها مع ظنه بأنها كرامة من الله.
من كرامات الصحابة والتابعين:

❁ فهذا أبو بكر لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وقدم لهم طعامًا وكان يتناول لقمة إلا ربًا من أسفلها أكثر منها، فشبعوا، وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامراته؛ فإذا هي أكثر مما كانت فرفعها إلى رسول الله ﷺ، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا. وهي قصة ثابتة في الصحيحين^(١).

❁ هذا عمر بن الخطاب لم أرسل جيشًا أمر عليهم رجلًا يسمى سارية، فبينما عمر يخطب أخذ يصيح على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل الجبل، ولما قدم رسول الجيش إلى المدينة سأله عمر فقال: يا أمير المؤمنين! لقينا عدوًا فهزمونا فإذا بصائح: يا سارية الجبل يا سارية الجبل فأسندنا ظهورنا إلى

(١) رواها البخاري (٦٠٢، ٣٥٨١)، ومسلم (١٧٦/٢٠٥٧) بلفظ: أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا نَاسًا فَقَرَاءَ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَرَّةً: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَلَاثَةٍ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ، أَوْ كَمَا قَالَ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ وَانْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ بِعَشْرَةٍ وَأَبُو بَكْرٍ بِثَلَاثَةٍ قَالَ: فَهُوَ وَأَنَا وَأَبِي وَأُمِّي وَلَا أَذْرِي هَلْ قَالَ وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ بَيْنَ بَيْنِنَا وَيَتِيمٌ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعِشَاءُ ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى نَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ؟ أَوْ قَالَتْ: ضَيْفُكَ، قَالَ: أَوْ مَا عَشِيَّتِهِمْ؟ قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى نَجِيءَ قَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ فَعَلَبُوهُمْ قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا فَاسْتَبَأْتُ وَقَالَ: يَا غُنْثَرُ فَجَدَّعَ وَسَبَّ وَقَالَ: كُلُّوْا لَا هَنِيئًا وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا قَالَ: فَأَيْمُ اللَّهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبًّا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا قَالَ: حَتَّى شَبِعْنَا وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرَ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتُ بَنِي فِرَاسٍ مَا هَذَا؟ قَالَتْ: لَا وَقُرَّةَ عَيْنِي لَيْهِ الْآنَ أَكْثَرَ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مِرَارٍ قَالَ: فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ يَعْنِي يَمِينَهُ، ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَضْبَحَتْ عِنْدَهُ قَالَ: وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ فَمَضَى الْأَجَلَ فَعَرَفْنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنَا نَسَّ اللَّهُ أَعْلَمَ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ إِلَّا أَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُمْ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ.

الجليل فهزمهم الله... وقد روى هذه القصة البيهقي بسند حسن^(١).

✽ وهذا أسيد بن حضير عندما قرأ سورة البقرة نزل عليه من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته، وعندما قرأ سورة الكهف تغشته سحابة تظله، هذا قد ورد في صحيح البخاري^(٢).

✽ وهذا خبيب بن عدي كان أسيرًا عند المشركين بمكة شرفها الله، فكان يُأتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة واحدة. وقصته في البخاري^(٣).

✽ وهذه أم أيمن... خرجت مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء، فكادت تموت من العطش، فلما كانت وقت الفطر، وكانت صائمة سمعت صوتًا على رأسها فرفعته فإذا هو دلو معلق فشربت منه حتى رويت، وما عطشت بقية عمرها.

✽ وهذا سفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله، فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده^(٤).

(١) رواه البيهقي في الدلائل (١/١٨١/٣).

(٢) ذكره البخاري في صحيحه تعليقًا في كتاب فضائل القرآن باب نزل السكينة والملائكة عند قراءة القرآن. وللحديث شاهد في صحيح مسلم (٢٤٠/٧٩٥).

(٣) صحيح، جزء من حديث طويل رواه البخاري (٣٠٤٥، ٣٩٨٩) عن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي بلفظ: «وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَّاضٍ أَنَّ بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ أَنََّّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ فَأَخَذَ ابْنًا لِي وَأَنَا غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ قَالَتْ فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ فَقَرَعَتْ فَرَعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ تَحْشِينَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قُطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمُوتِقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللَّهِ رَزَقُهُ خُبَيْبًا».

(٤) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وهو كما قال، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٩٤٩).

❁ وهذا البراء بن مالك: كان إذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه، فلما كان يوم القادسية قال: (أقسمت عليك يا رب لما منحنا أكتافهم، وجعلتني أول شهيد، فمنحوا أكتافهم، وقُتل البراء شهيداً).

❁ وهذا سعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة، وما دعا قط إلا استجيب له، وهو الذي هزم الله به جنود كسرى، وفتح العراق.

❁ وهذه الزيرة لما عُذبت في الله على الإسلام -أي: لأنها أسلمت- فأبت إلا الإسلام فذهب بصرها، قال المشركون: أصاب بصرها اللات والعزى، قالت: كلا والله، فرد الله عليها بصرها.

❁ وهذا أبو مسلم الخولاني، فقد طلبه الأسود العنسي، لما ادعى النبوة، فقال له: أتشهد أنني رسول الله؟ قال: لا أسمع، قال أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، فأمر بنار، فألقي فيها فوجدوه قائماً يصلي وقد صارت عليه برداً وسلاماً، وقد قدم المدينة بعد موت النبي ﷺ، فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل إبراهيم خليل الله، وقد وضعت له جاريته السم في طعامه فلم يضره، وقد خبيت امرأة عليه زوجته، فدعا عليها فعميت، وجاءت وتابت، فدعا لها فرد الله عليها بصرها.

❁ وهذا عامر بن قيس، كان يضع في كفه ألفي درهم، وما يلقاه سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد، ثم يجيء إلى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها. ومر بقافلة قد حبسهم الأسد، فجاء حتى مس بشيابه الأسد، ثم وضع رجله على عنقه وقال: إنما أنت كلب من كلاب الرحمن وإني أستحي من الله أن أخاف شيئاً غيره، ومرت القافلة، وقد دعا الله تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء له بخار.

❁ وهذا أويس القرني لما مات وجدوا في ثيابه أكفاناً لم تكن معه من قبل ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد في صخرة، فدفنوه فيه، وكفنوه في تلك الأثواب.

❁ وهذا عبد الله بن زيد أصابه الفالج، فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده.

❁ وهذا الأحنف بن قيس لما مات، وقعت قلنسوة رجل في قبره، فأهوى ليأخذها، فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر.

وهذا باب واسع يطول الكلام فيه .. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد سيد رسله وأنبيائه.



الخوف

اعلموا أحبائي في الله أن العبد لن يذوق حلاوة الإيمان وطعم الصدق واليقين حتى تخرج الجاهلية كلها من قلبه، ولو تحقق هذا في نفس العبد لرموه الناس جميعًا عن قوس واحدة .. ولن يذوق العبد حلاوة الصدق واليقين حتى يتخلى عن جميع حظوظ نفسه، فلا تطرب أذنه لمدح، ولا تضطرب من ذم فيصبح مدح المادحين وقدح القادحين سواء .. ومن قرب قربانًا فتقبل منه ليس كمن رُدَّ عليه قربانه، فبقاء نفسك معها بحظوظها تطرب للمدح وتضطرب من الذم ولم تخبت للأدلة الشرعية دليل على أنه لم يتقبل منك قربانك.

وحتى تصل إلى هذه المرحلة من الإخبات إلى الله عز وجل، لا بد لك من حادٍ يحدو الأرواح إلى الجنة وبلاد الأفراح ويحجزها عن النيران ومعصية الرحمن، وهذا الحادي هو سوط الخوف الذي ذلل القلوب لعلام الغيوب، ولذلك فمنزلة الخوف من الله عز وجل منزلة شمر لها السالكون وتنافس فيها المتنافسون.

الخوف أربعة أنواع:

١- الخوف الطبيعي: كالخوف من عدو أو سبع أو هدم أو غرق، وهذا لا يُدم،

وهذا هو الذي ذكره الله في حق موسى في كتابه العزيز فقال تعالى:

﴿فَرَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [الفصل: ٢١].

٢- خوف السر: وهو أن تخاف أحدًا غير الله من الأحياء والأموات أن يصيبك

بمشيئته وقدرته بفقر أو قتل أو قطع رزق، فالأرزاق بيد الخلاق، وخسئ أحد

على وجه الأرض أن يملك لك نفقًا أو ضرًا.

❀ واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك،

واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد

كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه

اللَّهُ عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف.


❀ فلا يملك النفع والضرر إلا الله، ولا يملك الخفض والرفع إلا الله، ولا يملك العطاء والمنع إلا الله فالله هو الخافض الرافع، الضار النافع، المعطي المانع فلا رافع لمن خفض، ولا خافض لمن رفع، ولا نافع لمن ضر، ولا ضار لمن نفع، ولا مانع لمن أعطى، ولا معطي لمن منع.


قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ١١٧﴾ [يونس] ولذلك لما خَوْفَ المشركون إبراهيم - على رسولنا وعليه أفضل الصلاة والسلام - بالهتهم ماذا قال: ﴿وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام].


ولما خَوْفَ قوم عاد أخاهم هودًا بالهتهم فقالوا: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٍّ﴾ [هود: ٥٤] قال هود على رسولنا وعليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ وَآشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٦﴾ [هود].

وهذا النوع من خوف السر؛ هو الواقع اليوم من عباد القبور؛ فإنهم يخافون الأولياء والصالحين أو من يزعمون بأنهم من الأولياء والصالحين كخيفتهم لله بل أشد، ويحبونهم كحبهم لله بل أشد، ويتوكلون عليهم كتوكلهم على الله بل أشد بل ويدعونهم من دون الله في طلب رزق أو كشف ضر أو شفاء مريض أو إغناء ذوي الفاقات أو معافاة أصحاب العاهات والبلیات، ويسألون أولياءهم من دون الله تفريج الكربات، وإغاثة اللّهفات، تجمد أحدهم يصلي إلى قبلة وليه كما يصلي إلى


قبلة الله، ويطوف بقبره كما يطاف ببيت الله، ويقرب له القرايين كما تقرب القرايين لله، والله لو سألت أحدهم أن يقسم يمينًا بالله لأعطاك من الأيمان ما شئت كاذبًا كان أو صادقًا، أما إذا سألته أن يقسم يمينًا بحياة صاحب التربة لم يقدم على اليمين إن كان كاذبًا، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين، ولذلك فخوف السر لا يجوز تعلقه بغير الله.

٣- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا الخوف من الناس:  وهذا محرم شرعًا.

 قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]. ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾: والمعنى عند جميع المفسرين: أي يخوفكم بأوليائه، فيعظمهم في صدوركم وبالتالي لا تجاهدونهم ولا تأمرونهم بمعروف ولا تنهونهم عن منكر، ولذلك قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

 فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان وكلما ضعف قوي خوفه منهم.
وما أحسن ما قيل:

إذا صح منك الود يا غاية النسي فكلُّ الذي فوق التراب تراب

فكيف يقدم العبد على تقديم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب؟ أم كيف يلتمس رضا من هو تراب بسخط الملك الوهاب، إن هذا لشيء عجاب!  فحقيق وجدير بالعبد الموحد لله ألا يؤثر رضا الناس على رضا رب الناس؛ الذي قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمة الأمور معقودة بقضائه وقدره، الملك فلا شريك له، الفرد فلا ندَّ له، والصمد فلا صاحبة له ولا ولد له، الذي شملت قدرته كل شيء ووسعت رحمته كل شيء، وسَّعت نعمته إلى كل حي، كل شيء هالك إلا وجهه، وكل ملك زائل إلا ملكه، وكل فضل

منقطع إلا فضله، وكل ظل قالص إلا ظله، يطاع فيشكر، ويُعصى فيتجاوز ويغفر، كل نعمة منه فضل وكل نعمة منه عدل، أخذ بالنواصي وسجل الآثار وكتب الآجال.

❀ ولذلك أيها الأخ الحبيب يجب عليك أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر وأن تصبر على ما أصابك؛ فإن ذلك من عزم الأمور؛ فإن الشجاعة لا تقصر عمراً، والجن لا يطيل عمراً؛ فاصدع بالحق أينما كنت ولا تخشى في الله لومة لائم، فوالله الذي لا إله إلا هو لو ردت كلمة سفيه إلى فيه لسعد بها رادها كما شقي بها قائلها فالله كريم يحب الكرماء، سخي يحب الأسخياء، عليم يحب العلماء، قوي يحب الشجعان، وأحب الخلق إليه من عامل خلقه بمقتضى صفات الله ﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، جاء في الحديث: «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»^(١).

٤- الخوف من وعيد الله الذي توعد به العصاة:

❀ وهو أعلى مراتب الخوف، وهذا الذي قطع قلوب الصحابة والتابعين، وتابعيهم إلى يوم الدين.

❀ فعليك أيها الأخ الحبيب أن تخشى وعيد الله الذي توعد به العصاة بشرط ألا يوقعك هذا الخوف في اليأس والقنوط من رحمة الله، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا الخوف ما حجزك عن معاصي الله فما زاد على ذلك فأنت غير محتاج إليه.

❀ ولذلك فالمؤمن يطير إلى الله بجناحين أحدهما جناح الخوف والآخر جناح

(١) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٠٨).

الرجاء، ومطلوب من العبد المؤمن أن يكون عنده جناح الخوف في الدنيا أقوى من جناح الرجاء حتى يكون حاجزاً له عن معاصي الله، وحاديًا به إلى الجنة وبلاد الأفراح أما إذا شعر المؤمن بأنه يعيش اللحظات الأخيرة التي سيودع فيها دنيا الناس، وشعر بأنه قد اقتربت منيته فلا بد أن يكون جناح الرجاء عنده أقوى من جناح الخوف لقول النبي ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يَثَابَتْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

أخرج الترمذي في جامعه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقلت: أهي الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا تقبل منهم؛ أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون»^(٢).

والنبي ﷺ يقول: «مَنْ خَافَ أَذْلَجَ وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»^(٣).

أدلج: أي سار من أول الليل وبادر بالأعمال الصالحة خوفاً من القواطع والعوائق التي تحول بينه وبين سلعته الله ألا إن سلعته الله الجنة.

فبادر أيها الأخ الحبيب بالأعمال الصالحة قبل أن تعتريك القواطع والعوائق وقبل أن يقابلك قطاع الطرق إبليس والدنيا، ونفسك والهوى كيف الخلاص وكلهم أعداؤك فيحولون بينك وبين سلعته الله.

(١) صحيح، رواه مسلم (٨١/٢٨٧٧).

(٢) رواه الترمذي في الجامع الصحيح (٣٢٢٥).

(٣) صحيح، رواه الترمذي (٢٤٥٠)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٢٢).

❖ ولذلك كان النبي ﷺ إذا دخل إلى الصلاة يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل.

❖ ومن تأمل حياة الصحابة والتابعين يجد أنهم قد جمعوا بين غاية العمل وغاية الخوف من مكر الله، أما نحن والعياذ بالله فقد جمعنا بين غاية التقصير، وغاية الأمن من مكر الله، ولذلك كلما زاد علم العبد بربه ازداد خوفه ثم ازداد عمله، وكلما ازداد جهل العبد بربه ازداد أمنه ثم ازداد تفريطه في جنب الله، فانظر إلى حياة الصحابة والتابعين كيف جمعوا بين غاية العمل وغاية الخوف:

❖ فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: (وددت لو أني شعرة في جنب عبد مؤمن)، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل.

❖ وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قرأ سورة الطور حتى بلغ قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور] فأخذ يرددّها ويكي حتى مرض وعادوه، وكان في وجهه خيطان أسودان من كثرة البكاء، ولما طعن قال لابنه عبد الله وهو في اللحظات الأخيرة التي سيودع فيها دنيا الناس: (ويحك ضع خدي على الأرض عساه أن يرحمني)، ثم أخذ يقول: (ويل أُمي إن لم يغفر لي) ثلاثاً. وقال لحذيفة بن اليمان الذي أعطاه رسول الله ﷺ أسماء المنافقين: يا حذيفة، استحلفك بالله هل ذكرني رسول الله ﷺ في المنافقين؟ فقال حذيفة: لا ولا أزكي بعدك أحداً فسمعه ابن عباس فقال: يا أمير المؤمنين مضّر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوحات وتقول: إنك في المنافقين فقال عمر: (وودت أن أنجو لا أجز ولا وزر).

❖ وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان إذا وقف على القبر يكي حتى تبتل لحيته ويقول: لو أنني بين الجنة والنار، ولا أدري إلى أيتهما أصير، لاخترت أن أكون رماً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

❖ وها هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قد سلم من صلاة الفجر وقد علّته كآبة فأخذ يقلب يده ويقول: لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ، فلم

أَرَّ اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون سُعثًا صفرًا غبرًا بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا سجدًا وقيامًا يتلون كتاب الله، يراوحون بين جباههم وأقدامهم؛ فإذا أصبحوا فذكروا الله، تبادوا كما يمد الشجر في يوم الريح، والله فكأنني بالقوم باتوا غافلين فما رُوي رحمه الله بعد ذلك ضاحكًا حتى ضربه ابن ملجم.

✽ وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما كان يقول: ابكوا فإن لم تبكوا فتبأكوا، فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته، وصلى حتى ينكسر صلبه.

✽ وها هو الحسن البصري عالم التابعين؛ كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه، وإذا جلس فكأنما هو أسير أمر بقطع رقبته، وإذا ذكرت النار فكأنما لم تخلق إلا له.

✽ وها هو زرارة بن أبي أوفي قاضي البصرة صلى بالناس الفجر بسورة المدثر قرأ: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ۝ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝﴾ [المدثر]، فأخذته شهقة فمات.

✽ وها هو الإمام الشافعي، وقد دخل عليه فقير بن مسكين في مرض موته فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها، وأنشد يقول:

ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلماً
تعاظمني ذنبي، فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً

ولذلك لو أننا نعلم حق العلم ما نحن لاقون بعد الموت، لما أكلنا طعاماً على شهوة، ولما شربنا شرباً على شهوة، ولما استمتعنا بالنساء على الفرش، ولما دخلنا بيتاً نستظل به ولخرجنا إلى الصعدات نضرب على صدورنا ونبكي على أنفسنا.

فضل الصلاة على النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] قال البخاري قال أبو العالية: صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، وقال ابن عباس: (يصلون: يركون).

والمقصود من هذه الآية، كما ذكر ابن كثير في تفسيره: (إن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى؛ بأنه يثني عليه عند الملائكة، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين).

❁ في هذه الآية يأمرنا الله أن ندعو للرسول ﷺ ونصلي عليه لا أن ندعوه من دون الله، أو نقرأ له الفاتحة كما يفعل بعض الناس والجهال.

❁ أفضل صيغة للصلاة على رسول الله هي ما علمها لأصحابه حين قال لهم: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(١).

❁ هذه الصلاة وغيرها من الصلوات الواردة في كتب الحديث وكتب الفقه المعتمدة لم تذكر فيها كلمة (سيدنا) التي يزيدها الكثير من الناس، علماً أن الرسول ﷺ سيدنا؛ ولكن التقيد بكلام الرسول واجب.

❁ وقال ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا؛ ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣٧٠، ٤٧٩٧، ٦٣٥٧)، ومسلم (٦٦/٤٠٦)، وأبو داود

(٩٧٦)، والترمذي (٤٨٣)، والنسائي (١٢٨٧-١٢٨٩)، وابن ماجه (٩٠٤).

مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» (١)، ودعاء الوسيلة الوارد عن الرسول ﷺ هو: «اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الثَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ» (٢).

والصلاة على النبي مطلوبة عند الدعاء لقوله ﷺ: «كل دعاء محجوب حتى يصلى فيه على النبي ﷺ» (٣)، وقال ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبْلِغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ» (٤).

الصلاة على النبي مطلوبة ولاسيما يوم الجمعة، وهي من أفضل القربات، والتوسل بها مشروع عند الدعاء، لأنها من العمل الصالح، فنقول: اللَّهُمَّ بِصَلَاتِي عَلَى نَبِيِّكَ فَرج عني وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

نسمع كثيرًا من صيغ الصلاة على النبي مبتدعة، لم ترد في كلام الرسول وصحابته، والتابعين والأئمة المجتهدين، بل هي من وضع بعض المشايخ المتأخرين، وقد راجت هذه الصيغ بين العوام وأهل العلم، فأخذوا يقرأونها أكثر مما يقرءون الصلوات الثابتة عن النبي ﷺ، ولو أمعنا النظر في هذه الصلوات لرأينا فيها مخالفة لهدى الرسول الذي نصلي عليه.

ومن هذه الصلوات المبتدعة قولهم:

١- (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ طَبِ الْقُلُوبِ وَدَوَائِهَا، وَعَافِيَةِ الْأَبْدَانِ وَشَفَائِهَا، وَنُورِ الْأَبْصَارِ وَضِيَائِهَا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ)، إن الشافي والمعافي

(١) صحيح، رواه مسلم (١١/٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤)، والنسائي (٦٧٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦١٤، ٤٧١٩).

(٣) حسن، رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٢٧٨)، حسنه الألباني في الصحيحة (٢٠٣٥).

(٤) صحيح، رواه النسائي (١٢٨٢)، صحيحه الألباني في مشكاة المصابيح (٩٢٤)، وأحمد

في المسند (٤١٩٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن السائب وغير زاذان فهما من رجال مسلم.

للأبدان والقلوب والعيون هو الله وحده، والرسول ﷺ لا يملك النفع لنفسه ولا لغيره فهذه الصيغة تخالف قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ويخالف قوله ﷺ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرْتُ النَّصَارَى ابْنُ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(١)، ومعنى الإطراء: هو مجاوزة الحد أو الزيادة.

٢- جاء في كتاب (فضل الصلوات)، لشيخ لبناني صوفي كبير هذه الصيغة: (اللهم صل على محمد حتى نجعل منه الأحدية القيومية) فالأحدية والقيومية من صفات الله التي لا تجوز لمخلوق، وقد جعلها هذا الشيخ لرسول الله، وكأنه أصبح إلها يوصف بهما.

٣- جاء في كتاب (أدعية الصباح) لشيخ سوري كبير قوله: (اللهم صل على محمد الذي خلقت من نوره كل شيء)، والشيء يشمل آدم والقردة والخنازير والأصنام فهل يقول عاقل بأنهم خلقوا من نور محمد؟! لقد عرف الشيطان خلقه وخلق آدم حين قال في القرآن: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] فهذه الآية تكذب كلام الشيخ وتبطله.

٤- ومن هذه الصيغ المبتدعة قولهم: (الصلوة والسلام عليك يا رسول الله، ضاقت حيلتي فأدركني يا حبيب الله) الجزء الأول من هذه الصلاة صحيح، ولكن الخطر والشرك في الجزء الثاني، وهو قوله: (أدركني يا حبيب الله) وهذا مخالف لقول الله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وقوله: ﴿وَإِنْ يَعْصِكَ اللَّهُ يَصْرِفْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، والرسول نفسه كان إذا أصابه هم أو غم قال: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»^(٢).

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) حسن، رواه الترمذي (٣٥٢٤)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٧٧).

فكيف يجوز لنا أن نقول له أدركنا ونجنا؟! وهذه الصيغة مخالفة لقوله ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١).

٥- صلاة الفاتح: وصيغتها: (اللهم صل على محمد الفاتح لما أغلق...)، وقائلها يزعم أن من يقرأها أفضل له من قراءة القرآن بستة آلاف مرة، ونقل ذلك عن الشيخ أحمد التيجاني رئيس الطريقة التيجانية!! إنها لسفاهة أن يعتقد العاقل فضلاً عن المسلم أن قراءة هذه الصيغة المبتدعة أفضل من قراءة كلام الله مرة واحدة، فضلاً عن ستة آلاف، وهل يقول ذلك عاقل أو مسلم!!

وأما وصف الرسول ﷺ بالفاتح لما أغلق على إطلاقه دون تقييده بمشيئة الله فهو خطأ؛ لأن الرسول ﷺ لم يفتح مكة إلا بمشيئة الله، ولم يفتح قلب عمه للإيمان به، بل مات على الشرك والقرآن يخاطب الرسول قائلاً: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

٦- يقول صاحب دلائل الخيرات في الحزب السابع: (اللهم صل على محمد ما سجدت الحمائم، ونفعت التمام) والتميمة هي الخرزة ونحوها التي تعلق للحماية من العين، ولا تنفع، بل هي من أعمال المشركين. قال ﷺ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٢)، فهذه الصيغة تخالف الحديث، وتجعل الشرك والتميمة قرابة إلى الله.

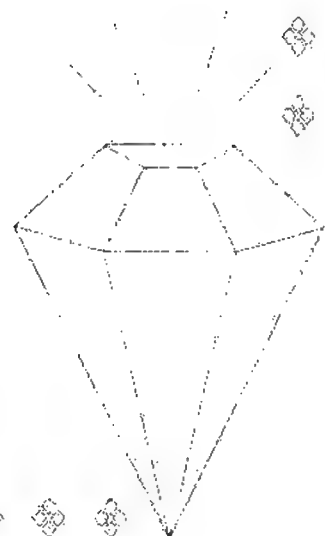


(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٥١٦)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧)، وأحمد في المسند (٢٦٦٤، ٢٧٥٨) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

(٢) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٦٩٦٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

الركن الثاني من أركان الإيمان

الإيمان بالملائكة



عالم الملائكة

خلق الملائكة:

الملائكة: جمع ملائكة، نقلت حركة الهمزة فيه إلى الساكن قبله، ثم حذفت الألف تخفيفاً فصارت ملكاً، وهو مشتق من كلمة الألوكة التي هي الرسالة، والجمع ملائك وملائكة، وعددهم لا يحصيه من دون الله أحد، خلقهم الله من النور، وطبعهم على الخير، فهم لا يعرفون الشر، ولا يأمرون به، ولا يأتونه، ولا يفعلونه، فلذا هم لربهم مطيعون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرهم ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، ولا يسأمون من عبادة الله ولا هم عنها يستكبرون، أخبر الرسول ﷺ عن مادة خلقهم فقال: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(١)، هذا فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران]، وإلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر].

تفاضل الملائكة:

والملائكة يتفاضلون في القرب من الله تعالى، وعلو المنزلة كالبشر أو هم أكبر تفضلاً فمنهم الملائكة المقربون لقوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] ومنهم من دون ذلك، عليهم السلام أجمعين.

أعمال الملائكة:

من وظائف الملائكة وأعمالهم التي أناطها الله تعالى بهم عبادة له وطاعة:

١- جبريل عليه السلام: ويسمى روح القدس أيضاً، وصفه الله عز وجل بالقوة

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٠/٢٩٩٦).

والأمانة في قوله تعالى في سورة التكويد: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكويد]، وخصه بأشرف وظيفة، وهي السفارة بينه تعالى وبين رسله عليهم السلام فكان ينزل بالوحي كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشراء]. وصح عن النبي ﷺ أنه رافقه في أعظم رحلة تمت في الوجود وهي إسراء النبي ﷺ ومعراج، فرافقه عليه السلام من مكة إلى المسجد الأقصى، ومنه إلى سدرة المنتهى في الملكوت الأعلى، وقصة الإسراء والمعراج ثابتة في القرآن الكريم وفي الصحيحين^(١).

٢- ميكائيل: وظيفته التي وكل بها المطر والنبات.

٣- إسرافيل: ووظيفته التي وكل بها النفخ في الصور يوم القيامة ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ نَّظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

٤- ملك الموت: وهو موكل بقبض الأرواح، وله أعوان من الملائكة لقوله تعالى:

﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة].

٥- أعوان ملك الموت وهم صنفان: ملائكة رحمة، وملائكة عذاب وهم مع

ملك الموت المقصودون بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ

رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

٦- حملة العرش: عرش الرحمن عز وجل ويكون عددهم ثمانية يوم القيامة

لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ

بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧]، ولقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ

فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

(١) إشارة إلى حديث الإسراء والمعراج، رواه البخاري (٣٤٩، ٣٣٤٢، ٣٥٧٠)، ومسلم

(٢٥٩/١٦٢)، والترمذي (٣٣٤٦)، والنسائي (٤٤٨-٤٥٠).

٧- رضوان: وعمله الذي وكل به خزانة الجنان، فهو رئيس خزانة الجنة ورئيس الخدم بها.

٨- خدم الجنة وخزنتها: وهم ملائكة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى ووظيفتهم خدمة أهل الجنة قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) [الرعد].

٩- الزبانية: وهم تسعة عشر ملكاً وكلهم الله تعالى بالنار، فهم خزانها يعذبون فيها أهلها قال تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٣١﴾ [الدثر]، ورئيس هؤلاء الخزنة يدعى (مالكاً)، قال تعالى في الحديث عن أهل النار: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾ (٧٧) لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَاذِبُونَ ﴿٧٨﴾ [الزخرف].

١٠- الكرام الكاتبون: وعملهم كتابة أعمال البشر، وإحصاؤها عليهم، فعلى يمين كل مكلف ملك يكتب صالح أعماله، وعن يساره ملك يكتب سيئات أعماله، قال تعالى: ﴿إِذْ يَنْلَقَى الْمُسْلِمُونَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (٤) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿٥﴾ [ف]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ [الانفطار].

وفي الحديث الصحيح: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَتَضَعُ أَمَامَهُ فَإِنَّمَا يُتَاجَى اللَّهُ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا وَلِيَتَضَعُ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ فَيُدْفِنُهَا»^(١)، وإن قيل: كيف يصق عن يساره وكاتب السيئات عن يساره؟ قيل: إن المؤمن في الصلاة لا يفعل سوءاً قط فلذا ينضم كاتب السيئات إلى كاتب الحسنات إذ الصلاة أُمُّ الحسنات ولا سيئة فيها.

(١) صحيح، رواه البخاري (٤١٦) واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه، (٤٠٩، ٤١١، ٤١٤)، ومسلم (٥٢/٥٤٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

١١- الحفظة: وعملهم حفظ الإنسان من الجن، والشيطان، والإنس والهوام والعاهات والآفات قال تعالى: ﴿لَمْ مُعَقِّبْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: (ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خلّوا عنه). تفسير ابن كثير.

وقال مجاهد: (يحفظونه في نومه ويقظته من الجن والإنس، والهوام)^(١).
 ١٢- الملك الموكل بالرحم: لحديث البخاري ومسلم واللفظ له: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ نُطْفَةٍ، أَيُّ رَبِّ عَلَقَةٍ، أَيُّ رَبِّ مُضْغَةٍ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا قَالَ: قَالَ الْمَلَكُ: أَيُّ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»^(٢).
 ١٣- ملك الجبال: وهو ملك وكله الله بالجبال لحديث البخاري ومسلم: «فَتَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ»^(٣).

١٤- الملائكة السّياحون: وهم ملائكة سياحون في الأرض يبلغون سلام أمة محمد وصلاتها على نبيها ﷺ لحديث أحمد وهو صحيح الإسناد: «إِنَّ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»^(٤).

١٥- ملائكة الدعاء: وعملهم الذي وكلوا به أن العبد إذا دعا بدعاء لأخيه المؤمن وهو غائب قال الملك: «آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ»، لحديث مسلم: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ

(١) اللؤلؤ والمرجان (٣/٢٠٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣١٨)، مسلم (٥/٢٦٤٦).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٣٢٣١) واللفظ له، ومسلم (١١١/١٧٩٥).

(٤) صحيح، رواه النسائي (١٢٨٢)، صحيحه الألباني في مشكاة المصابيح (٩٢٤)، وأحمد في المسند (٤١٩٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن السائب وغير زاذان فهما من رجال مسلم.

المُسْلِمِ لِأَخِيهِ يَظْهَرُ الْغَيْبُ مُسْتَجَابَةً عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ^(١).

١٦- السجل: قال السدي في تفسير ابن كثير في قوله تعالى في سورة الأنبياء:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، والسجل هو ملك موكل بالصحف؛ فإذا مات الإنسان رفع كتابه إلى السجل فطواه ورفعته إلى يوم القيامة، كذلك جاء عن ابن عمر أن السجل اسم ملك.

١٧- منكر ونكير: وعملهما سؤال العباد في قبورهم عن الرب تعالى والدين

والنبي ﷺ، أي يقولان له: من ربك؟ ما دينك؟ ومن نبيك؟ لحديث الترمذي وهو حسن الإسناد، وأصله في الصحاح فيه: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ التَّكْوِينُ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنُومَةِ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَذْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيَقَالُ لِلْأَرْضِ: الْبُكْمِي عَلَيْهِ فَتَلْسِمُ عَلَيْهِ فَتُخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ^(٢).

هذا وإذا تتبعنا الآثار الواردة في أعمال الملائكة ملاحظين الآيات القرآنية الدالة على

الملائكة وأعمالهم مثل قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ [الصافات: ١]، ﴿فَالزَّجْرَاتِ﴾ [الصافات: ٢]،

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٧٣٣/٨٨).

(٢) حسن، رواه الترمذي (١٠٧١)، حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٢٤).

﴿فَالْتَلَيْتِ﴾ [الصفات: ٣]، ﴿وَالْتَرَعَتِ﴾ [الشراعات: ١]، ﴿وَالْتَنَشِطْتَ﴾ [النارعات: ٢]، ﴿فَالْمُدَبَّرَاتِ﴾ [الشراعات: ٥]، ﴿فَالْمَقْسِمَاتِ﴾ [المديرات: ٤]... لقننا بصدق إن الكون كله علويه وسفليه قد أنيط أمر تديره بالملائكة، وذلك بإذن ربهم تعالى، ويضاف إلى ذلك أن النبي ﷺ قال: «أُطِّتُ السَّمَاءُ وَحَقٌّ لَهَا أَنْ تَنْطُ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ»^(١).

ملاحظة:

- ✽ الصفات: الملائكة تصف أنفسها في الصلاة وأجنحتها في الهواء.
- ✽ الزاجرات: الملائكة التي تزجر السحاب أي: تسوقه حيث يأذن الله.
- ✽ التاليات: الملائكة التاليات للقرآن ذكرًا.
- ✽ النارعات: الملائكة التي تنزع نفوس الكفار والفجار بشدة عند الموت.
- ✽ الناشطات: قيل هي الملائكة التي تنشط نفس المؤمن فتقبضها كما ينشط الرجل الدلو من البئر (ويكون هذا النشاط برفق ويسر).
- ✽ المدبرات: الملائكة التي تدبر أمور الدنيا بإذن من لدن الله الحكيم الخبير.
- ✽ السابقات: الملائكة التي تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

بعض صفات الملائكة:

١- حيائهم:

إن الملائكة تستحي استحياء يليق بحالها، إذ قد صح أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أَسْتَجِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَجِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»^(٢)، يعني بذلك الرجل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ففي هذا الخبر الصادق الصحيح دليل على أن صفة الحياء من صفات الملائكة.

(١) حسن، رواه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠) حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٤٤٣)، وأحمد في المسند (٢١٠٠٥) وقال الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد منقطع.

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٤٠١/٢٦).

٢- تأذيتهم مما يتأذى منه بنو آدم:

إن الملائكة تتأذى من المكروه كما يتأذى منه الإنسان لحديث مسلم: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى بِمَا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»^(١) ... ولحديث الصحيحين أيضا «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا خُورَةٌ»^(٢)، فعدم دخولهم البيت الذي فيه الكلب أو صورة كراهية منهم لهما دليل على تأذيتهم من هذا المكروه.

٣- تنزههم عن الأعراض البشرية:

إن الملائكة منزهون عن الأعراض البشرية كالجوع والمرض والأكل والنوم والتعب وما إلى ذلك، فقد جاء في القرآن ما يدل على ذلك لدلالة الالتزام، إذا أخبر تعالى عنهم: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١]، ولازم ذلك أنهم لا ينامون، ولا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتعبون.

٤- خوفهم من الرب تبارك وتعالى:

إن الملائكة يخافون من الله تعالى، أثبت ذلك الخبر القرآني في مثل قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٤٩] يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون [نحل] وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

٥- طاعتهم لله تعالى:

إن الملائكة مطيعون لله تعالى لا يعصونه بحال من الأحوال، وذلك لقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [الشورى: ٦]. وقوله: ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [٢٢] لَا يَسْقُونَهُ إِلَّا لِقَوْلِ رَبِّهِمْ يَفْعَلُونَ [الأنبياء: ٢٧].

(١) صحيح، رواد مسلم (٧٤/٥٦٤)

(٢) صحيح، رواد البخاري (٣٢٢٥، ٣٣٢٢، ٤٠٠٣، ٥٩٤٩)، ومسلم (٨٣/٢١٠٦)،

(٨٤) واللفظ لهما، وأبو داود (٤١٥٥)، والترمذي (٢٨٠٤)، والنسائي (٤٢٨٢)،

(٥٣٤٧، ٥٣٤٨، ٥٣٥٠)، وابن ماجه (٣٦٤٩).

٦- حبهم لمن يحب ربهم:

إن الملائكة تحب حبًا يليق بحالهم، وحسب ذواتهم، فقد دل الدليل الشرعي على أنهم يحبون، ففي حديث الصحيحين: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأُحِبُّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأُحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»^(١).

٧- دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم للتائبين:

إن الملائكة ليدعون ربهم ويسألونه كما قال تعالى عنهم: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر].

٨- لعنهم لمن لعنه الله تعالى:

إنهم ليلعنون من لعنه ربهم، سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة].

٩- عظم خلقهم وتفاوتهم فيه:

إن خلق الملائكة لعظيم، وهم يتفاوتون فيه تفاوتًا كبيرًا، فقد صح في الصحيحين أن لجبريل عليه السلام ستمائة جناح، فعن ابن مسعود رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ»^(٢)، في حين أن من الملائكة من له جناحان فقط كما قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر].

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢٠٩) واللفظ له، ومسلم (١٥٧/٢٦٣٧)، والترمذي (٣١٦١).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (٢٨٠/١٧٤).

روى أبو داود بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: «أُذِنَ لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمئة عام يقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت»^(١).

أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان:

تقدم أن الله سبحانه لم يطلعنا على شيء من غيبه إلا وفيه نعمة عظيمة على الخلق، وكان من فضله جل وعلا علينا، أن عرفنا بهذه المخلوقات الكريمة... والإيمان بالغيب الذي وصف به المتقون، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي صُنْدُقِ الْمَنَّةِ﴾ (البقرة: ٢) رَّبِّ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ [البقرة].

وللإيمان بالملائكة آثار عظيمة في حياة المؤمن^(٢):

منها: أن الله سبحانه جنبنا بما أطلعنا من أمر هذه الأرواح المؤمنة الوقوع في الخرافات والأوهام التي وقع فيها من لا يؤمنون بالغيب، ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الإلهي.

ومنها: الاستقامة على أمر الله عز وجل؛ فإن من يستشعر بقلبه وجود الملائكة جنود الرحمن، ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله، وشهادتهم على كل ما يصدر عنه ليستحي من الله ومن جنوده فلا يخالفه ولا يعصيه، لا في العلانية، ولا في السر، إذ كيف له ذلك وهو يعلم أن كل شيء محسوب ومكتوب ومشهود عليه.

ومنها: الصبر، ومواصلة الجهاد في سبيل الله تعالى، وعدم اليأس والشعور بالأنس والطمأنينة، فهذه المعاني من لوازم الإيمان بالملائكة، وما أخبر الله من أفعالها

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٨٥٣)، وفي الحديث إشارة إلى حديث أبي داود (٤٧٢٧)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٨٥٤). ولفظه: «أُذِنَ لي أن أحدث عن ملك من مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعَ مِائَةِ عَامٍ».

(٢) انظر كتاب الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين صفحة (٤٦-٤٧).

وأحوالها، فعندما يضل الركب عن الطريق، وتسود الجاهلية الجهلاء ويصبح المؤمن غريباً في وطنه، وبين أهله وقومه، ويجد منهم الصدود والاستهزاء، والتخذيل والتبسيط عن طاعة الله والاستقامة على أمره، في هذه الغربة يجد المؤمن أنيساً ورفيقاً، يصحبه ويرافقه ويواسيه، ويصبره، ويطمئنه، ويشجعه على مواصلة السير على درب الهدى، فهذه جنود الله معه تعبد الله كما يعبد، وتتجه إلى خالق السماوات والأرض كما يتجه، وتبارك خطواته، وتشد من أزره، وتذكره بالخير عند ربه فهو إذا ليس وحده في الطريق إلى الله، ولكن يسير مع الركب العظيم، ومع الأكثرية من مخلوقات الله عز وجل مع الملائكة الكرام، ومع الأنبياء عليهم السلام، ومع السماوات والأرض فهو الأكثر رفيقاً وهو الأقوى سنداً، فتجعله هذه مشاعر الصادقة صابراً مطمئناً، لا يزيده صدود الناس إلا ثباتاً وجهاداً.

فانظر يا أخي، كم أنعم الله علينا بخلق الملائكة، وكم أنعم علينا بالإيمان مما له أثر الأثر في قلوبنا وأعمالنا واستقامة حياتنا... والإيمان بهم تصديق لكتاب الله، ورسوله الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. أهـ.



عالم الجن والشیاطین

تعريف وبيان

ما هو الجن: الجن عالم آخر غير عالم الإنسان والملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك ومن حيث التكليف ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان، وشقوا جنًا لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون ﴿إِنَّهُمْ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

أصلهم:

أخبرنا الله جل وعلا أن الجن قد خلقوا من النار في قوله: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [٧] [أخرج] وفي سورة الرحمن: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ [١٥] [الرحمن]، وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وغير واحد في قوله: ﴿مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ [الرحمن] طرف اللهب، وفي رواية خالصة وأحسنه^(١).

وقال النووي في شرحه على مسلم: (المارج اللهب المختلط بسواد النار)، وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة عن النبي ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(٢).

متى خلقوا:

لا شك أن خلق الجن متقدم على خلق الإنسان لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [٢١] وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ [٧] [أخرج]، فقد نُصَّ في الآية أن الجان مخلوق قبل الإنسان، ويرى بعض السابقين أنهم خلقوا قبل الإنسان بألفي عام وهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة.

(١) البداية والنهاية (٥٩/١).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦٠/٢٩٩٦).

أسماء الجن في لغة العرب:

قال ابن عبد البر: الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب:

- ١- فإذا ذكروا الجن خالصًا قالوا: جني.
- ٢- فإذا أرادوا أنه مما يسكن مع الناس، قالوا: عامر والجمع عمّار.
- ٣- فإذا كان مما يعرض للصبيان قالوا: أرواح.
- ٤- فإذا خبت وتمرد قالوا: شيطان.
- ٥- فإن زاد خطره على ذلك وقوي أمره قالوا: مارد وعفريت. والعفريت أشد عتوًا من المارد.

أصناف الجن:

يقول الرسول ﷺ في هذا: «الجن ثلاثة أصناف فصنف لهم أجنحة يطفرون بها في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون»^(١).

أدلة وجود الجان والشيطان:

والآن نورد الأدلة والبراهين المثبتة لوجود الجن والشياطين بالآثار والأخبار:
أولاً: الآثار المرئية:

- إن الآثار الدالة على وجود الجن والشياطين كثيرة جدًا وحسبنا منها ما يلي:
- ١- الصرع بالأرواح الخبيثة الذي لا يكاد يخلو منه زمان ولا مكان والذي ينكره قليلو الحظ من العلم ومن اتخذ الزندقة فضيلة.
 - ٢- تكلم الجان على لسان الشخص الذي يحل فيه، وإخباره بأمر لم يكن الإنسان المصاب به يعرفها، حتى إن بعضهم ليتكلم بلغات لم يكن المصاب يعرف منها حرفًا واحدًا.

(١) صحيح، رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٢١٥)، والحاكم في المستدرک (٢/٤٩٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣١١٤).

٣- خروج الجن من الإنسان الذي حل فيه، بعد رقيه بالرقى المشروعة من ذوي الأرواح الطيبة، والنفوس الزكية، أو بالرقى المحرمة من ذوي الأرواح الخبيثة من البشر ممن يوالون الشياطين، ويتعاونون معهم، وتصريح الجن بالخروج وعدم العودة.

٤- ظهور بعض الجان لبعض الناس، ومخاطبتهم إياهم وهذا أيضًا متواتر الأخبار بحيث يعد إنكاره غباء وجهالة، أو مكابرة وجحودًا.

٥- الجرائم التي يرتكبها الإنسان بين الناس من فعل قوم لوط، وزنا، وقتل نفس، وسرقة، وشرب خمر، وعقوق، وكذب، وخلف للوعد، ونكث بالعهد، كل هذه الجرائم التي تتنافي مع الفطر البشرية، والشرائع الإلهية هي بدون شك آثار للشياطين، إذ هي التي تحسنها للإنسان وتزينها له وتغريه بارتكابها.

ثانيًا: الأخبار:

إنَّ الأخبار الإلهية والنبوية الصادقة والناطقة بوجود الجن والشياطين لكثيرة جدًا، فلنكتف بذكر طائفة منها، ولنبدأ بأخبار الله تعالى:

١- أخبار الله تعالى: أخباره تعالى المصراحة بوجود الجن والشياطين كثيرة منها:

❁ قوله تعالى في خلق الإنسان والجان: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ١٢ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ١٣﴾ [الرحمن].

❁ وقوله في بيان العلة في خلقه للإنس والجن: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥١ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ٥٢﴾ [الذاريات].

❁ وقوله في الإخبار عن شياطين الجن وشياطين الإنس يوحى بعضهم إلى بعض الباطل والكذب، لتضليل الناس، وإغوائهم بالفتن والشور ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

❁ وقوله تعالى في الإخبار بما امتنَّ به على عبده ورسوله سليمان عليه السلام،

وتسخير الجن والشیاطین له، حیث کان یستخدمهم علیه السلام فی شتی الأعمال والأغراض ﴿وَمَنْ أَلْجَىٰ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿١٣﴾ یعملون له ما یشاء من محارب وتمثیل وحفان کالجواب وقدور راسیت ﴿[سبا: ١٢-١٣]﴾.

❁ وقوله تعالى فی الإخبار عن جن نصیبین الذین حضروا صلاة الصبح مع الرسول علیه الصلاة والسلام فی بطن نخلة (مكان بین مكة والطائف) وكيف رجعوا إلى قومهم یدعونهم إلى الإیمان بالرسول ﷺ وینذرونهم بما یرتب على عدم إیمانهم من العذاب الالم ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴿[الأنعام: ١٢٠-١٢١]﴾.

❁ وقوله تعالى فی أمر رسول الله ﷺ بأن يخبر بما أوحى إليه من استماع الجن لقراءته، والذي دار بين الجن من أحاديث عجيبة، تحوي حقائق مذهشة عظيمة من الجن، وعقائدهم، وأعمالهم وأحوالهم فی كذا آية من سورة الجن ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١-٢].

وقوله تعالى فی الأمر بالاستعاذة من الشيطان فی عدة آيات:

❁ منها ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

❁ ومنها ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠].

❁ ومنها ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾

مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥ [نفس].

٢- أخبار الرسول ﷺ: وهي كثيرة منها:

❁ قوله ﷺ في الإخبار عن اثنين من الجن والذي وكل بكل إنسان: «مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(١).

❁ وقوله في الإخبار عن دخول الشيطان مع الإنسان بيته. وتناوله من طعمه وشرابه وذلك من رواية مسلم: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَمَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَذْرَكْتُمْ مَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ صُعُوبِهِ قَالَ: أَذْرَكْتُمْ مَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»^(٢).

❁ وقوله في النهي عن الأكل والشرب بالشمال والتعليل بأكل الشيطان وشربه بشماله: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا»^(٣).

❁ وقوله ﷺ لما سأله الجن انزاد في الحديث الصحيح: «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذِكْرٌ شَبَّهَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ غُلْفٌ لِدَوَابِّكُمْ»^(٤).

❁ ومن هنا نهى رسول الله ﷺ عن الاستجمار بالعظم والروث وقال معلاً النهي: «فَلَا تَسْتَجْمِرُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامٌ إِخْوَانِكُمْ»^(٥).

(١) صحيح، رواد مسلم (٦٩/٢٨١٤).

(٢) صحيح، رواد مسلم (١٠٣/٢٠١٨)، وأبو داود (٣٧٦٥)، وابن ماجه (٣٨٨٧).

(٣) صحيح، رواد مسلم (١٠٦/٢٠٢٠)، وأبو داود (٣٧٧٦)، والترمذي (١١٠٩٩). (١٨٠٠).

(٤) صحيح، جزء من حديث رواد مسلم (١٥٠/٤٥٠)، والترمذي (٣٢٥٨).

(٥) صحيح، جزء من حديث رواد مسلم (١٥٠/٤٥٠)، والترمذي (٣٢٥٨).

❁ وقوله ﷺ في إرشاده لأمته أن تسأل الله تعالى عند سماع صياح الديك وتستعيز من الشيطان عند سماع نهيق الحمار: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيْقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»^(١).

❁ وقوله في الصحيح كذلك: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ»^(٢).

وجوب الإيمان بوجود الجن والشیاطین:

لتلك الأدلة العقلية والفعلية، التي سقناها كان الإيمان بوجود الجن والشیاطین واجبًا حتمًا، بل كان جزءًا من عقيدة المؤمن لا يتجزأ وكل محاولة لإخلاء العقيدة الإسلامية من التصديق بوجود عالمي الجن والشیاطین تعد كفرًا ضراحًا، مُخرجًا من الملة المحمدية لأجل تكذيب الله تعالى في أخباره، وتكذيب الرسول ﷺ وكفى بتكذيب الله تعالى، وتكذيب الرسول ﷺ كفرًا وباطلاً.

مادة خلق الجن:

الجان هو أبو سائر الجن، وهو مخلوق من مادة النار المعروفة، وكان خلقه قبل الإنسان، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ۝ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ۝﴾ [الحجر].

وهل السنة في خلق الجن وذريته كالسنة في خلق آدم وذريته؟ بمعنى أن الجان الأول خلق من نار وأولاده خلقوا بطريقة أخرى كالتناسل محتمل والله أعلم.

لِمَ سمي الجن جنًا؟

سمي الجن جنًا لاجتنانهم وهو استتارهم، وعدم ظهورهم للناس؛ لأن الاجتنان

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣٠٣) واللفظ له، ومسلم (٨٢/٢٧٢٩)، وأبو داود (٥١٠٢)، والترمذي (٣٤٥٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٨٠) واللفظ له، ومسلم (٩٧/٢٠١٢).

هو الاستتار، وهو مأخوذ من جنَّ الليل إذا أظلم، فستر الأشياء بظلامه، ومنه سميت جنة المقاتل وهي الخوذة التي يجعلها على رأسه في الحرب وسميت الجنة دار النعيم جنة؛ لأنها تستر بأشجارها الكثيرة الملتفة من يدخلها كما سمي الجنين في بطن أمه جنينًا لاستتاره ببطن أمه وعدم ظهوره، قال تعالى في الشيطان في سورة الأعراف: ﴿إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

افتقار الجن إلى الغذاء:

إن الجن مفتقر إلى الغذاء المناسب لذواتهم كافتقار سائر الحيوانات والنباتات لأغذيتها المناسبة لها، الدليل على هذه الحقيقة: ما صح من أن الجن سألوا رسول الله ﷺ الزاد فقال لهم: «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا»^(١)، ونهى عن الاستجمار بالعظم، وقال: «فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ»^(٢). كما نهى عن الأكل بالشمال والشرب بها وعلل ذلك بأن الشيطان يأكل ويشرب بشماله، فثبت بهذه الأحاديث الصحيحة المخرجة في البخاري ومسلم أن الجن والشياطين يأكلون ويشربون، وذلك لأجل التغذية اللازمة لهم حسب ذواتهم والطبيعة التي خلقهم الله تعالى عليها.

الجن يتوالدون:

لا شك أن الجن والشياطين تتم بينهم عملية التوالد بحسب طبيعة خلقهم وتكوينهم، وأن لهم سنة في ذلك يتم بحسبها وجود ذرية لهم، كما تتوالد سائر الأحياء، كل على نظام السنة التي جعلها الله تعالى له، ويشهد لهذه الحقيقة القرآن الكريم حيث قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف].

(١) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (١٥٠/٤٥٠)، والترمذي (٣٢٥٨).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (١٥٠/٤٥٠)، والترمذي (٣٢٥٨).

هل بين الجن والشيطان فرق؟

نعم إن بين الجن والشيطان فرقاً كبيراً ... فالجن: نوعان، شياطين لا خير فيهم البتة وهؤلاء لا يعرفون إلا الشر ولا يأمرون إلا به ولا يدعون إلا إليه.

وجن منهم الصالح، ومنهم الفاسد، فحالهم كحال الناس منهم البار ومنهم الفاجر، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، ويبد أن الشياطين أصلهم من الجن، وذلك لأن إبليس كان من الجن لإخبار القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [نكف: ٥٠].

ولما أبلس الشيطان وطُرد من الرحمة الإلهية، وانقطع من الخير كلية، كانت ذريته مثله بحكم الوراثة، لا خير فيهم أصلاً، فلا يعرفون إلا الشر، ولا يدعون إلا إليه. والمثل القريب لذلك أن الحية لا تلد إلا حية، فلم يطرأ على نسلها منذ أن كانت تغيير بحيث تلد أولاداً، لا شئ فيهم ولا خبث معهم، ثم إن كل من يخبث ويتعمد وينقطع عن الخير من أفراد الجن والإنسان يصبح شيطاناً، فإن عتا قيل فيه مارد، وإن زاد عتوه وطغايته قيل فيه عفريت.

وقد أثبت القرآن العظيم هذه الحقائق كلها، إذ جاء فيه أن من الجن شياطين، ومن الإنس شياطين، قال تعالى: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، كما جاء فيه أن من الجن صالحين وذلك في قوله تعالى فيما حكاه عن الجن من سورة الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا﴾ [الجن].

ولذلك فمنهم المسلم، ومنهم المشرك، ومنهم السني، ومنهم البدعي، ومنهم اليهودي والنصراني، ومنهم الرافضة والمرجئة والمعتزلة وغيرهم.

هل الجن والشياطين يتشكلون؟

لا شك أن الجن كالشياطين يتشكلون بأشكال مختلفة، ويتلونون تنوعاً كبيراً. وهذا دل عليه السمع والمشاهدة، وهو من الإمكانيات الجائزة عقلاً، إذ تصور

وجودها لا يوجب تناقضًا عقليًا أبدًا.

فقد يتشكل في صورة إنسان أو في صورة حية أو صورة حيوان: جمل أو حمار أو بقرة أو كلب أو قط، خاصة الكلاب السود ولذا أخبر الرسول ﷺ: أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة، وعلل ذلك بأن الكلب الأسود شيطان^(١).

يقول ابن تيمية: (الكلب الأسود شيطان الكلاب والجن تتصور بصورته كثيرًا، وكذلك بصورة القط الأسود؛ لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة).

ومن الأخبار الدالة على تشكل الجان بأشكال متعددة ما يلي:

١ - مجيء الشيطان إبليس إلى دار الندوة في مكة ورجال قريش مجتمعون فيها للتشاور في أمر النبي محمد ﷺ ودعوته الإسلامية التي أظهرها فيهم، فتحيروا فيها وعظم عليهم أمرها، فاجتمعوا يبحثون عن مخرج لهم سب، ولو كان قتل النبي ﷺ أو حبسه، أو نفيه، فبينما هم كذلك دخل عليهم أنشيطان في صورة رجل كبير محترم من رجالات نجد ومشايخها الموقرين، وشارك في اجتماعهم ومداولاتهم، ورجح لهم اقتراحًا حاز أغلبية الأصوات وهو أسوأ اقتراح تقدم به إنسان وأقبحه، وأكثره شرًا وفسادًا، ألا وهو الحكم بقتل الرسول ﷺ، فهذه الحادثة متواترة لا مجال للشك فيها فضلًا عن إنكارها وجحودها^(٢).

(١) إشارة إلى حديث رواه مسلم (٢٦٥/٥١٠) عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قام أحدكم يصلي فإنه يشتره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرجل؛ فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرجل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود، قلت: يا أبا ذر ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال: يا ابن أخي سألت رسول الله ﷺ كما سألتني، فقال: «الكلب الأسود شيطان».

(٢) ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (٣/١٧٥-١٧٦)، وابن هشام في السيرة (٢/١٠٢-١٠٣).

٢- وقد جاء الشيطان المشركين يوم بدر في صورة سراقه بن مالك، ووعده المشركين بالنصر، وفيه أنزل: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، ولكن عندما التقى الجيشان وعان الملائكة تنزل من السماء ولي هاربًا .. ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ [الأنفال: ٤٨].

٣- تشكل جان من جنان المدينة النبوية في صورة حية، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كَانَ فِيهِ فَتًى مِّنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُزْسٍ قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ فَإِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْكَ قُرَيْظَةً، فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَايِنِ قَائِمَةٌ فَأَهْوَىٰ إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَىٰ إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَضَمَهَا بِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ فَمَا يُدْرِي أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمْ الْفَتَى؟ قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا: ادْعُ اللَّهَ يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَادْنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»^(١).

٤- تشكل شيطان في صورة إنسان، وسرقته من ثمر الصدقة كما جاء في حديث أبي هريرة عند البخاري، إذ فيه ما معناه أن أبا هريرة جعله رسول الله ﷺ على حراسة ثمر الصدقة فكان الجان يأتيه في صورة إنسان ويأخذ

(١) صحيح، رواه مسلم (١٣٩/٢٢٣٦) واللفظ له، وأبو داود (٥٢٥٦، ٥٢٥٧).

من تمر الصدقة، فقبضه، وأراد أن يوقع به فاعتذر اللعين فتركه، ثم أتى للمرة الثانية والثالثة، وعندما عزم أبو هريرة على أن يذهب به إلى رسول الله ﷺ غير أن الشيطان اعتذر كذلك بأن له عيالاً، وأنه مضطر، وطلب من أبي هريرة أن يعفو عنه، على أن يعلمه آية من كتاب الله من قرأها فإن الشيطان لا يقربه، وهذه آية الكرسي، فعفا عنه وتركه، ولما قابل أبو هريرة رسول الله ﷺ بادره النبي ﷺ قائلاً: ما فعل أسيرك البارحة؟ فقال له أبو هريرة: كان من أمره كذا وكذا ... فقال له النبي ﷺ: صدقك وهو كذوب!!!^(١).

أين يسكن الجان؟

الغالب في الجن والشياطين أنهم يسكنون الخرائب، والحشوش، والمزابيل، والقمامم لحديث أبي داود: «إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْحَلَاءَ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»^(٢).

ومن هنا كانت الشياطين تنزل على أخبات الرجال والنساء من أهل الآثام والأفاكين، الملوئين بالذنوب والجرائم العظام، قال تعالى من سورة الشعراء: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢٢﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٣﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرَهُمْ كَذِبُوتٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الشعراء].

هل الجن تسترق السمع من الملاء الأعلى؟

نعم إن الله تعالى أعطى الجن والشياطين قدرة على العروج إلى الملكوت الأعلى فلذا هم يعرجون كما تعرج الملائكة من الأرض إلى السماء، ويسترقون السمع من الملائكة، ويهبطون به إلى الأرض، ومن كان له ولي من الإنس يقضي به إليه،

(١) رواه البخاري تعليقاً في كتاب الوكالة مجزوماً به.

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٦)، وابن ماجه (٢٩٦)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٢٦٣)، وأحمد في المسند (١٨٨٠٠، ١٨٨٤٤، ١٨٨٤٥) وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين وهذا حديث تفرد به قتادة واختلفوا عليه فيه.

ليحدث به الناس، فيفتنهم، ويغويهم، ويشهد لهذه الحقيقة ويشبها ما قصه الله تعالى في كتابه وحكاية عن الجن أنفسهم في قوله من سورة الجن: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ (٨) ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسْمَعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَحْدُ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا﴾ (٩) ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (١٠) [إخنا].

كما يؤكد هذه الحقيقة حديث البخاري، الذي فيه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الْأُمُورَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَشْرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوجِّهِهِ إِلَى الْكُفَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» (١).

الجن أقل قدرًا وأدنى كرامة من الإنسان:

إن الجن حتى الصالحون منهم لأقل قدرًا وأدنى كرامة، وأنقص شرفًا من الإنسان، إذ قرر الخالق عز وجل كرامة الإنسان، وأثبتها في قوله من سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْلِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) [الإسراء].

ولم يثبت مثل هذا التكريم للجان لا في كتاب من كتب الله، ولا على لسان رسول من رسله عليهم السلام، فتبين بذلك أن الإنسان أشرف من الجان، ويدل على ذلك أيضًا شعور الجن بأنفسهم بنقصهم، وضعفهم أمام الإنس، يدل على ذلك أنهم كانوا إذا استعاذ الإنس بهم تعاضموا وترفعوا ما في استعاذة الإنس بهم من تعظيمهم، وإكبارهم وهم ليسوا كذلك فيزدادون رهقًا أي: طغيانًا وكفرًا. قال تعالى في الحديث عنهم من سورة الجن: ﴿وَأَنْتُمْ كَانُمْرًا مِنْ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِ مَنْ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (١) [إخنا].

هل صالحو الجن يدخلون الجنة؟

قد سبق أن قررنا فيما تقدم، وبيننا بوضوح أنَّ الجن غير أولاد إبليس خُلِقُوا لعبادة الله تعالى وطاعته، وشأنهم في ذلك شأن بني الإنسان، وأن منهم الصالحين ومنهم دون ذلك، وعليه فالصالحون منهم، وهم أهل الإيمان والتقوى يدخلون الجنة، ويتنعمون فيها إن هم ماتوا على الإيمان والتوحيد والتقوى والعمل الصالح.

والدليل على هذه الحقيقة عمومات قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء]. وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح].

فكلمة (مَنْ) من ألقاظ العموم فيدخل فيها كل من حقق الشرط الذي قُرِنَ بها من إنس وجن. ويتلقى الجزاء وهو المغفرة والجنة كل من حقق الشرط من إنسي وجني. وأصرح في الدلالة من هذا قوله تعالى من سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن] في سياق ذكر الإنس والجن معًا.

هل الجن يؤذون الناس؟

مما لا شك فيه أن بعض الجن يؤذون بعض الناس، إما لكون الإنسان قد تعرض لهم بالأذى فأذاهم بصب ماء حار عليهم، أو ببوله عليهم أو بنزوله في بعض منازلهم وهو لا يشعر، فينتقمون منه ويؤذونه، وإما لمجرد الظلم من بعضهم، فيؤذون الإنسان بدون سبب كما يحدث ذلك بين الإنسان وأخيه الإنسان، إذ أحيانًا يؤذي الإنسان أخاه لسبب خاص، وأحيانًا لمجرد الظلم، كما هو مشاهد في الناس عند

فساد فطرهم، وضعف إرادتهم وعقولهم، وقد تقدم حديث الصحيح وجاء فيه أن الشاب الأنصاري لما طعن الجني المتمثل في صورة حية، ما ماتت الحية حتى انتقم منه الجن وقتلوه فمات لفوره حتى قال أبو سعيد: (لم يدر أيهما كان أسرع موتاً من صاحبه الحية أم الفتى) (١).

ولشهرة هذه الحقيقة وتسليم الناس بها لا نطلب لها إبراز شواهد أخرى ونكتفي بحادثة الأنصاري الثابتة في صحيح مسلم.

جنان البيوت:

تشكل الجان بشكل الحيات وتظهر للناس، ولذا نهى رسول الله ﷺ عن قتل جنان البيوت، خشية أن يكون هذا المقتول جنياً قد أسلم، ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَادِّبُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَأَ لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ» (٢).

وقد قتل أحد الصحابة حية من حيات البيوت، فكان في ذلك هلاكه، روى مسلم في صحيحه: «أَنَّ أَبَا الشَّائِبِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ فَسَمِعْتُ تَحْرِيكَ فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ فَالْتَفَتُ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبْتُ لِاقْتُلَهَا فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ فَقَالَ: أَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةً، فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَايِنِ قَائِمَةٌ فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (١٣٩/٢٢٣٦) واللفظ له، وأبو داود (٥٢٥٦)، (٢) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (١٣٩/٢٢٣٦) واللفظ له، وأبو داود (٥٢٥٦)، وقد سبق ذكر الحديث بطوله.

لِيَطْعَنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمَحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمَحِ فَانْتَضَمَهَا بِهِ ثُمَّ خَرَجَ، فَرَكَّزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ فَمَا يُدْرِي أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمْ الْفَتَى؟ قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا: ادْعُ اللَّهَ يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جَنًّا قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَادْنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَأَ لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ^(١).

تنبيهات ...

- ١- هذا الحكم، وهو النهي عن قتل هذه الحيوانات خاص بالحيات دون غيرها.
- ٢- وليس كل الحيات، بل الحيات التي نراها في البيوت دون غيرها، أما التي تُشاهد في خارج البيوت فنحن مأمورون بقتلها.
- ٣- إذا رأيت حيات البيوت فنؤذنها أي نأمرها بالخروج، كأن نقول: أقسمت عليك بالله أن تخرجني من هذا المنزل، وأن تبعدي عنا شرك وإلا قتلناك .. فإن رؤيت بعد ثلاثة أيام قتلت.
- ٤- والسبب في قتلها بعد ثلاثة أيام أننا نكون قد تأكدنا أنها ليست جنًّا مسلمًّا؛ لأنها لو كانت كذلك لغادرت المنزل؛ فإن كانت أفعى حقيقة فهي تستحق القتل، وإن كانت جنًّا كافرًا متمردًا فهو يستحق القتل، لأذاه وإخافته أهل البيت.
- ٥- يستثنى من جنان البيوت نوع يقتل بدون استئذان، ففي صحيح البخاري عن أبي لبابة أن الرسول ﷺ قال: «لَا تَقْتُلُوا الْجِنَّانَ إِلَّا كُلَّ أَبْتَرٍ ذِي طُفَيْتَيْنِ فَإِنَّهُ يُشْقِطُ الْوَلَدَ وَيُذْهِبُ الْبَصَرَ فَاقْتُلُوهُ»^(٢)، والأبتر: قصير الذنب ... والطفيتان: خطان أبيضان على ظهر الحية.

(١) صحيح، رواه مسلم (١٣٩/٢٢٣٦) واللفظ له، وأبو داود (٥٢٥٦، ٥٢٥٧).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٣١١) واللفظ له، ومسلم (١٢٨/٢٢٣٣)، وأبو داود (٥٢٥٢)، وابن ماجه (٣٥٣٥).

ضعفهم وعجزهم:

الجن والشياطين فيهم جوانب قوة، وجوانب ضعف، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [البقرة: ٧٦]، وسنعرض لبعض هذه الجوانب التي عرفنا الله ورسوله بها.

الشیطان یجرى من ابن آدم مجرى الدم في العروق:

في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ»^(١).

وفي الصحيحين عن صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَتْهُ أُرُورَةُ بِنْتُ لَيْلَى فَحَدَّثَتْهُ ثُمَّ قُمْتُ فَأَتَلْتُ فَقَامَ مَعِيَ لِيُثَلِّثَنِي وَكَانَ مَسْكُونًا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ أَمْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى رِسْنِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُورِبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا»^(٢).

لا سلطان لهم على عباد الله الصالحين:

له يعطى الرب سبحانه - الشيطان - القدرة على إجبار الناس. وإكراههم على الضلال، ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الزمر: ١٦]. ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوَفِّي بِالْآخِرَةِ وَمَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ [سبا: ٢١]، ويعني ذلك أن الشيطان ليس له طريق يتسلط به عليهم لا من جهة الحجة، ولا من جهة القدرة، والشيطان يدرك هذه الحقيقة، قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٣٩] إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ [الحج: ٤٠].

(١) صحيح، رواد مسلم (٢٣/٢١٧٤) واللفظ له، وأبو داود (٤٧٩١).

(٢) صحيح، رواد البخاري (٢٠٣٥، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٣١٠١، ٣٢٨١، ٦٢١٩،

(٧١٧١)، ومسلم (٢٤/٢١٧٥)، وأبو داود (٢٤٧٠، ٤٩٩٤)، وابن ماجه (١٧٧٩).

إِنَّمَا يَتَسَلَّطُ عَلَى الْعِبَادِ الَّذِينَ يَرْضَوْنَ بِكُفْرِهِ، وَيَتَابِعُوهُ عَنْ رِضَا وَطَوَاعِيَةٍ ﴿١٨٣﴾ إِنَّا عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٨٤﴾ [حجاء] وفي يوم القيامة يقول الشيطان لأتباعه الذين أضلهم وأهلكهم ﴿١٨٥﴾ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴿١٨٦﴾ [رومية ٢٢: ٢٢] وفي الآية الأخرى: ﴿١٨٧﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٨٨﴾ [نحله].

والسلطان: هو تسلطه عليهم بالإغواء والإضلال .. وتمكنه منهم، بحيث يؤزهم على الكفر والشرك ويزعجهم إليه، ولا يدعهم يتركونه كما قال تعالى: ﴿١٨٩﴾ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَهُّمًا أَرَأَيْتُمْ أَتَوَهُّمًا .. ومعنى تؤزهم: تحركهم وتهيجهم.

وسلطان الشيطان على أوليائه ليس له فيه حجة وبرهان وإنما استجابوا له بمجرد دعوته إياهم، وما وافقت أهواءهم وأغراضهم، فهم الذين أعانوا على أنفسهم، ومكنوا عدوهم من سلطانه عليهم بموافقته ومتابعته، فلما أعطوا بأيديهم، واستأسروا له سُلْطَ عَلَيْهِمْ عَقُوبَةُ لَهُمْ، فأنه لا يجعل للشيطان على العبد سلطاناً، حتى جعل له العبد سبيلاً إليه بطاعته والشرك به، فجعل الله حينئذ له عليه تسلطاً وقهراً.

وقد يسلط على المؤمنين بسبب ذنوبهم:

ففي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْقَاضِي مَا لَهُ يَجُزُّ فَإِذَا جَارَ تَخَلَّى عَنْهُ وَزَيَّمَهُ الشَّيْطَانُ» (١).

وقد حدثنا الله في كتابه عن شخص آتاه الله آياته، فعلمها، وعرفها ثم ترك ذلك كله، فسلط عليه الشيطان فأغواه وأضله، وأصبح عبدة تروى، وقصة تتناقل ﴿١٩٠﴾ وَأَقْلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٩١﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَفُتِلَهُ ﴿١٩٢﴾

(١) حسن، رواه الترمذي (١٣٣٠)، وابن ماجه (٢٣١٢)، حسنه، الألباني في صحيح الترغيب

كَمَثَلِ الْكَذَّابِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ [الأعراف]، واضح أن هذا مثل لمن عرف الحق وكفر به كاليهود الذين يعلمون أن محمداً مرسل من ربه، ثم هم يكفرون به، أما هذا الذي عناه الله هنا، فقال بعضهم: هو بلعام بن باعورا، كان صالحاً ثم كفر، وقيل: هو أُمَيَّة بن أَبِي الصَّلْت من المتألهين في الجاهلية أدرك الرسول ﷺ ولم يؤمن به حسداً، وكان يرجو أن يكون هو النبي المبعوث، وليس عندنا نص صحيح يعرفنا بالمراد من الآية على وجه التحديد.

وهذا الصنف (الذي يؤتى الآيات ثم يكفر) صنف خطير به شبه من الشيطان؛ لأن الشيطان كفر بعد معرفته الحق ولقد تخوف الرسول ﷺ من هذا النوع على أمته، روى الحافظ بن أبو يعلى عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن، حتى إذا رؤيت بهجته عليه وكان ردأؤه الإسلام اعتراه إلى ما شاء الله، ثم انسلخ منه، ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك» قال: قلت: يا نبي الله، أيهما أولى بالسيف: المرمي أو الرامي؟ قال: «بل الرامي»^(١). وقال ابن كثير: وهذا إسناد جيد.

خوف الشيطان وهربه من بعض عباد الله:

إذا تمكن العبد في الإسلام، ورسخ الإيمان في قلبه، ووقف عند حدود الله فإن الشيطان يفرق منه ويفرّ منه، كما قال الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفْرُقُ مِنْكَ يَا عُمَرُ»^(٢).

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/٢٥٢)، ورواه البزار في مسنده (١٧٥) من طريق: حدثنا محمد ابن مرزوق والحسن بن أبي كبشة، حدثنا محمد بن بكر البرساني به، قال الهيثمي في المجمع (١/١٨٨): إسناده حسن.

(٢) صحيح، رواه أحمد في المسند (٢٢٤٨٠) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي، وانظر صحيح الجامع الصغير للشيخ الألباني (١٦٥٤).

وقال أيضاً: «إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ قَدْ فَرَّوْا مِنْ عُمَرَ»^(١).
وليس ذلك خاصاً بعمر؛ فإن من قوي إيمانه يقهر شيطانه ويذله كما في الحديث: «إِنَّ
الْمُؤْمِنَ لَيُنْضِي شَيَاطِينَهُ كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ»^(٢). ومعنى ينضي - وفي
لفظ: ينصي - شيطانه ليأخذ بناصيته فيغلبه ويقهره كما يفعل بالبعير إذا شرد ثم غلبه.

تسخير الجن لسليمان عليه السلام:

سخر الله لنبيه سليمان في جملة ما سخر الجن والشياطين، يعملون له ما يشاء
ويعذب ويسجن العصاة منهم ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۝
وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۝﴾^(٣٧) وَاخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝^(٣٨) [صا].
وقال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ
مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذَرُهُ ۖ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝﴾^(٣٩) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحْرِبٍ
وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ ۝

وهذا التسخير على هذا النحو استجابة من الله لعبده سليمان عندما دعاه وقال:
﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥]، وهذه الدعوة هي التي منعت
نبينا محمداً ﷺ من ربط الجنى الذي جاء بشهاب من نار، يريد أن يرميه في
وجهه، ففي صحيح مسلم عن أبي الدرداء قال: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعْنَاهُ
يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ثُمَّ قَالَ: أَلْعَنَكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ ثَلَاثًا وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا،
فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ
نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ؟ قَالَ: إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ جَاءَ
بِشَهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِ قُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ:

(١) صحيح، رواه الترمذي (٣٦٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٩٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (٨٧١٧) وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، فيه ابن لهيعة سيء الحفظ،
كذا قال الأرنؤوط - لم يعله إلا بابن لهيعة - مع أن رواية قتبية بن سعيد عن ابن لهيعة صالحة
كما قرر الأرنؤوط قبل ذلك. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٧٣/١) بلفظ: «لينصي».

أَلْعَنَكَ إِلَهِي الثَّامَةِ فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ وَاللَّهِ لَوْ لَا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوْتَقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلِذَاكَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ»^(١).

وقد تكرر هذا أكثر من مرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «إِنَّ عِفْرِيَّتًا مِنَ الْجِنِّ جَعَلَ يَفْتِكُ عَلَيَّ أَنْبَارِحَةً لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَكَّنَنِي مِنْهُ فَذَعَّيْتُهُ فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطُهُ إِلَى جَنْبِ سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ، أَوْ كُتِلَكُمْ ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [س: ٣٥] فَرَدَّ اللَّهُ خَائِبًا»^(٢).

كذب اليهود على سليمان:

يزعم اليهود وأتباعهم الذين يستخدمون الجن بواسطة السحر أن نبي الله سليمان كان يستخدم الجن بهذه، وقد ذكر غير واحد من علماء السلف أن سليمان لما مات كتبت الشياطين كتب السحر والكفر، وجعلتها تحت كرسیه، وقالوا: كان سليمان يستخدم الجن بهذه، فقال بعضهم: لو أن هذا حق جاز ما فعله سليمان فأُنزل الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [نقرة]، ثم بين أنهم اتبعوا ما كانت تلو الشياطين على عهد ملك سليمان وبرأ سليمان من السحر والكفر ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ

(١) صحيح، رواه مسلم (٤٠/٥٤٢) واللفظ له، والنسائي (١٢١٥).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٤٦١، ١٢١٠، ٣٢٨٤، ٣٤٢٣، ٤٨٠٨)، مسلم (٣٩/٥٤١) واللفظ له.

أَشْرَبَهُ مَا لَمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٢٢﴾ [أنقرة].

عجزهم عن الإتيان بالمعجزات:

لا تستطيع الجن الإتيان بمثل المعجزات التي جاءت بها الرسل تدليلاً على صدق ما جاءت به، فعندما زعم بعض الكفرة أن القرآن من صنع الشيطان قال تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٥﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٦﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [الشعراء]، وتحدى الله بالقرآن الإنس والجن ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿٨٨﴾﴾ [إسراء].

لا يتمثلون بالرسول ﷺ في الرؤيا:

والشياطين تعجز عن التمثل في صورة الرسول ﷺ في الرؤيا، ففي الحديث الذي يرويه الترمذي في سننه بإسناد صحيح: «مَنْ رَأَى فَإِنِّي أَنَا هُوَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِي» (١).

وفي الصحيح بلفظ: «مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى أَحَقَّ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي» (٢). وفي صحيح الجامع الصغير بلفظ: «مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى أَحَقَّ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَرَايَا بِي» (٣).

والظاهر من الأحاديث أن الشيطان لا يترايا بصورة الرسول ﷺ الحقيقية، ولا يمنعه هذا من التمثل في غير صورة الرسول ﷺ ويلقي في روعك بأنه رسول الله، ولذلك فلا يجوز أن يحتج بهذا الحديث على أن كل من ادعى أنه رأى الرسول ﷺ في المنام أنه رآه حقاً، إلا إذا كانت صفته هي الصفة التي روتها كتب الحديث، وإلا فكثير من

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٢/٨٠)، صحيحه الألباني.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٩٩٧).

(٣) صحيحه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦٢٥٣).

الناس يزعم أنه رآه على صورة مخالفة للصورة المروية في كتب الثقات.

لا يستطيعون أن يتجاوزوا حدوداً معينة في أجواء الفضاء:

قال تعالى: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾﴾ فَإِنِّي ءَالِئٌ بِكُمْ تَكْذِبَانَ ﴿٣٤﴾﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ [الرحمن]، فمع قدراتهم وسرعة حركتهم لهم مجالات لا يستطيعون أن يتعدوها، وإلا فإنهم هالكون.

لا يستطيعون فتح باب أغلق وذكر اسم الله عليه:

أخبر بذلك الرسول ﷺ حيث يقول: «أَجِيفُوا الْأَبْوَابَ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا أَجِيفَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ»^(١).

وفي الحديث المتفق عليه: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُّغْلَقًا، وَأَوْكُوا قِرْبَكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا آيَتَكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنَّ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ»^(٢).

وفي مسند أحمد: «أَغْلِقُوا أَبْوَابَكُمْ، وَخَمِّرُوا آيَتَكُمْ، وَأَطْفِئُوا سُرُجَكُمْ، وَأَوْكُوا أَسْقِيَتَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُّغْلَقًا، وَلَا يَكْشِفُ غِطَاءً، وَلَا يَحُلُّ وَكَاءً»^(٣).
الغاية من خلقهم:

خلق الجن للغاية نفسها التي خلق الإنس من أجلها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣٧٣١)، وصححه الألباني، وأحمد في المسند (١٣٨٧١) واللفظ له، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق فقد روى له أهل السنن وقرنه مسلم بغيره.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٥٦٢٣)، ومسلم (٩٧/٢٠١٢).

(٣) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٣٨١٦) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير فطر - وهو ابن خليفة - فقد روى له البخاري مقرونا بغيره وأصحاب السنن وهو ثقة.

فالجن على ذلك مكلفون بأوامر وزواجر، فمن أطاع رضي الله عنه وأدخله الجنة، ومن عصى وتمرد فله النار، يدل على ذلك نصوص كثيرة ففي يوم القيامة يقول الله مخاطبًا كفرة الجن والإنس موبخًا مبكتًا: ﴿يَمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُذِذُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأنعام]، ففي هذه الآيات دليل على بلوغ شرع الله الجن، وأنه قد جاءهم من ينذرهم ويبلغهم. والدليل على أنهم سيعذبون في النار قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ﴾ [الأعراف: ٢٨]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِّنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [مرد: ١١٩].

والدليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة قوله تعالى: ﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَإِيَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرحمن]. والخطاب هنا للجن والإنس؛ لأن الحديث في مطلع السورة موجه إليهما وفي الآية السابقة امتنان من الله على مؤمني الجن بأنهم سيدخلون الجنة ولولا أنهم ينالون ذلك لما امتنَّ عليهم به.

شبهة وجوابها:

يورد بعض الناس شبهة فيقولون: أنتم تقولون أن الجن خلقوا من نار، ثم تقولون إن كافرهم سيعذب في نار جهنم، ومسترق السمع منهم يقذف بشهب من نار، فكيف تؤثر النار فيهم؟ وقد خلقوا منها؟

والجواب: أن الأصل الذي خلقوا منه النار، أما بعد خلقهم فليسوا كذلك، إذ أصبحوا خلقًا مخالفًا للنار، يوضح هذا الإنسان خلق من تراب، ثم بعد إيجاده أصبح مخالفًا للتراب، ولو ضربت إنسانًا بقطعة مشوية من الطين فقد تقتله، ولو رميته بالتراب لآذاه، ولو دفنته فيه فإنه يختنق، مع أنه من تراب إلا أن التراب يؤذيه، فكذلك الجن.

لا نسب بين الجن ورب العزة:

هذا الذي ذكرناه من أن الجن خُلِقَ من خلق الله، وعباد من جملة عبادته خلقهم لطاعته وكلفهم بشرعته، يقضي على الخرافات التي تنشأ عن الانحراف في التصور، وعن ضمور العلم وكثرة الجهل، فمن ذلك ما شاع عند اليهود ومشركي العرب، من أن الله تعالى وتقدس خطب من سروات الجن، وتزوج منهم، وكان الملائكة ثمرة هذا الزواج، وقد حكى الله هذه الخرافة وبين بطلانها ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [انصافات].

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآيات: (قال مجاهد: قال المشركون: الملائكة بنات الله - تعالى الله عما يقولون - فقال أبو بكر رضي الله عنه: من أمهاتهن؟ قالوا: بنات سروات الجن، وبمثل قول مجاهد قال قتادة وابن زيد ... وقال العوفي عن ابن عباس: (زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى - هو إبليس أخوان - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

كيف يُبلغون رحي الله إليهم؟

بما أنهم مكلفون فلا بد أن يبلغهم الله وحيه ويقيم عليهم الحجة، فكيف حصل ذلك؟ هل لهم رسل منهم كما للبشر رسل منهم، أم أن رسلهم رسل البشر؟ إن قوله تعالى: ﴿يَكْمَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، يدل على أن الله أرسل إليهم رسلاً، ولكنها لم تصرح بأن هؤلاء الرسل من الجن أم من الإنس لأن قوله: ﴿مِّنْكُمْ﴾ يحتمل كلا الأمرين وقد اختلف العلماء في ذلك على قولين:

الأول: إن للجن رسلاً منهم، ومن قال بهذا القول الضحاك، وقال ابن الجوزي: هو ظاهر الكلام.

الثاني: أن رسل الجن من الإنس، قال السيوطي في (لقط المرجان): (جمهور

العلماء سلفاً وخلفاً على أنه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبي كذا روي عن ابن عباس ومجاهد والكلبي وأبي عبيد^(١).

ومما يرجح أن رسل الإنس هم رسل الجن قول الجن عند سماع القرآن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ [الأحقاف: ٣٠]، ولكنه ليس نصاً في المسألة، وهذه المسألة لا يبنى عليها عمل، وليس فيها نص قاطع، ولذلك لا ينبغي أن نطيل فيها أكثر من ذلك.

عموم رسالة محمد ﷺ إلى الإنس والجن:

محمد ﷺ مرسل للجن والإنس، يقول ابن تيمية: (وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، وسائر طوائف المسلمين: أهل السنة والجماعة، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين)^(٢)، يدل على ذلك تحدي القرآن الجن والإنس ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقد سارع فريق من الجن إلى الإيمان عندما استمعوا القرآن ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢].

وهؤلاء الذين استمعوا القرآن وآمنوا هم المذكورون في سورة الأحقاف ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢].

(١) لوامع الأنوار (٢/ ٢٢٣-٢٢٤).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٩/ ١٩).

استمعوا إلى القرآن وآمنوا به، ورجعوا دعاة يدعون قومهم إلى التوحيد والإيمان، ويشيرونهم وينذرونهم.

وقصة هؤلاء الذين استمعوا للرسول ﷺ يرويها البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسِلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأُرسِلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث؟ فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنحلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر؛ فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحدا، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] وَإِنَّمَا أَوْحَى إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ»^(١).

شهادتهم للمسلم:

وقد قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال لأبي صعصعة الأنصاري: «إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة. قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ»^(٢)، فقد أخبر أن الجن يشهدون يوم القيامة لمن يسمعون صوت أذانه.

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٧٣، ٤٩٢١)، ومسلم (١٤٩/٤٤٩)، والترمذي (٣٣٢٣).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٩٦).

وفود الجن:

تلك كانت بداية معرفة الجن برسالة محمد ﷺ، استمعوا إلى قراءة القرآن بدون علم الرسول ﷺ فأمن فريق منهم وانطلقوا دعاة هداة، ثم جاءت وفودهم بعد ذلك تتلقى العلم من الرسول ﷺ، وأعطاهم الرسول ﷺ من وقته وعلمهم مما علمه الله وقرأ عليهم القرآن، وبلغهم خبر السماء... وكان ذلك في مكة قبل الهجرة.

أخرج مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده عن علقمة قال: قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هَلْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ مِنْكُمْ أَحَدٌ؟ فَقَالَ: مَا صَحِبَهُ مِنَّا أَحَدٌ، وَلَكِنَّا قَدْ فَقَدْنَاهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقُلْنَا: اغْتِيلَ؟ اسْتُطِيرَ؟ مَا فَعَلَ؟ قَالَ: فَبَيْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ، فَلَمَّا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ -أَوْ قَالَ: فِي السَّحْرِ- إِذَا نَحْنُ بِهِ يَجِيءُ مِنْ قَبْلِ حِرَاءٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَكَّرُوا الَّذِي كَانُوا فِيهِ فَقَالَ: «إِنَّهُ أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَأَتَيْتُهُمْ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ قَالَ: فَاَنْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانِي آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ»^(١).

وفي رواية أحمد عن ابن مسعود: «بت الليلة أقرأ على الجن واقفا بالحجون»^(٢). ومما قرأ عليهم ﷺ سورة الرحمن، يقول ﷺ: «لَقَدْ قَرَأْتُهَا -يعني سورة الرحمن- عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَيَايَا آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن] قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ»^(٣).

ولم تكن الليلة الوحيدة بل تكرر لقاءه ﷺ بالجن بعد ذلك وقد ساق ابن كثير

(١) صحيح رواه مسلم (١٥٠/٤٥٠)، والترمذي (٣٢٥٨)، وأحمد في المسند (٤١٣٨) واللفظ له.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣٩٤٤).

(٣) حسن، رواه الترمذي (٣٢٩١)، حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥١٣٨).

في تفسير سورة الأحقاف الأحاديث التي وردت في شأن اجتماعه بالجن في بعضها أن ابن مسعود كان قريباً من الرسول ﷺ في إحدى تلك الليالي. وقد ورد في بعض الروايات في صحيح البخاري أن بعض الجن الذين أتوه كانوا من ناحية من نواحي اليمن من مكان يسمى (نصيين)، فقد روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أَتَانِي وَفْدٌ جِنِّ نَصِييينَ وَنَعَمَ الْجِنُّ فَسَأَلُونِي الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُتُوا بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا» (١).

دعوتهم للإنس:

وفي بعض الأحاديث الصحاح أن بعض الجن كان له دور في هداية الإنس، ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب، سأل كاهناً في الجاهلية عن: «مَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جَنِّيُّكَ؟ قَالَ: يَتَنَمَّا أَنَا يَوْمًا فِي الشُّوقِ جَاءَتْنِي أَعْرِفُ فِيهَا الْفَزَعَ فَقَالَتْ: أَلَمْ تَرَ الْجِنِّ وَإِبْلَاسَهَا (٢)، وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا (٣)، وَلُحُوقَهَا بِالْقِلَاصِ (٤)، وَأَخْلَاسِهَا (٥)، قَالَ عُمَرُ: صَدَقَ، يَتَنَمَّا أَنَا نَائِمٌ عِنْدَ آلِهَتِهِمْ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِعَجَلٍ فَذَبَحَهُ فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ لَمْ أَسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوْتًا مِنْهُ، يَقُولُ: يَا جَلِيخُ أَمْرٌ نَجِيخُ رَجُلٌ فَصِيخُ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَوَثَبَ الْقَوْمُ قُلْتُ: لَا أَبْرُحُ حَتَّى أَعْلَمَ مَا وَرَاءَ هَذَا ثُمَّ نَادَى: يَا جَلِيخُ أَمْرٌ نَجِيخُ رَجُلٌ فَصِيخُ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقُمْتُ فَمَا نَشِبْنَا أَنْ قِيلَ: هَذَا نَبِيٌّ» (٦).

قال ابن كثير في تفسير سورة الأحقاف بعد أن ساق هذا الحديث: (هذا سياق البخاري، وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب، بنحوه، ثم قال: (وظاهر هذه

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٨٦٠).

(٢) الإبلas: اليأس والحزن والإنكسار.

(٣) والإنكلاس: الضعف والهوان.

(٤) والقلاص: جمع قلوص وهي الناقة الشابة.

(٥) والجلس: ما يوضع فوق ظهر الدابة كالسرج.

(٦) صحيح، رواه البخاري (٣٨٦٦).

الرواية يوههم أن عمر رضي الله عنه بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر في إسلامه، وسائر الروايات تدل على أن هذا الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه، والله أعلم^(١).
ثم قال: (وهذا الرجل -الكاهن- هو سواد بن قارب).

أسباب العداء وتاريخه وشدة هذا العداء:

العداء بين الإنسان والشیطان عداء بعيد الجذور، يعود تاريخه إلى اليوم الذي شكل فيه آدم قبل أن ينفخ فيه الروح، فأخذ الشيطان يطيف به ويقول: لئن سلطت علي لأعصينك، ولئن سلطت عليك لأهلكك.

ففي صحيح مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ أَجُوفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ»^(٢)، فلما نفخ الله في آدم الروح، وأمر الملائكة بالسجود لآدم، وكان إبليس يتعبد الله مع ملائكة السماء فشمله الأمر؛ ولكنه تعاضم في نفسه واستكبر وأبى السجود لآدم ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتُهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

لقد فتح أبونا آدم عينيه؛ فإذا به يجد أعظم تكريم، يجد الملائكة ساجدين له؛ ولكنه يجد عدواً رهيباً يتهدهه وذريته بالهلاك والضلال، وطرد الله الشيطان من جنة الخلد بسبب استكباره، وحصل على وعد من الله بإبقائه حيّاً إلى يوم القيامة ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ٢١ ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ ٢٢ [الحجر].

وقد قطع اللعين على نفسه عهداً بإضلال بني آدم والكيد لهم ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١٦ ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ١٧ [الأعراف]، وقوله هذا يصور مدى الجهد

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٤٥).

(٢) صحيح رواه مسلم (١١١/٢٦١١).

الذي يبذله لإضلال ابن آدم فهو يأتيه من كل طريق ممكن، عن اليمين وعن الشمال، ومن الأمام والخلف أي من جميع الجهات.

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: (ثم لآتينهم من الجهات الأربع التي منها العدو الغالب، وهذا مثل لوسوسته إليهم وتسويله لهم ما أمكنه وقدر عليه كقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجَلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

تحذير الله لنا من الشيطان:

وقد أطل القرآن في تحذيرنا من الشيطان لعظم فتنه، ومهارته في الإضلال، ودأبه وحرصه على ذلك، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَيْكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٧]. وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وعداوة الشيطان لا تحول ولا تزول؛ لأنه يرى أن طرده ولعنه وإخراجه من الجنة كان بسبب آيينا آدم، فلا بد أن ينتقم من آدم وذريته بعده ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]. وأرباب السلوك وعلماء الأخلاق اعتنوا بذكر النفس وعيوبها وقصروا في التعرف على عدوهم اللدود مع أن الله حذرنا منه كثيرا وأمرنا بالاستعاذة منه، ولم يأمر بالاستعاذة من النفس في موضع واحد وإنما جاءت الاستعاذة من شرها في خطبة الحاجة في قوله ﷺ: «وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا»^(١).

أهداف الشيطان:

الهدف البعيد:

هناك هدف وحيد يسعى الشيطان لتحقيقه في نهاية الأمر، وهو أن يلقي الإنسان في الحجيم، ويحرمه من الجنة ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

(١) صحيح، رواه الترمذي (١١٠٥) وصححه الألباني.

الأهداف القرية:

ذلك هو هدف الشيطان البعيد أما الأهداف القرية فهي:

١- إيقاع العبد في الشرك والكفر:

وذلك بدعوتهم إلى عبادة غير الله والكفر بالله وشريعته ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ

لِلْإِنْسَانِ أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر: ١٦].

وروى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار أن النبي ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمُكُمْ مَا جَهِلْتُمْ بِمَا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَا لِي نَحَلُّهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حَتَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَخَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا» (١).

٢- إذا لم يستطع تكفيرهم فيوقعهم في الذنوب:

فإذا لم يستطع إيقاعهم في الشرك والكفر فإنه لا يئأس، ويرضى بما دون ذلك من إيقاعهم في الذنوب والمعاصي، وغرس العداوة والبغضاء في صفوفهم، ففي سنن الترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح: «أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ فِي بِلَادِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا وَلَكِنْ سَتَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِيمَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَسَيَرْضَى بِهِ» (٢). وفي صحيح مسلم وغيره: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّخْرِيشِ بَيْنَهُمْ» (٣). أي: بإيقاع العداوة والبغضاء بينهم وإغراء بعضهم ببعض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٣/٢٨٦٥).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢١٥٩) واللفظ له، وابن ماجه (٣٠٥٥)، صححه الألباني في سنن الترمذي، وسنن ابن ماجه.

(٣) صحيح، رواه مسلم (٦٥/٢٨١٢)، والترمذي (١٩٣٧).

مُنْهَوْنَ ﴿٩٦﴾ [المائدة] وهو يأمر بكل شر ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٨﴾ [البقرة]... وخلاصة الأمر فكل عبادة محبوبة لله فهي بغیضة إلى الشيطان، وكل معصية مكروهة للرحمن فهي محبوبة للشيطان.

٣- صده العباد عن طاعة الله:

وهو لا يكتفي بدعوة الناس إلى الكفر والذنوب والمعاصي بل يصدّهم عن فعل الخير فلا يترك سبيلاً من سبل الخير يسلكه عبد من عباد الله إلا قعد فيه يصدّهم ويميل بهم، ففي الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرَقِهِ فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ: أَتُسَلِّمُ وَتَذُرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَيْلِكَ؟ قَالَ: فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ، فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذُرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطُّولِ^(١)؟ قَالَ: فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، قَالَ: ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ لَهُ: هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ فَتَقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ وَيُقَسِّمُ الْمَالُ، قَالَ: فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَمَاتَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ قُبِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَّتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»^(٢).

ومصدق ذلك في كتاب الله ما حكاه الله عن الشيطان لأنه قال لرب العزة: ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُنِي مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

وعبارات السلف في تفسير الصراط متقاربة، فقد فسرهُ ابن عباس رضي الله

(١) الطول الحبل الطويل، يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه، ويرعى ولا يذهب لوجهه.

(٢) صحيح، رواه النسائي (٣١٣٤)، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٩٩)، وأحمد في المسند (١٥٥٢٨) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

عنهما بأنه الدين الواضح، وابن مسعود بأنه كتاب الله، وقال جابر: الإسلام، وقال مجاهد: الحق.

فالشيطان لا يدع سبيلاً من سبل الخير إلا قعد يصد الناس عنه.

٤- إفساد الطاعات:

إذا لم يستطع الشيطان أن يصدّهم عن الطاعات؛ فإنه يجتهد في إفساد العبادة والطاعة، كي يحرمهم الأجر والثواب، فقد جاء أحد الصحابة إلى الرسول ﷺ يقول له: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ: خَنْزَبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاثْقِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي»^(١).

فإذا دخل العبد في صلاته أجلب عليه الشيطان يوسوس له عن طاعة الله ويذكره بأمور الدنيا، ففي صحيح مسلم أن الرسول ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوْسُوسٌ، فَإِذَا سَمِعَ الْإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوْسُوسٌ»^(٢).

وفي رواية: «إِذَا قُضِيَ التَّوْبَتُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ لَهُ: اذْكُرْ كَذَا، وَادْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ مِنْ قَبْلُ، حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ مَا يَذَرِي كَمْ صَلَّى»^(٣).

كل مخالفة للرحمن فهي طاعة للشيطان، يقول تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ۖ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تُخْذَنْ مِنْ عِبَادِكِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء].

فكل من عبد غير الله من صنم أو وثن أو شمس أو قمر أو هوى أو إنسان أو مبدأ فاسد فهو عابد للشيطان، رضي أم أبى؛ لأن الشيطان هو الأمر بذلك والمرغب فيه،

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٨/٢٢٠٣).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٦/٣٨٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٦٠٨، ١٢٣١) ومسلم (١٩/٣٨٩).

ولذلك فإن عبّاد الملائكة يعبدون الشيطان في الحقيقة ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ [سبا: ٤٠-٤١].

٥- الإيذاء البدني والنفسي:

كما يهدف الشيطان إلى إضلال الإنسان بالكفر والذنوب؛ فإنه يهدف إلى إيذاء المسلم في بدنه ونفسه، ونسوق بعض ما نعرفه من هذا الإيذاء:

أ- مهاجمة الرسول ﷺ: كما جاء في الحديث الذي سبق أن ذكرناه والذي يخبر فيه الرسول ﷺ بمهاجمة الشيطان له ومجيء الشيطان بشهاب من نار ليرميه في وجه الرسول ﷺ.

ب- أضغاث الأحلام من الشياطين: للشيطان القدرة أن يُري الإنسان في منامه أحلامًا ترعجه وتضايقه بهدف إحزانه وإيلامه، فقد أخبر الرسول ﷺ: أن الرؤى التي يراها المرء في منامه ثلاث: رؤيا من الرحمن، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا حديث نفس^(١).

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّهَا مِنَ اللَّهِ فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»^(٢).

ج- إحراق المنازل بالنار: وذلك بواسطة بعض الحيوانات التي يغريها بذلك، ففي سنن أبي داود بإسناد صحيح أن الرسول ﷺ قال: «إِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوا سُرُجَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدُلُّ مِثْلَ هَذِهِ -الفأرة- عَلَى هَذَا

(١) إشارة إلى الحديث الصحيح، رواه البخاري (٧٠٧١) بلفظ: «يُقَالُ الرُّؤْيَا ثَلَاثُ حَدِيثٍ النَّفْسُ وَتَخْوِيفُ الشَّيْطَانِ وَبُشْرَى مِنَ اللَّهِ».

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٩٨٥).

-السراج- فَتُحَرِّقُكُمْ»^(١).

د- تخبط الشيطان للإنسان عند الموت: وقد كان الرسول ﷺ يستعيز من ذلك فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِي، والهدم، والغرق، والحرق، وأعوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَوْتِ لَدِيغًا»^(٢).

ه- إيذاؤه الوليد حين يولد: يقول الرسول ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا»^(٣). والسبب في حماية مريم وابنها من الشيطان استجابة الله دعاء أم مريم حين ولدتها ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

و- مرض الطاعون من الجن: أخبر الرسول ﷺ: «فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الطَّاعُونُ؟ قَالَ: وَخَزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَفِي كُلِّ شُهَدَاءٍ»^(٤).

وفي مستدرك الحاكم: «الطاعون وخز أعدائكم من الجن، وهو لكم شهادة»^(٥). ولعل ما أصاب نبي الله أيوب كان بسبب الجن كما قال: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [صرا].

ز- بعض الأمراض الأخرى: قال ﷺ للمرأة المستحاضة: «إِنَّمَا هَذِهِ رَكْضَةٌ

(١) صحيح، رواه أبو داود (٥٢٤٧)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٨١٦).

(٢) رواه النسائي (٥٥٣١، ٥٥٣٣)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٢٨٢).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٤٧/٢٣٦٦).

(٤) رواه أحمد في المسند (١٩٠٣٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨٥٨): رواه أحمد

بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الثلاث،

وصحيحه الألباني في إرواء الغليل (١٦٣٧).

(٥) رواه الحاكم في المستدرک (١٥٨/١٥٨) وقال: هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

مِنْ رَكَضَاتِ الشَّيْطَانِ»^(١).

ح- مشاركته لبني آدم في طعامهم وشرابهم ومساكنهم: ومن الأذى الذي يجلبه الشيطان للإنسان أنه يعتدي على طعامه وشرابه، فيشاركه فيهما، ويشاركه في المبيت في منزله، يكون ذلك منه إذا خالف العبد هدى الرحمن، أو غفل عن ذكره، أما إذا كان ملتزمًا بالهدى الذي هدانا الله إليه لا يغفل عن ذكر الله؛ فإن الشيطان لا يجد سبيلًا إلى أموالنا ويوتنا، فالشيطان لا يستحل الطعام إلا إذا تناول منه أحد بدون أن يسمي، فإذا ذكر اسم الله عليه فإنه يحرم على الشيطان، روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: «كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضْعُ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعُ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفِعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَغْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفِعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهِذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَذَا الْأَغْرَابِيُّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا»^(٢).

وقد أمرنا الرسول ﷺ أن نحفظ أموالنا من الشيطان وذلك بإغلاق الأبواب وتخدير الآنية وذكر اسم الله؛ فإن ذلك حرز لها من الشيطان يقول ﷺ: «أَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قَرَبَكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا آيَتَكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرَضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ»^(٣).

(١) حسن، رواه الترمذي (١٢٨)، وأبو داود (٢٨٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٥٨٥)، وأحمد في المسند (٢٦٩٢٨).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٠٢/٢٠١٧).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٥٦٢٣)، ومسلم (٩٧/٢٠١٢).

ويأكل الشيطان ويشرب مع الإنسان إذا أكل أو شرب بشماله وكذلك إذا شرب واقفاً، ففي مسند أحمد عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أَكَلَ بِشِمَالِهِ أَكَلَ مَعَهُ الشَّيْطَانُ وَمَنْ شَرِبَ بِشِمَالِهِ شَرِبَ مَعَهُ الشَّيْطَانُ» (١). وفي المسند أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً يَشْرَبُ قَائِماً فَقَالَ لَهُ: «قِهْ» قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: «أَيْسُرُكَ أَنْ يَشْرَبَ مَعَكَ الْهَرُّ؟» قَالَ: لَا قَالَ: «فَإِنَّهُ قَدْ شَرِبَ مَعَكَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ» (٢).

وكي تطرد الشيطان من المنزل لا تنس أن تذكر الله عند دخول المنزل وقد أرشدنا الرسول ﷺ لذلك حيث يقول في الحديث الصحيح: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْعَشَاءَ» (٣).

ط- مس الشيطان للإنسان (الصرع): يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤): (دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

(١) رواه أحمد في المسند (٢٣٩٥٨) وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف لجهالة حال موسى بن سرجس.

(٢) رواه أحمد في المسند (٧٩٤٣) وقال الأرناؤوط: أبو زياد الطحان لم يرو عنه غير شعبة وقد حسن القول فيه يحيى بن معين فوثقه وقال أبو حاتم كما في الجرح والتعديل: شيخ صالح الحديث لكن قال الذهبي في الميزان: لا يعرف له حديثان في كتاب (غرائب شعبة للنسائي). قلنا: ويغلب على ظننا أن هذا الحديث أحدهما فهو غريب تفرد بروايته أبو زياد هذا عن أبي هريرة والغرابة بينة في متنه.

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٠٣/٢٠١٨١)، وأبو داود (٣٧٦٥)، وابن ماجه (٣٨٨٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٧٦/٢٤).

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ»^(١). وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: (قلت لأبي إن أقوامًا يقولون: إن الجن لا يدخل في بدن المصروع، فقال: يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه). ويقول ابن تيمية: (هذا الذي قاله مشهور؛ فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضرب على بدنه ضربًا عظيمًا لو ضرب به جمل لأثر به أثرًا عظيمًا، والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب، ولا بالكلام الذي يقوله). ويقول رحمه الله: (وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع وغيره ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك)، وذكر (ج ١٩/١٢) أن ممن أنكر دخول الجن بدن المصروع طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي.

قائد المعركة:

إبليس هو الذي يخطط للمعركة مع بني الإنسان ويقودها، ومن قاعدته يرسل البعوث والسرايا في الاتجاهات المختلفة، ويعقد مجالس يناقش فيها جنوده وجيوشه فيما فعلته، ويشني على الذين أحسنوا وأجادوا في الإضلال وفتنة الناس.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَتَعَثُّ سَرَايَاهُ فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةٌ أَغْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ قَالَ: فَيُذْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعَمَ أَنْتَ»^(٢).

وفي مسند الإمام أحمد قال الرسول ﷺ لابن صائد وكان ﷺ يشك أنه الدجال: «مَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ - أَوْ قَالَ عَلَى الْبَحْرِ - حَوْلَهُ حَيَّاتٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ذَلِكَ عَرْشُ إِبْلِيسَ»^(٣)، والشيطان له خبرة طويلة مديدة في

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٣/٢١٧٤) واللفظ له، وأبو داود (٤٧٩١).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦٧/٢٨١٣).

(٣) رواه أحمد في المسند (١٤٧٤٥) وقال الأرناؤوط: صحيح دون قوله: «حوله حيات».

مجال الإضلال؛ ولذلك فإنه يجيد وضع خططه، ونصب مصايده وأحاييله، فهو لم يزل حيًّا يضل الناس منذ وجد الإنسان إلى اليوم وإلى أن تقوم الساعة ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ [الأعراف]، وهو دؤوب على القيام بالشر الذي نذر نفسه له، لا يكل ولا يمل، ففي الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»^(١).

لكل إنسان قرين:

كل إنسان يلزمه شيطان لا يفارقه كما ذكر في حديث عائشة عند مسلم قالت: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا قَالَتْ: فَعِزْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ: مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ أَغْوَيْتِ؟ فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِنِّي عَلَى مِثْلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ؟ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ»^(٢).

أخرج مسلم والإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ قَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(٣). وفي القرآن: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥].

(١) رواه أحمد في المسند (٢٧٦٢٧)، والحاكم في المستدرک (٤٤/٧٤٦٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٦٥٠).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٧٠/٢٨١٥).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٦٩/٢٨١٤)، وأحمد (٣٦٤٠) واللفظ له.

أساليب الشيطان في إضلال الناس:

لا يأتي الشيطان إلى الإنسان ويقول له: اترك هذه الأمور الخيرية، وافعل هذه الأمور السيئة كي تشقى في دنياك وأُخراك؛ لأنه لو فعل ذلك فلن يطيعه أحد، ولكنه يسلك سبلاً كثيرة يغرر بها عباد الله منها:

١- تزوين الباطل:

هذا هو السبيل الذي كان الشيطان ولا يزال يسلكه لإضلال العباد، فهو يظهر الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، ولا يزال بالإنسان يحسن له الباطل، ويكرهه بالحق حتى يندفع إلى فعل المنكرات ويعرض عن الحق، كما قال اللعين لرب العزة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ﴾ [الحجر].

فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة وسلك بهم سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم في مهلك بعد مهلك، وزين لهم عبادة الأصنام وقطيعة الأرحام وواد البنات، ونكاح الأمهات ووعدهم بالفوز بالجنان مع الكفر والفسوق والعصيان، وانظر إلى أولياء الشيطان اليوم كيف يستخدمون هذا السبيل في إضلال العباد، فهذه الدعوات إلى الشيوعية والاشتراكية يزعمون أنها هي المذاهب التي تخلص البشرية من الحيرة والقلق والضياع والجوع... وهذه الدعوات التي تدعو إلى خروج المرأة كاسية عارية باسم الحرية، وتدعو إلى هذا التمثيل السخيف الذي تداس فيه الأعراض والأخلاق وتنتهك فيه الحرمات باسم الفن، وتلك الأفكار المسمومة التي تدعو إلى إيداع المال في البنوك بالربا لتحقيق الأرباح باسم التنمية والربح الوفير وتلك الدعوات التي تزعم أن التمسك بالدين رجعية وجمود وتأخر، والتي تسمُّ دعاة الإسلام بالجنون والتطرف الأصولي والعمالة لدول الشرق والغرب... إلخ.

كل ذلك امتداد لسبيل الشيطان الذي كاد به لآدم منذ عهد بعيد، وهو تزوين

الباطل وتحسينه وتقبيح الحق وتكريه الناس به ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النحل: ٦٣]، وهو سبيل خطير لأن الإنسان إذا زين له الباطل حتى رآه حسناً فإنه يندفع بكل قوة لتحقيق ما يراه حقاً وإن كان فيه هلاكه ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [١١٣] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٤﴾ [الكهف]، وهؤلاء يندفعون لصد الناس عن دين الله ومحاربة أولياء الله وهم يظنون أنفسهم على الحق والهدى ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف].

تسمية الأسماء المحرمة بأسماء محبة:

ومن تغرير الشيطان بالإنسان وتزيينه الباطل أن يسمي الأمور المحرمة التي هي معصية لله بأسماء محبة للنفوس خداعاً للإنسان وتزوييراً للحقيقة كما سُمِّي الشجرة المحرمة بشجرة الخلد كي يزين لآدم الأكل منها ﴿قَالَ يَتَّاعِدُمْ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

يقول ابن القيم: (ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها، فسموا الخمر أم الأفراح، وسموا أخاها بلقمة الراحة، وسموا الربا بالمعاملة، وسموا المكوس بالحقوق السلطانية...)، واليوم يسمون الربا الفائدة، والرقص والغناء والتمثيل والتماثيل فتاً.

٢- الإفراط والتفريط:

جاء في الحديث الصحيح: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا»^(١).

يقول ابن القيم في هذه المسألة: (وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو؛ فلا يبالى بما ظفر من العبد من الخطيئتين؛ فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشامه؛ فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصاً أخذ من هذه الخطية، فثبطه وأقعدته، وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة.

(١) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٦٤٦٧)، ومسلم (٧٨/٢٨١٨).

وإن وجد عنده حذرًا وجدًّا وتشميرًا ونهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب، أمره بالاجتهاد الزائد، وسول له أن هذا لا يكفيك، وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا ولا تفطر إذا أفطروا وأن لا تفتر إذا ففروا وإذا غسل أحدكم يديه ووجهه ثلاث مرات، فاغسل أنت سبعا، وإذا توضأ للصلاة فاغتسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجازة، وتعدي الصراط المستقيم كما يحمل الأول على التقصير دونه وألا يقربه، ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم، هذا بألا يقربه ولا يدنو منه وهذا بأن يجاوزه ويتعداه، وقد فتن بهذا أكثر الخلق، ولا يُنجي من ذلك إلا علم راسخ، وإيمان وقوة على محاربته ولزوم الوسط واللّه المستعان^(١).

٣- تشيطه العباد عن العمل ورميهم بالتسويق والكسل:

وله في ذلك أساليب وطرق ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ^(٢) رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ؛ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدُهُ كُلُّهَا؛ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ^(٣)».

وفي البخاري ومسلم: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَرَاهُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَشِيرْ ثَلَاثًا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ^(٤)». وسئل الرسول ﷺ عن رجل نام ليلة حتى أصبح، فقال: «ذَلِكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ^(٥)».

(١) الوابل الصيب (ص: ١٩).

(٢) القافية: مؤخر الرأس.

(٣) صحيح، رواه البخاري (١١٤٢، ٣٢٦٩) واللفظ له، ومسلم (٢٠٧/٧٧٦)، وأبو داود (١٣٠٦)، والنسائي (١٦٠٧)، وابن ماجه (١٣٢٩).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٣٢٩٥)، ومسلم (٢٣/٢٣٨).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٣٢٧٠)، ومسلم (٢٠٥/٧٧٤)، والنسائي (١٦٠٨).

وهذا الذي ذكرناه تكسيل وتشيط من الشيطان بفعله، وقد يشيط الإنسان بالوسوسة وسبيله في ذلك أن يحبب للإنسان الكسل ويُسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل، يقول ابن الجوزي في هذا: كم قد خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام، فلا يزال إبليس يشطه ويقول له: لا تعجل وتمهل في النظر فيُسوّفه حتى يموت على كفره، وكذلك يُسوف العاصي بالتوبة فيعجل له غرضه من الشهوات، ويمنيه الإنابة كما قال الشاعر:

لا تعجل الذنب لما تشتهي وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سوّفه!!! وكم من ساع إلى مقام فضيلة ثبطه! فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه، فقال: استرح ساعة، أو استيقظ العابد في الليل يصلي، فقال له: أمامك وقت، ولا يزال يحبب الكسل، ويُسوّف العمل، ويسند الأمر إلى طول الأمل.

٤- الوعد والتمنية:

وهو يعد الناس بالمواعيد الكاذبة ويُمنيه بالأمانى المعسولة، كي يوقعهم في وهدة الضلال ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠] يعد الكفرة في قتالهم المؤمنين بالنصر والتمكين والعزة والغلبة، ثم يتخلى عنهم ويولي هاربًا ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

ويعد الأغنياء بالثروة والمال في الآخرة بعد الدنيا فيقول قائلهم: ﴿وَلَبِنَ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]، فيدمر الله جنته في الدنيا فيعلم أنه كان مغرورًا مخدوعًا، ويشغل الإنسان بالأمانى المعسولة التي لا وجود لها في واقع الحياة فيصده عن العمل الجاد المثمر، ويرضى بالتخيل والتمني وهو لا يفعل شيئًا.

٥- إظهار النصح للإنسان:

يدعو الشيطان المرء إلى المعصية بزعم أنه ينصح له ويريد خيره، وقد أقسم لأئينا على أنه ناصح له ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف].

٦- التدرج في الإضلال:

فيطرق الشيطان على العبد ستة أبواب من أبواب الشر يتدرج في طرقها كلما يئس من باب تنازل إلى الباب الذي يليه.

قال ابن القيم رحمه الله في التدرج في طرق أبواب الشر: ينحصر شر الشيطان في ستة أجناس، لا يزال بابن آدم حتى ينال منه واحداً منها أو أكثر:

✽ الشر الأول:

يطرق على المرء باب الشرك، والكفر، ومعاداة الله ورسوله؛ فإن ظفر بذلك من ابن آدم برد أئينه، واستراح من تعبته معه، وهو أول ما يريده من العبد فلا يزال به حتى يناله منه؛ فإذا نال ذلك صَيَّرَهُ من جنده وعسكره، واستنابه على أمثاله وأشكاله، فصار من دعاة إبليس؛ فإن يئس من ذلك، وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه نقله إلى المرتبة الثانية.

✽ الشر الثاني:

إن يئس من الشر الأول ألا وهو باب الشرك والكفر، طرق عليه باب البدعة، وهي أحب إلى الشيطان من الفسوق والعصيان، أي الابتداع في الدين وعدم اتباع الكتاب والسنة؛ فإن ظفر من العبد بهذا الشر ألا وهو شر البدعة جعل المبتدع نائباً من نوابه وداعياً من دعائه، أما هذا الرجل إن سبقت له من الله موهبة اتباع السنة ومعاداة أصحاب البدع والضلال نقله إلى المرتبة الثالثة.

✽ الشر الثالث:

الكبائر على اختلاف أنواعها، والشيطان حريص على أن يوقعه فيها، ولا سيما إن كان عالماً لينفر الناس عنه ثم يشيع ذنوبه ومعاصيه في الناس بل ويستنيب منهم من

يشيعها ويذيعها فمن فعل هذا كان نائبًا من نواب إبليس، فإن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، هذا إذا أحبوا إشاعتها وإذاعتها، فكيف إذا تولوا هم إشاعتها وإذاعتها؛ فإن عَجَزَ عن هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الرابعة.

❁ الشر الرابع:

الصغائر: وهي التي إذا اجتمعت فرمى أهلكت صاحبها، وقد جاء في الحديث الصحيح: «إياكم ومحقرات الذنوب؛ فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا يعود وجاء ذا يعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»^(١). ولا يزال يحقر عليه أمر الصغيرة حتى يستهين بها فيكون صاحب الكبيرة الخائف منها أحسن حالاً منه؛ فإذا أعجزه العبد في هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الخامسة.

❁ الشر الخامس:

اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، والرسول ﷺ يقول في الحديث الصحيح: «نِعْمَتَانِ مَغْبُوتٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصُّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(٢)، أي: لا يعرف قدرهما إلا بعد فواتهما، والمؤمن دائماً حريص على وقته فيستعمله في الطاعات لأنه يعلم أن أنفاسه قد عدت عليه عداء؛ فإن أعجزه العبد في هذه المرتبة نقله إلى المرتبة السادسة.

❁ الشر السادس:

أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليُفَوِّتَ عليه ثواب العمل الفاضل فقد يأمرك الشيطان بفعل الخير المفضول وَيَحْضُكُ عليه ويحسنه لك حتى تترك العمل بما هو أفضل، وبالتالي يضيع عليك ثواب العمل الأفضل، وقل من ينتبه من

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٨٣).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٤١٢) بلفظه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الناس لذلك، فالشيطان قد يأمر بسبعين باباً من أبواب الخير، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من أبواب الشر، وإما ليفوت عليك باباً أفضل وأجل وأعظم من تلك السبعين، وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من الله يقذفه في قلب العبد، ويكون سببه تجريد متابعة الرسول ﷺ، وشدة العناية بمراتب الأعمال عند الله، وأحبها وأرضاها إليه وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة لله ولرسوله ولكتابه، ولعباده المؤمنين خاصتهم وعامتهم، ولا يعرف هذا إلا من كان من ورثة الرسول ﷺ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فإن أعجزه العبد من هذه المراتب الست، سلط عليه حربه من الإنس والجن بأنواع الأذى، فعندئذ توجه إليه السهام من قبل شياطين الإنس والجن فهذا يتهمه بالتضليل، وهذا يريد أن يثنيه عن عزمه، وهذا يريد إخماده وإطفاء نوره، والله متم نوره ولو كره المجرمون، فمن وصل إلى هذه الدرجة عليه أن يلبس لأمة الحرب، ولا يضعها عنه إلى الموت، لأنه متى وضعها أسر أو أصيب، فلا يزال في جهاد حتى يلقى الله عز وجل^(١).

٧- إنساؤه العبد ما فيه خيره وصلاحه:

ومن ذلك ما فعله بآدم فما زال يوسوس له حتى أنساه ما أمره به ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه]، وقال صاحب موسى لموسى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرْ﴾ [الكهف: ٦٣]. ونهى الله رسوله ﷺ أن يجلس هو وأصحابه والمؤمنون من بعدهم في المجالس التي يستهزأ فيها بآيات الله ولكن الشيطان قد ينسي الإنسان مراد ربه منه فيجالس هؤلاء المستهزئين ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام].

وطلب نبي الله يوسف عليه السلام إلى السجين الذي ظن أنه سينجو من القتل

(١) راجع التفسير القيم لابن القيم (ص: ٦١٢-٦١٤) بتصرف.

ويعود لخدمة الملك، أن يذكره عند ملكه، فأنسى الشيطان هذا الإنسان أن يذكر
لملكه نبي الله يوسف فمكث يوسف في السجن بضع سنين ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ
نَاجٍ مِّنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَيْثَ فِي
السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف].

وإذا تمكن الشيطان من الإنسان تمكنا كلياً فإنه ينسيه الله بالكلية ﴿أَسْتَحْذَرُ
عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ
الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة]، والمراد بهؤلاء المنافقون كما تدل عليه الآية السابقة لهذه الآية،
وسبيل التذكر ذكر الله لأنه يطرد الشيطان ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].
٨- تخويف المؤمنين بأوليائه:

ومن وسائله أن يخوف المؤمنين بجنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم
بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان وقد أخبرنا
سبحانه عنه بهذا فقال: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا
إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]، والمعنى: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: (يعظمهم
في صدوركم، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]،
فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه
قوي خوفه منهم).

٩- دخوله إلى النفس من الباب الذي تحبه وتهواه:

يقول ابن القيم في هذا الموضوع^(١): (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم
حتى يصادف نفسه ويخالطها، ويسألها عما تحبه وتؤثره فإذا عرفته استعان بها على
العبد، ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك علّم إخوانه وأوليائه من الإنس إذا
أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضاً أن يدخلوا عليهم من الباب الذي
يحبونه ويهوونه، فإنه باب لا يُخذل عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول

(١) إغاثة اللّهفان (١/١٣٢).

من غيره فالباب عليه مسدود، وهو عن طريق مقصده مسدود).

ومن هنا دخل الشيطان على آدم وحواء كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠].
يقول ابن القيم: (فشام عدو الله الأبوين، فأحس منهما إيناسًا وركوئًا في تلك الدار إلى النعيم المقيم، فعلم أنه لا يدخل عليهما من غير هذا الباب، فقاسمهما بالله إنه لهما من الناصحين، وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين).

١٠ - إلقاء الشبهات:

ومن أساليبه في إضلال العباد إلقاء الشبهات والشكوك في النفوس، وقد حذرنا الرسول ﷺ من بعض هذه الشبهات التي يلقيها، ففي حديث البخاري ومسلم: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهْ»^(١). ولم يسلم الصحابة رضوان الله عليهم من شبهاته وشكوكه، وجاء بعضهم إلى الرسول ﷺ يشكون مما يعانونه من شكوكه ووساوسه، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَنْعَازِمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ! قَالَ: وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»^(٢).

ومراد الرسول ﷺ بقوله: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ» أي: دفع وسوسة الشيطان وكراهيتهم واستعظامهم لها، أي: أن صريح الإيمان هو الذي يمنعهم من التحدث أو العمل بما يمليه الشيطان عليهم من الوسوسة.

وانظر إلى شدة ما كان يعانيه الصحابة من شكوكه، أخرج أبو داود في سننه عن ابن عباس: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (٢١٤/١٣٤).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٠٩/١٣٢).

يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ لِأَنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ^(١). وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ: رَدَّ أَمْرَهُ مَكَانَ رَدِّ كَيْدِهِ.

ومن جملة ما يلقيه في النفوس مشككا ما حدثنا عنه ربنا في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [٥٢] لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ [٥٣] وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [٥٤] [الحج].

والمراد بالتمني هنا حديث النفس، والمراد أن النبي ﷺ كان إذا حدث نفسه ألقى الشيطان في حديثه على جهة الحيلة، فيقول: لو سألت الله عز وجل أن يغنمك ليتسع المسلمون، أو يتمنى إيمان الناس جميعا .. فينسخ الله ما يلقيه الشيطان بوسواسه في أمانة النبي ﷺ، وذلك بتنبهه إلى الحق، وتوجيهه إلى مراد الله ... وما قيل من أن مراد الآية أن الشيطان يدخل في القرآن ما ليس منه فقيه بعد، ويرده أن الرسول ﷺ معصوم في التبليغ.

يقول أحد العلماء الأعلام مبيئا لبعض الشبهات التي يقذفها الشيطان في نفس الإنسان: (ما من صباح إلا قعد لي الشيطان أربع مراصد: من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فيقول: لا تخف فإن الله غفور رحيم، فأقرأ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [٨٧] [طه]، أما من خلفي فيخوفني الضيعة على من أخلفه، فأقرأ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ومن قبل يميني، يأتيني من قبل النساء فأقرأ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ومن قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبا: ٥٤].

(١) صحيح، رواه أبو داود (٥١١٢)، وصححه الألباني في سنن أبي داود.

السحر

السحر في اللغة:

قال الأزهرى: السحر عمل تُقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه.

قال أيضًا: أصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق وخيّل الشيء على غير حقيقته، قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه^(١). أهـ.

قال في المعجم الوسيط: السحر ما لطف مأخذه ودق^(٢). أهـ.

السحر في اصطلاح الشرع:

قال ابن قدامة المقدسي: هو عُقْد ورقى، وكلام يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة فممنه ما يقتل، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يُغض أحدهما إلى الآخر أو يُحبب بين اثنين^(٣). أهـ.

تعريف السحر:

هو اتفاق بين ساحر وشيطان على أن يقوم الساحر بفعل بعض المحرمات أو الشرّكيات في مقابل مساعدة الشيطان وطاعته له فيما يطلب منه. أهـ.

بعض وسائل السحر في التقرب إلى الشيطان:

١- من السحرة من يرتدي المصحف في قدميه يدخل به الخلاء.

٢- ومنهم من يكتب آيات من القرآن بالقذارة.

٣- ومنهم من يكتبها بدم الحيض.

(١) لسان العرب (٤/٣٤٨ ط. بيروت).

(٢) المعجم الوسيط (١/٤١٩).

(٣) المغني (١٠/١٠٤).

- ٤- ومنهم من يكتب آيات من القرآن على أسفل قدميه.
 - ٥- ومنهم من يكتب الفاتحة معكوسة.
 - ٦- ومنهم من يصلي بدون وضوء.
 - ٧- ومنهم من يصلي جنبًا.
 - ٨- ومنهم من يذبح للشيطان فلا يذكر اسم الله عند الذبح، ويرمي الذبيحة في مكان يحدده له الشيطان.
 - ٩- ومنهم من يخاطب الكواكب.
 - ١٠- ومنهم من يأتي أمه أو ابنته.
 - ١١- ومنهم من يكتب (طلسمًا) بألفاظ غير عربية تحمل معان كفرية.
- ومن هنا يتبين لنا أن الجني لا يساعد الساحر ولا يخدمه إلا بمقابل، وكلما كان الساحر أشد كفرًا كان الشيطان أكثر طاعة له، وأسرع في تنفيذ أمره، وإذا قصر الساحر في تنفيذ ما أمره به الشيطان من أمور كفرية امتنع الشيطان من خدمته، وعصى أمره، فالساحر والشيطان قرينان التقيا على معصية الله.
- إذا نظرت إلى وجه الساحر تجد ظلمة الكفر مسدولة على وجهه كأنها غمامة سوداء، وإذا عرفت الساحر عن قرب، تجده يعيش في شقاء نفسي مع زوجته وأولاده، بل مع نفسه فهو لا يستطيع أن ينام هادئ البال، مرتاح الضمير، بل إنه يفزع في النوم مرات، أضف إلى ذلك أن الشيطان كثيرًا ما يؤذي أولاده وزوجته، ويوقع بينهم الشقاق والخلاف، وصدق الله العظيم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤].

الأدلة على وجود السحر:

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

- ١- قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ ۚ النَّاسُ السَّخِرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ

الْمَلَكَائِينَ سِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيْئَسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسُهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٦﴾ [البقرة].

٢- وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [يونس].

٣- وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ [يونس].

٤- وقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَالْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ [طه].

٥- وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١٧٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٨٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٨٢﴾ [الأعراف].

٦- وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ [الفلق].

قال القرطبي: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق] يعني الساحرات اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين بها^(١). أهد.

قال الحافظ ابن كثير: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق] قال

(١) تفسير القرطبي (٢٥٧/٢٠).

مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك: يعني السواحر^(١). أهـ.

قال ابن جرير الطبري: أي ومن السواحر اللائي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها، قال القاسمي: وبه قال أهل التأويل^(٢). أهـ.

والآيات في ذكر السحر والسحرة كثيرة مشهورة عند من له أدنى معرفة بدين الإسلام.

ثانيًا: الأدلة من السنة:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَهُودِيٍّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: لَيْدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ أَشْعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، جَاءَنِي رَجُلَانِ فَقَعَدَا أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي أَوْ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَيْدُ بْنُ الْأَعْصَمِ قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ قَالَ: وَجَفَّ طَلْعَةٌ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بئرِ ذِي أَرْوَانَ، قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُحْرِقْتُه؟ قَالَ: لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ»^(٣).

معنى الكلمات:

مطبوب: مسحور.

من طبه؟: من سحره؟

(١) تفسير ابن كثير (٥٧٣/٤).

(٢) تفسير القاسمي (٣٠٢/١٠).

(٣) رواه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٤٣/٢١٨٩) واللفظ له، وابن ماجه (٣٥٤٥).

المُشاطة: الشعر المتساقط من الرأس واللحية عند ترجيلهما.
 جُف طلع نخلة: الجف هو الغشاء الذي يكون على الطلع.
 الطلع: هو ما يطلع من النخلة ثم يصير ثمرًا إذا كانت أنثى، وإن كانت ذكرًا لم يصير ثمرًا، بل يؤكل طريًا ويترك على النخلة أيامًا معلومة حتى يصير فيه شيء أبيض مثل الدقيق وله رائحة زكية فيلقح به الأنثى.
 نقاعة الحناء: حمراء مثل عصارة الحناء إذا وضعت في الماء.
 كأن رؤسها رؤوس الشياطين: أي أنها مستدقة كرؤوس الحيات، والحية يقال لها الشيطان، وقيل: أراد أنها سيئة المنظر قبيحة الأشكال كرؤوس الشياطين حقيقة.
 معنى الحديث:

اليهود لعنهم الله، اتفقوا مع لبيد بن الأعصم، وهو من أسحر اليهود أن يعمل سحرًا لرسول الله ﷺ ويعطوه ثلاثة دنانير، وفعلًا قام ذلك الشقي بعمل السحر في شعرات من شعر النبي ﷺ - قيل أنه حصل عليها من جارية صغيرة كانت تذهب إلى بيوت النبي ﷺ - وعقد عليها سحرًا ووضع السحر في بئر ذروان.
 والظاهر من جميع طرق الحديث، أن هذا السحر كان من نوع عقد الرجل عن زوجته، فكان النبي ﷺ يخيل إليه أنه يستطيع أن يجامع إحدى زوجاته، فإذا اقترب منها لم يستطع ذلك، ولم يمس هذا السحر عقله ولا سلوكياته ولا تصرفاته، وإنما كان قاصرًا على ما ذكر.

واختلف في مدة هذا السحر، فقيل: أربعين يومًا، وقيل غير ذلك فالله أعلم، ثم دعا النبي ﷺ ربه وألح في الدعاء، فاستجاب الله دعاءه، وأنزل ملكين جلس أحدهما عند رأس النبي ﷺ والآخر عند رجله، فقال أحدهما: ما به؟ فرد عليه الآخر: مطبوب - مسحور - قال: من سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، ثم بين أن سحره في مُشط ومُشاطة من شعر النبي ﷺ ووضعه في جف طلع نخل ذكر، ليكون أقوى وأشد تأثيرًا ثم دفنه تحت صخرة في بئر ذروان.

فلما انتهى الملكان من تشخيص حالة النبي ﷺ أمر النبي ﷺ باستخراج السحر ودفنه، وفي بعض الروايات حرقه، ومن جمع طرق الحديث؛ يظهر أن اليهود صنعوا للنبي ﷺ سحرًا من أشد أنواع السحر وكان غرضهم قتله ﷺ. ومن السحر ما يقتل كما هو معلوم ولكن الله عصمه من كيدهم، فخفف إلى أخف أنواع السحر وهو (الربط).

شبهة وجوابها:

قال المزري رحمه الله: قد أنكر هذا الحديث المبتدعة من حيث إنه يحطُّ منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، وقالوا: فلعله حينئذ يخیل إليه أن جبريل عليه السلام يأتيه وليس ثم جبريل، وأنه أوحى إليه. قال: وهذا الذي قالوه باطل قطعًا لأن دليل الرسالة وهو المعجزة، دل على صدقه فيما يبلغه عن الله تعالى، وعصمته ﷺ فيه، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل^(١). قال أبو الجكني اليوسفي رحمه الله:

أما وقوع المرض بالنسبة للنبي ﷺ بسبب السحر، فلا يجر خللاً لمنصب النبوة؛ لأن المرض الذي لا نقص فيه في الدنيا يقع للأنبياء ويزيد في درجاتهم في الآخرة عليهم الصلاة والسلام، وحينئذ فإذا خيل له بسبب مرض السحر أنه يفعل شيئاً من أمور الدنيا وهو لم يفعله، ثم زال ذلك عنه بالكلية بسبب اطلاع الله تعالى له على مكان السحر، وإخراجه إياه من محله ودفنه، ولا يلحق الرسالة من هذا كله شيء لأنه مرض كسائر الأمراض، لا تسلط له على عقله بل هو خاص بظاهر جسده كبصره، حيث صار يخیل إليه تارة فعل الشيء من ملامسة بعض أزواجه وهو لم يفعله، وهذا في زمن المرض لا يضر، قال: والعجب ممن يظن هذا الذي وقع من المرض بسبب السحر لرسول الله ﷺ قاذحاً في رسالته مع ما هو صريح في القرآن في قصة موسى مع سحرة فرعون، حيث صار يُخیل إليه من سحرهم أن عصيهم

(١) زاد المسلم (٤/٢٢١).

تسعى، فثبتته الله كما دل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۖ﴾ (٦٨) وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَىٰ ۖ﴾ (٦٩) فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ۖ﴾ (٧٠) [طه]، ولم يقل أحد من أهل العلم ولا من أهل الذكاء أن ما خيل لموسى عليه الصلاة والسلام أولاً من سعي عصي السحرة قادح في رسالته، بل وقوع مثل هذا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام يزيد قوة الإيمان بهم لكون الله تعالى ينصرهم على أعدائهم، ويخرق لهم العادة بالمعجزات الباهرة، ويخذل السحرة والكفرة ويجعل العاقبة للمتقين كما هو مبين في آيات الكتاب المبين^(١). أهـ.

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسُّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^(٢).

مفردات الحديث:

الموبقات: المهلكات.

التولي: الفرار والنكوص.

يوم الزحف: ساعة الجهاد في سبيل الله.

قذف المحصنات: رمي المرأة بالزنا.

الشاهد: والشاهد من الحديث، أن النبي ﷺ أمرنا باجتناّب السحر، وبين أنه من الكبائر المهلكات وهذا يدل على أن السحر حقيقة لا خرافة.

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا

(١) زاد المسلم (٢٢١/٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٧٦٧، ٦٨٥٧)، ومسلم (١٤٥/٨٩)، وأبو داود (٢٨٧٤)، والنسائي (٣٦٧١).

مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السُّحْرِ؛ زَادَ مَا زَادَ»^(١).

مفردات الحديث:

من اقتبس: تعلم.

شعبة: قطعة.

زاد ما زاد: زاد من السحر كلما زاد من علم النجوم.

الشاهد: الشاهد من الحديث أن النبي ﷺ وَضَّحَ إِحْدَى الطَّرِيقِ الْمُؤَدِيَةِ إِلَى تَعْلَمِ السُّحْرِ كَيْ يَحْذَرَهُ الْمُسْلِمُونَ، وهذا دليل على أن السحر علم حقيقي يُتَعْلَمُ، ومما يدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] فاتضح أن السحر علم كالعلوم له أصوله التي يقوم عليها، والآية والحديث في معرض ذم تعلم السحر.

٤- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(٢).

مفردات الحديث:

تطير: تشاءم وكان العربي في الجاهلية إذا أراد أن يسافر أطلق طيرًا فإذا طار جهة اليمين مضى في سفره، وإذا طار جهة الشمال تشاءم ورجع.

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٥١)، وأحمد في المسند (٢٨٣٦) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث فقد روى له أبو داود وابن ماجه.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤٨٠/٢٠/٥): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. وقال المنذري في الترغيب (٣٢/٤): إسناده جيد. أه، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٤١): صحيح لغيره.

تَكْهَن: ادعى معرفة الغيب.

تَكْهَن له: ذهب إلى كاهن يسأله عن المستقبل.

الشاهد: والشاهد أن النبي ﷺ نهى عن السحر والذهاب إلى الساحر، والنبي ﷺ لا ينهي إلا عن شيء موجود وله حقيقة.

٥- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم»^(١).

معنى الحديث:

ثلاثة لا يدخلون الجنة إلا بعد أن يعذبوا في النار فترة لذنوبهم ومعاصيهم:

١- مدمن خمر: يعني شارب الخمر الذي أدمنها يعني يداوم على شربها.

٢- مؤمن بسحر: يعتقد أن السحر يؤثر بذاته لا بتقدير الله وإرادته.

٣- قاطع رحم: هاجر لأقاربه فلا يصلهم ولا يزورهم.

الشاهد: أن النبي ﷺ نهى عن الاعتقاد بأن السحر يؤثر بذاته، وإنما يجب على المؤمن أن يعتقد أن السحر وغيره لا يؤثر إلا بإرادة الله ﴿وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ثالثاً: بعض أقوال العلماء:

١- قال القرطبي: ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة.

٢- قال النووي رحمه الله تعالى: والصحيح أن السحر له حقيقة، وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة^(٢). أهـ.

(١) رواه ابن حبان وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٥٠): حسن لغيره، وأحمد في المسند (١٠٧٢٣، ١١٣٧٢، ٢٦٩٣٨) بلفظ: «لا يدخل الجنة صاحب خمس: مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم، ولا كاهن، ولا منان»، وقال الأرناؤوط: حسن لغيره.

(٢) نقلاً عن فتح الباري (٢٢٢/١٠).

٣- قال ابن قدامة رحمه الله تعالى: والسحر له حقيقة فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه. قال: وقد اشتهر بين الناس وجود عقد الرجل عن امرأته حين يتزوجها فلا يقدر على إتيانها، وإذا حُلَّ عَقْدُهُ يقدر عليها بعد عجزه عنها حتى صار متواتراً لا يمكن جحده، قال: وقد روي من أخبار السحرة ما لا يكاد يمكن التواطؤ على الكذب فيه^(١). أهـ.

٤- وقال أبو محمد المقدسي رحمه الله تعالى في (الكافي): السحر عزائم ورُقَى، وعقد يؤثر في القلب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، قال سبحانه: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق] يعني: السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفشن في عقدهن ولولا أن السحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه^(٢). أهـ.

٥- قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في (بدائع الفوائد): وقد دل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق] وحديث عائشة رضي الله عنها، على تأثير السحر وأن له حقيقة^(٣).

الاتفاق بين الساحر والشيطان:

غالبًا ما يحدث هناك اتفاق بين الساحر والشيطان، على أن يقوم الأول بفعل بعض الأمور الشركية أو بعض أعمال الكفر الصريح - خفية أو جهرة - وأن يقوم الشيطان بخدمة الساحر أو تسخير من يخدم الساحر.

لأن الاتفاق غالبًا ما يحدث بين الساحر وشيطان من زعماء قبائل الجن

(١) المغني (١٠٦/١٠).

(٢) نقلًا عن فتح المجيد (٣١٤).

(٣) نقلًا عن هامش فتح المجيد (٣١٥) تعليق الأرناؤوط.

والشياطين، فيقوم هذا الزعيم بإصداره أمره إلى سفيه من سفهاء القبيلة بأن يخدم هذا الساحر، ويطيعه في تنفيذ أوامره؛ من الإخبار بأمور حدثت، أو القيام بالتفريق بين اثنين أو إلقاء المحبة بينهما، أو عقد رجل على زوجته ... إلى آخر هذه الأمور التي ستتناولها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

فيقوم الساحر بتسخير هذا الجني لأعمال الشر التي يريد لها فإن عصاه الجني تقرب الساحر إلى زعيم القبيلة بأنواع من العزائم التي تحمل في طياتها تعظيم هذا الزعيم والاستعانة به من دون الله تعالى، فيقوم هذا الزعيم بمعاقة الجني وأمره بطاعة الساحر أو تسخير غيره لخدمة هذا الساحر المشرك.

ولذلك نجد العلاقة بين الساحر والجني المُسخَّر لخدمته علاقة كره وبغض، ومن هنا نجد أن هذا الجني كثيرًا ما يؤذي الساحر في أهله وأولاده أو ماله أو غير ذلك بل أحيانًا ما يؤذي الساحر نفسه وهو لا يدري كالصداع الدائم أو الأرق الملازم عند النوم، أو الفرع في الليل إلى غير ذلك من الأمور، بل إن السحرة السفليين غالبًا لا ينجبون لأن الجني يقتل الطفل في الرحم قبل أن يكتمل خلقه وهذا مشهور بين السحرة حتى أن بعضهم ترك السحر كي يرزق بأبناء.

كيف يحضر الساحر جنياً؟

هناك طرق كثيرة ومتنوعة وكلها تحتوي على شرك أو كفر صريح: والغرض من بيان هذه الطرق، تحذير المسلمين من طرق الشر والضلال، ولتبستين سبيل المجرمين فمنها:

الطريقة الأولى: طريقة الإقسام:

يدخل الساحر غرفة مظلمة ثم يوقد نارًا ويضع على النار نوعًا من البخور حسب الموضوع المطلوب، إذا كان يريد التفريق أو إلقاء العداوة والبغضاء وما شاكل ذلك، يضع على النار بخورًا ذا رائحة كريهة، وإذا كان يريد إلقاء المحبة أو فك ربط -عقد الرجل عن زوجته- أو حل سحر يضع بخورًا ذا رائحة طيبة ثم يبدأ الساحر

في تلاوة (عزيمته الشركية) وهي طلاس معينة تحتوي على إقسام على الجن بسيدهم، وسؤالهم بعظيمهم، كما تتضمن أنواعًا من الشرك الأخرى كتعظيم كبراء الجن والاستغاثة بهم وغير ذلك.

بشرط أن يكون الساحر -عليه لعنة الله- غير طاهر إما جُنُبًا أو مرتديًا لثوب نجس ... إلخ، وبعدها ينتهي من تلاوة العزيمة الكُفْرية، يظهر أمامه شبح على هيئة كلب أو ثعبان أو أي هيئة أخرى فيأمره الساحر بما يريد، وأحيانًا لا يظهر له شيء وإنما يسمع صوتًا، وأحيانًا لا يسمع شيئًا وإنما يعقد على (أثر) من آثار الشخص المطلوب سحره مثل شعره أو قطعة من ثوبه فيها رائحة عرقه... إلخ، ثم يأمر الجنى بما يريد.

التعليق على هذه الطريقة:

من دراسة هذه الطريقة يتبين الآتي:

- ١- الجن تفضل الغرف المظلمة.
- ٢- من الشرك الظاهر والصريح في هذه الطريقة الإقسام بالجن والاستغاثة بهم.
- ٣- الجن تفضل النجاسة والشياطين تتقرب من الأنجاس.

الطريقة الثانية: طريقة الذبح:

يحضر الساحر طائرًا أو حيوانًا أو دجاجة أو حمامة أو غيرها بأوصاف معينة حسب طلب الجنى -وغالبًا ما تكون سوداء لأن الجن يفضلون اللون الأسود- ثم يذبحها ولا يذكر اسم الله عليها، وأحيانًا يلطخ المريض بدمها وأحيانًا لا يفعل هذا، ثم يرميها في بعض الخرابات أو الآبار أو الأماكن المهجورة -التي هي غالبًا مسكن الجن- ولا يذكر اسم الله عليها عند الرمي، ثم يعود إلى بيته فيقول عزيمته الشركية ثم يأمر الجنى بما يريد.

التعليق على هذه الطريقة:

يتلخص الشرك في هذه الطريقة في أمرين:

أولهما: الذبح للجن وهو محرم باتفاق العلماء سلفًا وخلفًا بل هو شرك لأنه ذبح

لغير الله فلا يجوز لمسلم أن يأكل منه فضلاً عن أن يفعله، ومع ذلك فإن الجاهل في كل زمان ومكان يقومون بهذا الفعل الخبيث.

وفي صحيح مسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»^(١).

ثانيهما: العزيمة الشركية: وهي تلك الألفاظ والطلاسم أثناء تحضيره للجن وهي تتضمن شركاً صريحاً كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في غير ما موضع من كتبه.

الطريقة الثالثة: الطريقة السفلية:

هذه طريقة مشهورة بين السحرة بالطريقة السفلية، وصاحبها تكون له مجموعة كبيرة من الشياطين تخدمه وتنفذ أمره لأنه أعظم السحرة كفاءةً، وأشدّهم إلحاحاً -عليه لعنة الله- وتتلخص هذه الطريقة فيما يلي:

يقوم الساحر -عليه لعائن الله المتتابعة- بارتداء المصحف في قدميه على هيئة حذاء ثم يدخل به الخلاء، ثم يبدأ في تلاوة الطلاسم الكفرية داخل الخلاء ثم يخرج ويجلس في غرفة ويأمر الجن بما شاء، فنجد الجن يسارعون إلى طاعته وتنفيذ أوامره وما ذلك إلا لأنه كفر بالله العظيم، وأصبح أخاً من إخوان الشياطين، فقد باء بالخسران المبين، فعليه لعنة الله رب العالمين.

ويشترط في الساحر السفلي أن يكون مرتكباً لمجموعة من الكبائر -غير ما ذكرنا- كإتيان المحارم، أو اللواط، أو الزنا بأجنبية، أو سب الأديان، كل ذلك ليرضي الشيطان.

الطريقة الرابعة: طريقة النجاسة:

وفي هذه الطريقة، يكتب الساحر الملعون سورة من سور القرآن الكريم بدم الحيض أو بغيره من النجاسات ثم يقول الطلاسم الشركية، فيحضر الجني فيأمره بما يريد،

(١) صحيح، رواه مسلم (١٩٧٨/٤٣، ٤٤).

ولا يخفي ما في هذه الطريقة من الكفر الصريح لأن الاستهزاء بسورة بل بآية من آيات القرآن الكريم كفر بالله عظيم، فما بالك بمن كتبها بالنجاسة -نعوذ بالله من الخذلان- ونسأله سبحانه أن يثبت قلوبنا على الإيمان، وأن يمتتنا على الإسلام، وأن يحشرنا في زمرة خير الأنام.

الطريقة الخامسة: طريقة التكريس:

وفي هذه الطريقة يقوم الساحر -عليه لعنة الله- بكاتبة سورة من سور القرآن الكريم بالحروف المفردة معكوسة يعني من آخرها إلى أولها ثم يقول عزيمته الشريكة فيحضر الجنى فيأمره بالمطلوب، وهذه الطريقة محرمة أيضًا مع ما فيها من شرك وكفر.

الطريقة السادسة: التمجيم:

وهذه الطريقة أيضًا تسمى بـ (الرصد) لأن الساحر يترصد طلوع نجم معين ثم يقوم بمخاطبته بتلاوات سحرية ثم يتلو طلسمًا آخر، يحمل في طياته من الشرك والكفر ما الله به عليم ثم يفعل حركات -يزعم أنها تعمل على استئزال روحانية هذا النجم- ولكنها في الحقيقة عبادة لهذا النجم من دون الله وإن كان المنجم لا يدري، فتلك عبادة وتعظيم لغير الله فعند ذلك تقوم الشياطين بتلبية أمر الساحر اللعين فيظن الساحر أن النجم هو الذي ساعده ولكن النجم المفترى عليه ما يدري بشيء من هذا.

ولا يخفى ما في هذه الطريقة من تعظيم لغير الله واستغاثة بغير الله، وكل هذا شرك، ناهيك عن الطلاسم الكفرية.

الطريقة السابعة: طريقة الكف:

وفي هذه الطريقة يحضر الساحر صبيًا صغيرًا لم يبلغ الحلم بشرط أن يكون غير متوضئ ثم يأخذ كف الصبي الأيسر ثم يرسم عليه مربعًا كهذا:



ويكتب حول هذا المربع طلاسـم سحرية - وطبعًا تحتوي على شرك - يكتب هذه الطلاسـم حول المربع من جهاته الأربع، ثم يضع في كف الصبي في وسط هذا المربع (زيت وزهرة زرقاء أو زيت وحبر أزرق) ثم يكتب طلاسـم أخرى بحروف مفردة على ورقة مستطيلة ثم توضع هذه كالمظلة على وجه الصبي، ويرتدي فوقها قلنسوة حتى تثبت ثم يغطى الطفل كله بثوب ثقيل، والطفل في هذه الحالة يكون ناظرًا في كفه فطبعًا لا يراه لأن الجو مظلم ثم يبدأ الساحر الملعون بقراءة عزيمة كفرية شديدة، فإذا بالطفل يشعر كأن الجو قد أصبح نورًا ويرى صورًا تتحرك في كفه فيقول الساحر للصبي ماذا ترى؟ فيقول الصبي: أرى أمامي صورة رجل، فيقول الساحر: قل له يقول لك المعزّم كذا وكذا فتتحرك الصورة حسب الأوامر. وغالبًا ما يستخدمون هذه الطريقة في البحث عن الأشياء المفقودة، ولا يخفى كذلك ما في هذه الطريقة من شرك وكفر وطلاسم غير مفهومة.

الطريقة الثامنة: طريقة الأثر:

وفي هذه الطريقة يطلب الساحر من المريض بعض آثاره من منديل أو عمامة أو قميص أو أي شيء يحمل رائحة عرق المريض ثم يعقد هذا المنديل من طرفه ثم يقيس مقدار أربعة أصابع ثم يمسك المنديل مسكًا محكمًا، ثم يقرأ سورة التكاثر أو أي سورة قصيرة يرفع بها صوته ثم يقول طلاسـمًا شركيًا يُسر به ثم ينادي الجن ويقول: إن كان ما به من المرض سببه الجن فقصروه، وإن كان ما به من العين فطولوه، وإن كان من الطب فدعوه كما هو ثم يقيسه مرة أخرى بعد ذلك فإن وجده قد طال عن أربعة أصابع قال: أنت مصاب بعين (الحسد) وإن كان قد قصر قال: أنت مصاب بالجن، وإن وجده كما هو أربعة أصابع قال: ما عندك شيء اذهب إلى طبيب.

التعليق على هذه الطريقة:

١ - التليس على المريض حيث يرفع الساحر صوته بالقرآن ليظن المريض أنه يعالج

بالقرآن وليس كذلك وإنما السر في الطلسم الذي أسر به.

٢- الاستعانة بالجن ومناداتهم ودعائهم كل هذا شرك بالله عظيم.

٣- الجن فيهم كذب كثير فما يدريك أن هذا الجنى صادق أم كاذب في هذا الأمر وقد تم اختبار فعل بعض السحرة فأحياناً كانوا صادقين وأحياناً كثيرة كانوا كاذبين.

وربما يكون هناك طرق أخرى لا نعلمها.

علامات يعرف بها الساحر:

إذا وجدت علامة واحدة من هذه العلامات في أحد المعالجين فهو ساحر بلا أدنى ريب وهذه العلامات هي:

١- يسأل المريض عن اسمه واسم أمه.

٢- يأخذ أثراً من آثار المريض (ثوب- منديل- فانيلة ...).

٣- أحياناً يطلب حيواناً بصفات معينة ليزبحه، ولا يذكر اسم الله عليه وربما لطّخ بدمه أماكن الألم من المريض، أو يرمي به في مكان خرب.

٤- كتابة الطلاسم.

٥- تلاوة العزائم والطلاسم غير المفهومة.

٦- إعطاء المريض حجاباً يحتوي على مربعات بداخلها حروف وأرقام.

٧- يأمر المريض بأن يعتزل الناس فترة معينة في غرفة لا تدخلها الشمس وتسميها العامة (الحجبة).

٨- أحياناً يطلب من المريض ألا يمس ماء لمدة معينة غالباً تكون أربعين يوماً، وهذه العلامة تدل على أن الجنى الذي يخدم هذا الساحر نصراني.

٩- يعطي للمريض أشياء يدفنها في الأرض.

١٠- يعطي للمريض أوراقاً يحرقها ويتبخر بها.

١١- يتمتم بكلام غير مفهوم.

١٢- أحياناً يخبر الساحر المريض باسمه واسم بلده ومشكلته التي جاء من أجلها.

١٣- يكتب للمريض حروفاً مقطعة في ورقة (حجاب) أو في طبق من الخزف الأبيض ويأمر المريض بإذابته وشربه.

فإن علمت أن الرجل ساحر فإياك والذهاب إليه وإلا ينطبق عليك قول النبي ﷺ: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(١).
أنواع السحر:

هناك عشرة أنواع من السحر:

- ١- سحر التفريق.
- ٢- سحر المحبة.
- ٣- سحر الهواتف.
- ٤- سحر المرض.
- ٥- سحر التخيل.
- ٦- سحر النزيف.
- ٧- سحر الجنون.
- ٨- سحر تعطيل الزواج.
- ٩- سحر الخمول.
- ١٠- سحر الربط.

أولاً: سحر التفريق:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ

(١) سبق تخريجه.

فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ
 بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا
 لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ
 كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى
 الْمَاءِ، ثُمَّ يَتَعَثُّ سَرَايَاهُ فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنَزَلَةٌ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ
 كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى
 فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ قَالَ: فَيُذْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ»^(١).

تعريفه: هو عمل السحر للتفريق بين الزوجين أو لِيَتُّ البغض والكراهية بين
 صديقين أو شريكين ...

أنواعه:

- ١- التفريق بين الرجل وأمه.
- ٢- التفريق بين الرجل وأبيه.
- ٣- التفريق بين الرجل وأخيه.
- ٤- التفريق بين الرجل وصديقه.
- ٥- التفريق بين الرجل وشريكه في التجارة أو غيرها.
- ٦- التفريق بين الرجل وزوجته وهذا النوع أخطرهما وأكثرهما انتشارًا.

أعراض سحر التفريق:

- ١- انقلاب الأحوال فجأة من حب إلى بغض.
- ٢- كثرة الشكوك بينهما.
- ٣- عدم التماس الأعذار.
- ٤- تعظيم أسباب الخلاف وإن كانت حقيرة.

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٧/٢٨١٣).

٥- قلب صورة الرجل في عين زوجته، وقلب صورة الزوجة في عين زوجها، فالرجل يرى زوجته في منظر قبيح - وإن كانت من أجمل النساء - والحقيقة أن الشيطان الموكل بالسحر هو الذي يتصور على وجهها بصورة قبيحة، والمرأة ترى زوجها في منظر مخيف مرعب.

٦- كراهية المسحور لكل عمل يقوم به الطرف الآخر.

٧- كراهية المسحور للمكان الذي يجلس فيه الطرف الآخر، فترى الزوج خارج البيت في حالة نفسية جيدة فإذا دخل البيت شعر بضيق نفسي شديد. يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: وسبب التفريق بين الزوجين بالسحر ما يخیل إلى الرجل أو المرأة من الآخر من سوء منظر أو خلق ... أو نحو ذلك من الأسباب المقتضية للفرقة^(١). أهـ.

كيف يحدث سحر التفريق؟؟

يذهب الرجل إلى الساحر ويطلب منه أن يفرق بين فلان وزوجته، فيطلب منه الساحر أن يعطيه اسم الرجل المراد سحره، واسم أمه ثم يطلب أثراً من آثاره (شعره - ثوبه - قلنسوته ...) فإن لم يستطع؛ عمل له سحرًا على ماء مثلاً وأمره أن يسكبه في طريق المراد سحره؛ فإذا تخطاه أصيب بالسحر أو يضعه له على طعام أو شراب.

ثانيًا: سحر الحبة (التولة):

يقول النبي ﷺ: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»^(٢).

يقول ابن الأثير (التولة) بكسر التاء وفتح الواو، ما يحجب المرأة إلى زوجها من

(١) تفسير ابن كثير (١/١٤٤).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وابن حبان (١٤١٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣١)، وأحمد في المسند (٣٦٠٤) وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

السحر وغيره وجعله من الشرك لاعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما قدره الله تعالى. أهـ.

وأحب أن أنبه إلى أن الرقية المعنية في الحديث السابق هي الرقية المحتوية على استعانة بالجن والشياطين وغير ذلك مما يدخل في الشرك أما الرقية بالقرآن أو الأدعية والأذكار المشروعة فهي جائزة بإجماع الفقهاء وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»^(١).

أعراض سحر المحبة:

١- الشغف والمحبة الزائدتان.

٢- الرغبة الشديدة في كثرة الجماع.

٣- عدم الصبر عن زوجته.

٤- التلهف الشديد لرؤيتها.

٥- طاعته لها طاعة عمياء.

كيف يحدث سحر المحبة؟

كثيراً ما تحدث الخلافات بين الرجل والمرأة، ولكنها سرعان ما تزول وتعود الحياة إلى مجاريها الطبيعية، ولكن هناك نساء لا يصبرن على ذلك فيسارعن إلى الذهاب إلى السحرة ليضعوا لهن سحراً يحببها إلى زوجها وهذا من قلة دين تلك المرأة أو من جهلها بأن هذا حرام ولا يجوز، فيطلب الساحر منها أثراً من آثار زوجها (منديلاً- أو قلنسوة- أو ثوباً- أو فنيلاً) بشرط أن تكون حاملة لرائحة عرق الزوج -أي لا تكون جديدة أو مغسولة- بل تكون مستعملة ثم يأخذ منها بعض الخيوط وينفث عليها ويعقدها ثم يأمرها أن تدفنها في مكان مهجور، أو أن يصنع لها سحراً على ماء أو طعام، وأشد ما يكون على نجاسة وأشد ما يكون بدم الحيض، ثم يأمرها

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٤/٢٢٠٠) واللفظ له، وأبو داود (٣٨٨٦) بلفظ: «مَا لَمْ تَكُنْ

شِرْكًا» كلاهما عن عوف بن مالك الأشجعي.

بأن تضعه لزوجها في طعامه أو شرابه أو في طيبه.

الآثار العكسية لسحر المحبة:

- ١- أحياناً يمرض الزوج بسبب هذا السحر.
 - ٢- أحياناً ينقلب السحر بالعكس فيكره زوجته، وهذا ناتج عن جهل كثير من السحرة بأصول السحر.
 - ٣- أحياناً تعمل الزوجة لزوجها سحراً مزدوجاً بأن يكره كل النساء ويحبها وحدها، فيسبب ذلك كراهية الزوج لأمه وأخواته وعماته وخالاته وجميع ذوي رحمه من نساء.
 - ٤- أحياناً ينقلب السحر المزدوج فيكره الرجل كل النساء حتى زوجته.
- أسباب سحر المحبة:

- ١- نشوب الخلافات بين الزوجين.
- ٢- طمع المرأة في مال الزوج خاصة إن كان غنياً.
- ٣- إحساس المرأة بأن زوجها سيتزوج بأخرى -رغم أن هذا جائز شرعاً- ولا غضاضة فيه، ولكن المرأة في هذا الزمان -خاصة المتأثرات بأجهزة الإعلام المدمرة- تظن أن زوجها إذا أقدم على الزواج بأخرى فهذا دليل على أنه لا يحبها وهذا خطأ فاحش لأن هناك أسباباً كثيرة يمكن أن تدفع الرجل إلى الزواج بثانية وثالثة ورابعة رغم أنه يحب زوجته الأولى، منها مثلاً رغبته في كثرة الأولاد، أو عدم صبره عن المعاشرة في وقت حيض امرأته ونفاسها أو رغبته في توطيد علاقته بأسرة معينة أو غير ذلك من الأمور.

وهذه نصيحة أقدمها للمرأة المسلمة وهي أنها يمكنها أن تسحر زوجها بما أحل الله لها بكثرة التزين والتجمل له، فلا تقع عينه على قبيح، ولا يشم منها إلا أطيب ريح، وبالابتسامة المشرقة، وبالكلمة الطيبة، وحسن العشرة، والحفاظة على مال الزوج، ورعاية الأطفال وحسن العناية بهم، وطاعته إلا في معصية الله، ولكن لو

نظرنا إلى مجتمعنا اليوم لوجدنا تناقضاً عجيباً في هذه الأمور، فنجد أن المرأة تتزين أحسن زينة وتلبس ما لديها من حلي وتخرج كأنها في يوم زفافها، هذا إذا كانت في حفلة أو زيارة لإحدى صديقاتها، فإذا عادت إلى بيتها غسلت زينتها وخلعت حليها ووضعت مكانه انتظاراً لحفلة أخرى، أو زيارة ثانية، وزوجها المسكين الذي اشترى لها هذه الثياب وتلك الحلي محروم من التمتع بها فلا يراها في البيت إلا بأثوابها القديمة، تفوح منها رائحة الطبخ والبصل والثوم.

ولو عقلت المرأة لعلمت أن زوجها أحق بهذه الزينة وهذا التجميل، فإذا خرج زوجك إلى العمل سارعي بإنهاء عمل البيت ثم اغتسلي وتزيني وتجملي وانتظريه فإذا حضر من عمله، رأى أمامه زوجة جميلة وطعاماً معداً، وبيتاً نظيفاً، فيزداد لك حباً، وبك تمسكاً فهذا لعمر الله هو السحر الحلال.

ثالثاً: سحر التخيل:

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِمَّا أَنْ تُتْلَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فغلبوا هنالك وأنقلبوا صغرين (١١٩) وألقى السحرة سجدين (١٢٠) قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِمَّا أَنْ تُتْلَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (١١٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِبَاهُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى ﴿١١٦﴾ [طه].

أعراض سحر التخيل:

- ١- يرى الإنسان الثابت متحركاً والمتحرك ثابتاً.
- ٢- يرى الصغير كبيراً والكبير صغيراً.
- ٣- يرى الأشياء على غير حقيقتها مثل ما رأى الناس الحبال والعصي ثعابين تتحرك.

كيف يحدث سحر التخيل؟

يقوم الساحر بإحضار شيء يعرفه الناس ثم يقول عزيمته الشريكة وطلاسمه الكفرية ويستعين بالشياطين فيرى الناس الشيء على غير حقيقته.

فمن الناس من رأى ساحرًا يضع أمامهم بيضة ثم يعزم عليها فرآها تدور بسرعة فائقة، ومنهم من رأى الساحر يحضر حجرين ويقول طلسمًا فإذا بالحجرين يتناطحان كأنهما كبشان، وهذا كله يستخدمه الساحر أمام الناس إما لإبتزاز أموالهم أو لإظهار البراعة والعجب، وأحيانًا يدخل الساحر هذا النوع من السحر في أنواع أخرى.

ففي سحر التفريق يرى الرجل زوجته الجميلة قبيحة وفي سحر المحبة يرى عكس ذلك، وهذا النوع من السحر يختلف عن النوع الآخر المسمى بالشعوذة وهو ما يعتمد على خفة اليد.

إبطال سحر التخيل بكل ما يطرد الشياطين مثل:

١- الأذان.

٢- قراءة آية الكرسي.

٣- الأذكار المشروعة في طرد الشيطان.

٤- البسملة.

بشرط أن يكون الإنسان متوضئًا، فإذا فعلت ذلك ولم تبطل حيله فهو مشعوذ يعتمد على خفة اليد وليس بساحر.

نموذج عملي لإبطال سحر التخيل:

قصة يرويها الشيخ وحيد عبد السلام بالي في كتابه الصارم البتار:

ساحر يجعل المصحف يدور.

يقول الشيخ وحيد: كان في إحدى القرى ساحر يظهر براعته أمام الناس ويحضر المصحف!! ثم يربطه بخيط من سورة (يس) ثم يربط الخيط بمفتاح ثم يرفع

المصحف ويجعله معلقاً في الخيط ثم يقول طلسمًا ثم يقول للمصحف در يمينا فيدور المصحف يمينا بحركة سريعة عجيبة، ثم يقول: در يسارا فيرجع المصحف ويدور يسارا بحركة سريعة دونما أن يحرك يده وقد رآه الناس مرارًا حتى كادوا أن يفتنوا به خاصة وهو يعمل هذه الحركة بالمصحف والآراء السائدة عند الناس أن الشياطين لا تستطيع أن تمس المصحف، فلما علمت به ذهبت إليه أنا وأحد الشباب - وكنت آنذاك في الثانوية العامة - وتحديثه أمام الناس أن يفعل بالمصحف مثل ما ذكرت فتعجب الناس، لأنهم رأوه كثيرًا وبالفعل أحضر المصحف وربطه من سورة (يس) وعلقه على مفتاح وأمسك المفتاح بيده، عند ذلك ناديت صاحبي وقلت له: إجلس في الجانب الآخر، واقرأ آية الكرسي وكررها، وجلست أنا في الجانب المقابل من الحلقة اقرأ آية الكرسي في نفسي والناس جلوس يشاهدون فلما انتهى من قراءة طلسمه قال للمصحف: در يمينا فلم يتحرك!! فأعاد قراءة الطلسم ثم قال للمصحف: در يسارا فلم يتحرك!! فأخزاه الله أمام الناس، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]، فسقطت هيئته أمام الناس، والحمد لله وحده وبه الثقة وعليه التكلان.

رابعًا: سحر الجنون:

عن خارجة بن الصلت عن عمه : «أَنَّه أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعًا مِنْ عِنْدِهِ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ عِنْدَهُمْ رَجُلٌ مَجْنُونٌ مُوثَّقٌ بِالْحَدِيدِ فَقَالَ أَهْلُهُ: إِنَّا حَدَّثْنَا أَنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ جَاءَ بِخَيْرٍ، فَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ تُدَاوِيهِ؟ فَرَفِئَتْهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَبَرَأَ فَأَعْطَوْنِي مِائَةَ شَاةٍ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: هَلْ إِلَّا هَذَا؟ - وَقَالَ مُسَدِّدٌ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: هَلْ قُلْتَ غَيْرَ هَذَا؟ - قُلْتُ: لَا، قَالَ: خُذْهَا فَلَعَمْرِي لَمْ أَكَلْ بِرُقِيَّةٍ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلْتُ بِرُقِيَّةً حَقًّا»^(١).

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣٨٩٦)، صحيحه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

وفي رواية: «فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ غُدُوَّةً وَعَشِيَّةً كُلَّمَا خَتَمَهَا جَمَعَ بُزَاقَهُ ثُمَّ تَقَلَّ»^(١).

أعراض سحر الجنون:

- ١- الشرود والذهول والنسيان الشديد.
- ٢- التخبط في الكلام.
- ٣- شخوص البصر وزوغانه.
- ٤- عدم الاستقرار في مكان واحد.
- ٥- عدم الاستمرار في عمل معين.
- ٦- عدم الاهتمام بالمظهر.
- ٧- وفي الحالات الشديدة ينطلق على وجهه لا يدري أين يذهب، وربما نام في الأماكن المهجورة.

كيف يحدث سحر الجنون؟

يقوم الجنى الموكل بالسحر بالدخول في الشخص المسحور والتمركز في مخه - كما كلفه الساحر - ثم يقوم بالضغط على خلايا المخ الخاصة بالتفكير والتذكر أو بالتصرف فيها بأمر يعلمها الله، عند ذلك تظهر الأعراض على الإنسان المسحور.

خامسًا: سحر الخمول:

- ١- حب الوحدة.
- ٢- الانطواء الكامل.
- ٣- الصمت الدائم.
- ٤- كراهية الاجتماعات.
- ٥- الشرود الذهني.
- ٦- الصداع الدائم.

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣٤٢٠)، صحيحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٢٧).

٧- الهدوء والسكون، والحمول الدائم.

كيف يحدث سحر الحمول؟

يرسل الساحر الجنى إلى الشخص المراد سحره ويأمره أن يتمركز في المخ ويسبب للشخص الانطواء والعزلة فيقوم الجنى بالمطلوب قدر استطاعته وتظهر الأعراض على المسحور حسب قوة أو ضعف الجنى المكلف بالسحر.

سادسًا: سحر الهواتف:

أعراض سحر الهواتف:

١- الأحلام المفزعة.

٢- يرى في منامه كأن مناديا يناديه.

٣- يسمع أصواتًا تخاطبه في اليقظة ولا يرى أشخاصًا.

٤- كثرة الوسوس.

٥- كثرة الشكوك في الأصدقاء والأحباب.

٦- يرى في منامه كأنه سيسقط من مكان عالٍ.

٧- يرى حيوانات تطارده في المنام.

كيف يحدث سحر الهواتف؟

يرسل الساحر جنيًا ويكلفه بأن يشغل هذا الإنسان في المنام واليقظة، فيتمثل له الجنى في المنام بالحيوانات المفترسة التي تنقض عليه ويناديه في اليقظة بأصوات أناس يعرفهم المريض أو بأصوات غريبة ثم يشككه في القريب والبعيد، وتختلف الأعراض حسب قوة السحر وضعفه، فربما زادت الأعراض حتى وصلت به إلى الجنون، وربما ضعفت حتى لا تعدو الوسوسة.

سابعًا: سحر المرض:

١- ألم دائم في عضو من الأعضاء.

٢- نوبات الصرع (التشنجات العصبية).

٣- شلل عضو من أعضاء الجسد.

٤- شلل كلي للجسد.

٥- تعطل أحد الحواس عن العمل.

وأحب أن أنبه أن بعض الأعراض تتشابه مع أعراض الأمراض العضوية، ويتم التفريق بينهما بقراءة الرقية على المريض، فإن شعر المريض أثناء سماعه للرقية بدوخة أو تخذير أو صداع أو اهتزاز في أطرافه أو أي تغير في جسده فالمرض كما ذكرنا، وإلا فهو مرض عضوي يعالج عند الأطباء.

كيف يتم سحر المرض؟

من المعلوم أن المخ هو المسيطر الرئيسي على الجسد بمعنى: أن كل حاسة من حواس الإنسان لها مركز في المخ تتلقى منه الإشارات فلو قربت أصبعك من النار يرسل الأصبع إشارة سريعة إلى مركز الإحساس في المخ فتأتيه الأوامر من هذا المركز بالابتعاد فوراً عن مصدر الخطر فتبتعد اليد عن النار، كل هذا يتم في جزء من الثانية ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١].

فإذا أصيب الإنسان بسحر المرض تمرکز الجنى فى المخ عند ذلك المركز المكلف به من قبل الساحر، فيستقر في مركز السمع أو البصر أو إحساس اليد أو الرجل وعند ذلك يكون العضو بين ثلاث حالات:

١- إما أن يمنع الجنى -بقدره الله- الإشارات تماماً من الوصول إلى العضو فيتعطل عن العمل فيصاب المريض بالعمى أو البكم أو الصمم أو الشلل العضوي.

٢- وإما أن يمنع -بقدره الله- الإشارات أحياناً ويتركها أحياناً فيتعطل العضو مرات ويعمل مرات.

٣- وإما أن يجعل الجنى المخ يعطي إشارات متتابعة متتالية سريعة بلا أسباب فيتصلب العضو ولا يستطيع الحركة وإن لم يكن مشلولاً.

قال تعالى عن السحرة: ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].
فأثبت سبحانه وتعالى الضرر الواقع على المسحور من قبل السحرة ولكنه علقه
بالمشيئة، فلا تعجب من ذلك.

ثامناً: سحر النزيف (الاستحاضة):

كيف يحدث سحر النزيف؟

وهذا النوع من السحر لا يحدث إلا للنساء، وفيه يقوم الساحر بتسليط الجنى
على المرأة المراد سحرها وتكليفه بإنزال النزيف عليها، فيدخل الجنى في جسد المرأة
ويجري في عروقتها مع الدم - يقول النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ
مَجْرَى الدَّمِ»^(١) - فإذا وصل الجنى إلى عرق معروف في الرحم ركضه ركضة
فيسيل هذا العرق دمًا، يقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا هَذِهِ رَكُضَةٌ مِنْ رَكُضَاتِ
الشَّيْطَانِ»^(٢). وفي رواية أخرى: «لَيْسَتْ بِالْحَيْضَةِ وَإِنَّمَا هُوَ عِرْقٌ»^(٣)، فعلم من
مجموع الروايتين أن هناك نوع من الاستحاضة ركضة من ركضات الشيطان في
عرق من العروق الموجودة في رحم المرأة. (هذا سبب من أسباب الاستحاضة
وهناك أسباب عضوية أخرى).

ما هو سحر النزيف؟

هو ما يسميه الفقهاء بالاستحاضة ويسميه الأطباء بالنزيف، يقول ابن الأثير:
(الاستحاضة أن يستمر بالمرأة خروج الدم بعد أيام حيضتها المعتادة). أهد.
وقد يستمر النزيف فترة طويلة، وقد يكون الدم قليلاً أو كثيراً.

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٣/٢١٧٤) واللفظ له، وأبو داود (٤٧٩١).

(٢) رواه الترمذي (١٢٨)، وأبو داود (٢٨٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير
(٣٥٨٥)، وأحمد في المسند (٢٦٩٢٨).

(٣) صحيح، رواه النسائي (٢١٠، ٣٥٧)، وابن ماجه (٦٢٦)، صحيحه الألباني.

تاسعاً: سحر تعطيل الزواج:

كيف يحدث سحر تعطيل الزواج؟

يذهب الإنسان الحاقداً الماكر إلى ساحر خبيث، ويطلب منه أن يعمل سحراً لابنة فلان كي لا تتزوج فيطلب منه الساحر اسمها واسم أمها وأثرًا من آثارها، ثم يقوم بعمل السحر، ويوكل جنيًا أو أكثر بهذا السحر، فيذهب الجنى ويظل ملازمًا لهذه المرأة حتى يتمكن من الدخول فيها في إحدى هذه الحالات الأربع وهي:

١- الخوف الشديد.

٢- الغضب الشديد.

٣- الغفلة الشديدة.

٤- الانكباب على الشهوات.

فالجنى بين حالين:

١- إما أن يدخل في المرأة فيجعلها تتضايق من كل زوج يتقدم لخطبتها وترفضه.

٢- إما أن لا يستطيع أن يدخل فيقوم بعملية سحر التخيل من الخارج فيخيل إلى الرجل أن المرأة قبيحة، ويوسوس له بذلك ويصنع ذلك بالمرأة أيضًا.

فترى كل رجل يتقدم لخطبة هذه المرأة يرفضها وإن وافق مبدئيًا فإنه يتراجع بعد أيام وذلك من وسوسة الشيطان له.

وفي حالات السحر الشديد، تجد الرجل الذي يتقدم إلى خطبة المرأة منذ دخوله باب بيتها يشعر بضيق شديد، وتسود الحياة في وجهه كأنه في سجن فلا يعود مرة أخرى، وفي غضون ذلك يسبب الجنى للمرأة صدامًا بين الحين والآخر.

أعراض هذا السحر:

١- صدام بين الحين والآخر لا ينتهي مع أخذ الأدوية الطبية.

٢- ضيق شديد في الصدر خاصة بعد العصر إلى منتصف الليل.

٣- رؤية الخاطب في منظر قبيح.

٤- كثرة التفكير (الشروود الذهني).

٥- القلق الكثير أثناء النوم.

٦- أحيانًا يكون هناك ألم دائم في المعدة.

٧- ألم في فقرات الظهر السفلى.

معلومات هامة عن السحر

١- يمكن أن تتشابه أعراض السحر مع أعراض المس.

٢- الشعور الدائم بالألم في معدة المسحور دليل على أن السحر مأكول أو مشروب.

٣- لا يتحقق العلاج القرآني إلا بشرطين:

✽ استقامة المعالج على أمر الله.

✽ ثقة المريض وقناعته بفعالية العلاج القرآني.

٤- معظم أنواع السحر تتفق في هذا العرض: الشعور بضيق الصدر خاصة في الليل.

٥- يمكن معرفة مكان السحر بأمرين:

✽ إخبار الجني الموكل بالسحر، ولا تصدقه حتى ترسل من يبحث عن السحر في المكان المذكور فإن وجدته فهو صادق وإلا فالجن فيهم كذب كثير.

✽ يصلي المريض أو المعالج ركعتين بصدق وإخلاص وطمأنينة وخشوع في ثلث الليل الأخير ويدعو الله أن يدلّه على مكان السحر، فربما رأيت رؤيا، أو جاء إحساس أو شعور أو غلب على ظنك مكان السحر؛ فإذا حدث ذلك تزداد شكرًا لله جل وعلا.

٦- يمكن أن تقرأ الرقية على زيت الحبة السوداء، وتأمر المريض أن يدهن به مكان الألم صباحًا ومساءً، وذلك لكل أنواع السحر.

وثبت في صحيح البخاري أن نبينا ﷺ قال: «فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ

إِلَّا السَّامَ»^(١)، يعني: الموت، والحبة السوداء تسمى في بعض البلدان بـ(حبة البركة)، وفي بعضها بـ(الشوينز)، وفي بعضها بـ(القزحة).

عاشراً: الربط:

هو أن يعجز الرجل مستو الخلقة وغير المريض عن إتيان زوجته.

كيف يحدث الربط عند الرجل؟

يتمركز شيطان السحر في المخ وبالتحديد في مركز الإثارة الجنسية الذي يرسل الإشارات إلى الأعضاء التناسلية، ثم يترك الأعضاء التناسلية تعمل طبيعياً، فإذا اقترب الإنسان من زوجته وأرد منها المعاشرة، عطل الشيطان مركز الإثارة الجنسية في المخ فتتوقف الإشارات المرسلة إلى الأجهزة التي تضخ الدم في القضيب كي ينتصب، عند ذلك يتراجع الدم سريعاً عن القضيب فيرتخي القضيب وينكمش. ولذلك تجد الرجل طبيعياً عندما يأتي زوجته أو يياشرها -أي: منتصب القضيب- فإذا اقترب منها انكمش فلا يستطيع أن يأتي حليلته لأن الانتصاب عامل رئيسي لإتمام العملية الجنسية كما هو معلوم، وأحياناً تجد الرجل متزوجاً بامرأتين وهو مربوط عن واحدة دون الأخرى لأن شيطان السحر يعطل مركز الإثارة الجنسية إذا اقترب منها لأنه مكلف بربطه عنها فقط.

ربط المرأة:

وكما يحدث للرجل ربط عن زوجته كذلك يحدث للمرأة ربط عن زوجها وربط المرأة خمسة أنواع:

١- ربط المنع: وهو أن تحاول المرأة منع زوجها من إتيانها وذلك بأن تلتصق فخذيهما ببعضها ببعض بحيث لا يستطيع الرجل أن يأتيها ويكون ذلك خارجاً عن إرادة المرأة.

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٦٨٨)، ومسلم (٨٨/٢٢١٥)، والترمذي (٢٠٤١)، وابن

- ٢- ربط التبلد: وهو أن يتركز الجنى الموكل بالسحر في مركز الإحساس في مخ المرأة فإذا أراد زوجها أن يأتيها أفقدها الجنى الإحساس فلا تشعر بلذة ولا تستجيب لزوجها بل تكون أمامه مخدرة الجسد يفعل بها كيفما يشاء، فلا تفزر الغدد السائل الذي يرطب فرج المرأة، فلا تتم العملية الجنسية بنجاح.
- ٣- ربط النزيف: قد تحدثنا عن سحر النزيف في النوع الثامن من أنواع السحر وبيننا كيفية حدوثه، ولكن هذا النوع يختلف عن سحر النزيف بأمر واحد وهو أن ربط النزيف يختص بأوقات الجماع أما سحر النزيف لا علاقة له بذلك بل يستمر أياماً، وربط النزيف هو إذا أراد الرجل أن يأتي زوجته سبب الشيطان لها نزيفاً شديداً (استحاضة) فلا يتمكن الرجل من إتيانها.
- ٤- ربط الانسداد: وهو إذا أراد الرجل أن يأتي زوجته وجد سداً منيعاً أمامه من اللحم لا يستطيع أن يخترقه فلا تنجح عملية اللقاء الجنسي.
- ٥- ربط التغوير: وهو أن يتزوج الرجل بنتاً بكرًا، فإذا أراد أن يأتيها، وجدها كالثيب تمامًا حتى يشك في أمرها، ولكنها عندما تعالج ويطل السحر يعود غشاء البكارة كما كان.

الفرق بين الربط والعجز الجنسي والضعف الجنسي:

أولاً: الربط:

يشعر المربوط بالنشاط والحيوية والقدرة الكاملة على مباشرة زوجته بل ينتصب قضيبه ما دام بعيداً عنها، فإذا اقترب منها وأراد هذا الأمر انكماش عضوه وصار غير قادر على إتيانها.

ثانياً: العجز الجنسي:

هو عدم قدرة الرجل الجنسية سواء كان قريباً أو بعيداً عن زوجته بل لا ينتصب عضوه أصلاً.

ثالثاً: الضعف الجنسي:

لا يستطيع الزوج أن يياشر زوجته إلا في فترات متباعدة، وتتم المباشرة للحظات بسيطة مع سرعة تعرض قضيب الرجل للخمول والانكماش بعد فترة بسيطة من المباشرة.

علاج بعض أنواع العقم:

العقم عند الرجل: العقم نوعان:

الأول: عقم عضوي يعالج عند الأطباء إن استطاعوا علاجه.

الثاني: عقم بسبب مس من الجن داخل جسم الإنسان وهذا يعالج بالقرآن والأدعية والأذكار.

كيف تفرق بين العقم الطبيعي والعقم بسبب الجن؟

العقم بسبب الجن له أعراض:

١- ضيق في الصدر خاصة بعد العصر وربما يستمر إلى منتصف الليل.

٢- شرود ذهني.

٣- ألم في أسفل فقرات الظهر.

٤- قلق في النوم.

٥- يرى في نومه أحلاماً مخيفة.

العقم عند المرأة:

كذلك العقم عند المرأة نوعان:

الأول: عقم طبيعي هكذا خلقها الله عقيماً.

الثاني: عقم بسبب الجن المستوطن في رحم المرأة حيث يفسد البويضات فلا يتم الإخصاب.

أو يترك الإخصاب يتم ويكتمل الحمل، ولكن بعد عدة شهور من الحمل يركض الشيطان عرقاً في رحم المرأة فينزل الدم (النزيف) فيحدث الإجهاض، فكثيراً ما

يكون الإجهاض المتكرر بسبب الجن، وقد عولجت حالات من هذا القبيل، وقد ثبت في الصحيح: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ»^(١).

حكم السحر في الإسلام:

حكم الساحر في الشريعة الإسلامية:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: وعند مالك أن حكم الساحر حكم الزنديق فلا تقبل توبته، ويقتل حدًا إذا ثبت عليه ذلك وبه قال أحمد.

وقال الشافعي: لا يقتل إلا إن اعترف أنه قتل بسحره فيقتل به^(٢). أهـ.

ويتضح مما مر أن جمهور العلماء يقولون بقتل الساحر إلا الشافعي رحمه الله يقول: لا يُقتل إلا إذا قتل بسحره فيقتل قصاصًا، وذهب مالك وأحمد إلى أنه لا تقبل توبته، وحكمه حكم الزنديق.

حكم ساحر أهل الكتاب:

ذهب جمهور العلماء إلى أن ساحر أهل الكتاب لا يُقتل إلا أن يقتل بسحره فيقتل، لما ثبت أن لبيد بن الأعصم سحر النبي ﷺ فلم يقتله.

هل يجوز حل السحر بالسحر؟

١- قال القرطبي رحمه الله تعالى: واختلفوا هل يُسأل الساحر حل السحر عن

المسحور؟ أجازته سعيد بن المسيب على ما ذكره البخاري، وإليه مال المزيني،

وقال الشعبي: لا بأس بالنشرة العربية، وكرهه الحسن البصري^(٣). أهـ.

٢- قال ابن قدامة رحمه الله تعالى: من يحل السحر فإن كان بشيء من القرآن

أو بشيء من الذكر والأقسام أو الكلام الذي لا بأس به فلا بأس به، وإن

كان بشيء من السحر فقد توقف أحمد بن حنبل عنه^(٤). أهـ.

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٣/٢١٧٤) واللفظ له، وأبو داود (٤٧٩١).

(٢) فتح الباري (٢٣٦/١٠).


(٤) المغنى (١١٤/١٠).


(٣) تفسير القرطبي (٤٩/٢).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ النُّشْرَةِ فَقَالَ: «هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»^(١).



وقد بين العلماء أن النشرة نوعان:

الأول: النشرة الجائزة: وهي حل السحر بالقرآن والأدعية والأذكار المشروعة.
الثاني: النشرة المحرمة: وهي حل السحر بالسحر من استعانة بالشياطين وتقرب إليهم واستغاثة بهم وإرضائهم ولعل هذا النوع هو المقصود بقول النبي ﷺ في غير ما حديث عن الذهاب إلى السحرة والكهان وبين أن من صدقهم فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: النشرة حل السحر عن المسحور وهي نوعان:  أحدهما: حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان وعليه يحمل قول الحسن البصري، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

 والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات المباحة فهذا جائز.

هل يجوز تعلم السحر؟

١- قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله تعالى:  إِنَّمَا مَحْنُ فِتْنَةٍ فَلَا تَكْفُرْ  [البقرة: ١٠٢] فيه إشارة إلى أن تعلم السحر كفر^(٢). أهـ.

٢- قال ابن قدامة رحمه الله تعالى: تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم، قال أصحابنا (يعني الحنابلة): ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته^(٣). أهـ.

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣٨٦٨)، صحيحه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٥٥٤)، وأحمد في المسند (١٣٧٢١) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عقيل بن معقل - وهو ابن منبه اليماني - فقد روى له أبو داود وهو ثقة.

(٢) فتح الباري (٢٥٥/١).

(٣) المغنى (١٠٦/١٠).

الفرق بين السحر والكرامة والمعجزة:

قال الحافظ ابن حجر: ونقل إمام الحرمين الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق، وأن الكرامة لا تظهر إلا على فاسق، وقال الحافظ أيضًا: وينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه فإن كان متمسكًا بالشرعية، متجنبًا للموبقات، فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة، وإلا فهو سحر^(١). أهـ.

وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي.

تنبيه:

قد لا يكون الرجل ساحرًا ولا يعرف عن السحر شيئًا، ثم إنه غير متمسك بالشرعية بل ربما يكون مرتكبًا لبعض الموبقات، ومع ذلك تظهر على يده بعض الخوارق، وقد يكون من أهل البدع أو من عباد القبور.. فالقول في هذا أنه إعانة من الشياطين حتى تزين للناس طريقته المبتدعة فيتبعها الناس ويتركون السنة وهذا كثير معروف خاصة إذا كان رئيسًا لطريقة من الطرق الصوفية المبتدعة.

إبطال السحر:

وقد وضع النبي ﷺ قاعدة عامة لكل رقية فقد ثبت في صحيح مسلم أناسًا قالوا: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «اغْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لَا بَأْسَ بِالرَّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»^(٢). فمن هذا الحديث نأخذ جواز الرقية بالقرآن أو السنة أو الأدعية أو غيرها أو حتى من الرقى الجاهلية ما لم تحتو على شرك.

العلاج:

ويتكون العلاج من ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل العلاج وهي:

(١) فتح الباري (٣٢٢/١٠)

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦٤/٢٢٠٠)، وأبو داود (٣٨٨٦).

- ١- تهيئة الجو الإيماني الصحيح فتقوم بإخراج الصور من البيت الذي تعالج فيه حتى يتسنى للملائكة أن تدخله.
- ٢- إخراج ما مع المريض من حجاب أو تيممة وحرقتها.
- ٣- خلو المكان من غناء أو مزمар.
- ٤- خلو المبكان من مخالفة شرعية؛ كرجل يلبس ذهبًا أو امرأة متبرجة أو رجل يشرب دخانًا ...
- ٥- إعطاء المريض وأهله درسًا في العقيدة بمقتضاه تنزع تعلق قلوبهم بغير الله.
- ٦- تشخيص الحالة: وذلك بتوجيه بعض الأسئلة للمريض للتأكد من توفر الأعراض أو معظمها مثل:
 - أ- هل ترى زوجتك -أحيانًا- بمنظر قبيح؟
 - ب- هل تحدث بينكما خلافات على أمور تافهة؟
 - ج- هل تكون مرتاحًا خارج البيت فإذا دخلت البيت شعرت بضيق نفسي؟
 - د- هل يتضايق أحد الزوجين أثناء عملية الجماع؟
 - هـ- هل يتعرض أحد الزوجين لقلق في منامه أو يرى أحلامًا مزعجة؟
 وتستمر في الأسئلة فإن توفر لديه عرضان أو أكثر تستمر في حالة العلاج.
- ٧- تتوضأ قبل البدء في العلاج وتأمر من معك بالوضوء.
- ٨- إذا كانت المريضة أنثى لا تبدأ بعلاجها حتى تحتشم وتشد عليها ملابسها حتى لا تنكشف أثناء العلاج.
- ٩- ولا تعالج امرأة وهي متلبسة بمخالفة شرعية كأن تكون سافرة أو واضعة طيبًا أو واضعة مناكير على أظافرها تشبهًا بالكافرات...
- ١٠- ولا تعالج امرأة إلا في وجود أحد محارمها.
- ١١- ولا تدخل معك أحدًا من غير محارمها.
- ١٢- تبرأ من الحول والقوة وتستعين بالله جل وعلا.

المرحلة الثانية: العلاج:

تضع يدك على رأس المريض وتقرأ هذه الرقية في أذنه بترتيل:

١- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦﴾ [الفاتحة].

٢- بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الْعَمَّ ① ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑤﴾ [البقرة].

٣- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ①﴾ [البقرة].
تكرر عدة مرات.

٤- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ① إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْجَا

بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ
الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَبْتَ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٥﴾ [البقرة].

٥- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿١٦٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ
وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ
كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿١٦٥﴾ [البقرة].

٦- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿١٦٦﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ
رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٦﴾ لَا يُكَلِّفُ
اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ
نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ
مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٦﴾ [البقرة].

٧- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿١٦٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ
وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ اللَّهِ أَلْسِنَةٌ سَلَامَةٌ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِثَايِتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿١٦٧﴾ [آل عمران].

٨- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿١٦٨﴾ إِنْ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٨﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٦٨﴾
وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ

اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف].

٩- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿٥٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فغلبوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأعراف] تكرر الآيات عدة مرات وتكثر من تكرار قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾ ﴿١٢٥﴾ [الأعراف].

١٠- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿٥٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ [يونس] تكرر عدة مرات وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ [يونس: ٨١] تكثر من تكرارها.

١١- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿٥٦﴾ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِيرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ [طه].

١٢- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿٥٦﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ [المؤمنون].

١٣- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿١﴾ وَالصَّفَٰتِ صَفًا ﴿٢﴾ فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ﴿٣﴾ فَالْغَلِيَّتِ ذِكْرًا ﴿٤﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٦﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِرِزْقِ الْكُوكَبِ ﴿٧﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٨﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٩﴾ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١١﴾ [الصافات].

١٤- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم مِّنْ عَذَابِ الْيَمِّ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف]. وتكرر قوله تعالى: ﴿يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١] تكرر عدة مرات.

١٥- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٢٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِّن نَّارٍ وَغُحَّاسٌ فَلَا تَنْصَرِفَانِ ﴿٢٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن].

١٦- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر].

١٧- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِثَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن].

١٨- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾

لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④ ﴿[الإخلاص].
 ١٩- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
 ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا
 وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا
 حَسَدَ ⑤﴾ [الفلق]. ويكرر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
 الْعُقَدِ ④﴾ [الفلق] عدة مرات.

٢٠- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
 ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ
 شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤
 مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥﴾ [الناس].

بعد تلاوة هذه الرقية في أذن المريض بترتيل وبصوت مرتفع فسيكون بين ثلاث
 حالات:

الحالة الأولى: إما أن يُصرع المريض وينطق على لسانه الجنى الموكل بالسحر
 فعند ذلك تتعامل مع هذا الجنى كما تتعامل مع حالات المس تمامًا ولكن عليك أن
 تسأل هذا الجنى عدة أسئلة:

١- ما اسمك؟ وما ديانتك؟ وعند ذلك نتعامل معه حسب ديانته فإن كان غير
 مسلم تعرض عليه الإسلام وإن كان مسلمًا تبين له أن ما يفعله من خدمته
 للساحر مخالف للإسلام ولا يجوز.

٢- تسأله عن مكان السحر، ولكن لا تصدقه حتى يتبين لك صدق قوله فلو قال
 لك السحر في مكان كذا وكذا ترسل من يخرجك من هناك فإن وجدته وإلا
 فالجنى كاذب لأن الجن فيهم كذب كثير.

٣- تسأله هو وحده الموكل بالسحر أم معه غيره فإن كان معه غيره تطلب منه أن
 يحضره لك وتتفاهم معه.

٤- أحياناً يقول لك الجنى فلاناً الإنسى هو الذي ذهب إلى الساحر وطلب منه أن يعمل هذا السحر، في هذه الحالة لا تصدق الجنى لأنه يريد أن يوقع العداوة بين الناس، ولأن شهادته مردودة عليه شرعاً لأنه فاسق وفسقه ظاهر لكونه يخدم الساحر، يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات].

فإن أخبر الجنى بمكان السحر واستخرجتموه، فاقرأ على ماء هذه الآيات ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [١١٧] ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١١٨] ﴿فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَٰغِرِينَ﴾ [١١٩] ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ [١٢٠] ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٢١] ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [١٢٢] ﴿[الأعراف]﴾ ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [٨١] ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [٨٢] ﴿[يونس]﴾ ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]، تقرأ هذه الآيات على إناء به ماء بحيث يكون البخار الخارج بالقرآن نازلاً في الماء ثم تذيب هذا السحر سواء كان أوراقاً أو طيباً أو غيرها في هذا الماء وتقذف في مكان بعيد عن طريق الناس.

وإن قال الجنى: إنَّ المسحور قد شرب السحر فاسأل المريض إن كان يشعر بألم في المعدة كثيراً فالجنى صادق وإلا فهو كاذب.

فإن تبين صدق الجنى تتفق معه -أي الجنى- أن يخرج من المريض ولا يعود إليه وأنتك ستبطل السحر إن شاء الله تعالى ثم تقرأ على ماء الآيات الآنفة الذكر وتزيد عليها الآية رقم (١٠٢) من سورة البقرة كل من هذه الآيات يقرأ سبع مرات ثم يشرب منه المسحور (٧ أيام صباحاً ومساءً).

وإن قال الجنى إن المسحور قد تخطى السحر أو عمل له على أثر من آثاره (شعره - أو ثوبه ...) في هذه الحالة تقرأ الآيات المذكورة آنفاً على ماء ويغتسل منها المريض (٧ أيام خارج الحمام ويصب الماء في الشارع مثلاً أو في أي مكان خارج دورات المياه.

ثم تأمر الجنى أن يخرج ولا يعود إليه مرة أخرى وتأخذ عليه العهد وتأمره بالخروج. ثم يعود إليك المريض بعد أسبوع فتقرأ عليه الرقية مرة أخرى فإن لم يشعر بشيء فالحمد لله قد انتهى السحر، وإن صرع المريض مرة أخرى فالجنى كاذب ولم يخرج فسله عن سبب عدم خروجه وتعامل معه باللين فإن استجاب فالحمد لله، وإن لم يستجب فالضرب والقراءة وغير ذلك من ألوان التعذيب، وإن لم يصرع المريض ولكنه شعر بدوخة أو رعشة أو غير ذلك فتعطيه شريطاً مسجلاً عليه آية الكرسي مكرر لمدة ساعة يستمع له كل يوم (٣) مرات لمدة شهر كامل ثم يأتيك بعد شهر تقرأ عليه فسيكون قد شفي إن شاء الله تعالى وإلا تسجل له سور (الصفات، يس، الدخان، الجن) على شريط ويستمع له أيضاً (٣) مرات في اليوم لمدة (٣) أسابيع فيشفى بإذن الله تعالى.

الحالة الثانية:

أن يشعر المريض أثناء الرقية (بدوخة أو رعشة أو انتفاضة أو صداع شديد) ولكنه لم يصرع في هذه الحالة تكرر الرقية على المريض (٣) مرات فإن صرع تعامله كما في الحالة الأولى، وإن لم يصرع ولكن بدأت الرعدة والصداع يخفان فاقراً عليه الرقية (٣ أو ٧ أو ٩) أيام فيشفى بإذن الله تعالى.

فإن لم يتم الشفاء تتبع الآتي:

١- تسجل له سورة الصفات كاملة مرة واحدة وآية الكرسي ٧ مرات على شريط ويستمع له (٣) مرات يوميًا.

٢- يحافظ على الصلاة في جماعة.

٣- يقول بعد صلاة الفجر: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (١٠٠) مرة لمدة شهر مع ملاحظة أن الآلام ستزيد عليه في العشرة أيام الأولى أو (١٥) يومًا تقريبًا ثم تخف تدريجيًا وفي نهاية الشهر يكون قد انتهى الألم عند ذلك اقرأ عليه فلن يشعر بشيء

-إن شاء الله تعالى- ويكون السحر قد بطل.

وربما ظلت زيادة الألم طول الشهر مع الشعور بضيق شديد في الصدر عند ذلك تسأله عن الأعراض مرة أخرى فإن لم تجد معظم الأعراض متوفرة فهذا ليس بمسحور ولا مريض -ويمكن أن تتأكد فتكرر الرقية (٣) مرات- وإن كانت الأعراض متوفرة وكررت الرقية ولم يشعر بشيء- وهذا نادر جدًا، تعطيه الآتي:

١- تسجيل سورة يس والدخان والجن على شريط ويستمع لها (٣) مرات يوميًا.

٢- الإكثار من الاستغفار يوميًا.

٣- الإكثار من قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله) (١٠٠) مرة أو أكثر يوميًا لمدة شهر ثم تقرأ عليه الرقية وتعامله كما في الحالتين الأوليين:

المرحلة الثالثة من مراحل العلاج: مرحلة ما بعد العلاج:

فإذا شفاه الله على يديك وشعر بالعافية فتحمد الله تبارك وتعالى الذي وفقك لذلك وتزداد فقراً إلى الله كي توفق في غيرها من الحالات ولا يكون ذلك سبباً في طغيانك وتكبرك ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوسُكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم].

والمريض معرض في هذه المرحلة لتجديد السحر لأن كثيراً ممن يعملون السحر إذا شعروا بأن المريض ذهب لأحد المعالجين للعلاج عادوا إلى الساحر ليجدد لهم السحر مرة أخرى ولذلك يجب على المريض أن لا يعلم أحداً بذلك، وعليه أن يتبع هذه التحصينات:

١- المحافظة على الصلاة في جماعة.

٢- عدم سماع الأغاني والموسيقى.

٣- الوضوء قبل النوم وقراءة آية الكرسي.

٤- البسملة عند كل شيء.

٥- يقول بعد صلاة الفجر: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) (١٠٠) مرة.

٦- لا يمر عليه يوم إلا ويقرأ شيئاً من كتاب الله أو يستمع إن كان أمياً.

٧- مصاحبة الصالحين.

٨- المحافظة على أذكار الصباح والمساء.

ملحوظة:

علاج سحر المحبة:

١- تقرأ على المريض الرقية التي ذكرتها آنفاً غير أنك تحذف منها الآية رقم

(١٠٢) من سورة البقرة وتضع مكانها الآيات (١٤، ١٥، ١٦) من سورة

التغابن وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ

وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ

اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ

عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا

لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن].

٢- غالباً لا يصرح المسحور بهذا النوع من السحر وإنما يشعر بتخدير في

الأطراف أو صداع في الرأس أو ضيق في الصدر أو ألم شديد في المعدة

خاصة إذا كان قد شرب السحر، وربما تقيأ.

فإن شعر بالألم في المعدة أو رغبة في التقيؤ فاقراً له هذه الآيات على ماء ومره أن

يشرب منها أمامك فإن تقيأ شيئاً أصفر أو أحمر أو أسود فقد بطل السحر والحمد

لله وإلا فمره أن يشرب من هذا الماء (٣) أسابيع.

وهذه الآيات هي: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾

فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فغلبوا هنالك وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ

سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف]، ﴿قَالَ

مُوسَىٰ مَا جِئْتُهُ بِالسِّحْرِ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ [يونس] ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سِحْرٌ وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]، آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة] تقرأ هذه الآيات (٧) مرات على الماء، مع ملاحظة الإخفاء عن المرأة لأنها لو علمت جددت له السحر مرة أخرى.

(ما كتبه فيما يتعلق بالسحر نخلته بتصرف من كتاب فضيلة الشيخ/ وحيد عبد السلام بالي - الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار).
تحصينات ضد السحر والمس الشيطاني:

الحصن الأول:

الاصطباح (أي صباحاً) بسبع تمرات عجوة على الريق يومئاً، تأكل (٧) تمرات عجوة على الريق إن استطعت أن يكون من تمر المدينة المنورة فهذا هو المطلوب، وإن لم تستطع فأَي تمر عجوة توفر لديك لقول النبي ﷺ: «مَنْ اصْطَبَحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمٌّ وَلَا سِحْرٌ»^(١).

الحصن الثاني:

الوضوء: فإن السحر لا يؤثر في المسلم المتوضئ، وإن المسلم المتوضئ محروس بملائكة من قبل الرحمن جل وعلا فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «طهروا هذه الأجساد طهركم الله فإنه ليس عبد يبيت طاهراً إلا بات معه ملك في شعاره لا ينقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهراً»^(٢).

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٧٧٩).

(٢) حسن، رواه المنذر في الترغيب (١٣١٢) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٩٩) والطبراني في الأوسط بإسناد جيد.

الحصن الثالث:

المحافظة على صلاة الجماعة: المحافظة على صلاة الجماعة تجعل المؤمن في مأمن من الشيطان والتهاون فيها يجعل الشيطان يستحوذ على الإنسان وإذا استحوذ عليه أصابه بالمس أو السحر أو غيرهما من الأشياء التي يقدر عليها الشيطان فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ الْقَاصِيَةَ»^(١).

الحصن الرابع:

قيام الليل: من أراد أن يحصن نفسه من السحر فليقم شيئاً من الليل، ولا يهمل في ذلك لأن الإهمال في قيام الليل يسلط الشيطان على الإنسان، وإذا تسلط عليك الشيطان كنت أرضاً خصبة لتأثير السحر فيك.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ذَكَرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ»^(٢).
وروى سعيد بن منصور عن ابن عمر: «مَا أَصْبَحَ رَجُلٌ عَلَى غَيْرِ وَتَرٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى رَأْسِهِ جَرِيرٌ قَدَرِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا»^(٣).

الحصن الخامس:

الاستعاذة عند دخول الخلاء: وذلك لأن الشيطان يستغل فرصة وجود المسلم في هذا المكان الخبيث الذي هو مسكن الشياطين ومأواهم ويتسلط عليه فقد صح عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا دخل الخلاء: «بِسْمِ اللَّهِ» «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ

(١) حسن، رواه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧)، حسنه الألباني في المشكاة (١٠٦٧).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٧٠)، ومسلم (٢٠٥/٧٧٤)، والنسائي (١٦٠٨).

(٣) ذكره الحافظ في الفتح (٢٥/٣) وقال: سنده جيد.

الْحُبُّبِ وَالْحَبَائِثِ»^(١) أي: من ذكران الشياطين وإنائهم.

الحصن السادس:

الاستعاذة عند الدخول في الصلاة: عَنْ ابْنِ جُبَيْرٍ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّه رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي صَلَاةً قَالَ عَمَرُو: لَا أَذْرِي أَيَّ صَلَاةٍ هِيَ؟! فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ثَلَاثًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ»^(٢). نفخه: الكبر، ونفثه: الشعر، وهمزه: الصرع والجنون.

الحصن السابع:

تحصين المرأة عند العقد بها: بعدما تعقد على زوجتك تضع يدك اليمنى على جبهتها وتقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ»^(٣)، اللهم بارك لي فيها وقها شر حاسد إذا حسد، وساحر إذا سحر، وماكر إذا مكر.

الحصن الثامن:

افتتاح الحياة الزوجية بالصلاة: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إذا أتتك امرأتك -يعني يوم الدخول بها- فمرها أن تصلي ورائك ركعتين وقل: اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لهم في، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير، وفرق بيننا إذا فرقت إلى الخير»^(٤).

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤٢، ٦٣٢٢)، ومسلم (١٢٢/٣٧٥)، وأبو داود (٤)، والترمذي (٥، ٦)، والنسائي (١٩)، وابن ماجه (٢٩٨) كلهم عن أنس رضي الله عنه، وزيادة بسم الله في أوله أخرجها سعيد بن منصور انظر فتح الباري (٢٤٤/١).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٧٦٤)، وصححه الألباني في الكلم الطيب (٨٠).

(٣) حسن، رواه أبو داود (٢١٦٠)، وابن ماجه (٢٢٥٢)، حسنه الألباني في الكلم الطيب (٢٠٨).

(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٥٤٧) وقال: رواه الطبراني ورجال الصالحين =

الحصن التاسع:

التحصين عند الجماع: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»^(١).

الحصن العاشر:

تنوضاً قبل النوم، وتقرأ آية الكرسي وتذكر الله تعالى حتى يدركك النعاس فقد صح أن الشيطان قال لأبي هريرة: (من قرأ آية الكرسي قبل النوم لا يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه الشيطان حتى يصبح). وأقره النبي ﷺ على ذلك فقال: «صدقك وهو كذوب»^(٢).

الحصن الحادي عشر:

تقول بعد صلاة الفجر: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير) ١٠٠ مرة، فقد صح عن النبي ﷺ أن: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدَلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِزْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمِيسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ»^(٣).

الحصن الثاني عشر:

تقول عند دخول المسجد «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنْ

= وقال الألباني في آداب الزفاف (ص: ٢٤): أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، وكذا عبد الرزاق في مصنفه وسنده صحيح، وأخرجه الطبراني بسندين صحيحين.

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤١، ٣٢٧١، ٦٣٨٨، ٧٣٩٦)، ومسلم (١٤٣٤/١١٦).

(٢) رواه البخاري تعليقا في كتاب الوكالة مجزوماً به.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٣٢٩٣، ٦٤٠٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦٩١/٢٨)، والترمذي

(٣٤٦٨)، وابن ماجه (٣٧٩٨).

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ»^(١).

الحصن الثالث عشر:

تقول في الصباح والمساء «بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَطْ^(٢).

الحصن الرابع عشر:

تقول عند الخروج من البيت: «بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيتَ، فَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانُ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!!»^(٣).

الحصن الخامس عشر:

ذكر لرد كيد مردة الجن والشياطين؛ تقول بعد صلاتي الفجر والمغرب «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يَجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ»^(٤).

الحصن السادس عشر:

الاستعاذة بالله تعالى: لقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٦٦)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٤٧١٥).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٣٣٨٨)، وأبو داود (٥٠٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، صحيحه الألباني (٥٧٤٥، ٦٤٢٦).

(٣) صحيح، رواه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦) كلاهما عن أنس بن مالك، صحيحه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٩٩).

(٤) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٥٠٣٤، ١٥٠٣٥) (٤١٩/٣)، وابن السني (٦٣٧)، الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٧/١٠)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٧٤).

فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ [الأعراف]. وقول الرسول ﷺ في حديث الصحيحين لم رآه غاضباً: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ دَا عَنْهُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» (١).

الحصن السابع عشر:

قراءة المعوذتين: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، لحديث النسائي وغيره: «يَا ابْنَ عَابِسٍ أَلَا أَدْلِكَ أَوْ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعُوذُ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق] وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس] هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ» (٢).

الحصن الثامن عشر:

قراءة سورة البقرة بكاملها؛ لحديث مسلم وفيه: «لَا تَجْعَلُوا يُتُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» (٣).

الحصن التاسع عشر:

ذكر الله تعالى؛ لحديث الترمذي بسند صحيح وفيه: قال يحيى بن زكريا: «أَمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَخْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُخْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ» (٤).

الحصن العشرين:

التعوذ بالله عز وجل عند سماع نباح الكلاب ونهيق الحمير؛ لقوله ﷺ في

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢٨٢، ٦٠٤٨، ٦١١٥)، ومسلم (١٠٩/٣٦١٠) واللفظ له، وأبو داود (٤٧٨١).

(٢) صحيح، رواه النسائي (٥٤٣٢) صحيحه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٠٤)، وأحمد في المسند (١٦٨٤٦، ١٦٩٣٨).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢١٢/٧٨٠).

(٤) صحيح، رواه الترمذي (٢٨٦٣) وصحيحه الألباني في سنن الترمذي.

الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»^(١).

ولقوله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الكِلَابِ وَنَهيقَ الحُمُرِ بِاللَّيْلِ؛ فَتَعَوَّدُوا بِاللَّهِ فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لَا تَرَوْنَ»^(٢).



(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣٠٣) واللفظ له، ومسلم (٨٢/٢٧٢٩)، وأبو داود (٥١٠٢)، والترمذي (٣٤٥٩).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٥١٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠)، وأحمد في المسند (١٣٨٧١).

تأثير العين

الأدلة من القرآن الكريم على تأثير العين:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هاتين الآيتين: يقول تعالى إخبارًا عن يعقوب عليه السلام: إنه أمر بنيهِ لما جهزهم مع أخيه بنيامين إلى مصر، ألا يدخلوا كلهم من باب واحد، وليدخلوا من أبواب متفرقة، فإنه كما قال ابن عباس، ومحمد بن كعب، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسُّدي: إنه خشي عليهم العين، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة، ومنظر وبهاء، فخشى عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم؛ فإن العين حق، تستنزل الفارس عن فرسه. وروى ابن أبي حاتم، عن إبراهيم النخعي في قوله: ﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: ٦٧] قال: علم أنه سيلقى إخوته في بعض الأبواب. وقوله: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٦٧] أي: هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضائه؛ فإن الله إذا أراد شيئًا لا يخالف ولا يُمانع، ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ [يوسف: ٦٨] قالوا: هي دفع إصابة العين عنهم^(١). أهد. باختصار.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [القلم].

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٨٥).

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: قال ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما: ﴿لِيَرْفَعُونَكَ﴾ [القلم: ٥١] لينفذونك ﴿بِأَبْصَرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١] أي: ليعينونك بأبصارهم، بمعنى: يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك، وحمايته إياك منهم. وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق، بأمر الله، عز وجل، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة^(١). أهـ.

الأدلة من السنة النبوية على تأثير العين:

- ١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْعَيْنُ حَقٌّ»^(٢).
- ٢- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «استعينوا بالله من العين فإن العين حق»^(٣).

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا»^(٤). أي: وإذا طُلب من أحدكم أن يغتسل لأخيه المسلم؛ لأنه أصابه بالعين، فليلب طلبه وليغتسل له.

٤- وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ وَلَدَ جَعْفَرٍ تُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْعَيْنُ أَفَأَسْتَرْفِي لَهُمْ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ»^(٥).

٥- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ لَتَوَلِّعُ

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤١٠).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٥٧٤٠، ٥٩٤٤)، ومسلم (٤١/٢١٨٧)، وأبو داود (٣٨٧٩)، وابن ماجه (٣٥٠٧).

(٣) صحيح، رواه ابن ماجه (٣٥٠٨)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٩٣٨).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٤٢/٢١٨٨)، والترمذي (٢٠٦٢).

(٥) صحيح، رواه الترمذي (٢٠٥٩)، وصحيحه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٥٦٠)، وأحمد في المسند (٢٦٩٢٤) وقال الأرناؤوط: حديث حسن.

بِالرَّجُلِ بِإِذْنِ اللَّهِ حَتَّى يَصْعَدَ حَالِقًا ثُمَّ يَتَرَدَّى مِنْهُ»^(١). والمعنى أن العين تصيب الرجل فتؤثر فيه حتى أنه ليصعد مكانًا مرتفعًا ثم يسقط من أعلاه من أثر العين.

٦- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الْعَيْنُ حَقٌّ تَسْتَرْلُ الْحَالِقَ»^(٢).

٧- وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العين تدخل الرجل القبر، وتدخل الجمل القدر»^(٣). والمعنى: أن العين تصيب الرجل فتقتله فيموت ويدفن في القبر، وتصيب الجمل فيشرف على الموت فيذبح ويطبخ في القدر.

٨- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَمَرَ أَنْ يُسْتَرْقَى مِنَ الْعَيْنِ»^(٤).

٩- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الرُّقِيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ وَالنَّمْلَةِ»^(٥)، الحمة: كل لدغة فيها سم كلدغة الحية والعقرب وغيرهما، النملة: قروح تخرج في الجنب^(٦).

١٠- وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَجَارِيَةٍ فِي بَيْتِ أُمِّ

(١) رواه أحمد في المسند (٢٠٧٩٥). وصححه الألباني انظر صحيح الجامع الصغير (١٦٨١).

(٢) حسن، رواه أحمد في المسند (٢٤٧٣، ٢٦٧٦) وقال الأرناؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف، والحاكم في المستدرک (٧٦/٧٤٩٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه الزيادة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤١٤٦).

(٣) حسن، انظر صحيح الجامع الصغير للشيخ الألباني (٤١٤٤).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٥٧٣٨).

(٥) صحيح، رواه مسلم (٥٨/٢١٩٦).

(٦) راجع النهاية لابن الأثير.

سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ رَأَى بِوَجْهِهَا سَفْعَةً فَقَالَ: «بِهَا نَظْرَةٌ فَاسْتَرْقُوا لَهَا»
يَعْنِي: بِوَجْهِهَا صُفْرَةٌ^(١). سفعة: علامة من الشيطان، وقيل: ضربة واحدة
منه أي بقعة سوداء أو صفراء في وجهها.

١١- وعن جابر رضي الله عنه قال: رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَلِ حَزْمٍ فِي رُقِيَةِ الْحَيَّةِ،
وَقَالَ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: «مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً تُصَيِّهُمُ
الْحَاجَةُ؟» قَالَتْ: لَا، وَلَكِنَّ الْعَيْنَ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ، قَالَ: «ارْقِيهِمْ» قَالَتْ:
فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ»^(٢).

أقوال العلماء في حقيقة العين:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز
وجل^(٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: حقيقة العين نظر باستحسان مشوب
بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر^(٤).

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى: يقال: أصابت فلاناً عين إذا نظر إليه عدو أو
حسود فأثرت فيه بمرض بسببها^(٥).

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى: فأبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع
والعقل أمر العين، وقالوا: إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها، وهؤلاء من أجهل الناس
بالسمع والعقل، ومن أغلظهم حجاً، وأكثفهم طباعاً، وأبعدهم معرفة عن الأرواح
والنفوس وصفاتها وأفعالها وتأثيرها، ولا تنكره وإن اختلفوا في سببه وجهة تأثير العين.

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٧٣٩)، ومسلم (٥٩/٢١٩٧) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦٠/٢١٩٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٤١٠/٤).

(٤) فتح الباري (٢٠٠/١٠).

(٥) النهاية لابن الأثير (٣٣٢/٣).

ثم قال: وَلَا رَيْبَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ فِي الْأَجْسَامِ وَالْأَرْوَاحِ قُوَى وَطَبَائِعَ مُخْتَلِفَةً، وَجَعَلَ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا خَوَاصَّ وَكَيْفِيَّاتٍ مُؤَثِّرَةً، وَلَا يُمَكِّنُ لِعَاقِلٍ انْكَارَ تَأْثِيرِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ فَإِنَّهُ أَمَرَ مُشَاهِدَ مُحْسُوسٍ، وَأَنْتَ تَرَى الْوَجْهَ كَيْفَ يَحْمَرُّ حُمْرَةً شَدِيدَةً إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ يَحْتَشِمُهُ وَيَسْتَحْيِي مِنْهُ، وَيَصْفَرُّ صُفْرَةً شَدِيدَةً عِنْدَ نَظَرٍ مَنْ يَخَافُهُ إِلَيْهِ، وَقَدْ شَاهَدَ النَّاسُ مَنْ يَسْقَمُ مِنَ النَّظَرِ وَتَضْعُفُ قُوَاهُ، وَهَذَا كُلُّهُ بِوَاسِطَةِ تَأْثِيرِ الْأَرْوَاحِ وَلِشِدَّةِ ارْتِبَاطِهَا بِالْعَيْنِ يُنْسَبُ الْفِعْلُ إِلَيْهَا، وَلَيْسَتْ هِيَ الْفَاعِلَةُ وَإِنَّمَا التَّأْثِيرُ لِلرُّوحِ، وَالْأَرْوَاحُ مُخْتَلِفَةٌ فِي طَبَائِعِهَا وَقُوَاهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا وَخَوَاصِّهَا، فَرُوحُ الْحَاسِدِ مُؤَذِيَةٌ لِلْمَحْسُودِ أَدَى بَيْنًا وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ أَنْ يَسْتَعِيدَ بِهِ مِنْ شَرِّهِ، وَتَأْثِيرُ الْحَاسِدِ فِي أَدَى الْمَحْسُودِ أَمْرٌ لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ خَارِجٌ عَنْ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَهُوَ أَضَلُّ الْإِصَابَةِ بِالْعَيْنِ فَإِنَّ النَّفْسَ الْخَبِيثَةَ الْحَاسِدَةَ تَتَكَيَّفُ بِكَيْفِيَّةِ خَبِيثَةٍ وَتُقَابِلُ الْمَحْسُودَ فَتُؤَثِّرُ فِيهِ بِتِلْكَ الْخَاصِيَّةِ، وَأَشْبَهُ الْأَشْيَاءِ بِهَذَا الْأَفْعَى فَإِنَّ السَّمَّ كَامِنٌ فِيهَا بِالْقُوَّةِ، فَإِذَا قَابَلَتْ عَدُوَّهَا انْبَعَثَتْ مِنْهَا قُوَّةٌ غَضَبِيَّةٌ وَتَكَيَّفَتْ بِكَيْفِيَّةِ خَبِيثَةٍ مُؤَذِيَةٍ، فَمِنْهَا مَا تَشْتَدُّ كَيْفِيَّتُهَا وَتَقْوَى حَتَّى تُؤَثِّرَ فِي إِسْقَاطِ الْجَنِينِ، وَمِنْهَا مَا تُؤَثِّرُ فِي طَمَسِ الْبَصَرِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأُبْتَرِ وَذِي الطَّفِئَتَيْنِ مِنَ الْحَيَاتِ: «إِنَّهُمَا يَلْتَمِسَانِ الْبَصَرَ وَيُسْقِطَانِ الْحَبْلَ»^(١).

والتأثير يكون تارةً بِالِاتِّصَالِ، وَتارةً بِالْمُقَابَلَةِ، وَتارةً بِالرُّؤْيَةِ، وَتارةً بِتَوَجُّهِ الرُّوحِ نَحْوَ مَنْ يُؤَثِّرُ فِيهِ، وَتارةً بِالْأَدْعِيَةِ وَالرَّقَى وَالتَّعَوِّذَاتِ، وَتارةً بِالْوَهْمِ وَالتَّحْيِيلِ، وَنَفْسُ الْعَائِنِ لَا يَتَوَقَّفُ تَأْثِيرُهَا عَلَى الرُّؤْيَةِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ أَعْمَى فَيُوصَفُ لَهُ الشَّيْءُ فَتُؤَثِّرُ نَفْسُهُ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَرَهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْعَائِنِينَ يُؤَثِّرُ فِي الْمَعِينِ بِالْوَصْفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ وَهِيَ سِيَّهَامٌ تَخْرُجُ مِنَ نَفْسِ الْحَاسِدِ وَالْعَائِنِ نَحْوَ الْمَحْسُودِ وَالْمَعِينِ تُصَيِّبُهُ تَارَةً وَتُخْطِئُهُ تَارَةً، فَإِنْ صَادَقَتْهُ مَكْشُوفًا لَا وَقَايَةَ عَلَيْهِ أَثَرَتْ فِيهِ وَلَا بُدَّ، وَإِنْ صَادَقَتْهُ حَذِرًا شَاكِي السَّلَاحِ لَا مَنَقَذَ فِيهِ لِلْسَّهَامِ لَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِ، وَرُبَّمَا رُدَّتِ السَّهَامُ عَلَى صَاحِبِهَا، وَأَصْلُهُ

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢٩٩)، ومسلم (١٢٨/٢٢٣٣).

مِنْ إِعْجَابِ الْعَائِنِ بِالشَّيْءِ، ثُمَّ تَتَّبِعُهُ كَيْفِيَّةُ نَفْسِهِ الْخَبِيثَةِ ثُمَّ تَسْتَعِينُ عَلَى تَنْفِيذِ سُمِّهَا بِنَظَرَةٍ إِلَى الْمَعِينِ وَقَدْ يَعِينُ الرَّجُلُ نَفْسَهُ وَقَدْ يَعِينُ بغيرِ إِرَادَتِهِ^(١). أهد مختصراً.

قلت: ولذلك فالعين عندما تنقذ بنظرة استحسان وإعجاب واستعظام ينبعث من نفس العائن مؤثرات وكأنها السهام فتارة تصيب المعين وترة تخطئه، فإذا صادفته مكشوفاً لا وقاية له أثرت فيه، وإن وجدته حذراً شاكي السلاح محصناً بالقرآن الكريم والدعوات والأذكار النبوية، فعند ذلك لا منفذ فيه لهذه المؤثرات وربما ردت على صاحبها.

الفرق بين العين والحسد:

١- الحاسد أعم من العائن، فالعائن حاسد خاص، ولذلك جاءت الاستعاذة في سورة الفلق من الحاسد، فإذا استعاذ المسلم من شر الحاسد دخل فيه العائن، وهذا من شمول القرآن وإعجازه وبلاغته.

٢- الحسد يأتي عن الحقد والبغض وتمني زوال النعمة، أما العين فيكون سببها الإعجاب والاستعظام والاستحسان.

٣- الحسد والعين يشتركان في الأثر حيث يسببان ضرراً للمعين والمحسود ويختلفان في المصدر، فمصدر الحسد تحرق القلب واستنكار النعمة على المحسود، وتمني زوالها عنه، أما العائن فمصدره انقذاح نظرة العين لذا فقد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان أو نبات أو مال، وربما أصابت عينه نفسه، فرؤيته للشئ رؤية تعجب وتحقق مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر في العين.

٤- الحاسد يمكن أن يحسد في الأمر المتوقع قبل وقوعه بينما العائن لا يعين إلا الموجود بالفعل.

٥- لا يحسد الإنسان نفسه ولا ماله ولكنه قد يعينهما.

(١) زاد المعاد (٤/١٤٩).

٦- لا يقع الحسد إلا من نفس خبيثة حاقدة، ولكن العين قد تقع من رجل صالح من وجهة إعجابه بالشيء دون إرادة منه إلى زواله، كما حدث من عامر بن ربيعة عندما أصاب سهل بن حنيف بعين رغم أن عامر رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام بل من أهل بدر.

ومن فرق بين الحسد والعين ابن الجوزي وابن القيم وابن حجر والنووي وغيرهم رحمهم الله جميعًا.

ويستحب للمسلم إذا رأى شيئًا فأعجبه أن يُبرِّك عليه بمعنى أن يدعو بالبركة سواء كان هذا الشيء له أو لغيره لقول النبي ﷺ في حديث سهل بن حنيف: «أَلَّا بَرَكْتَ إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ»^(١). أي: دعوت بالبركة لأن هذا الدعاء يمنع تأثير العين.

الجن يعينون الإنس:

ثبت في الأحاديث الصحيحة:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الجان ثم أعين الإنس فلما نزلت المعوذتان أخذهما وترك ما سوى ذلك»^(٢).

٢- وعن أمنا أم سلمة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْجَارِيَةِ فِي يَتِّتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ رَأَى بِوَجْهِهَا سَفْعَةً فَقَالَ: «بِهَا نَظْرَةٌ فَاسْتَرْقُوا لَهَا»^(٣) يَعْنِي: بِوَجْهِهَا صُفْرَةً.

قال الفراء: قوله (سفعة) أي: نظرة من الجن.

ومن هذين الحديثين يتبين لنا: أن العين تقع من الجن كما تقع من الإنس، ولذا

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٥٥٥٠)، ومالك في الموطأ (١٧٤٦، ١٧٤٧)، صحيحه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٥٦٢).

(٢) صحيح، رواه النسائي (٥٤٩٤)، وابن ماجه (٣٥١١).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٥٧٣٩)، ومسلم (٥٩/٢١٩٧) واللفظ له.

يجب على كل مسلم أن يذكر اسم الله عندما يخلع ثوبه أو ينظر في المرأة أو يقوم بأي عمل، كي يدفع عن نفسه أذى الجن من أعين وغيرها.

علاج العين:

هناك عدة طرق لعلاج العين منها:

الطريقة الأولى: اغتسال العائن:

إذا عُرف العائن يؤمر بالاغتسال، ثم يؤخذ الماء الذي اغتسل فيه ويصب على المحسود من خلفه فيبرأ بإذن الله تعالى.

فعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، اغتسل سهل بن حنيف، وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلبط سهل فأتى رسول الله ﷺ فقبل له: يا رسول الله هل لك في سهل؟ والله ما يرفع رأسه وما يفيق قال: «هل تتهمون فيه من أحد؟» قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغيط عليه، وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟» هلاً إذا رأيت ما يعجبك بركت؟» ثم قال له: «اغتسل له»، فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجلتيه وداخلته إزاره في قدح، ثم صب ذلك الماء عليه يصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه يكفي القدح وراءه ففعل به ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس^(١).

واختلف في داخلته الإزار ف قيل: المراد موضعه من الجسد، وقيل: المراد مذاكيره، وقيل: المراد وركه إذ هو معقد الإزار، قال القاضي ابن العربي: الظاهر والأقوى بل إنه الحق إنه ما يلي الجسد من الإزار^(٢).

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٥٥٥٠) واللفظ له، ومالك في الموطأ (١٧٤٦)، (١٧٤٧)، صحيحه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٥٦٢).

(٢) عارضة الأحوذى (٢١٧/٨).

صفة الاغتسال:

قال ابن شهاب الزهري رحمه الله تعالى: الغسل الذي أدركنا علماءنا يصفونه: أن يؤتى الرجل العائن بقدرح فيدخل كفه فيمضمض، ثم يمجه في القدرح، ثم يغسل وجهه في القدرح، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على كفه اليمنى بالقدرح، ثم يدخل يده اليمنى فيصب بها على كفه اليسرى صبة واحدة، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الأيمن، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الأيسر، ثم يدخل يده اليسرى فيصب بها على قدمه اليمنى، ثم يدخل يده اليمنى فيصب بها على قدمه الأيسر، ثم يدخل يده اليسرى فيصب بها على ركبته اليمنى، ثم يدخل يده اليمنى ويصب بها على ركبته اليسرى، كل ذلك في قدرح ثم يغسل داخلته إزاره في القدرح، ثم يصب على رأس الرجل الذي أصيب بالعين من خلفه صبة واحدة^(١). أهـ.

مشروعية غسل العائن:

- ١- قال النبي ﷺ: «الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ وَإِذَا اسْتُغْسِلَتْمْ فَأَغْسِلُوا»^(٢).
- ٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ يُؤَمَّرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ»^(٣).

ومن هذين الحديثين وغيرهما يؤخذ مشروعية الوضوء أو الاغتسال من العائن للمعين.

الطريقة الثانية:

تضع يدك على رأس المصاب وتقول: «بِاسْمِ اللَّهِ أَزْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ

(١) راجع السنن للبيهقي (٢٥٢/٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٤٢/٢١٨٨)، والترمذي (٢٠٦٢).

(٣) صحيح، رواه أبو داود (٣٨٨٠)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٢٢).

شَرُّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ»^(١)، وتكرر ذلك ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع مرات.

الطريقة الثالثة:

تضع يدك على رأس المصاب وتقول: «بِاسْمِ اللَّهِ يُعْرِيكَ وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ»^(٢)، تكرر عدة مرات خمساً أو سبعاً.

الطريقة الرابعة:

تضع يدك على المصاب وتقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»^(٣)، تكررهما وتراً.

الطريقة الخامسة:

تحضر إناء به ماء وتقرأ عليه المعوذتين ثم تقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا» (٣) مرات، «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ» (٣) مرات، ثم يسكب الإناء على رأس المحسود مرة واحدة من خلفه بحيث يعم الماء جميع جسده، يشفى بإذن الله.



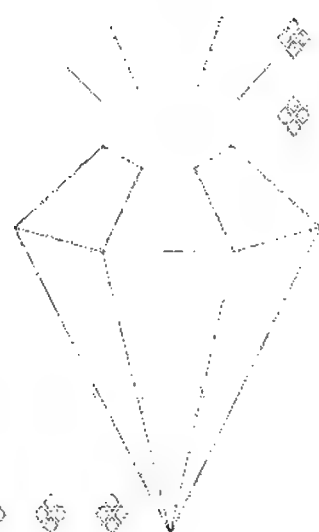
(١) صحيح، رواه مسلم (٢١٨٦/٤٠).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢١٨٥/٣٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٥٧٤٣، ٥٧٥٠) واللفظ له، ومسلم (٢١٩١/٤٦، ٤٧).

الركن الثالث من أركان الإيمان

الإيمان بالكتب



الركن الثالث من أركان العقيدة

الإيمان بالكتب

حقيقة الإيمان بالكتب:

معنى الإيمان بالكتب الإلهية الذي هو جزء من عقيدة المؤمن: هو التصديق الجازم بما أوحى الله من كلامه الخاص إلى من اصطفى من رسله عليهم السلام، فجمع ودون فكان صُحُفًا مطهرة، وكتبًا قيمة، فما عُرف منها آمن به المؤمن تفصيلًا وما لم يعرف آمن به إجمالًا.

الأدلة على وجوب الإيمان بالكتب السماوية وكونه ركنًا من أركان الإيمان:

إن الإيمان بالكتب السماوية الإلهية لواجب شرعًا كما هو واجب عقلاً وهذا بيان بذلك:

أما كون الإيمان بالكتب الإلهية واجبًا شرعًا وذلك لأن الله تعالى أمر به أمرًا جازمًا لا يقتضي إلا طاعة الله تعالى فيه، وتحريم معصيته إذ قال الله تعالى في الأمر بالإيمان بكتبه: ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكِتَبِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء]، إن هذه الآية وحدها كافية في الدلالة على وجوب الإيمان بكتب الله تعالى عامة، وبالقرآن الكريم كتاب الإسلام والمسلمين خاصة.

إن الإيمان بالكتب ليس واجبًا فحسب بل هو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان عبد إلا باستكمالها بالإيمان بها كلها.

ومن السنة:

حديث مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي جاء فيه سؤال جبريل للرسول ﷺ عن الإيمان وجواب الرسول ﷺ له بأنه: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ،

وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١)، حلوه ومره.

أما كون الإيمان بها واجباً عقلاً فإنه يظهر للمتأمل من حيث حاجة العباد لها، وإقامة الحجة عليهم بها، فإن الرسول المبلغ عن الله شرائعه، وأحكامه يحتاج غالباً في إثبات رسالته إلى كتاب من الله تقوم به الحجة له على تلك الأمة التي أرسل إليها حتى يؤمنوا به ويصدقوه ويتبعوه، ويعملوا بما جاءهم به، والتشريع الإلهي نفسه يحتاج إلى كتاب يحويه ويتضمنه ويثبت فيه، ليبقى بعد وفاة الرسول الذي جاء به شرعاً محفوظاً، تعمل به الأجيال إلى المدى الذي حدد له بنسخه برسالة أخرى، أو بنسخ بعض ما جاء فيه كما حصل للتوراة والإنجيل، فقد نسخ الله تعالى بالإنجيل بعض أحكام التوراة، ونسخ بالقرآن الكريم الإنجيل والتوراة كليهما.

ولولا بقاء الكتاب بعد الرسول لضاع الدين الذي جاء به، أو ضاع الكثير منه، وحينئذ يقول الناس: بم نعبد الله؟ وكيف نعبده ولم يكن لدينا من شرائعه ما نعبد به؟؟ وتكون لهم الحجة على الله تعالى، وهذا ما لم يرد الله تعالى حيث صرح بنفسه في قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء].

ما عرف من الكتب الإلهية وما لم يُعرف:

١- ما هو المصدر لمعرفة كتب الله السماوية؟

إن المصدر الوحيد الذي يُرجع إليه لمعرفة الكتب الإلهية بالتفصيل هو القرآن الكريم وحده، إذ هو الكتاب المحفوظ حفظاً لا يتطرق إليه معه الزيادة ولا النقص ولا التحريف ولا التغيير أو التبديل، بحال من الأحوال، لأنه من ساعة نزول الآية منه أو الآيات أو السور القصيرة أو الطويلة ورجال متوفرون لكتابته في سطورهم وحفظه في صدورهم، فلم يتم نزوله في خلال الثلاث والعشرين سنة من عهد النبوة المحمدية حتى حفظه عن ظهر قلب مئات الرجال الأذكياء الأمناء ثم لم يمض

(١) صحيح، رواه مسلم (١/٨).

إلا زمن قصير حتى أصبح حفاظ القرآن غيبًا في الصدور عشرات الآلاف من الرجال الأفاضل والنساء الفضليات واستمر محفوظًا في الصدور، ومدونًا في السطور، ترعاه أمم ودول وشعوب وحكومات، وتتوارث حفظه ورعايته الأجيال جيلًا بعد جيل إلى يومنا هذا.

وسوف يستمر القرآن محفوظًا بحفظ الله تعالى له إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاثِبٌ عَزِيزٌ﴾ [الأنبياء] لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت].

٢- وقد ذكر القرآن الكريم من الكتب السماوية صحف إبراهيم، وصحف موسى، وثلاثة كتب هي: تورا موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى عليه السلام، وذكرها في مواضع متفرقة منه، نذكر منها قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان]، والمراد من لفظ الكتاب في هذه الآية التوراة.

وقوله تعالى في الحديث عن اليهود: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمٌ اللَّهُ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء] إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ [المائدة].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ فَقَيْنَا عَلَىٰ عَائِثِهِمْ بِرُسُلِنَا وَفَقَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧].

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [١٨] صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى].

٣- جاء في مواضع أخرى من القرآن الكريم ذكر بعض ما جاء فيها من أخبار نحو قوله تعالى في التوراة: ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ

بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفِ بِالْأَذُنِ وَاللِّسَنِ وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ
فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ [المائدة].

حيث ذكرت حكماً من أحكام القصاص في الأطراف، ونحو قوله تعالى:
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ
يُعِجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

فقد نصت هذه الآية القرآنية على أن وصف رسول الله ﷺ ووصف أصحابه في
كل من التوراة والإنجيل بنفس المعنى الذي حوته هذه الآية القرآنية الكريمة، كما
جاء في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٢٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٢٧﴾
أَلَّا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرًا أُخْرَىٰ ﴿٢٨﴾ وَأَن لِّئْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٢٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ
يُرَىٰ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَىٰ ﴿٣١﴾﴾ [النجم].

فقد نصت هذه الآيات من القرآن الكريم على أن في صحف كل من إبراهيم
وموسى: الإخبار بأن النفس المذنبة يوم القيامة لا يحمل عنها ذنبها غيرها، وأن
الإنسان ليس له من نتائج العمل إلا ما عمله، وسعى فيه بنفسه، كما أن سعي
الإنسان سوف يعرف به، ويجزاه كاملاً غير منقوص.

٤ - فهذه الكتب التي ذكرت في القرآن الكريم بأسمائها، وأسماء أصحابها الذين
نزلت عليهم، يؤمن بها المؤمن تفصيلاً كما ذكرت مفصلة، ويؤمن بباقي
كتب الله تعالى التي لم تذكر في القرآن مفصلة، حيث لم يرد في القرآن
ذكر أسمائها ولا أسماء من نزلت عليهم، وإنما ذكرت مجملة كما في قوله
تعالى من سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ
الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وكما في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، لقد جاء في هاتين الآيتين ذكر الكتاب مجملًا فيؤمن بها المؤمن مجملًا وإن لم يعرف أسماءها وأسماء من أنزلت عليهم.

٥- الخلاصة:

ولذلك فما عرفه المؤمن منها مفصلاً آمن به مفصلاً، وما عرفه منها مجملًا آمن بها مجملًا، ولا يؤمن ببعض ويكفر ببعض تعصبًا وضلالاً، كما هو حال اليهود والنصارى الذين آمنوا بالتوراة المحرفة، والإنجيل المبدل المغيّر، وكفروا بالقرآن المحفوظ الباقي غصًا طريًا كما نزل، والصابي المحض الذي لم يُشَبَّ فكانوا كمن آمن بالباطل وكفر بالحق، وهم (يعلم الله) لكذلك.

منزلة القرآن الكريم بين كتب الله تعالى:

وقد تتجلى هذه المنزلة العليا للقرآن العظيم بإمعان النظر في النقاط التالية والتأمل فيها:

١- كونه ناسخًا لها لفظًا وحكمًا، فلا تُقرأ للتعبّد، ولا يعمل بما فيها من شرائع وأحكام وذلك:

أ- لما دخلها من تحريف، وما أصابها من تضييع ونسيان إذ لم يبقَ فيها ما يجزم بصحة نسبته إلى الله تعالى أبدًا، عرف هذه الحقيقة وقررها المنصفون والمحققون من علماء أهل الكتابين معًا.

ب- كان التشريع فيها خاصًا ببني إسرائيل، ومؤقتًا بزمان معين، وليس أدل على نسخ القرآن للكتب قبله من أمر الله تعالى لنبي الله محمد ﷺ أن يحكم بين سائر الناس على اختلاف ما ينتحلون من ديانات بالقرآن الحكيم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴿[المائدة: ٤٨]﴾، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

٢- كونه مهيمناً عليها رقيباً شهيداً، فما صححه منها وأقره فيها صح وقر، وما أبطله منها ونفاه لكونه دخيلاً عليها بطل وانتفى كما جاء في الآية السابقة: ﴿وَأَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

٣- كون ما يحمل من التشريع الإلهي عامّاً لكل الناس في أي مكان وفي أي زمان وجدوا، وذلك لعموم رسالة صاحبه المنزّل عليه ﷺ، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان]، وقال: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨]، بخلاف الكتب التي سبقته فإنها كانت خاصة في المكان والزمان، ولا عموم فيها البتة.

٤- تعهد الرب تبارك وتعالى بحفظه إلى أن يرفعه إليه إذ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر]، وقال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [البقرة: ١٢٩]، لا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت]، فحفظه الله تبارك وتعالى بأن قيض له رجالاً أمناء، حفظوه في صدورهم ووسطروهم، فلم تقو يد العدوان على أن تزيد فيه حرفاً، ولا أن تُنقص منه حرفاً، بخلاف غيره من الكتب كالتوراة فقد ضاعت كلها في غزو بُختنصر البابلي لمملكة إسرائيل، ولم يعثر عليها إلا فيما بعد، ثم ما إن جمعت والله أعلم بصحة ما جمع فيها حتى تسلط عليها عبدة المادة فحرفوها وبدلوها حسب مصالحهم وأهوائهم، أما الإنجيل فيكفي في الدلالة على عدم حفظه أنه اليوم خمسة أناجيل (متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، وبرنابا) والأخير أصحها، وقد أُخفي من القرن الرابع إلى القرن السابع عشر الميلادية بعد أن

كان يوم نزوله إنجيلًا واحدًا!!!

٥- شموله لأصول الهداية البشرية وفروعها واحتوائه على أعظم منهج رباني محقق لسعادة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة متى آمن به وعمل بما فيه.

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوْنَ عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُمُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

لوحة مشرقة ببيان ما في القرآن من الهدى والخير:

إن في القرآن المجيد من الهدى والخير لبني البشرية كافة ما لا يوجد في كتاب غيره، وفي الأرقام التالية بيان ذلك وتحقيقه:

١- الهدى الموصل إلى كل خير والمرشد إلى كل كمال والهادي إلى سعادة

الدارين، قال سبحانه وتعالى: ﴿الْعَمَّ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة] وهو الرحمة بأتم معناها، والتي شملت: الإنسان والجان والحيوان والكبير والصغير، الحر والعبد، والحي والميت، قال تعالى في إثباتها: ﴿الْعَمَّ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان].

٢- الشفاء التام العام لجميع الأمراض العقلية والنفسية والقلبية شفاء من الكفر والشرك والشك والقلق والاضطراب والحيرة والخوف والكبر والحسد والكسل والعجز والبخل والشح والظلم والخرف، قال تعالى في إثبات هذا الشفاء وتقريره: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء].

٣- النور الكاشف لجميع الظلمات القلبية، والمبدد لسائر الجهالات النفسية، والمبين لسائر الحقائق والأسرار الكونية، قال تعالى في تقرير نورانيته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء].

٤- الموعظة الداعية إلى اكتساب كل فضيلة، والزاجرة عن كل رذيلة، قال تعالى في ذلك: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

٥- البشري بخيري الدنيا والآخرة وسعادهما قال تعالى في ذلك: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٥].

٦- أنزله الله عز وجل مؤيداً ومثبتاً ومقرراً لكل حق قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلٌ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨] أي: متلبساً به مشتملاً عليه مؤيداً له ومقرراً.

٧- الذكر الإلهي الذي تحيا عليه القلوب، وتطيب بتلاوته الأرواح، وتركو بالعمل به النفوس، الذكر المكسب للشرف والموصل لحضرة القدس، والرافع إلى ملاء الأخيار، قال تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [مر]، وقال في الحديث عنه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٠١].

٨- الخير العام لكل إنسان وجان وحيوان، فما من كائن في هذه الحياة إلا وناله من خيرية القرآن من يوم نزوله إلى يوم رفعه إلى الله وقبضه إليه، اللهم إلا المطرودين من شياطين الإنس والجان، المبلسين من كل خير، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ﴾ [النحل: ٢٠٠].

٩- التبيان والبيان لكل شيء مما كان الإنسان في حاجة إليه، ومما تتوقف عليه سعاده في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

١٠- أنزله الله تبارك وتعالى روحاً تسري في العباد فلا حياة فاضلة كريمة إلا بالقرآن، والناس بدون أن تسري فيهم الروح القرآنية أموات حقاً، لا يتفعون بوجودهم ولا بحياتهم المادية، قال تعالى في هذا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي

بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٢﴾ [الشورى].

شروط الانتفاع بما في القرآن من الخير والهدى:

لا ينتفع بالقرآن، ولا يتهيأ لفيوضاته الربانية إلا من استجمع أربع صفات:

١- الإسلام.

٢- الإيمان.

٣- الإحسان.

٤- التقوى.

١- الإسلام:

فيسلم وجهه وقلبه ويسخر كل ما يملك ابتغاء مرضاة الله فيصبح ويمسي وقد شغله أمر دينه، وليس له هم إلا الله عز وجل ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

٢- الإيمان:

وهو الإيمان والتصديق الجازم الذي لا يتخلله شك بكل ما جاء به المصطفى ﷺ عن ربه فيؤمن بوحداية الله ويؤمن بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء].

٣- الإحسان:

وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فتراقب الله عز وجل في الحركات والسكنات والأقوال والأفعال، تراقبه في كل ما تأتي وتذر، وما تقدم وما تؤخر، تراقبه في الطاعة كما تراقبه في المعصية وبمعنى آخر تراقبه في محابه فتأتيها بإتقان وصدق، كما تراقبه في مساخطه فتجتنبها في كره وبغض قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَتَلَكَ

ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢٧﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٨﴾ [لقمان].

٤- التقوى:

وهي أن تعمل بطاعة الله عز وجل على نور من الله ابتغاء مرضاة الله، وأن تجتنب معصية الله عز وجل على نور من الله ابتغاء مرضاة الله تخاف عقاب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿الْمَرْءُ الَّذِي كَتَبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة]. ولذلك فمن استكمل هذه الصفات الأربع وحققها، فقد استوجبت كل ما في القرآن من الخير والهدى، فحصل له الشفاء في صدره، والرحمة في قلبه، والنور في بصيرته، والبيان في لسانه، والحق في حكمه، والبشرى في حياته وآخרתها، والموعظة الداعية إلى اكتساب كل فضيلة، والزاجرة عن كل رذيلة، وأما من ظلم نفسه ولم يسلم وجهه لله عز وجل، فلا ينتفع بما جاء في القرآن من الهدى والخير ولا يزيده القرآن إلا خساراً، ولذلك فالمسلم الذي لا يقرأ القرآن ولا يتدبر مواظبه ولا يعمل بأحكامه وشرائعه ولا يستشفي بآياته يصدق عليه قول الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

تقرير أخير لعقيدة المؤمن في الكتب السماوية:

أن من عقيدة المؤمن أن يؤمن بكل ما أنزله الله من كتاب إجمالاً فيما لم يُعرف وتفصيلاً فيما يُعرف، فيؤمن بصحف إبراهيم وألواح موسى وتوراته وبزبور داود وإنجيل عيسى وفرقان محمد عليه وعليهم صلوات ربي وسلامه.

كما يؤمن بأن القرآن هو كتاب الله عز وجل الأكمل الذي نسخ الله به كتبه السماوية السابقة؛ لأنه متأخر عنها في النزول وسنة النسخ وطريقته دائماً أن ينسخ المتأخر المتقدم واللاحق السابق.

كما ويؤمن أن الرسالة التي تضمنها القرآن هي رسالة جاءت لكل الناس أبيضهم وأحمرهم وأصفرهم وأسودهم وعربهم وعجمهم وهي رسالة موجهة أيضاً للثقلين الإنس والجن وليست مخصصة بشعب دون آخر أو بزمان دون آخر.

كما ويؤمن أن الكتب المتوفرة والموجودة لدى نزول القرآن كالتوراة والزبور

والإنجيل كان قد داخلها التحريف والتبديل والتغيير والزيادة والنقصان فأصبحت لا تمثل حقيقة كتب الله تعالى، ومن ثم اقتضت رحمة الله تعالى أن يجدد للبشرية عهد النبوة بعد اندثاره وعهد الوحي بعد توقفه فبعث الله عز وجل النبي الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ وأنزل عليه الكتاب الكامل الجامع ونسخ بالإسلام سائر الكتب السماوية الأخرى وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) [آل عمران].

وقال ﷺ مبيناً نسخ كتابه (القرآن) لغيره من الكتب ونسخ دينه الإسلام لغيره من الأديان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه لما أتاه بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب: «لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّضَاءُ نَقِيَّةٌ لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتَكْذِبُوا بِهِ أَوْ بِطَائِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(١).

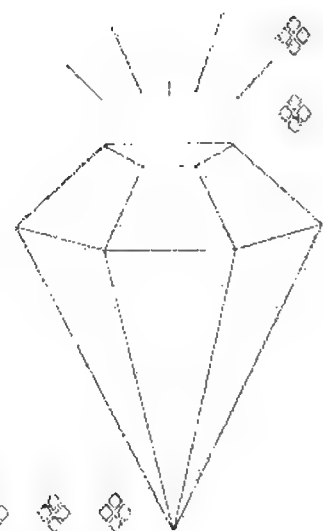


(١) رواه أحمد في المسند (١٤٧٣٦) وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف لضعف مجالد: وهو

ابن سعيد، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٨/٦) حسنه الألباني في إرواء الغليل (١٥٨٩).

الركن الرابع من أركان الإيمان

الإيمان بالرسول ﷺ



الركن الرابع

الإيمان بالرسول ﷺ

مقدمات:

أ- الوحي:

تعريف الوحي: هو الإعلام السريع الخفي، وبأي واسطة حصل، إذ ليس شرطاً فيه أن يكون من قرب، أو بقول أو بين متجانسين، فقد قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل: ٦٨-٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنِ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٧].

فقد أعلم الله تعالى النحل مراده ففهمت عنه ذلك، ونفذته كاملاً ولم يكن هنا قرب، ولا قول، ولا تجانس بين الموحى والموحى إليه كما أنه تعالى أعلم أم موسى بمراده ففهمته ونفذته كاملاً تاماً وبدون قرب أيضاً ولا قول ولا تجانس أبداً بين الموحى والموحى إليه.

الوحي الإلهي وطرقه:

تعريف الوحي الإلهي:

الوحي الإلهي هو ما يوحى به الله تعالى من كلماته الصادقة في أخبارها، العادلة في أحكامها، بطريقة من طرق الوحي إلى من يصطفى من الناس ﴿وَإِنَّكَ لَلتَّلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦].

طرق الوحي:

ولتلقى الوحي طرق بيّنها الله تعالى في كتابه، بقوله من سورة الشورى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى].

فهذه طرق ثلاث لتلقي الوحي الإلهي:

الأولى: الوحي المباشر: وهي أن يُعِدَّ الله تعالى قلب المؤمن إعدادًا خاصًا بتصفيته من الظلمات القلبية والرعونات النفسية، ثم يلقي إلى صاحبه بكلماته التي أراد أن يوحى إليه مباشرة فيتلقاها ذو القلب الطاهر وهو النبي من أنبياء الله تعالى ويعيها وعيًا كاملاً صحيحًا وهو جازم بأنها كلام الله تعالى، ووحيه إليه.

الثانية: من وراء حجاب: أي يخاطب الله تعالى من أعده لذلك من أنبيائه ورسله فيُسمعه كلامه المباشر مع القرب وبدونه، ولكن من وراء حجاب فيسمع النبي الكلام ولا يرى المتكلم، وقد تم هذا للنبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج في الملكوت الأعلى، إذ عُرج به ﷺ حتى بلغ سدره المنتهى، وكلمه ربه تعالى وفرض عليه الصلوات الخمس هذه التي يصلّيها المؤمنون في كل يوم وليلة، غير أنه لم يرَ ربه تعالى فقد سُئل عن ذلك فقال: «نور أنى أراه»^(١). حديث الإسراء ثابت في الصحيحين.

قال تعالى من سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۚ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۚ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝﴾ [النجم: ١٨]؛ فإن الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝﴾ [النجم: ١٣] عائد إلى جبريل عليه السلام وليس عائد على الله تعالى. كما تم هذا التكلم من وراء حجاب لموسى نبي بني إسرائيل عليه السلام، وكان بجبل الطور في سيناء حيث ناداه ربه بالواد المقدس طوى، ونبأه وأوحى إليه وأرسله إلى فرعون وملائته، كل هذا وموسى عليه السلام يسمع كلام الله المباشر ولا يرى ربه مكلمه عز وجل حتى تاقَت نفسه لرؤيته، وسأل ربه ذلك فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، فقال الله تعالى له: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وأقنعه بعجزه عن الرؤية لله تبارك وتعالى، فأمره أن ينظر إلى الجبل وقد تجلَّى له، فصار دُكًا فنظر

موسى إلى الجبل فلم يقوَ على رؤيته فخر مغشياً عليه فلما أفاق من غشيته قال: ﴿سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

الثالثة: بواسطة ملك يرسله: أو أن يوحى الله لمن اصطفى من رسله بواسطة ملك يرسله إليه، وكان جبريل عليه السلام موكلاً بالنبى ﷺ وهو الذى صحبه في إسرائئه ومعراجيه، وما زال معه يأتيه بوحى من ربه حتى قبض ﷺ، والملك الرسول يأتي أحياناً في صورته الملائكية، وأحياناً يتمثل بشراً كما تمثل لمريم البتول عليها السلام، وقال لها لما استعازت بالرحمن منه: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَآيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) [مريم].

كما كان يأتي النبى ﷺ في صورة دحية بن خليفة الكلبي وجاء مرة في صورة أعرابي فدخل المسجد وجلس إلى النبى ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذه، وأخذ يسأل الرسول ﷺ والرسول يجيبه وهو يصدقه بقوله: «صدقت» حتى عجب الصحابة منه، كيف يسأله ويصدقه، ولما انصرف أمر الرسول أصحابه أن يردوه عليه فطلبوه فلم يظفروا به، فقال لهم: «إِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» (١).

ب- النبوة:

تعريف: النبوة اسم مشتق من نبا الشيء ينبو نبوة إذا ارتفع متجاوزاً غيره ومنه قولهم: نبا السيف ينبو نبوة إذا ارتفع متجاوزاً مضرب الفارس، أو هي اسم مشتق من أنبأ فلان غيره ينبئه إنباء إذا هو أخبره بخبر ذي شأن، ولهذا يقال النبوة بالهمزة بعد الواو وبها قرأ ورش عن نافع: «وَاتَيْنَاهُم الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ». وقرأ حفص عن عاصم النبوة بواو مشددة، ويمكن رد القراءة الأولى إلى هذه وذلك

(١) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (١/٨).

بقلب الهمزة واوًا وإدغامها في الواو، وهو إعلال معروف عند النحاة.
وبناء على هذا فالنبوة الشرعية هي إعلام الله تعالى من اجتبي من الناس لرفعته،
والإعلاء من شأنه بإنبائه بالوحي الذي أراده له أو له ولغيره.
النبي:

النبي ذكر من بني آدم أوحى الله تعالى إليه بأمره فإن أمره بتبليغه إلى الناس فهو
نبي ورسول، وإن لم يؤمر بتبليغه فهو نبي غير رسول، وبهذا يظهر الفرق بين النبي
والرسول، وهو أن الرسول من أمر بإبلاغ ما أوحى إليه، والنبي من أحيى إليه بشيء
ولم يؤمر بإبلاغه لاختصاصه به دون غيره من الناس، وعليه فكل رسول نبي وليس
كل نبي رسولاً، ومثال النبي غير الرسول يوشع بن نون صاحب موسى وفتاه
عليهما السلام، فقد نبأه الله تعالى، وخلف موسى وهارون في بني إسرائيل وهو
الذي غزا بيت المقدس وفتحها الله تعالى عليه، ومثال النبي الرسول نبينا محمد
ﷺ؛ إذ هو نبي الله ورسوله إلى الناس أجمعين، وكذا سائر المرسلين المذكورين في
القرآن الكريم.

مؤهلات النبوة:

الذي ينبغي أن يُعلم هنا هو أن النبوة والرسالة لا تأتي من طريق الكسب
والاجتهاد أبداً، فلو انقطع المرء إلى العبادة كلية وتبتل إليه تبتيلاً وتخلّى عن سائر
الحظوظ النفسية، وعن كل الرغبات والشهوات وسائر متع الحياة ولذائدها لم يؤهله
ذلك لأن يكون نبياً أو رسولاً بحال من الأحوال، إذ النبوة هبة خاصة، يختص بها
الله واهبها، من أهله لها من عبادة المؤمنين ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١] بيد أن الله يهيئ لها بإعداد خاص عبداً من عباده
فيحفظه من التلوث النفسي والضلال العقلي، والفساد الخلقي والانحراف
الفكري، ويضفي عليه من الكمالات النفسية والعقلية والخلقية ما يؤهله به لمقام
النبوة الشريف.

ومن المؤهلات للنبوة وتلقي الوحي الإلهي:

١- المثالية: ونعني بالمثالية ذلك الكمال البشري الذي يحوزه المرء المرشح لمقام النبوة، والذي لا يسمو إليه سواه من المرشحين لها من سائر الناس مثل: (الخلق والحلم والرفق والصدق والأمانة والعدل وما إلى ذلك).

٢- شرف النسب: إن عامل الوراثية وهو أن كثيرًا من الصفات، والخصائص والمميزات تنتقل بهذه السنة الإلهية (عامل الوراثية) من الأصل الوالد إلى الفرع المولود، ومن هنا كان الأنبياء يبعثون في أشرف أقوامهم، والمراد من الشرف بالمعنى الأعم: الترفع عن الدنايا الخلقية، والتنزه عما يخل بالمرءات، ويهبط بالقيم البشرية السليمة، وتشمئز منه النفوس الكريمة.

٣- عامل الزمن: إن المراد بعامل الزمن هو وجود مقتضيات في الزمن المعين، تحتم بعثة نبي، أو إرسال رسول وتقتضيه، ومن ذلك وجود فراغ روحي تسبب عنه فساد اجتماعي كبير فقد أصبحت الحال تتطلب نبيًا مصلحًا، يرد للحياة اعتبارها، وللإنسان قيمته، وذلك كالفراغ الذي كان قبل إرسال موسى وأخيه هارون عليهما السلام، وكالذي كان قبل نبوة عيسى ورسالته عليه السلام، وكالذي كان قبل بعثة محمد ﷺ ورسالته؛ فإن الأحوال التي كانت سائدة في تلك الأزمنة الثلاثة كانت تلح مطالبة بنبوة ورسالة رسول لإصلاح البلاد والعباد.

ج- صفات الأنبياء والمرسلين:

إن للمؤهلين لحمل رسالة الخالق إلى الخلق صفات كمال لا تفقد في أحدهم أبدًا، إذ هي واجبة لكل من يحمل رسالة الله تعالى إلى عباده ومن تلك الصفات:

١- الصدق: صدق اللسان، والنية، والعهد والوعد، والأعمال والأحوال، بحيث يستحيل أن يتصف المؤهل للنبوة بصدق الصدق وهو الكذب والنفاق.

٢- الأمانة: الأمانة في كل شيء، في القول والعمل، في الحكم والقضاء، في

الحديث والنقل، في الرواية والتبليغ، في السر والعلن معاً، إذ يستحيل أن يتصفوا بضدها وهي الخيانة بحال من الأحوال فلا خيانة فيهم أبداً ولو في أقل الأشياء وأتفهاها.

٣- التبليغ: والمراد منه أن يبلغ الرسول كل ما أمر بتبليغه لا يخشى في الله لومة لائم فلا يخفى منه شيء، ولا يكتمه بحال من الأحوال، فلا تحمله رغبة ولا رهبة على أن يكتم بعضاً مما أوحى إليه، وأمر بإبلاغه إلى الناس.

٤- الفطنة: إن الفطنة ليست الفهم والذكاء فحسب، بل هي مع ذلك رقة الشعور، وصفاء الذهن، ورهافة الحس وصدقته، وسرعة البديهة على حد قول حسان بن ثابت في النبي ﷺ:

لو لم يكن فيك آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

إذ الفطنة من المؤهلات لتلقي الوحي، والأمانة عليه، فالغباء وبلادة الحس، وبطء الإدراك تتنافى مع مقام النبوة وشرف التلقي عن الله تعالى.

هـ- الرسل عليهم السلام:

الرسل في التاريخ: ما هو المصدر لمعرفة تاريخ الرسل؟

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، لا يوجد في مصادر التاريخ اليوم ما يُعَوَّل عليه في هذا الشأن، وما يعتمد عليه في هذه المهمة العظيمة، وهي التاريخ الصادق الكامل لصفوة الخلق، وخلاصة البشر الرسل عليهم السلام، اللهم إلا ما كان من كتاب الله تعالى القرآن الكريم، فإنه المصدر الوحيد الموثوق، الذي لا يعدل به غيره ولا يلتفت معه إلا سواه إذ لم يعرف الأنبياء كم نبأهم، ولا يعرف المرسلين المصطفين كمن اصطفاهم وأرسلهم فحسبنا إذا القرآن في هذا الشأن، فنكتفي بإيراد بعض ما جاء فيه عن رسل الله من حيث عددهم وبيان زمن وجود كل منهم ومعرفة أسمائهم ومعرفة أعاضهم وأولي العزم منهم، وذكر بلادهم وأقوامهم، وما إلى ذلك من تاريخ حياتهم.

عدد الرسل:

لم نشك أبدًا في أن الرسل كانوا جمًّا غفيرًا وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، غير أننا لا نستطيع أن نجزم بعدد معين لا نزيد عليه ولا ننقص منه، وذلك لعدم ثبوته عن الوحي الإلهي، والخبر النبوي الصحيح وكل ما ورد عن النبي ﷺ في بيان عدد الأنبياء والمرسلين حديث أبي ذر الغفاري في مسند أحمد وسنده ليس بالقوي، ولفظه: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلُ؟ قَالَ: آدَمُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنَبِيِّ كَانَ؟ قَالَ: نَعَمْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ الْمُرْسَلُونَ؟ قَالَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةِ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا، وَقَالَ مَرَّةً: خَمْسَةَ عَشَرَ»^(١). وفي لفظ آخر: «قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ وَفِي عِدَّةِ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا»^(٢).

ففي هذا الخبر المرفوع بيان أن آدم كان نبيًّا يكلمه الله تعالى، ويوحى إليه، وبيان كل من عدد الأنبياء والمرسلين، ولا يستبعد أن يكون هذا الخبر صحيحًا وإن ضعف سنده وذلك لما فيه من آثار طابع النبوة وروحها.

ولما لم يجد علماء الإسلام بديلًا عنه قالوا بالمعنى الذي جاء به فحكموا بنبوة آدم، وحدثوا أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفًا، وأن المرسلين منهم ثلثمائة وخمسة عشر، ولا تثريب عليهم في ذلك لعدم وجود ضرر يترتب على القول بهذا الخبر إذ لا يوجد في الإسلام ما يتنافى معه.

الترتيب الزمني للرسل عليهم السلام يبتدئ بآدم أبي البشر عليه السلام ولم

(١) ضعيف، رواه أحمد في المسند (٢١٠٣٦) وقال الشيخ: الأرناؤوط إسناده ضعيف جدا لجهالة عبيد ابن الحشخاش.

(٢) ضعيف، رواه أحمد في المسند (٢١٧٨٥) وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف جدًا.

يعرف الناس نبيا من أولاد آدم لصلبه اللهم إلا شيت عليه السلام؛ فإنه روي أنه كان حفيدا لآدم أبي البشر، وقد أنزل عليه عدة صحف، تعرف بصحف شيت عليه السلام، وجاء بعد شيت نبي الله ورسوله إدريس عليه السلام وهو مذكور في الكتاب الكريم، وتقول الأخبار عنه إنه من ذرية شيت عليه السلام، ثم جاء نوح عليه السلام وهو أول رسول كما صرح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، ثم جاء بعده هود فصالح إبراهيم، فلوط، فإسماعيل، فإسحاق، فيعقوب، فيوسف، ثم شعيب، فموسى وهارون، فداود فسلیمان، ثم إلياس فاليسع وأيوب وذو الكفل، ويونس، وزكريا، فيحیی وعيسى، ثم خاتمهم محمد ﷺ وعليهم أجمعين.

وهذا الترتيب الزمني صحيح إلى حد ما، ولولا الخفاء في زمن كل من يونس وأيوب وذو الكفل واليسع لكان إلى الصحة أقرب منه إلى غيرها، والحقيقة في هذا أنه من باب علم لا ينفع، وجهالة لا تضر إذ المطلوب هو الإيمان بالرسول، وتوقيرهم، وتعزيرهم، واتباعهم، والإقتداء بهديهم في أي زمان كانوا، وفي أي أرض وجدوا.

ديار الرسل:

إن عامة من ذكر من الرسل في القرآن الكريم كانت ديارهم في الشرق الأوسط، منها بعثوا وفيها عاشوا مع أقوامهم، وفيها ماتوا ودفنوا، إبراهيم عليه السلام بعث في العراق، وهاجر منها إلى أرض كنعان، فتنقل بين الحجاز والشام وأرض المعاد حتى توفاه الله تعالى، وإسحاق كان بأرض المعاد وكذا يعقوب وولده إلا أن الأخير هاجر إلى أرض مصر، فعاش بها مع أولاده، ولعله توفي بها وأرسل من بعده يوسف، وعاش بمصر حتى هلك بها، ثم أرسل موسى وهارون، وعاشا بين مصر وسيناء إلى أن توفاهما الله تعالى، وجاء داود وسليمان فكانا في أرض المقدس، وتوالت أنباء بني إسرائيل على أرض الشام وكان آخرهم عيسى عليه السلام فولد

في بيت لحم وعاش في أرض المقدس حتى رفعه الله تعالى إليه، ثم ثم بعث خاتم الأنبياء محمد ﷺ بمكة، فولد بها وعاش إلى أن هاجر إلى المدينة من أرض الحجاز، فعاش بها عشر سنوات، وبها توفي، وبها قبره الشريف.

أما نوح عليه السلام فلا يستبعد أنه كان كذلك بين الشرقيين الأوسط والأدنى، وأما هود وصالح وشعيب فقد كانوا بأرض العرب، هود في الجنوب ما بين حضرموت والشحر، وصالح في الشمال ما بين الحجاز والشام، وشعيب بغرب الجزيرة، جنوب الأردن الشرقي بأرض مدين، ولوط عليه السلام كان قد هاجر مع عمه إبراهيم الخليل من أرض بابل بالعراق، فبعثه الله تعالى إلى المؤتفكات، وكانت خمس مدن كبيرة أشهرها سدوم وعمورة، فأهلك الله أهل تلك البلاد لفسادهم وخبثتهم، ونجى لوطاً ومن معه من المؤمنين، فارتفعوا إلى أرض الشام وأقاموا بها.

أولو العزم من الرسل:

مما يعتبر جزءاً من العقيدة الإسلامية معرفة أولي العزم من الرسل عليهم السلام، إذ جاء في القرآن قوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، كما جاء في القرآن بيان عددهم وأسمائهم معاً وذلك في الآية من سورة الأحزاب وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، فالكاف من قوله ﴿وَمِنْكَ﴾ [الأحزاب: ٧] حرف خطاب تعني محمداً ﷺ فهو مقدم في اللفظ والفضل.

معنى الإيمان بالرسول والأنبياء:

أن تؤمن بكل من نبأ الله من نبي، وبكل من أرسل من رسول فمن عُرِفَ منهم مجملًا آمناً به مجملًا، ومن عُرِفَ منهم مفصلاً آمناً به مفصلاً ولا تؤمن برسالة بعض ونكفر برسالة بعض؛ إذ الكفر بواحد منهم يعتبر كفراً بجميعهم وقد تقدم أنفاً بيان الرسل الذين ذكروا في القرآن الكريم، وهم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً منهم ثمانية عشر ذكروا في أربع آيات من سورة الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا

إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَزَّاعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٦﴾ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَذَكَرْنَا وَيْحَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٨﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٩﴾ [الأنعام].

وذكر السبعة الباقين مفرقين في عدة سور من القرآن الكريم وهم آدم، وإدريس، وهود، وصالح، وشعيب، وذو الكفل، وخاتمهم محمد ﷺ.

وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل وكونه ركنًا من أركان الإيمان:

الإيمان بكل ما أمر الله به من الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، والبعث، والجزاء، والقدر والقضاء، وبكل غيب أمر الله تعالى بالإيمان به، فيكفي المؤمن دليلًا أن يبلغه خبر الله، وأمره بالإيمان بالرسل كقوله سبحانه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَلَكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَلَكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].

هذا وقد جعل الله تبارك وتعالى الإيمان بالرسل هو وصف حال لكل مؤمن فقال تعالى: ﴿ءَامِنَ الرَّسُولَ إِمَّا أَنزَلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ءَلْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامِنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا فُتْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلهاتين الآيتين وغيرهما يؤمن المؤمن برسل الله تعالى، ولا يفرق في الإيمان بهم بين رسول ورسول كما فعل اليهود والنصارى، حيث آمن اليهود بأنبياء بني إسرائيل وكفروا بعيسى ابن مريم ومحمد ﷺ، ولا كما آمن النصارى بكافة الأنبياء، وكفروا بخاتمهم وإمامهم محمد ﷺ.

وقد كفر الله وتوعد بالعذاب المهين من يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض في قوله من سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ

سَبِيلًا ﴿١٥٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٦٠﴾ [النساء].
الخلاصة:

هذا ونظرًا لنسخ جميع شرائع الرسل عليهم السلام بشريعة خاتمهم محمد ﷺ؛ فإنه لم يبق هناك ما يلزم المؤمن إزاء أولئك الرسل سوى الإيمان بهم واعتقاد عصمتهم، وكمالهم، ووجوب تعظيمهم، واحترامهم، أما كتبهم وشرائعهم فلا تقرأ للتعبد ولا يعمل بما جاء فيها من شرائع وأحكام؛ لأن رسالاتهم قد نسخت برسالة محمد ﷺ، وكتبهم قد نسخت بالقرآن الذي جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، ولذلك قال النبي ﷺ لما جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببعض أوراق من كتب أهل الكتاب فقال ﷺ: «لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّضَاءَ نَقِيَّةٍ لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(١).



(١) رواه أحمد في المسند (١٤٧٣٦) وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف لضعف مجالد : وهو ابن سعيد، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٨/٦) حسنه الألباني في إرواء الغليل (١٥٨٩).

ترجمة لحياة الرسول ﷺ

محمد رسول الله ﷺ

التعريف به ﷺ:

نسبه:

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن كعب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن إلياس بن مضر بن معد من ولد عدنان من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

نشأته:

ولد ﷺ بمكة بدار أبي يوسف، والدته آمنة بنت وهب بن زهرة بن عبد مناف ابن كلاب، ولدته صبيحة يوم الاثنين من شهر ربيع الأول عام الفيل، الموافق لأغسطس عام (٥٧١) ميلادية ومات والده عبد الله وهو حمل في بطن أمه، وكفله جده عبد المطلب، وماتت والدته آمنة وهو ابن ست سنين، وحضنته أم أيمن جارية أبيه، ومات جده فكفله عمه أبو طالب.

زواجه وأولاده:

ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره ﷺ تزوج بخديجة بنت خويلد، إحدى شريفات قريش، فأنجب منها ولدين هما القاسم وعبد الله وماتا صغيرين، وأربع بنات هن فاطمة الزهراء وزينب ورقية وأم كلثوم رضي الله عنهم، ولم يزاول من الأعمال ﷺ في هذه الفترة من عمره سوى رعي الغنم، إذ قال ﷺ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ»^(١).

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٢٦٢).

ثم عمل بالتجارة حيث خرج مع عمه إلى الشام مرة واحدة وخرج بعد ذلك في
تجارة لخديجة فربح لها ربخاً عظيماً، وكان ﷺ في هذه المدة من حياته يتمتع
بأفضل الأخلاق، وأطيب السمائل، فلم يؤثر عليه ما يخل بمكارم الأخلاق قط،
فلم يأت ولا مرة ما كان يأتيه بنو قومه أبداً، فلم يسجد لصنم، ولم يشرب خمرًا،
ولم يلعب قمارًا ولا ميسرًا، ولم يستقسم بالأزلام ولم يظلم أحدًا في عرض، ولا
مال، ولا دم، لقد كان بشهادة أعدائه وخصومه مثاليًا في أخلاقه، وناهيك بإجماع
قريش على إضفاء لقب الأمين عليه، هذا اللقب الذي لم يظفر به أحد في ديارها
أبداً، لقد كان ﷺ أمينًا في سره وعلنه أمينًا في قوله وعمله، أمينًا في غيبه
ومشهده، أمينًا في كل شيء، وعلى كل شيء، وإذا كانت قريش قد اضطرت إلى
منحه ذلك اللقب السامي الرفيع والكريم لقب الأمين؛ فإن الله تعالى قد أقسم له
في مطلع نبوته بأنه على خلق عظيم، وهي شهادة أبدية، إذ قال في سورة القلم:
﴿تَبَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم].

عناية الله به:

لم يكن الكمال الذي عاش عليه محمد رسول الله ﷺ وعُرف به قبل نبوته، لم
يكن نتيجة أب أو أم، أو أثر تعليم أستاذ، أو مربٍ قط، وإنما كان أثر عناية الله
تعالى له، فالله الذي خلقه ليكون واسطة بينه وبين عباده ليبلغهم شرعه ودينه، هو
الذي حماه من كل ما يلوث نفسه، أو يعكر صفاء روحه، اعدادًا له لحمل رسالته
إلى خلقه، وحمل مثل تلك الرسالة يتطلب كمالًا نفسيًا يكون صاحبه فيه مثلاً
أعلى لغيره من سائر الناس، وكذلك كان رسول الله ﷺ، ونستشهد على عناية
الله للرسول، وحمايته تعالى له من التلوث النفسي منذ ولادته بما رواه البخاري
ومسلم.

روى البخاري ومسلم: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ

وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ: يَا ابْنَ أَخِي لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ فَجَعَلْتَ عَلَى مَنْكِبَيْكَ دُونَ الْحِجَارَةِ؟ قَالَ: فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ عُرْيَانًا ﷺ^(١).

نبوته وبعثته:

وعلى رأس الأربعين كما هي سنة الله في الأنبياء نُبئ محمد ﷺ إذ جاءه الحق وهو بغار حراء، بعد أن كان قد حُبب إليه الخلاء فيه مدة شهر رمضان، فجاءه جبريل فضمه إلى صدره وأرسله ثلاثًا وقال له: «اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝﴾ [العلق] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لَخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّجَمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَاِنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْمُخْرِجِي هُمْ؟ قَالَ:

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٦٤)، ومسلم (٧٧/٣٤٠).

نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ
نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةٌ أَنْ تُوفِّي وَفَتَرَ الْوَحْيُ»^(١).

جذعًا: هو الصغير من البهائم، والمقصود يا ليتني أكون شابًا عند ظهور نبوتك
حتى أساعد على نصرتك.

الناموس: صاحب السر.

وبعد فترة فتر فيها الوحي، تبدى له جبريل في صورته الملائكية وقد سد الأفق،
جالسًا على كرسي بين السماء والأرض، ثم أخذ يدنو منه ويتدلى حتى كان قاب
قوسين أو أدنى، فأوحى الله ما أوحى!! ونزل عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ
فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَتِبَابَكَ فَطَحِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر] فأرسل بها ﷺ.
بدء الدعوة:

وبدأ ﷺ دعوته إلى الإيمان بالله ورسوله وكتابه، ولقائه وتوحيده تعالى في
عبادته، بدأها فردية، وتلقى هو ومن آمن به صنوفًا من الأذى، وأنواعًا من
الاضطهاد مما اضطر بعض أصحابه إلى الهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة،
كما حوَّصر هو وأسرته الشريفة والمؤمنون من بني هاشم، حوَّصروا في شعب أبي
طالب ثلاث سنوات، جاعوا فيها جوعًا أكلوا معه ورق الشجر، وفي تلك الفترة
توفيت أم المؤمنين خديجة، وزوجته المفضلة رضي الله عنها، كما توفي عمه أبو
طالب الذي لم يأل جهدًا يدافع عن رسول الله ﷺ ويحميه من كيد أعدائه له،
فكان ذلك العام يدعى عام الحزن.

وفي نهاية السنة العاشرة من بعثته ﷺ ومطلع الحادية عشرة عُرِجَ به ﷺ إلى
الملوكوت الأعلى حتى بلغ سدره المنتهى عند جنة المأوى، وتجاوزها إلى مقام أسمى
سمع عنده صريف الأقلام، وناجاه ربه، وناداه، وفرض عليه وعلى أمته الصلوات
الخمس، وحديث الإسراء ثابت في الصحيحين، وفي هذه الأثناء عقد ﷺ اتفاقية

(١) صحيح، رواه البخاري (٤)، ومسلم (٢٥٢/١٦٠).

مع بعض رجال الأوس والخزرج تنص على أن يحمي أولئك الرجال من يهاجر إليهم من المؤمنين مما يحمون به أنفسهم، وأموالهم، وأن لهم عند الله تعالى الجنة، وسميت هذه الاتفاقية ببيعة العقبة الأولى، وتمت عندها أخرى مثلها فسميت ببيعة العقبة الثانية، وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة بعد أن انتشر بها الإسلام، وكانت قبل ذلك تسمى (يثرب) فصارت بحلول النبي فيها تسمى المدينة النبوية، والعامّة تسميها المدينة المنورة، وفيها شرعت كل الأحكام والقوانين الجنائية والمدنية، وبها تكونت الدولة الإسلامية الأولى في تاريخ الإسلام، ومن المدينة انطلق المسلمون ينشرون راية العدل والحق في ربوع الأرض، ويخرجون الناس من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، كما قال رباعي بن حراش لكسرى ملك الفرس، ولم يقبض رسول الله ﷺ حتى انضم إلى الإسلام كامل شبه جزيرة العرب، وحتى تم التشريع الإسلامي أوفر وأقوى ما يكون، ونزل في ذلك قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، بعد ما مضى عشر سنوات وشهران وبعض الليالي على هجرته إلى المدينة، والتي كانت مبدأ التاريخ الإسلامي، ولم يلتحق ﷺ بالرفيق الأعلى حتى لم يترك خبراً قط إلا دل أمة الإسلام عليه، ولا شراً إلا حذرها منه فصلوات الله عليه إلى يوم أن نسعد برؤيته وشفاعته.

هذه نظرة سريعة ألقيناها متبركين بها على تاريخ محمد رسول الله ﷺ بمناسبة الحديث عن نبوته.

الأدلة والبراهين الدالة على نبوة النبي محمد بن عبد الله ﷺ:

لا مانع من المزيد من ذكر الأدلة والبراهين لنبوته ﷺ وتقريراً لها، حتى تجعل الإيمان به اضطرارياً لا يمكن دفعه إلا على ضرب من الجحود والمكابرة والعناد والمجاهدة.

ومن تلك الأدلة ما يلي:

أ- شهادة الكتب السابقة له على نبوته وتبشير الأنبياء السابقين بها:

فقد جاء في إنجيل يوحنا: [الباب الرابع عشر الفقرتان: ١٥، ١٦].

١- [إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكُم معزياً (فارقليط) آخر ليمكث معكم إلى الأبد] فالفارقليط ترجمته: محمد أو أحمد، وبقاؤه معهم إلى الأبد هو بقاء دينه وكتابه وسنته، فهي محفوظة بحفظ الله، وباقية ببقاء هذه الحياة.

[لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنني إن لم أنطلق لم يأت المعزي (الفارقليط) ولكن إن ذهبت أرسلته إليكم] (الباب السادس عشر الفقرة: ٧)، فالفارقليط هو محمد ﷺ ولو لم يذهب عيسى عليه السلام برفع الله تعالى له لما بعث محمد ﷺ على فترة من الرسل كما قال تعالى من سورة المائدة: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة].

٢- وجاء في سفر التثنية من التوراة: (جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران ومعه ألوف الأطهار) [الباب الثالث والثلاثين].

فهذه شهادة صريحة من التوراة واضحة لمحمد ﷺ بنبوته ورسالته، إذ معنى هذا اللفظ: أن الله تعالى ناجى موسى وأوحى إليه بسيناء، وأرسل عيسى وأوحى إليه بساعير وهي من أرض الجبل بالقدس وبعث محمداً ﷺ رسولاً معلناً كلمة (لا إله إلا الله) من مكة الواقعة بين فاران كجبل أبي قبيس وحراء وغيرهما من جبال مكة المحيطة بها.

ب- شهادة علماء أهل الكتابين:

جاء من سورة الشعراء قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُوا بَنِي

إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ [الشعراء]، فقد وبخ الله العرب الكافرين على عدم إيمانهم برسالة محمد ﷺ مع وجود آية عظيمة تدل على صدق نبوته وثبوت رسالته، وهي معرفة علماء بني إسرائيل وشهادتهم له بأنه نبي، وما جاء به هو من عند الله، وجاء من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٢٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٢٧﴾ [البقرة]. فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية أن الذين أوتوا الكتاب (التوراة والإنجيل) يعرفون نبوة محمد ﷺ وصدقه فيها كما يعرفون أولادهم، كما أخبر أن فريقًا كبيرًا منهم يكتُمون الحق بعد معرفتهم له، ولذا لم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ بعد معرفتهم لها معرفة تامة.

ونكتفي بشهادة عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن غيرها من شهادة كثير من علماء اليهود وأخبارهم، أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الأنبياء عن أنس بن مالك: «بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي سَأَيْلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخَوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَبَّرَنِي بِهِنَّ آيَةُ جِبْرِيلَ قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيزَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّيْءُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّيْءُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّيْءُ لَهَا، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بِهْتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتْ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟ قَالُوا: أَعْلَمْنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا وَأَخْبَرْنَا وَابْنُ أَخْبَرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ؟ قَالُوا: أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَوَقَعُوا فِيهِ»^(١).

وبعد: فإن شهادة عبد الله بن سلام هذه، تعد من أكبر الشهادات بعد شهادة الله ورسوله ﷺ لمحمد بالنبوة والرسالة، ولذا لم نذكر بعدها من شهادات علماء اليهود شهادة غيرها.

أما علماء النصارى؛ فإن لهم من الشهادات برسالة محمد ﷺ ونبوته ما لا يسعه المقام فلذا نكتفي من كل ذلك بشهادة عظيمة أقرها القرآن، وسجلها في صفحاته ألا وهي: شهادة الملك الصالح النجاشي إذ جاء من سورة المائدة قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ يَأَنَّ مِنْهُمْ قِيَسِيكَ وَرُهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٧﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٢﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة].

فقد أجمع علماء التفسير والأخبار على أن هذه الآيات نزلت في النجاشي وأصحابه المؤمنين، فقولهم: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة] قوله هذا يعد شهادة عظيمة بالإسلام ونبيه وكتابه وأمته، ولنستمع إلى شهادة النجاشي رحمه الله تعالى من خلال رده على كتاب رسول الله ﷺ الذي ورده وهو في دار ملكه، وحاضرة وبلاده، إذ جاء فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم ... إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبهر،،،

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣٢٩).

سلام الله عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلا الله هو الذي هداني إلى الإسلام فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فو رب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقربنا ابن عمك (جعفر) وأصحابه وأسلمت على يديه لله رب العالمين ...^(١).

ج- شهادة بلايين من المسلمين:

إن إيمان بلايين البلايين من المسلمين الذين شهدوا لمحمد ﷺ بنبوته ورسالته وآمنوا بها حق الإيمان، واتبعوا ما جاء به من الحق والهدى، وجاهدوا دونه، وبينهم العلماء والحكماء، والصالحون الصادقون الذين يفوق عددهم الحصر، ويتعذر الإحاطة بهم علمًا، لهو من أعظم الشهادات، وأكثرها إقناعًا للعقول، وجلبًا للطمأنينة والسكون في نفوس المؤمنين بنبوته محمد ورسالته ﷺ.

د- شهادة الحق عز وجل وملائكته:

إن شهادة الله عز وجل، وشهادة ملائكته للنبي محمد ﷺ بالنبوة والرسالة لشهادة مغنية عن كل شهادة، قال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء]، ولولا كرامة النفوس ورعوناتها، وظلمات الجهل بالله تعالى التي تغشى كثيرًا من قلوب الناس، لما ذكرنا مع شهادة الله تعالى لمحمد ﷺ بالرسالة شاهدًا أبدًا، ولكن نظرًا لما ذكرنا أوردنا تلك الشهادات السابقة وقفينا عليها بشهادة الله تعالى التي لا يردّها عاقل أبدًا.

وشهادة الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

١- شهادة الإخبار وهي إخباره تعالى في كتابه عن وحيه واصطفائه لرسوله وإرساله ونصرته.

٢- شهادة المعجزات وهي ما أظهره تعالى على يد نبيه من خوارق العادات، إذ

(١) البداية والنهاية (٨٤/٣).

كل خارقة تقول بلسان حالها عن الله تعالى: صدق محمد عبدي ورسولي
فيما أخبر عني.

ومن شهادة الأخبار ما يلي:

قوله تعالى من سورة الفتح: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

قوله تعالى من سورة الأعراف: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩].

قوله تعالى من سورة النساء: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ
بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

قوله تعالى من سورة الأحزاب: ﴿يَتَّبِعُهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا﴾ [٢٥] وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا [٤٦] [الأحزاب].

قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿يَتَّبِعُهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

قوله تعالى من سورة النساء: ﴿يَتَّبِعُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ
رَبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠].

هـ- شهادة المعجزات:

١- نزول القرآن الكريم عليه وحياً أوحاه الله تعالى إليه، فإنه أكبر معجزة عرفها

الوجود البشري، إذ العادة قاضية بأن أمياً لم يقرأ ولم يكتب ولم يجلس بين

يدي أستاذ أو مربٍ أو معلم، قاض باستحالة تكلمه بالعلوم والمعارف،

ومعرفته لها، وتفوقه فيها، فضلاً عن أن يأتي بما لم يأت به غيره من كل

معاصريه ومن يأتي بعدهم إلى انقراض الحياة ونهاية الكون.

فالقرآن الكريم وقد حوى أعظم تشريع واشتمل على قدر من العلوم الإلهية،

وعلى أثبت الحقائق العلمية كنظام الزوجية^(١) والقوانين الكونية^(٢) كما تعرض لبدء الخليقة، وذكر من قصص الماضين، وأخبار السابقين الشيء العجيب، وأخبر بمغيبات عديدة فكانت كما أخبر حرفيًا وبلا زيادة أو نقصان^(٣) هذا الكتاب يأتي به أمي يتحدى كل الخلق عن الإتيان بمثله، أو بسورة من مثل سورته، فتعجز البشرية ومعها الجن كلهم وتطأطي رأسها، وتسكت عن المعارضة لأكبر معجزة أوتيتها محمد ﷺ لتدل على صدق نبوته، وثبوت رسالته، عرف هذا فداه أبي وأمي حين قال: «مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

وهذه صورة التحدي قائمة إلى يوم القيامة تحويها آية واحدة من سورة البقرة، هي قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة].

ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء]، ويقول أيضًا: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴿١٣﴾﴾ [هود].

فقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤] أي: الإتيان بسورة قرآنية سواء من قارئ

(١) يشير إلى هذا القانون قوله تعالى من سورة يس: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يس: ٣١].

(٢) كعملية إنزال المطر المشار إليه بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴿٤٨﴾﴾ [الروم: ٤٨].

(٣) كالإخبار بنهاية حرب الروم مع فارس، وغلب الأولى للأخيرة بعد أن كانت انغلبت وانهزمت، وذلك في قوله تعالى من سورة الروم: ﴿الَّتِي غَلَبَتِ الرُّومَ ﴿٢﴾ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الروم].

(٤) صحيح، رواه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (٢٣٩/١٥٢).

أو من أمي مثل محمد في أميته ما زال قائماً وقد مضى عليه الآن قرابة الألف وأربعمائة سنة، هيهات أن يأتي أحد بمثل هذا القرآن والله يقول: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾.

٢- فيضان الماء من بين أصابعه بالحديدية حتى سقى جيشاً كاملاً قوامه ألف وأربعمائة رجل وامرأة. وهذا ثابت عند الإمام البخاري^(١).

٣- تكثير الطعام يوم الخندق حتى أطعم بصاع من شعير وجدي صغير جيشاً كاملاً تعداده ألف رجل أو يزيدون. وقد ثبت هذا في الصحيحين^(٢).

٤- حنين الجذع إليه ﷺ ونطقه وسماع مئات الرجال الأنخيار له وعدم سكوته إلى أن أتاه الرسول ﷺ وهدده كما تهدد الأم طفلها فسكت. وقد ثبت هذا عند البخاري^(٣).

٥- رده ﷺ عين قتادة حيث خرجت وتدلّت على وجنته بسبب ضربة أصابته يوم أحد فردّها ﷺ ومسح عليها فكانت أحسن منها قبل إصابتها^(٤).

٦- تسبيح الطعام بين يديه ﷺ وأصحابه يسمعون، وهم عدد كبير من خيار البشر. ثابت عند الإمام البخاري^(٥).

٧- انشقاق القمر له ﷺ حين طلبت قريش ذلك استدلالاً على نبوته ﷺ فكان فلقين على جبل أبي قبيس وأهل مكة كلهم يشاهدون ويعجبون، أثبت هذه الحادثة في القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿أَفَرَبَّ السَّاعَةِ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]. وحديث الإنشقاق ثابت في الصحيحين^(٦).

(١) إشارة إلى حديث رواه البخاري (٤١٥٢) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) إشارة إلى حديث رواه البخاري (٤١٠٢)، ومسلم (١٤١/٢٠٣٩) عن جابر رضي الله عنه.

(٣) إشارة إلى حديث رواه البخاري (٩١٨، ٣٥٨٥) عن جابر رضي الله عنه.

(٤) السيرة لابن هشام.

(٥) إشارة إلى حديث رواه البخاري (٣٥٧٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٦) إشارة إلى حديث رواه البخاري (٣٦٣٦، ٣٨٦٩، ٣٨٧١، ٤٨٦٤، ٤٨٦٥)، ومسلم

(٤٤، ٤٣/٢٨٠٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٨- تسليم الشجر والحجر عليه على مرأى من الناس ومسمع، عشرات المرات وتسليم الحجر عليه بمكة وإخباره بهذا ثابت في مسلم^(١)، وتسليم الأحجار والأشجار عليه، وسماع علي رضي الله عنه هذا في الترمذي^(٢).

٩- الإسراء به والعروج، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماء السابعة حيث سدره المنتهى عند جنة المأوى، فبلغ مستوى سمع فيه صريف الأقلام، وناداه ربه وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس^(٣)، كل هذه المعجزات وكثير قد ثبتت بما هو أشبه بالمتواتر من الأخبار.

١٠- إخباره بالمغيبات الكثيرة فكانت كما أخبر.

الكلمة الأخيرة في مبحث الإيمان بالرسول:

والكلمة الأخيرة في مبحث الإيمان بالرسول عليهم السلام نتناولها في أمرين هامين:

أولهما: ختم سائر النبوات.

وثانيهما: النبي الخاتم.

أما عن الأمر الأول فنقول: إن الله تعالى قد ختم سائر النبوات بآخر نبوة، وهي نبوة محمد ﷺ فلم يبق من مطمع لأحد في أن يدعي النبوة، أو يؤتاها بعد محمد ﷺ النبي الأمي أبداً، ومن جهل هذه الحقيقة أو تجاهلها تضليلاً وخداعاً وادعى النبوة فقد كذب على الله، وأعظم الفرية عليه، وكذبه في قوله، وكذب على خلقه ولم يلبث طويلاً حتى يفتضح شر فضيحة ويُلعن بين الناس كما حصل لعدد من الدجالين الكاذبين، مثل مسيلمة الكذاب في الأولين، وأحمد مرزا غلام (صاحب

(١) إشارة إلى حديث رواه مسلم (٢/٢٢٧٧).

(٢) إشارة إلى حديث رواه الترمذي (٣٦٢٤).

(٣) إشارة إلى حديث الإسراء والمعراج، رواه البخاري (٣٤٩، ٣٣٤٢، ٣٥٧٠)، ومسلم

(٢٥٩/١٦٢)، والترمذي (٣٣٤٦)، والنسائي (٤٤٨-٤٥٠).

القاديانية الباطلة الكافرة) في الآخرين عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وذلك لأن الله تعالى قد أخبر بختم النبوات بنبوة محمد ﷺ في قوله تعالى من سورة الأحزاب: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝﴾ [الأحزاب].

وبهذا كان الإيمان بمحمد ورسالته، والعمل بها ضروريًا للنجاة من عذاب يوم القيامة، وللغفران بالنعيم المقيم فيه وأما عبد لا يؤمن بهذه الرسالة، ولا يعمل بمحتواها في حدود طاقته وما يستطيع إلا وهو من أهل الخسران يوم القيامة، ولا ينفعه إيمان بالله، ولا بأنبيائه، وذلك لعدم عمله برسالة محمد الختامية، التي جعلها الله تعالى مزكية للنفوس، مطيبة للأرواح، فلا تركو نفس امرئ إلا بالإيمان بها، والعمل بما جاء فيها، وزكاة النفس هي المؤهل للفرد لكي ينجو من النار ويفوز بالجنة دار الأبرار، وذلك لقوله تعالى من سورة الشمس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝﴾ [الشمس].

وعن الأمر الثاني نقول: إن خاتم الأنبياء قطعًا هو النبي محمد ﷺ لقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝﴾ [الأحزاب].

وإن الواجب على كل إنسان في هذا الوجود البشري أن يؤمن به، ويتبع ما جاء به من الحق والهدى، وذلك لأمر الله تعالى بالإيمان به واتباع ما جاء به في مثل قوله: ﴿فَاتَّبِعُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨].

ولتخصيص الرب تبارك وتعالى رحمته وهي الفوز بالجنة بعد النجاة من النار بمن آمن به واتبعه فيما جاء فيه ﷺ قال تعالى من سورة الأعراف: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحْدِلُ لَهُمُ

الطَّيِّبَاتِ وَمُحَرِّمٌ عَلَيْهِنَّ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِنَّ فَأَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف].

ولتعليق الله تعالى هداية الإنسان إلى الكمال البشري، وحصوله على مؤهلات الفرد للسعادة في الدنيا والآخرة على الإيمان به واتباعه إذ قال تعالى من سورة الأعراف: ﴿فَاتَّبِعُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيَّ الَّذِي يَوْمُنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وأخيراً فإن من الأدلة السمعية على ختم النبوة، وأن محمداً هو خاتم الأنبياء حديث الصحيحين، الذي فيه يقول الرسول الخاتم ﷺ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»^(١).

ومثل هذا الحديث فيه الدلالة على ختم النبوة بنبوة محمد ﷺ وأنه الخاتم للأنبياء قبله وكذلك قوله: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(٢).

وقوله: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ»^(٣).

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢/٢٢٨٦).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٢١٩) عن ثوبان بن بجدد رضي الله عنه، وصححه الألباني، وللحديث شواهد في البخاري (٣٠٦٩، ٧١٢١)، ومسلم (٨٤/١٥٧) كتاب الفتن وأشراف الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل... وكلاهما روى الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه.

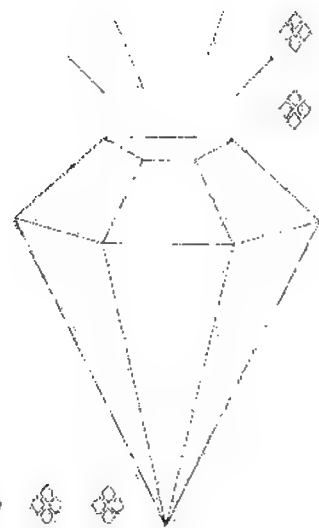
(٣) صحيح، رواه البخاري (٣٥٣٢، ٤٨٩٦)، ومسلم (١٢٥/٢٣٥٤) واللفظ له.

ومن أقوى وأعظم الأدلة والبراهين على ختم نبوة محمد ﷺ لسائر النبوات، أن يمضي الآن ما يقرب من ألف وأربعمائة سنة على الإعلان بختم النبوات بنبوته ﷺ ولم تأت نبوة حق، ولا نبي صدق في كل هذه الحقبة من الزمن الطويل، في حين أنه كان قبل نبوة محمد ﷺ تظهر النبوات في كل عصر ومصر، وقد يوجد العديد من الأنبياء في الأمة الواحدة كما وجد داود وسليمان في عصر واحد، وكما جاء زكريا ويحيى وعيسى في بلد واحد وأمة واحدة، وكما وجد إبراهيم ولوط في زمن واحد.



الركن الخامس من أركان الإيمان

الإيمان باليوم الآخر



الركن الخامس من أركان الإيمان

الإيمان باليوم الآخر

تعريفه:

ما المراد باليوم الآخر؟

إنَّ المراد من اليوم الآخر أمران:

الأول: فناء هذه العوالم كلها، وانتهاء هذه الحياة بكاملها.

والثاني: إقبال الحياة الآخرة وابتدائها.

فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الحياة وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية، إذ هو يوم واحد لا ثاني له فيها البتة، فالإيمان باليوم الآخر مقتضٍ للتصديق بإخبار الله تعالى بفناء الحياة الدنيا، وبما يسبقه من أمارات وما يتم فيه من أهوال، واختلاف أحوال، كما هو مقتضٍ كذلك لتصديق الله تعالى في إخباره عن الحياة الآخرة، وما فيها من نعيم وعذاب، وما يجري فيها من أمور عظام، كبعث الخلائق، وحشرهم وحسابهم، ومجازاتهم على أعمالهم الإرادية الاختيارية التي قاموا بها في هذه الحياة الدنيا.

أدلة البعث:

لقد سلك القرآن الكريم في إثبات المعاد والحياة الثانية مسالك عقلية هي غاية في الوضوح والسهولة منها:

إنَّ الشيء إذا لم يكن ثم كان وأعدم كانت إعادته أيسر وأهون:

البعث والمعاد واليوم الآخر ألفاظ مختلفة، مدلولها واحد، وهو وجود حياة ثانية بعد فناء الأولى، فالذي بنى دارًا ثم هدمها لا يستحيل عليه ولا في حقه إعادة بنائها كما كانت أو خيرًا مما كانت، والذي يصنع آلة من الآلات مخترعًا لها لا يتصعب عليه أن يعيدها كما كانت إذا هو كسرهما بإرادته واختياره ليحولها إلى آلة أفضل،

ورد هذا المسلك من الاستدلال في سورة الروم إذ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٧) [الروم].

كما ورد في سورة يس في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) [يس].

الاستدلال بنوم الإنسان والحيوان واستيقاظهما:

فالنوم يعتبر موتاً مصغراً، والاستيقاظ يعتبر حياة مصغرة أيضاً، فكما تتم عملية النوم للإنسان والحيوان، وعملية الاستيقاظ لهما تتم عملية الموت والحياة الكاملة لهما، وجاء هذا الاستدلال في قوله تعالى من سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٦١) [الأنعام: ٦٠].

الاستدلال بالأرض الميتة بسبب المحل والجذب والقحط، حيث تنعدم فيها الحياة تماماً، ثم ينزل الغيث، أو تسقى بالماء فتعود إليها الحياة كما كانت، وخيراً مما كانت نماءً وازدهاراً:

قال تعالى في سورة فصلت: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٩) [فصلت]. وقال تعالى من سورة الحج: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) [الحج].

الاستدلال بالقدرة الكافية التي بها خلق آدم من تراب، وذريته من نطفة على إمكان المعاد والبعث وتقرير وقوعهما:

قال تعالى من سورة الحج: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا

خَلَقْنَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ
مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلِّغُوهُنَّ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْوِي وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ
الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴿[الحج: ٥٠].﴾

الاستدلال بالقدرة على خلق العوالم على إمكان إعادة الناس بعد موتهم
وفناء أجسادهم:

قال تعالى من سورة النازعات: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٧٧﴾ رَفَعَ سَعَاهَا
فَسَوَّاهَا ﴿٧٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٧٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٨٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا
مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٨١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٨٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٨٣﴾﴾ [النازعات].

وقال تعالى من سورة يس رداً على من قال: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ
الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس].

الاستدلال باختلاف سلوك الناس في هذه الحياة بالخير والشر والصلاح
والفساد على وجود حياة أخرى يجرى فيها كل عامل بما عمل من خير وشر
لعدم استكمال المجازاة في هذه الحياة:

قال تعالى من سورة آل عمران: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ
أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى من سورة يونس: ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا
كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿[يونس: ٤].﴾

وقال تعالى من سورة الليل: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿١﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَانْفَكَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ

بِالْحُسْنِ ⑥ فَسَيُسْرُّهُ لِّلْيسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ يَّجِدْ وَاسْتَعْتَقَى ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنِ ⑨ فَسَيُسْرُّهُ
لِّلْعُسْرَى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪ ﴿[الليل].

الاستدلال بالتكاليف الشرعية على وجود حياة أخرى يتم فيها الجزاء على
القيام بتلك التكاليف، وعلى تركها وإهمالها، إذ لم يتوفر جزاء كافٍ في هذه
الحياة الدنيا على تلك التكاليف:

قال تعالى من سورة الملك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① الَّذِي
خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ②﴾ [الملك: ١-٢].

وقال تعالى من سورة المؤمنون: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا
تَرْجِعُونَ ①﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى من سورة القيامة: ﴿أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ①﴾ [القيامة].

آخر الأدلة:

وآخر الأدلة، وأعظمها على البعث والجزاء والحياة الآخرة إخبار الله تعالى وإخبار
رسوله ﷺ، إن من آمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله لا يجد داعيًا للشك، ولا
مثارًا للجدل والنزاع في ثبوت المعاد، وكل ما يتم فيه من حساب وجزاء، إذ أخبر
الله تعالى كلها صدق وحق، فقد أخبر تعالى بآلاف الأخبار فلم تكن إلا وفق ما
أخبر، كما أخبر رسوله آلاف الأخبار فلم يتخلف منها خبر واحد عن مدلوله،
فكيف يعقل إذا أن يخبر الله تعالى ويخبر رسوله بمئات الأخبار عن ثبوت الحياة
الثانية، وعن كل ما يجري فيها من بعث وحساب وجزاء، ثم لا يصح شيء من
ذلك ولا يثبت، اللهم إنَّ هذا باطل لا يصح، ومحال لا يقبل ولا يعقل.

إنَّ حتمية الفناء ووجود معاد كامل وحياة أفضل تحوي نعيمًا للمحسنين الذين
آمنوا وعملوا الصالحات، وجحيمًا للمسيئين الذين أشركوا وعملوا السيئات مما أخبر
الله تعالى به، وقرره في كل كتبه، وعلى السنة جميع رسله فالشك فيه ضرب من
المرض العقلي والهبوط الشخصي، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

الحكمة في المعاد:

إنَّ الحكمة من المعاد الأخروي الذي هو بعث الخلائق أحياء بعد موتهم وفنائهم، هو مجازاة المكلفين منهم بحسب كسبهم الإرادي الاختياري الذي كسبوه في هذه الدنيا؛ لأن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران].

فالناس يعيشون في هذه الحياة الدنيا متفاوتين تفاوتًا كبيرًا في أرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم، وفي سعادتهم، وشقائهم، فمنهم الظالم الغشوم، ومنهم المظلوم المهضوم، ومنهم الصحيح السليم، ومنهم المريض السقيم، ومنهم الغني الثري، ومنهم الفقير الشقي، ومنهم العزيز، ومنهم الذليل، ومنهم المحسن، ومنهم المسيء، إلى غير هذا من التفاوت والاختلاف؛ فلو أنهم يموتون بإنقضاء آجالهم ولا يبعثون لكان ذلك منافيًا للحكمة، مجانبًا للعدل والرحمة، ومن هنا قضى الله تبارك وتعالى بالبعث والجزاء، وحكم بهما فهما كائنان لا محالة، فقد أمر رسوله محمدًا ﷺ أن يقسم عليها في قوله من سورة التغابن: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧﴾ [التغابن].

وقال تعالى من سورة النحل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٤٠﴾ [النحل].

وجوب الإيمان باليوم الآخر:

إنَّ الإيمان باليوم الآخر هو عبارة عن التصديق الجازم بانقلاب هائل يتم في الكون، ويكون انتهاء هذه الحياة الدنيا بكاملها، وابتداء حياة أخرى وهي الدار الآخرة بكل ما فيها من حقائق مذهشة، من بعث الخلائق، وحشرهم، وحسابهم،

ومجازاتهم، هذا الإيمان ليس واجباً فحسب بل هو أحد أركان ستة عليها تبنى عقيدة المؤمن، فلا تتم إذا عقيدته إلا به، ولا تصح إلا عليه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ولأهمية هذا المعتقد في حياة المؤمن ولآثاره الكبرى في استقامة الفرد وصلاحه عني القرآن الكريم به عناية لا تقل عن العناية بالإيمان بالله سبحانه وتعالى، فقد ذكره في عشرات السور منه، وفي مئات الآيات، مرة بوصفه والحديث عنه كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ ۝١٥ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ ۝١٦ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ۖ ۝١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ ۝١٨ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابُ سَيِّئِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً ۖ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِيَّةٌ ۖ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۖ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۖ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابُ سَيِّئِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَّةً ۖ ۝٢٥ وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيَّةٌ ۖ ۝٢٦ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۖ ۝٢٧ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۖ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ۖ ۝٢٩ خَذُوهُ فَعُْلُوهُ ۖ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۖ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ ۝٣٢ إِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ ۝٣٣ وَلَا يَحْضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۖ ۝٣٤ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ۖ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۖ ۝٣٦ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۖ ۝٣٧﴾ [الحاقة].

ومرة بتقريره وتأكيده مجيئه، كقوله تعالى من سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ ۝١ وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۖ ۝٢﴾ [الحج].

وقوله تعالى من سورة التغابن: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ۖ ۝١﴾ [التغابن].

ومرة بتعليق الاستقامة على الإيمان به، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن

كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿[الطلاق: ٢].

وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومرة بإثبات الهداية والفلاح للموقنين به، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ ﴿٥﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة].

ومما يؤكد أهمية هذا المعتقد، ويجعله كالصمام لحياة الاستقامة والطهر والخير هو
ذكره مقرونًا بالإيمان بالله تعالى، وذلك كقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة]،
وكقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الطلاق: ٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

فدلت هذه العناية القرآنية بهذين الركنين من أركان الإيمان على أنهما قوام حياة
الروح، وعليهما مدار استقامة المرء في هذه الحياة، وأن الإيمان بدونهما ليس شيئًا
وأن من غُدمتهما قد عدم كل خير، وأن من افتقدتهما فقد كل عناصر الخير
والفضيلة في نفسه وأصبح من شر البرية، وبالجملة فإن معتقد الإيمان بالله واليوم
الآخر هو رأس كل عقيدة، وأساس كل إيمان، وعليه مدار استقامة الإنسان وصلاح
خلقه وطهارة روحه وبدنه، وبدونه فالإنسان مخلوق لا خير فيه لا لنفسه ولا
لغيره، وهو شر كله، لا يؤمن جانبه ولا يطمأن إليه، ولا تسكن النفوس عنده،
وذلك لما انعدم عنده من أصول الخير، وبنائيع الفضيلة والكمال البشري.

أشراط قيام الساعة:

إن بين يدي الساعة مقدمات وأشراط (صغرى وكبرى):

أشراط صغرى: وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة وتكون من نوع المعتاد

كقبض العلم وظهور الجهل والتطاول في البنيان، وقد يظهر بعضها مصاحبًا للأشراط الكبرى أو بعدها.

أشراط كبرى: وهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة وتكون غير معتادة الوقوع، كظهور الدجال والدابة وخروج يأجوج ومأجوج.

وقد قسم بعض العلماء أشراط الساعة من حيث ظهورها إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم ظهر وانقضى.

٢- قسم ظهر ولا زال يتتابع ويكثر.

٣- قسم لم يظهر إلى الآن.

فأما القسمان الأولان، فهما من أشراط الساعة الصغرى، وأما القسم الثالث، فيشترك فيه الأشراط الكبرى وبعض الأشراط الصغرى.

ومن أشراط الساعة ما يلي:

١- بعثة النبي ﷺ:

لذلك قال النبي ﷺ في الصحيحين: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى»^(١).

٢- تمني الموت لشدة البلاء الذي ينزل بالناس:

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُوتَ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ»^(٢). وهذا يكون عند ظهور الفتن، فيشتد البلاء بالناس فيغبط الرجل الأموات في قبورهم.

٣- كثرة المال وفيضه وعدم قبول الصدقة:

أخرج البخاري رحمه الله عن حارثة بن وهب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «تَصَدَّقُوا؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ فَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا يَقُولُ

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٠٤) عن أنس رضي الله عنه، ومسلم (٤٣/٨٦٧) واللفظ له عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٧١١٥)، ومسلم (٥٣/١٥٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

الرَّجُلُ: لَوْ جِئْتَ بِهَا بِالْأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا»^(١)، وقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُوْهَمَ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي»^(٢).

٤- رفع العلم وظهور الجهل وكثرة الزنا وشرب الخمر:

أخرج البخاري عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَظْهَرَ الزُّنَا»^(٣). وأخرج البخاري أيضًا عن أنس قال: لَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزُّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِلْخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقِيَمُ الْوَاحِدُ»^(٤).

قال عمر: (أما إنه ليس يُنزع من صدور العلماء، ولكن بذهاب العلماء، وبذلك يظهر أناس جهال يتخذون رؤوسًا فيفتون الناس بغير علم فيضلون ويضلون).

٥- تقارب الزمان:

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ وَيُلْقَى الشُّخُّ وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْمٌ هُوَ؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ»^(٥).

هناك عدة تفسيرات لمعنى تقارب الزمان:

❁ معناه والله أعلم: تقارب أحوال أهله في قلة الدين حتى لا يكون منهم من

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤١١، ١٤٢٤، ٧١٢٠).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٤١٢)، ومسلم (٦١/١٥٧) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٨٠)، ومسلم (٨/٢٦٧١).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٨١).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٧٠٦١).

يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله وقد جاء في الحديث: «لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا، فإذا تساوا هلكوا»^(١).

✽ قال النووي وغيره: المراد بقصده عدم البركة فيه، وأن اليوم مثلاً يصير الانتفاع به بقدر الانتفاع بالساعة الواحدة.

✽ قال البيضاوي: يحتمل أن يكون المراد بتقارب الزمان تسارع الدول إلى الإنقضاء، والقرون إلى الإنقراض فيتقارب زمانهم وتتداني أيامهم.

✽ وقال بعضهم: يحتمل أن يكون تقارب الزمان أي يقصر الزمان وتقصر ساعات الليل والنهار قصوراً حسيّاً، وهذا يكون قرب قيام الساعة، والله أعلم.

✽ قلت: وقد يكون المراد بتقارب الزمان إشارة إلى وسائل المواصلات ووسائل الاتصال السريع في زماننا.

٦- كثرة القتل:

قوله في رواية مسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْقَتْلُ الْقَتْلُ»^(٢). وقد ظهر هذا واضحاً جليّاً؛ فإن هذه الحروب التي ابتلى بها بنو البشر، قتلها لا يعدون بالعشرات ولا بالمئات ولا بالألوف بل بعشرات الألوف ومائتها، في حين أن قتلى حروب الإسلام الأولى التي كانت على عهد رسول الله ﷺ والتي دامت زهاء عشر سنين، لم تتجاوز ألفين وخمسمائة قتيل حسب إحصائية وثيقة ذكرها غير واحد من المؤرخين، وهذا ما أكدّه الشيخ أبو الحسن الندوي بأسانيد لا يتطرق إليها الشك.

٧- اقتتال فئتين عظيمتين دعوتهما واحدة:

قوله ﷺ في رواية الصحيحين: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتِيلَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ

(١) قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري.

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٨/١٥٧) كتاب الفتن وأشرط الساعة.

وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَدَعَوَاهُمَا وَاحِدَةٌ»^(١).

هذه العلامة قد ظهرت كما أخبر بها رسول الله ﷺ إذ المراد من الفئتين علي ومن معه، ومعاوية ومن معه رضي الله عنهم أجمعين، والمقتلة العظيمة كانت بصفتين، ودعواهما واحدة: أي دينهما واحد أي الإسلام، أو المراد أن كلا منها كان يدعي أنه الحق.

٨- بعث الدجالين:

أخرج البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلَ فِتْنَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ؛ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ»^(٢). وقد أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الجزم بالعدد المذكور لفظ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ»^(٣).

وقد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي ﷺ:

✽ فقد خرج مسيلمة .. باليمامة.

✽ والأسود العنسي ... باليمن.

ثم خرج في خلافة أبي بكر:

✽ أبو بكر طليحة بن خويلد ... في بني أسد

✽ سجاج التميمية ... في بني تميم.

✽ هذا وقد قُتل الأسود العنسي قبل أن يموت النبي ﷺ وقد قُتل مسيلمة في

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٦٠٩، ٧١٢١)، ومسلم (١٧/١٥٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٦٠٩، ٧١٢١).

(٣) صحيح رواه مسلم (٨٤/١٥٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى

خلافة أبي بكر، وتاب طليحة ومات على الصحيح في خلافة عمر، ونقل أن سجاح أيضًا تابت.

❁ ومنهم المختار بن أبي عبيد الله الثقفي في الكوفة في خلافة ابن الزبير.
❁ ومنهم الحارث الكذاب خرج في خلافة عبد الملك بن مروان، وآخرهم خروجا هو الدجال الأكبر وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقًا، فإنهم لا يحصون عددًا فغال بهم ينشأ لهم عن جنون، وإنما المراد من قامت له شوكة.

٩- كثرة الزلازل:

أخرج البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَوْتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُنْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ»^(١).

١٠- كثرة النساء وقلة الرجال:

أخرج البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ، ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتَّبِعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يُلْذَنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ»^(٢).

❁ قال الحافظ: قيل سببه أن الفتن تكثر فيكثر القتل في الرجال لأنهم أهل الحرب.

❁ وقد قيل: أن الله يقدر في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث، وكون كثرة عدد النساء من العلامات.

❁ قوله القيم الواحد: أي يقوم بأمرهن، ويحتمل أنهن يتبعنه لطلب النكاح حلالاً أو حراماً.

(١) صحيح، رواه البخاري (٧١٢١).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٤١٤).

وأخرج البخاري من طريق هشام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: لأُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزُّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِحَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيْمُ الْوَاحِدُ»^(١).

١١- ولادة الأمة ربتها وتطاول الحفاة العراة في البنيان:

أخرج البخاري رحمه الله عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه رجل فقال ما الإيمان؟ ... حتى يقول: متى الساعة؟ قال ﷺ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتْ الْأُمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ»^(٢).

وفي رواية «ربتها»: وهي على عدة أقوال أوجهها:

١- معناه اتساع رقعة الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي ذراريهم فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها، كان الولد منها بمنزلة ربها (أي: سيدها) لأنه ولد سيدها، قال النووي وغيره: إنه قول الأكثرين.

٢- أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أُمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام وهذا معنى وجيه عندنا.

إذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان: الإبل البهم أي: الإبل السود، وقد شاهدنا هذا في هذا الزمان.

١٢- اتباع الأمم الأخرى:

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ قال: «لَتَبْعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ!!»^(٣).

(١) صحيح، رواه البخاري (٨١).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٥٠).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٦/٢٦٦٩).

قال ابن بطال: أعلم رسول الله ﷺ أن أمته ستبعب المحدثات من الأمور والبدع كما وقع للأمم قبلهم، وأن الدين إنما يبقى قائماً عند خاصة من الناس.

١٣- قتال الأعاجم:

أخرج البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرُكَ صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمْرَ الْوُجُوهِ ذُلْفَ الْأَنْوْفِ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْجَمَّانُ الْمَطْرَقَةُ»^(١).

- والترك: هم شرذمة من قوم يأجوج ومأجوج تركوا من وراء السد.
- ولذلك يقول الشيخ سعيد حوى رحمه الله في كتابه الأساس في التفسير، ولا تخطئ إحدى هذه الصفات أهل شرق آسيا، والله أعلم بالصواب.
- ذلف الأنوف: قصره مع انطباقه أي: (أفطس).
- الجمان المطرقة: الجمان: جمع مجن وهي الدرقة، المطرقة أي: التي ألبست الأشرطة أي الأغشية من الجلد.

- قال البيضاوي: شبه وجوههم بالترسة لبسطها وتدويرها.

١٤- إضاعة الأمانة بتوسيد الأمر إلى غير أهله:

روى البخاري عن أبي هريرة، أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ: متى الساعة فقال: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»^(٢).

- وسد الأمر: أي أسند، والأمر كالخلافة والقضاء والإفتاء وغيرها بأن تسند إلى أهل البدع والأهواء.

١٥- ذهاب الصالحين:

أخرج البخاري عن مرداس الأسلمي قال: قال النبي ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٥٨٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٥٩).

الْأَوَّلُ فَلِأَوَّلٍ، وَيَبْقَى حُفَالَةً كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوْ الثَّمَرِ، لَا يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بِأَلَةٍ»^(١).

- حفالة: أي حثالة وهو الرديء من الشيء قاله الحافظ رحمه الله.

- لا يبالهم الله بألة: أي لا يعبأ الله بهم شيئاً، ولا يرفع لهم قدراً، ولا يقيم لهم

وزناً، بألة مصدر باليت وتكون مبالاة وبالية وبالة.

١٦- موته ﷺ، وموتان يأخذ المسلمين وهدنة مع الروم:

أخرج البخاري رحمه الله عن عوف بن مالك قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ، فَقَالَ: اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مَوْتِي، ثُمَّ فَتَحْ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقَعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِيفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظْلُ سَاحِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَعْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»^(٢).

- موتان: وهو الموت.

- كقعاص الغنم: وهو داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة،

ويقال: إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر، وكان بعد فتح

بيت المقدس.

- غاية: أي راية.

- بنو الأصفر: أي الروم.

١٧- عبادة الأوثان:

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخُلَصَةِ وَكَانَتْ صَنَمًا تَعْبُدُهَا دَوْسٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِتَبَالَةٍ»^(٣).

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٤٣٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣١٧٦).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٥١/٢٩٠٦) واللفظ له.

- الخَلْصَة: اسم للبيت الذي كان فيه الصنم.
- واسم الصنم: ذو الخَلْصَة.
- تَبَالَة: قرية بين الطائف واليمن.
- تضطرب أليات: أي يتزاحمن عند الطواف حول الصنم بحيث تضرب عجيزة بعضهن الأخرى.

وقد ظهرت هذه العلامة وفق إخباره ﷺ، فقد عادت الجاهلية إلى أرض الجزيرة قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فعبدت الأشجار والأحجار وانتشر ذلك في شتى بلاد العالم الإسلامي، فذبحت الذبائح، وأوقدت الشموع، ونذرت النذور للمزارات والأضرحة بصورة عجيبة على مرأى ومسمع من كثير من علماء المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٨- انحسار الفرات عن كنز من ذهب:

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْصِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتِيلُ النَّاسُ عَلَيْهِ»^(١)، هذه العلامة لم تظهر بعد.

وقد أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَادَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأَسْطُورَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَجِيمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً»^(٢).

وقد أخرج مسلم أيضاً عن أبي بن كعب قال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَخْصِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤/٢٩) واللفظ له، وأبو داود (٤٣١٣)،
والترمذي (٢٥٦٩)، وابن ماجه (٤٠٤٦).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦٢/١٠١٣).

فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ: لَيْسَ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لِيَذْهَبَ بِهِ كُلُّهُ، قَالَ: فَيَقْتُلُونَ عَلَيْهِ فَيَقْتُلُ مِنْ كُلِّ مِائَةِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ^(١).

١٩- خروج القحطاني:

قوله في الصحيحين: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ»^(٢).

قال الحافظ: قال القرطبي في (التذكرة) يسوق الناس بعصاه كناية عن غلبته عليهم وانقيادهم له، ولم يُرد نفس العصا، لكن في ذكرها إشارة إلى خشونته وعنفه بهم قال: وقد قيل: إنه يسوقهم بعصا حقيقية كما تساق الإبل والماشية لشدة عنفه وعدوانه.

٢٠- قتال اليهود:

قوله ﷺ في الصحيحين: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِيَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»^(٣). وقد بدت بوادر هذه العلامة تلوح في الأفق.

قال الحافظ رحمه الله في رواية أحمد من طريق أخرى عن سالم عن أبيه: «يُنْزَلُ الدَّجَالُ فِي هَذِهِ السَّبْحَةِ بِمَرْقَنَاءَ، فَيَكُونُ أَكْثَرُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا مَخَافَةً أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ، حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيَخْتَبِي تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوْ الْحَجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ: هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ»^(٤).

(١) صحيح، رواه مسلم (٣٢/٢٨٩٥).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٥١٧، ٧١١٧)، ومسلم (٦٠/٢٩١٠).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٨٢/٢٩٢٢) واللفظ له.

(٤) ضعيف، رواه أحمد في المسند (٥٣٣٠) وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

وعلى هذا فالمراد بقتال اليهود الذي ينطق فيه الحجر والشجر إذا خرج الدجال ونزل عيسى.

٢١- كثرة أعوان الظلمة:

روى الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ أَوْ قَالَ: يَخْرُجُ رِجَالٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعَهُمْ أَشْيَاطٌ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ الْبَقَرِ يَغْدُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ، وَيَرْوَحُونَ فِي غَضَبِهِ» (١).

٢٢- كثرة شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق:

جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله ﷺ: «أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ وَكِتْمَانُ شَهَادَةِ الْحَقِّ» (٢).

٢٣- أن تكون التحية للمعرفة: تسليم الخاصة:

(أي: أن تسلم على من تعرف فقط).

ومن أشراطها أن الرجل لا يلقي السلام إلا على من يعرفه، ففي الحديث عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ» (٣).

وفي رواية له: «أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ» (٤).

(١) رواه أحمد في المسند (٢١٦٤٦) وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد حسن.
(٢) رواه أحمد في المسند (٣٨٦٠) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وقال الهيثمي: رجال أحمد والبخاري رجال الصحيح وهو وهم ظن سيارا هو أبو الحكم وإنما هو أبو حمزة الكوفي. وصححه أحمد شاكر.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣٨٣٨) وقال الأرنؤوط: حسن، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٤) رواه أحمد في المسند (٣٨٦٠) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وقال الهيثمي: رجال أحمد والبخاري رجال الصحيح وهو وهم ظن سيارا هو أبو الحكم وإنما هو أبو حمزة الكوفي. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وهذا خلاف السنة فإن النبي ﷺ حث على إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف.

٢٤- ظهور الكاسيات العاريات:

ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَزْكُبُونَ عَلَى الشَّرْوَاحِ كَأَشْبَاهِ الرِّجَالِ يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَى رُءُوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعَجَافِ، الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ»^(١).

٢٥- انتشار الربا:

ومنها ظهور الربا، وانتشاره بين الناس، وعدم المبالاة بأكل الحرام، ففي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «بين يدي الساعة يظهر الربا»^(٢). فانتشار البنوك الربوية على مستوى العالم الإسلامي هو علامة من علامات الساعة.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالُ، أَمْ مِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»^(٣).

٢٦- التماس العلم عند الأصاغر:

روى الإمام عبد الله بن المبارك بسنده عن أبي أمية الجمحي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثًا: إِحْدَاهُنَّ: أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ...»^(٤).

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (٧٠٤٣) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٦١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورواته رواة الصحيح.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٢٠٨٣).

(٤) رواه ابن المبارك في كتاب الزهد، صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٠٧).

وسئل الإمام عبد الله بن المبارك عن الأصاغر؟ فقال: (الذين يقولون برأيهم، فأما صغيرٌ يروي عنه كبيرٌ، فليس بصغير).

وقال في ذلك أيضًا: (أتاهم العلم من قِبَلِ أصاغرهم، يعني: أهل البدع والأهواء الذين يقولون في الدين برأيهم).

٢٧- زخرفة المساجد والتباهي بها:

فقد روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقُوم الساعة حتّى يتباهى الناس في المساجِد»^(١).

قال ابن عباس: «لَتَزْخَرُفَنَّهَا كَمَا زَخَرَفَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى»^(٢).

٢٨- كثرة الكتابة وانتشارها وظهور القلم:

جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ... وَظُهُورَ الْقَلَمِ»^(٣).

٢٩- كثرة التجارة:

ومنها كثرة التجارة، وفشوها بين الناس، حتى تشارك النساء فيها الرجال. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمُ الْخَاصَّةِ وَفُشُوُ التَّجَارَةِ حَتَّى تُعَيِّنَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التَّجَارَةِ»^(٤).

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١١٩٧١، ١٢٠٦٤، ١٢١٢٨، ١٢٩٩١، ١٣٦٠٦) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وأبو داود (٤٤٩)، وابن ماجه (٧٣٩) صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٢١).

(٢) صحيح، ذكره البخاري تعليقًا في كتاب الصلاة- باب بنيان المساجد.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣٨٦٠). وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وقال الهيثمي: رجال أحمد والبزار رجال الصحيح وهو وهم ظن سيارا هو أبو الحكم وإنما هو أبو حمزة الكوفي. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٤) رواه أحمد في المسند (٣٨٦٠). وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وقال الهيثمي: رجال أحمد والبزار رجال الصحيح وهو وهم ظن سيارا هو أبو الحكم وإنما هو أبو حمزة الكوفي. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

٣٠- تشبب المشيخة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»^(١).

٣١- ظهور المعازف واستحلالها:

عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «يكون في آخر أمتي خسف ومسح وقذف» قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «إذا ظهرت المعازف والقينات»^(٢).

٣٢- كثرة موت الفجأة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «إن من أمارات الساعة أن يظهر موت الفجأة»^(٣).

٣٣- انتفاخ الأهلة:

(أي: أن يرى الهلال ابن ليلة فيقال: ابن ليلتين)
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة»^(٤).

٣٤- كثرة المطر وقلة النبات:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُمَطَّرَ النَّاسُ مَطَرًا عَامًّا وَلَا تَنْبُتَ الْأَرْضُ شَيْئًا»^(٥).

(١) صحيح، رواه النسائي (٥٠٧٥)، وأبو داود (٤٢١٢) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٥٣)، وأحمد في المسند (٢٤٦٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وصححه أحمد شاكر.

(٢) صحيح، رواه ابن ماجه (٤٠٦٠)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٦٥).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط والضياء المقدسي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٩٩).

(٤) صحيح، رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٩٨).

(٥) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٢٠٢١) وقال الأرناؤوط: صحيح.

٣٥- وقوع التناكر بين الناس:

«... يُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَاقُكُ، فَلَا يَكَاذُ أَحَدٌ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدًا» (١).

فوقوع التناكر عند كثرة الفتن والمحن وكثرة القتال بين الناس، وحينما تستولي المادة على الناس، ويعمل كل منهم لحظوظ نفسه، غير مكترث بمصالح الآخرين، ولا بحقوقهم، تنتشر الأنانية البغيضة، ويحس الإنسان في نطاق أهوائه وشهواته.

٣٦- ظهور الخسف والمسخ والقذف إذا ظهر الخبث:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف» قالت: قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا ظهر الخبث» (٢).

٣٧- ظهور الفحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار:

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَاحُشُ، وَقَطِيعَةُ الرَّجِمِ، وَسُوءُ الْمَجَاوِرَةِ» (٣).
وللإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ وَقَطْعُ الْأَرْحَامِ» (٤).

٣٨- كلام السباع والجمادات للإنس:

فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ ذَنْبٌ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ

(١) صحيح، رواه أحمد (٢٢٧٩٥) وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢١٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٥٦).

(٣) صحيح، رواه أحمد في المسند (٢٧٧٥٧) وصححه أحمد شاكر.

(٤) حسن، رواه أحمد في المسند (٣٨٦٠) وقال الأرناؤوط: إسناده حسن، وقال الهيثمي: رجال أحمد والبخاري رجال الصحيح وهو وهم ظن سيارا هو أبو الحكم وإنما هو أبو حمزة الكوفي. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى انْتَرَعَهَا مِنْهُ قَالَ: فَصَعِدَ الذُّئْبُ عَلَى تَلٍّ فَأَقْعَى وَاسْتَذْفَرَ، فَقَالَ: عَمَدْتُ إِلَى رِزْقِ رَزَقِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ انْتَرَعْتُهُ مِنِّي، فَقَالَ الرَّجُلُ: تَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ذَيْبًا يَتَكَلَّمُ، قَالَ الذُّئْبُ: أَعْجَبُ مِنْ هَذَا رَجُلٌ فِي النَّخْلَاتِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ يُخْبِرُكُمْ بِمَا مَضَى وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَهُودِيًّا، فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمَ وَخَبَرَهُ فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهَا أَمَارَةٌ مِنْ أَمَارَاتِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ فَلَا يَرْجِعَ حَتَّى تُحْدِثَهُ نَعْلَاهُ وَسَوْطُهُ مَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ»^(١).

معنى أقعى الذئب: أي إذا جلس على إسته، ومعنى استذفر: أي إذا أدخل الذئب ذنبه بين فخديه حتى يلزقه ببطنه).

وفي رواية له عن أبي سعيد الخدري: (فذكر القصة إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ: «صَدَقَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السَّبَاعُ الْإِنْسَ وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذْبَةً سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَيُخْبِرُهُ فَيَحْذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ»^(٢)).

٣٩- صدق رؤيا المؤمن:

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكُذْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبٌ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ

(١) رواه أحمد في المسند (٨٠٠٢) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب ويأتي نحوه في مسند أبي سعيد برقم (١١٣٨٣) (٣ / ٨٣-٨٤) ورجاله رجال الصحيح والمحفوظ عن أبي هريرة هو ما أخرجه البخاري (٢٣٢٤)، ومسلم (١٣/٢٣٨٨) وقد سلف في المسند.

(٢) رواه أحمد في المسند (١١٣٨٣) وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح ... ورواه الترمذي (٢١٨١) والحاكم (٤٦٧/٤ - ٤٦٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في الدلائل (٤١/٦ - ٤٢) وقال: هذا إسناده صحيح، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩١ / ٨) وقال: رواه أحمد والبخاري بنحوه باختصار ورجال أحمد إسنادي أحمد رجال الصحيح.

جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ»^(١).

٤٠ - كثرة الكذب وعدم الثبوت في نقل الأخبار:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أَنْاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ»^(٢).

٤١ - ارتفاع الأسافل وظهور السنوات الخداعة:

وَمِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى ارتفاع الأسافل ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَاعَةٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْيْضَةُ، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْيْضَةُ؟ قَالَ: السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»^(٣). «لَا تَذْهَبِ الدُّنْيَا حَتَّى تَصِيرَ لِلْكَعِ ابْنِ لُكْعِ»^(٤).

أي: حتى يصير نعيمها وملاذها والوجاهة فيها للأحمق اللئيم ابن اللئيم صغير العلم والعقل.

وفي رواية للإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكْعُ ابْنِ لُكْعِ»^(٥).

٤٢ - نفي المدينة لشرارها ثم خرابها آخر الزمان:

«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيْبَهُ هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٩٨٨، ٧٠١٧)، ومسلم (٦/٢٢٦٣) واللفظ له، وأبو داود (٥٠١٩)، والترمذي (٢٢٧٠، ٢٢٨٠)، وابن ماجه (٣٨٩٤).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦/٦).

(٣) حسن، رواه أحمد في المسند (٧٨٥٢) وقال الأرنؤوط: حسن وهذا إسناد ضعيف لضعف عبد الملك بن قدامة وجهالة إسحاق بن بكر بن أبي الفرات. وقال أحمد شاكر: إسناده حسن، ومتمنه صحيح.

(٤) حسن، رواه أحمد في المسند (٨٤٨٢) وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٥) صحيح، رواه الترمذي (٢٢٠٩)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٣١).

الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، إِلَّا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكَبِيرِ تُخْرَجُ الْحَبِثُ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِي الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»^(١).

٤٣- عود أرض العرب مروجًا وأنهارًا:

ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا»^(٢).

مرج: أرض فضاء ذات الخضرة والكلأ.

٤٤- كثرة الروم وقتالهم للمسلمين:

جاء في حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ (فذكر منها): ثُمَّ هَذَنَّةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَعْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»^(٣). وعن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعْدُهُنَّ فِي يَدَيَّ قَالَ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ» قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ لَا تَرَى الدَّجَالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ؟^(٤).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «... فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً، إِمَّا قَالَ: لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يُرَ مِثْلُهَا حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُوتُ بِجَنَابَتِهِمْ فَمَا يُخْلِفُهُمْ حَتَّى يَخْرُ مَيِّتًا، فَيَتَعَادُ بَنُو الْأَبِّ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيٍّ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيْ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمْ

(١) صحيح، رواه مسلم (١٣٨١/٤٨٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦٠/١٥٧) كتاب الزكاة- باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٣١٧٦).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٣٨/٢٩٠٠).

الصَّريخُ إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيهِمْ...»^(١).

٤٥- حصار العراق والشام وهو مقدمة لخروج المهدي:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي نضرة قال: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجِبِي إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ يَمْنَعُونَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ لَا يُجِبِي إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدِّيٌّ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيْئَةً ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثِيًّا لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا» قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي نَضْرَةَ وَأَبِي الْعَلَاءِ: أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالَا: لَا^(٢).

معنى القفيز: مكيال معروف لأهل العراق.

مدي: مكيال معروف لأهل الشام.

٤٦- بيان عمران بيت المقدس وخراب يثرب:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عُمَرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابٌ يَثْرِبُ، وَخَرَابٌ يَثْرِبُ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتُخَفُّ قُسْطَنْطِينِيَّةٌ، وَفَتُخَفُّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ خُرُوجُ الدَّجَالِ»^(٣).

٤٧- توقف الحج وخراب الكعبة:

وفي الحديث: «يُخَرَّبُ الْكَعْبَةُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ»^(٤).

«كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجٍ يَقْلَعُهَا حَجْرًا حَجْرًا»^(٥).

«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّ الْبَيْتُ»^(٦).

(١) صحيح، رواه مسلم (٣٧/٢٨٩٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٦٧/٢٩١٣).

(٣) صحيح، رواه الترمذي (٤٢٩٤)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٩٦).

(٤) صحيح، رواه البخاري (١٥٩١، ١٥٩٦)، ومسلم (٥٧/٢٩٠٩)، والنسائي (٢٩٠٤).

(٥) صحيح، رواه البخاري (١٥٩٥).

(٦) صحيح، رواه البخاري (١٥٩٣).

وهذا يقع في آخر الزمان حيث لا يبقى أحد على الأرض يقول: (اللَّهُ اللَّهُ)، كما ثبت في صحيح مسلم «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ»^(١).

٤٨- المهدي المنتظر:

بعض ما جاء في أخبار المهدي المنتظر:

المهدي المنتظر: هذا الرجل الذي تنتظره الأمة ليقيم خلافة على منهاج النبوة ويطبق شرع الله عز وجل الذي عطل في ديار المسلمين، وتؤمن به السبل وتقام به الحدود ويملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً ويعيد للحياة طعمها وللإنسانية كرامتها.

أولاً: بيان أنه من ذرية رسول الله ﷺ وعترته:

روى الإمام أحمد بسند صحيح في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْماً وَعُدْوَاناً، قَالَ: ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِثْرَتِي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَمْلُؤُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَعُدْوَاناً»^(٢).

ثانياً: بيان اسمه وهيبته:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»^(٣).

وفي رواية: «لَوْ لَمْ يَنْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمَ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْرًا»^(٤).

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٣٤/١٤٨).

(٢) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٠٩٢٠) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) صحيح، رواه الترمذي (٢٢٣٠)، صححه الألباني.

(٤) صحيح، رواه أبو داود (٤٢٨٢) واللفظ له، والترمذي (٢٢٣٠)، وصححه الألباني

(٥٣٠٤). وأحمد في المسند (١٠٩٢٠) وقال: «رجل من عترتي أو أهل بيتي»، ولم

يذكر: «واسم أبيه اسم أبي». وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وقال

أحمد شاكر: إسناده صحيح.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُهْدِيُّ مِنِّي أَجْلَى الْجَنَّةِ أَقْتَى الْأَنْفِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْزًا وَظُلُمًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ»^(١).

الخسف بالبيداء بالجيش الذي يريد الكعبة:

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: عَبَثَ - أَي: اضْطَرَبَ جِسْمُهُ - رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ، فَقَالَ: «الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يُؤْمُونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ، قَالَ: «نَعَمْ؛ فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ، وَالْمُجْبُورُ، وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى، يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»^(٢).

معنى المستبصر: أي المستبين لذلك القاصد له عمداً.

المجبور: أي المكره.

ابن السبيل: سالك الطريق معهم وليس منهم.

عن عبد الله بن صفوان قال: أَخْبَرْتَنِي حَفْصَةُ رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيُؤْمَنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ يُخَسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ، وَيُنَادِي أَوْلَاهُمْ آخِرُهُمْ ثُمَّ يُخَسَفُ بِهِمْ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ»^(٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخْرِجُ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ: السَّفِيَانِي فِي عَمَقِ دِمَشْقَ، وَعَامَةٌ مِنْ يَتْبَعُهُ مِنْ كَلْبٍ، فَيَقْتُلُ حَتَّى يَقْرَ بَطْلُونَ النِّسَاءِ، وَيَقْتُلُ الصَّبِيَّانِ، فَتَجْمَعُ لَهُمْ قَيْسٌ فَيَقْتُلُهَا حَتَّى لَا يَمْنَعَ ذَنْبٌ تَلْعَةً، وَيُخْرِجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي الْحَرَّةِ فَيَبْلُغُ السَّفِيَانِي، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِ جَنْدًا مِنْ جُنْدِهِ فَيَهْزِمُهُمْ،

(١) حسن، رواه أبو داود (٤٢٨٥)، حسنه الألباني في المشكاة (٥٤٥٤).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٨/٢٨٨٤).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٦/٢٨٨٣).

فيسير إليه السفيناني بمن معه حتى إذا صار بيضاء من الأرض خسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم»^(١).

والتلاع: مسايل الماء من علو إلى أسفل.

معنى: لا يمنع ذنب تلعة: يريد كثرته وأنه لا يخلو منه موضع.

بيان أن الله عز وجل يصلحه في ليلة واحدة:

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ»^(٢).

بيان أن الخير يزيد في عهده:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعا أو ثمانيا. يعني حججا»^(٣).

٤٩- فتح المسلمين مدينة جانب منها في البحر وجانب منها في البر:

لا تأتي الساعة حتى يفتح المسلمون مدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبَ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبَ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزَوْهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَزُمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا، قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا

(١) صحيح، رواه الحاكم في المستدرک (٢٩٤/٨٥٨٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

(٢) صحيح، رواه ابن ماجه (٤٠٨٥) صحيحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٧١)، أحمد في المسند (٦٤٦) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) صحيح، رواه الحاكم في المستدرک (٣٨١/٨٦٧٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهب. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧١١).

الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيَفْرَجُ لَهُمْ فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَرَجَ فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ»^(١).

وقال القاضي: كذا هو «من بني إسحاق» في جميع أصول صحيح مسلم، قال: قال بعضهم: المعروف المحفوظ من بني إسماعيل هو الذي يدل عليه الحديث، وسياقه لأنه إنما أراد العرب وهذه المدينة هي القسطنطينية، والمقصود بـ (ثور) الوارد في سياق الحديث أحد رواة الحديث، واسمه كاملاً: (ثور بن زيد الديلي). قلت: لعلمهم فعلاً من بني إسحاق ممن سيسلم من الغربيين قبيل الملحمة الكبرى وبعدها.

٥٠، ٥١: خروج المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام:

موجز عن الدجال ونزول عيسى:

❁ إنه أعور العين اليمنى كأنها عنة طافية؛ لقوله ﷺ: «أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»^(٢).

❁ مكتوب بين عينيه لفظ كافر؛ لقوله ﷺ: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ إِلَّا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ يَمِينَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ»^(٣).
❁ وفي رواية لمسلم: «يُقْرَأُ كُلُّ مُسْلِمٍ»^(٤).

❁ يأتي معه نار وماء فناره ماء بارد، وماؤه نار؛ لقوله ﷺ: «إِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا فَنَارُهُ مَاءٌ بَارِدٌ وَمَاؤُهُ نَارٌ»^(٥).

❁ ولا يدخل المدينة رعب الدجال وكذلك مكة، لقوله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٢٠).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٧١٢٣).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٧١٣١).

(٤) صحيح، رواه مسلم (١٠٣/٢٩٣٣).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٧١٣٠).

رُغِبَ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ»^(١).

❁ وفي رواية لمسلم: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ»^(٢).

❁ «يَجِيءُ الدَّجَالُ حَتَّى يَنْزِلَ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»^(٣).

❁ «يَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثُهُ، فَيَقُولُ الدَّجَالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشْكُونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ»^(٤).

❁ والدجال موجود في جزيرة في المشرق، كما جاء في حديث فاطمة بنت قيس في قصة تميم الداري عند الإمام مسلم.

❁ فهذا الرجل كان نصرانياً فجاء وبايع النبي ﷺ وأسلم وأخبر النبي ﷺ أنه: «رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجَذَامٍ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَعُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ لَا يَذْرُونَ مَا قُبْلَهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمِعْتُ لَنَا رَجُلًا فَرَقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا

(١) صحيح، رواه البخاري (١٨٧٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٨٩/٢٩٢٧).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٧١٢٤).

(٤) صحيح، رواه البخاري (١٨٨٢)، ومسلم (١١٢/٢٩٣٨).

وَأَشَدُّهُ وَثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ، مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبْرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أَنْاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرَبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِينَا دَابَّةً أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ لَا يُدْرَى مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: ااعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزَعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ يَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَحْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبْرِيقَةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَحْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرٍ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَحْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَبِيبَةٍ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَتَا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمُنْبَرِ هَذِهِ طَبِيبَةُ هَذِهِ طَبِيبَةُ هَذِهِ طَبِيبَةُ - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ

ذَلِكَ؟ فَقَالَ: النَّاسُ نَعَمْ، فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ
أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ
مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، وَأَوْمَأَ
بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ»^(١).

✽ والمسيح الدجال أي: مسيح الضلالة يقتله مسيح الهدى عيسى بن مريم
حيث ينزل من السماء عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعًا كفيه على
أجنحة ملكين، فيطلب المسيح الدجال حتى يدركه عند باب لدّ فيقتله كما
جاء ذلك صريحًا في صحيح مسلم^(٢).

نزول عيسى بن مريم عليه السلام:

وعندما ينزل عيسى عليه السلام يقدمه أحد أئمة المسلمين للصلاة، فيأبى كما
جاء ذلك في صحيح مسلم قال ﷺ: «فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ:
تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»^(٣).
جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ
ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنَازِيرَ، وَيَضَعَ الْجَزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ
حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٤).

- معنى حاكمًا عدلًا: أي؛ حاكمًا بهذه الشريعة بالعدل؛ فإن هذه الشريعة باقية

لا تنسخ بل يكون عيسى حاكمًا من حكام هذه الأمة.

- يكسر الصليب: ليبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه.

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٤٢/١١٩).

(٢) إشارة إلى حديث رواه مسلم (٢٩٣٧/١١٠) عن النواس بن سمعان.

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢٤٧/١٥٦).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (٢٤٢/١٥٥).

- ويضع الجزية: والمعنى أن الدين يصير واحداً فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية.

- ويفيض المال: أي يكثر، وتقل الرغبة في اقتنائه لعلمهم بقرب الساعة.

- حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها: فهذا يشير إلى صلاح الناس في ذلك الوقت وشدة إيمانهم وإقبالهم على الخير؛ فلذلك تجدهم يؤثرون الركعة الواحدة على الدنيا وما فيها.

وبعد أن يقتل عيسى بن مريم المسيح الدجال، «ثُمَّ يَمُكُّ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأَمِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ، قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا»، وعلى هؤلاء تقوم الساعة كما جاء ذلك صريحاً في صحيح مسلم^(١).

- معنى في خفة الطير وأحلام السباع: أي؛ في سرعتهم إلى الشر وقضاء الشهوة والفساد كطيران الطير، وفي العدوان وظلم بعضهم بعضاً في أخلاق السباع العاتية.

المسيح الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام:

هناك عدة أسباب لإطلاق اسم (الدجال) على هذا الكذاب، منها:

✽ السبب الأول: سمي الكذاب دجالاً؛ لأنه يغطي الحق بباطله، فيقال: دجل البعير بالقطران إذا غطاه، والإناء بالذهب إذا طلاه.

✽ السبب الثاني: قال ثعلب: الدجال المموه، سيف مدجل: إذا مظلي.

✽ السبب الثالث: قال ابن دريد: سمي دجالاً؛ لأنه يغطي الحق بالكذب.

(١) صحيح، رواه مسلم (١١٦/٢٩٤٠) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

❁ السبب الرابع: سمي بذلك؛ لأنه كذاب، فالدجال هو الكذاب وجمعه: دجالون ودجاجلة في التكسير.

❁ السبب الخامس: سمي بذلك لضربه في نواحي الأرض وقطعه لها، يقال: دجل الرجل إذا فعل ذلك.

❁ السبب السادس: سمي بذلك لأن الدجال هو ماء الذهب الذي يطلى به الشيء فيحسن باطله وداخله خزف أو عود، سمي الدجال بذلك لأنه يحسن الباطل.

قصة ابن صائد، وهل هو المسيح الدجال؟

اعتقد بعض الصحابة على أن الدجال هو ابن صياد فقد قال جابر رضي الله عنه فيما يرويه عن محمد بن المكندر قال: «رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَخْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ ابْنَ صَائِدِ الدَّجَالِ، فَقُلْتُ: أَتَخْلِفُ بِاللَّهِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَخْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ»^(١).

وقد ورد عن غير جابر ما يدل على أن ابن صياد هو الدجال، كالحديث الذي أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن عمر قال: «لقيت ابن صياد يوماً ومعه رجل من اليهود فإذا عينه قد طفيت، وكانت عينه خارجة مثل عين الجمل، فلما رأيتها قلت: أنشدك الله يا ابن صياد متى طفيت عينك؟ قال: لا أدري والرحمن، فقلت: كذبت، لا تدري وهي في رأسك؟! قال: فمسحها، قال: فنخر ثلاثاً (النخير: صوت الأنف)، فزعم اليهودي أنني ضربت بيدي على صدره، اخساً فلن تعدو قدرك، قال: فذكرت ذلك لحفصة، فقالت: اجتنب هذا الرجل، فإنما يتحدث أن الدجال يخرج عند غضبة يغضبها»^(٢).

وقد أخرج مسلم الحديث بمعناه من وجه آخر عن ابن عمر ولفظه: «لَقِيتُهُ مَرَّتَيْنِ»،

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٣٥٥)، مسلم (٩٤/٢٩٢٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٣٩٦/١١/٢٠٨٣٢)، وكما في فتح الباري (٣٢٥/١٣).

فذكر الأولى ثم قال: «فَلَقِيْتُهُ لَقِيَةً أُخْرَى وَقَدْ نَفَرْتُ عَيْنُهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَتَى فَعَلْتَ عَيْنُكَ مَا أَرَى؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، قَالَ: قُلْتُ: لَا تَدْرِي وَهِيَ فِي رَأْسِكَ؟! قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ خَلَقَهَا فِي عَصَاكَ هَذِهِ، قَالَ: فَتَخَرَّكَ أَشَدُّ نَخِيرِ حِمَارٍ سَمِعْتُ، قَالَ: فَرَزَعَمَ بَعْضُ أَصْحَابِي أَنِّي ضَرَبْتُهُ بِعَصَا كَانَتْ مَعِيَ حَتَّى تَكَسَّرَتْ، وَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ، قَالَ: وَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَحَدَّثَهَا فَقَالَتْ: مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يَبْعَثُهُ عَلَى النَّاسِ غَضَبٌ يَغْضِبُهُ؟»^(١).

وفي رواية عنده في نفس الموضوع عن نافع قال: «لَقِي ابْنَ عُمَرَ ابْنَ صَائِدٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ قَوْلًا أَغْضَبَهُ، فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلَأَ السُّكَّةَ، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: رَجِمَكَ اللَّهُ، مَا أَرَدْتَ مِنْ ابْنِ صَائِدٍ؟! أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضَبِيَةِ يَغْضِبُهَا»^(٢).

- ومعنى قوله: «فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلَأَ السُّكَّةَ»: السكة الطريق، وجمعها سكك.

- قال أبو عبيد: أصل السكة الطريق المصطفة من النخيل، قال: وسميت الأزقة سككا، لاصطفاف الدور فيها.

- نفرت عينه: أي ورمت ونتاجت.

ففي هذه القصة - أعني قصة حفصة وابن عمر - دليل على أنهما أرادا الدجال الأكبر.

وقد وقع لابن صائد مع أبي سعيد الخدري قصة أخرى تتعلق بأمر الدجال، فأخرج مسلم في صحيحه من طريق داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: «صَحِبْتُ ابْنَ صَائِدٍ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ لِي: أَمَّا قَدْ لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ يَزْعُمُونَ أَنِّي الدَّجَالُ أَلَسْتُ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُوَلَّدُ لَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدَ لِي، أَوَلَيْسَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ؟

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٢/٩٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٢/٩٨).

قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدْتُ بِالْمَدِينَةِ، وَهَذَا أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي فِي آخِرِ قَوْلِهِ: أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَوْلَدَهُ وَمَكَانَهُ وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فَلَبَسَنِي^(١).

ومعنى: (لبسني): أي جعلني ألتبس في أمره وأشك.

وليلاحظ بصفة عامة - كما قال العلماء - أن قصة ابن صياد مشكلة وأمره مشتبّه، ولكن لا شك أنه دجال من الدجاجلة، والظاهر أن النبي ﷺ لم يوحِ إليه في أمره بشيء، وإنما أوحى إليه بصفات الدجال، وكان في ابن صياد قرائن محتملة، فلذلك كان ﷺ لا يقطع في أمره بشيء بل قال لعمر: «دَعُهُ فَإِنْ يَكُنْ الَّذِي تَخَافُ لَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ»^(٢).

- قال النووي: ومن اشتباه قصته وكونه أحد الدجاجلة الكذابين، قوله للنبي ﷺ: (أتشهد أنني رسول الله)، ودعواه: (أنه يأتيه صادق وكاذب)، وقوله: (إنه تنام عينه ولا ينام قلبه)، وقوله: (إنه يرى عرشاً على الماء، وإنه لا يكره أن يكون هو الدجال، وأنه يعرف موضعه وأين هو الآن).

- وقد رجح القرطبي أن الدجال هو ابن صياد.

- وقال ابن عمر: والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد.

- وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى خلاف ذلك وهو أن الدجال الأكبر هو غير ابن صياد، وخير دليل على ذلك قصة تميم الداري في حديث فاطمة بنت قيس، والذي يرويه مسلم وسيأتي ذكرها فيما بعد، وممن رجح أن الدجال الأكبر هو غير ابن صياد شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، وكثير من العلماء.

متى يخرج الدجال؟

يخرج الدجال كما جاء في الحديث عند فتح المسلمين القسطنطينية الرومية، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ

(١) صحيح، رواه مسلم (٨٩/٢٩٢٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٨٥/٢٩٢٤).

الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ، أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافَوْا قَالَتْ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْا مِنَّا تُقَاتِلُهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخْلِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا فَيَقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْعَنَائِمَ قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزُّيُتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِكُمْ فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»^(١).

أين العرب يوم خروج الدجال؟

لقد سألت أم شريك هذا السؤال عندما قال النبي ﷺ: «لَيَفِرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجِبَالِ قَالَتْ أُمُّ شَرِيكَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: هُمْ قَلِيلٌ»^(٢).

ما هو سبب خروج الدجال؟

سبب خروج الدجال هو غضبة يغضبها فتدفعه إلى فعل وإتيان كل ما أخبرتنا به الأحاديث النبوية أنه فاعله، وقد ثبت ذلك في حديث ابن عمر عن حفصة، فقد قالت له في حديث طويل: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضَبَةٍ يَغْضَبُهَا؟»^(٣).

وفي رواية: «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يَنْعَثُهُ عَلَى النَّاسِ غَضَبٌ يَغْضَبُهُ؟»^(٤)، وقد سبق معنا بتمامه.

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٨٩٧/٣٤).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٩٤٥/١٢٥).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٢/٩٨).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٢/٩٩).

من أين يخرج الدجال؟

يخرج الدجال ما بين الشام والعراق، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا»^(١).
معنى عاث: فالعيث هو الفساد.

هل كان الدجال موجودًا في العهد النبوي؟

يقتضى حديث فاطمة بنت قيس في قصة تميم الداري الذي أخرجه مسلم أن الدجال كان موجودًا في العهد النبوي وأنه محبوس في بعض الجزائر.

فقد قالت فاطمة: نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشِ يَوْمَئِذٍ، فَأَصِيبُ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطَبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَطَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حَدَّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَحِبَّ أُسَامَةَ» فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: «انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ شَرِيكِ» - وَأُمُّ شَرِيكِ امْرَأَةٌ غَيَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضُّيْفَانُ - فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلِي إِنَّ أُمَّ شَرِيكِ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضُّيْفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَشْقُطَ عَنْكَ خِمَارُكِ، أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكَ بَعْضَ مَا تَكْرِهِينَ، وَلَكِنْ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ»، - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَهْرٍ فَهْرٍ قُرَيْشٍ وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ - . فَاَنْتَقَلْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُنَادِي: «الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ»، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «لَيْلَزَمَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ» ثُمَّ قَالَ: «اتَذَرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا

(١) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (٢٩٣٧/١١٠).

لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمَا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ
وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَالِ: حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ
فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجَذَامٍ فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ،
ثُمَّ أَرْفَعُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ
فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ لَا يَذْرُونَ مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ
الشَّعْرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكَ! مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ:
أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا
سَمِعْتُ لَنَا رَجُلًا فَرَقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَاِنْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ،
فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدَّهُ وَثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ
رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ! مَا أَنْتِ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي
فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أَنْاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا
الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَعَانَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي
أَقْرَبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ لَا يُدْرَى مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ
كَثَرَةِ الشَّعْرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكَ! مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟
قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ
سِرَاعًا وَفَرَعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَحْلِ بَيْسَانَ،
قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَحْخِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَحْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ:
أَمَّا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبْرِيقَةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا
تَسْتَحْخِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَّا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ
يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُعَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَحْخِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي
الْعَيْنِ مَاءٌ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ
مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ
يَثْرِبَ قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ

عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي أَنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أَوْشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ، فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَبِئَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَّاتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنِّي عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا»، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمُخَصَّرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَبِئَةُ هَذِهِ طَبِئَةُ هَذِهِ طَبِئَةُ»، يَعْنِي: الْمَدِينَةُ «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).

وكما هو واضح من هذا الحديث الطويل فإن الدجال موجود في العهد النبوي، محبوس في جزيرة ما، في المشرق هي التي أشار إليها تميم الداري.

فتوحات المسلمين قبل خروج الدجال:

يقوم المسلمون بثلاث فتوحات قبل خروج الدجال، هي فتح جزيرة العرب، ثم فتح فارس، ثم الروم، فقد قال نافع بن عتبة: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ قَالَ: فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكْمَةِ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَاءُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِيهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجَّى مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدَيَّ، قَالَ: تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ»، قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ يَا جَابِرُ: لَا نَرَى الدَّجَالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ^(٢).

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٤٢/١١٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٩٠٠/٣٨).

قتال المسلمين والروم قبل خروج الدجال مباشرة:

من الحوادث التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ أنها تقع قبل خروج الدجال مباشرة: حدوث قتال عظيم بين المسلمين والروم.

فقد قال يسير بن جابر: هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيرى إلا «يا عبد الله بن مسعود جاءك الساعة»، قال: فقعد وكان متكىفا فقال: «إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة»، ثم قال بيده هكذا ونحاهما نحو الشام، فقال: «عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام» قلت: الروم تعني؟ قال: «نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفتى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفتى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفتى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتلون مقتلة» إماما قال: «لا يرى مثلها»، وإماما قال: «لم ير مثلها، حتى إن الطائر ليمر بجناباتهم فما خلفهم حتى يخز ميتا، فيعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم، إلا الرجل الواحد فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقاسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة»، قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ» أو «من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ»^(١).

خير فوارس الأرض تستطلع خبر الدجال:

عندما يأتي المسلمون خبر الدجال؛ فإنهم يبعثون خير فوارس الأرض لتستطلع خبره، وعدد هؤلاء الفرسان عشرة، قال عنهم رسول الله ﷺ: إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خِيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ» أَوْ «مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»^(١).

هل يستطيع الدجال القتل والإحياء؟

من القدرات التي يعطيها الله تعالى للدجال القدرة على الإحياء والإماتة، لدرجة أنه يقتل بعض المؤمنين ويقسمه نصفين بالمنشار، ثم يمشي بين القطعتين ثم يقول له قم، فيستوي قائماً.

فقد قال رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ الْمَسَالِحُ الدَّجَالِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْبُدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبَّنَا خَفَاءُ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ؟ قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَالِ، فَإِذَا رَأَاهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَالُ بِهِ فَيُسَبَّحُ فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشَجُّوهُ فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤَشَّرُ بِالْمُنْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَرَدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بِصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوتِهِ نُحَاسًا فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ

(١) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (٣٧/٢٨٩٩) عن يسير بن جابر، انظر

فَيَقْدِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا أَكْثَرُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١).

وروى أبو سعيد الخدري فقال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَنْ الدُّجَالِ فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا قَالَ: «يَأْتِي وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ فَيَسْتَهِي إِلَى بَعْضِ السُّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَعِيدَ رَجُلٍ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ، أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدُّجَالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ فَيَقُولُ: الدُّجَالُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ أَتَشْكُونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ، قَالَ: فَيُرِيدُ الدُّجَالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ». قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ يُقَالُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢).

وقد يقال: كيف يجوز أن يجري الله الآية على يد كافر؟ فإنَّ إحياء الموتى آية عظيمة من آيات الأنبياء، فكيف ينالها الدجال وهو كذاب مُفْتَرٍ يَدَّعي الربوبية؟ ويجب على ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري فيقول: الجواب: أنه على سبيل الفتنة للعباد، إذ كان عندهم ما يدل على أنه مُبْطَلٌ غير مُحَقِّقٍ في دعواه، وهو أنه أعور مكتوب على جبهته (كافر) يقرؤه كل مسلم، فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر... إذ لو كان إلهاً لأزال ذلك عن وجهه، وآيات الأنبياء سالمة من المعارضة، فلا يشتبهان.

وفي الدجال مع ذلك دلالة بينة على كذبه؛ لأنه ذو أجزاء مؤلفة، وتأثير الصنعة فيه ظاهر مع ظهور الآفة به من عور عينيه، فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم، فسألوا حال من يراه من ذوي العقول أن يعلم أنه لم يكن ليسوي خلق غيره ويعدله ويحسنه ولا يدفع النقص عن نفسه، فأقل ما يجب أن يقول: يا من يزعم أنه خالق

(١) صحيح، رواه مسلم (١١٣/٢٩٣٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٨٨٢)، ومسلم (١١٢/٢٩٣٨).

السموات والأرض، صور نفسك وعدلها، وأزل عنها العاهة ... فإن زعمت أن الرب لا يحدث في نفسه شيئاً، فأزل ما هو مكتوب بين عينيك.

وقال ابن العربي: الذي يظهر على يدي الدجال من الآيات من إنزال المطر والخصب على من يصدقه والجذب على من يكذبه، واتباع كنوز الأرض له، وما معه من جنة ونار ومياه تجري، كل ذلك محنة من الله واختبار، ليهلك المرتاب وينجو المتيقن، وذلك كله أمر مخوف، لهذا قال ﷺ: «لا فتنة أعظم من فتنة الدجال» وكان يستعيز منها في صلاته تشريعاً لأمته. أهـ.

انتبه... فهذه حقيقة ماء الدجال !! وهذه حقيقة ناره !!

يأتي الدجال ومعه ماء ونار، أما النار التي يخوف بها الناس ليغويهم، فليست ناراً، وإنما هي في الحقيقة ماء، وأيضاً فإن الماء الذي معه ليس ماء، وإنما هو نار، ومن هنا فمن أدرك ذلك فيجب عليه أن يشرب من الذي يراه أنه نار، فإنه سيجده ماء. ويؤيد هذا ما قاله ربعي بن حراش قال: «اجْتَمَعَ حُذَيْفَةُ وَأَبُو مَسْعُودٍ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: لَأَنَا بِمَا مَعَ الدَّجَالِ أَعْلَمُ مِنْهُ، إِنَّ مَعَهُ نَهْرًا مِنْ مَاءٍ، وَنَهْرًا مِنْ نَارٍ، فَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ نَارٌ مَاءٌ، وَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ مَاءٌ نَارٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأَرَادَ الْمَاءَ فَلْيَشْرَبْ مِنَ الَّذِي يَرَاهُ أَنَّهُ نَارٌ فَإِنَّهُ سَيَجِدُهُ مَاءً».

قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: هَكَذَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ^(١).

ويروي كذلك ربعي بن حراش رواية أخرى فيقول: انْطَلَقْتُ مَعَهُ -أي: عقبة بن عمرو- إِلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ فَقَالَ لَهُ عُقْبَةُ: حَدِّثْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الدَّجَالِ؟ قَالَ: «إِنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَقْعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَارًا؛ فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ». فَقَالَ عُقْبَةُ: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ تَصْدِيقًا لِحُذَيْفَةَ^(٢).

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٤-٢٩٣٥/١٠٨).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٤-٢٩٣٥/١٠٧).

وروى البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال؛ عن حذيفة عن النبي ﷺ قال في الدجال: «إِنَّ مَعَهُ مَاءٌ وَنَارًا فَنَارُهُ مَاءٌ بَارِدٌ وَمَاؤُهُ نَارٌ» قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).

يقول الحافظ في الفتح: وهذا كله يرجع إلى اختلاف المرئي بالنسبة إلى الرائي ... فإما أن يكون الدجال ساحراً، فيخيل الشيء بصورة عكسه، وإما أن يجعل الله باطن الجنة التي يسخرها الدجال ناراً، وباطن النار جنة، وهذا الراجح.

أسلحة الدجال الإغوائية المزيفة:

جنة الدجال نار ... وناره جنة:

من الأسلحة الإغوائية التي يستخدمها الدجال نار وجنة زائفتان، حيث إن حقيقة كل منهما عكس الظاهر منها، فناره جنة وجنته نار!!

بين ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ الدَّجَالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمُهُ؟ إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ»^(٢).

رواية لحذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «الدَّجَالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى جُفَالُ الشَّعْرِ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ»^(٣).

ومعنى جفال الشعر: أي؛ كثيره.

لعله يكون قد تبين لنا من خلال هذين الحديثين اللذين وردا من طريقتين مختلفتين عن أبي هريرة ثم عن حذيفة؛ أن الدجال أسلحته مزيفة، وأن المؤمن عندما يدرك حقيقتها؛ فإنه سيكون من السهل عليه أن يتغلب عليها، وبالتالي يتجاوز فتنة ذلك الأعور.

(١) صحيح، رواه البخاري (٧١٣٠).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٣٣٨)، ومسلم (١٠٩/٢٩٣٦) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٠٤/٢٩٣٤).

هل يستخدم الدجال الطعام والماء كسلاح للإغواء؟

إذا كنت تسأل أخي المؤمن هذا السؤال، فقد سألته من قبلك المغيرة بن شعبة للرسول ﷺ، حيث قال في الحديث الصحيح: مَا سَأَلَ أَحَدُ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ الدَّجَالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ، قَالَ: «وَمَا سُؤْلُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبَيْرٍ وَلَحْمٌ، وَنَهْرٌ مِنْ مَاءٍ؟ قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

قال الحافظ في الفتح: وقال عياض: معناه هو أهون على الله من أن يجعل ما يخلقه على يديه مضلاً للمؤمنين ومشككاً لقلوب الموقنين، بل إنما جعله له ليزداد الذين آمنوا إيماناً، ويرتاب الذين في قلوبهم مرض، فهو مثل قول الذي يقتله: ما كنت أشد بصيرة مني فيك الآن، وليس معناه أنه ليس معه شيء من ذلك، بل المراد: أهون من أن يجعل شيئاً من ذلك آية على صدقه ولا سيما وقد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه وكفره يقرأها من يقرأ ومن لا يقرأ. أهد.

وفي رواية أخرى للحديث قال المغيرة بن شعبة: مَا سَأَلَ أَحَدُ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ الدَّجَالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ، قَالَ: «وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ، قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»^(٢). ومعنى «وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ»: أي؛ ما يتعبك من أمره؟

ما هي المدة التي يمكثها الدجال في الأرض؟

سأل الصحابة الرسول ﷺ عن ذلك فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لَبِثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا أَقْدُرُوا لَهُ قَدْرُهُ»^(٣).

(١) صحيح، رواه البخاري (٧١٢٢)، ومسلم (٢٩٣٩/١١٥).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٩/١١٤).

(٣) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (٢٩٣٧/١١٠) عن النواس بن سمعان.

ومعنى قوله: «اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» كما قال القاضي وغيره: أن هذا حكم مخصوص بذلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع، على أساس أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قد ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح ثم الظهر والعصر ثم المغرب وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم، وأما الثاني كالشهر، والثالث الذي كجمعة فقياسًا على اليوم الأول أن يُقدر لهما كالיום الأول، على ما ذكرناه.

هل يتبع اليهود الدجال؟

أثبت الزمن أن اليهود قوم مُضِلُّون ضالون، على قلوبهم أقفال، وتغشى أبصارهم الظلمات، ولذا فليس من المستغرب أن يتبع الكثير منهم المسيح الدجال، وقد قال الرسول ﷺ: «يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطِّيَالِسَةُ»^(١). والطيالسة: جمع طيلسان، والطيلسان أعجمي معرب قال في معيار اللغة: ثوب يلبس على الكتف، يحيط بالبدن، خال من التفصيل والخياطة.

وما إسراعه في الأرض؟

سأل الصحابة عن ذلك فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ»^(٢).

والمعنى أن سرعته كالمنزل عندما ينزل فتتبعه الريح.

المسيح ابن مريم يضع حدًا لفتنة الدجال:

عندما يكون الدجال في أوج فتنته، وهو يبعث بالأشياء ويفتن الناس، يأتي ابن مريم لكي يضع حدًا له، فيقتله.

فقد قال رسول الله ﷺ عنه: «فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ،

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٤٤/١٢٤).

(٢) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (٢٩٣٧/١١٠).

وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتَنْثِيثُ، فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتَهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمَحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِيبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكَ فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيْبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِكًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرٌ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَبَابٍ لَدُنَّ فَيَقْتُلُهُ»^(١).

ومعاني الحديث نوضحها فيما يلي من خلال توضيح وشرح مفرداته.

- أما ترويح فمعناه: ترجع آخر النهار.
- والسارحة: هي الماشية التي تسرح، أي: تذهب أول النهار إلى المراعي.
- والذرا: الأعالي جمع ذروة.
- وأسبغه: أي؛ أطوله لكثرة اللبن، وكذا أمد خواصر: امتلاؤها من الشبع.
- يصبحون ممحليين: قال القاضي: أي أصابهم المحل من قلة المطر، ويس الأرض من الكلاء، وفي القاموس: المحل، على وزن فعل، الجذب والقحط، والإمحال كون الأرض ذات جذب وقحط أمحل البلد إذا أجذب.
- ويعاسيب النحل: هي ذكور النحل، هكذا فسر ابن قتيبة وآخرون، ولكن قال القاضي: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كتى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها.
- وأما (فيقطعه جزلتين رمية الغرض) فالجزلة بالفتح على المشهور، وحكى ابن دريد كسرهما، أي قطعتين.

(١) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (٢٩٣٧/١١٠).

- ومعنى (رمية الغرض): أي يجعل بين الجزلتين مقدار رمية، هذا هو الظاهر المشهور.

- والمثارة البيضاء المشار إليها في الحديث موجودة اليوم شرقي دمشق.

- والمهرودتان: ثوبان مصبوغان بورس ثم بزعفران، وقيل: هما شقتان، والشقة نصف الملاعة.

- و(تصدر منه جمان كاللؤلؤ): الجمان حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتصدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسمي الماء جمائناً لشبهه به في الصفاء والحسن.

- ومعنى (فلا يحل): لا يمكن ولا يقع.

- (باب لد): بلدة قرية من بيت المقدس في فلسطين.

وفي حديث آخر في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمُكُّهُ أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ غُرُورَةٌ بُنْ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ» (١).

وقد قال القاضي رحمه الله تعالى: نزول عيسى عليه السلام، وقتله الدجال، حق صحيح عند أهل السنة، للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته.

كيف يتقي المؤمن فتنة الدجال؟

لم يترك الشارع الحكيم المؤمنين لقمة سائغة للدجال الأعور؛ وإنما وضع لهم الوسائل التي يمكنهم عن طريقها الاعتصام بها من فتنه، فذكر صفاته وسماته وزيف أسلحته، وبالتالي يسهل على المؤمنين التعرف عليه واجتنابه.

ومن الأمور التي نبه إليها الرسول عليه الصلاة والسلام كسلاح واق من الدجال:

(١) صحيح، رواه مسلم (١١٦/٢٩٤٠).

حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف أو من خواتيمها، فقال النبي ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَكَذَا قَالَ هِشَامُ الدَّسْتَوَائِيُّ عَنْ قَتَادَةَ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ مِنْ خَوَاتِيمِ سُورَةِ الْكَهْفِ»، وَقَالَ شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ: «مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ»^(١).

وأيضاً فإن الأمور التي يتمكن المؤمن بواسطتها من الاعتصام من فتنة الدجال: سكنى المدينة المنورة؛ لأن الرسول ﷺ أخبر أنها محرمة على الدجال، فلا يمكنه دخولها، حيث قال ﷺ: «يَأْتِي وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السَّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ»^(٢). ومعنى (نقاب المدينة): أي طرقها وفجاجها وهو جمع نقب وهو الطريق بين جبلين.

وقال أيضاً: «الْمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَالُ فَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا، فَلَا يَقْرُبُهَا الدَّجَالُ، وَلَا الطَّاغُوتُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٣).

ومن الأماكن التي لا يدخلها الدجال: أربعة مساجد:

١- الكعبة.

٢- ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام.

٣- والمسجد الأقصى.

٤- والطور.

ففي حديث جنادة بن أبي أمية قال: أَتَيْنَا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ الصُّحَابَةِ قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِينَا فَقَالَ: «أَنْذَرْتُكُمْ الْمَسِيحَ..» الْحَدِيثُ فِيهِ: «يَمُكُّثُ فِي الْأَرْضِ

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٣٢٣)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠١). وقد رواه أيضاً مسلم (٢٥٧/٨٠٩) في كتاب التفسير، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، من حديث همام وهشام وشعبة عن قتادة، بألفاظ مختلفة، أما روايات أبي داود ففي كتاب الملاحم باب خروج الدجال.

(٢) صحيح، رواه مسلم (١١٢/٢٩٣٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٧٤٧٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

أَرْبَعِينَ صَبَاحًا يَبْلُغُ سُلْطَانُهُ كُلَّ مَنْهَلٍ، لَا يَأْتِي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ: الْكَعْبَةَ، وَمَسْجِدَ الرَّسُولِ، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَالطُّورَ»^(١).

وبالإضافة إلى ما سبق من الاستعاذة من فتنة الدجال في الصلاة فقد كان يقول في الصلاة بعد التشهد وقبل السلام: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْحَيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٢). وقد قال الحافظ الذهبي: الاستعاذة من الدجال متواترة عن الرسول ﷺ.

عودة المسيح:

من المعلوم أن السيد المسيح لم يمت وإنما رفعه الله إليه، ثم يعيده مرة أخرى إلى الأرض لكي يقوم بمهمة أخرى كشفت عنها الأحاديث النبوية.

مثل قول الرسول ﷺ فيما يرويه عنه يَعْقُوبُ بْنُ عَاصِمٍ بْنُ عُزْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا يُحَرِّقُ الْبَيْتَ وَيَكُونُ وَيَكُونُ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمُكُّثُ أَرْبَعِينَ، لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُزْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمُكُّثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبِضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ» قَالَ:

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (٢٢٥٨٠) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. وقال ابن حجر في فتح الباري (١٠٥/١٣): رجاله ثقات.

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (١٢٨/٥٨٨)، وأبو داود (٩٨٣)، والترمذي (٣٦٠٤)، والنسائي (١٣١٠، ٥٥٠٥)، وابن ماجه (٩٠٩).

سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟! فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رِزْقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْثًا وَرَفَعَ لَيْثًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ: فَيَضَعُقُ وَيَضَعُقُ النَّاسُ» (١)

معنى: أصغى لَيْثًا ورفع لَيْثًا: أي حرك رقبتَه ورفع رأسه ليصغي للصوت.
يلوط حوض إبله: أي يصلحه حتى تشرب منه الإبل.

كيف يمكن للمؤمنين أن يتعرفوا على عيسى عند نزوله؟

أما أوصافه فقد ذكرها الرسول ﷺ في قوله ليلة أسري به: «لَقِيتُ مُوسَى قَالَ: فَنَعْتُهُ فَإِذَا رَجُلٌ حَسِبْتُهُ قَالَ: مُضْطَرِبٌ رَجُلُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ قَالَ: وَلَقِيتُ عِيسَى فَنَعْتُهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ، يَعْنِي الْحَمَامَ» (٢)

وكما يظهر من هذا الحديث فإن موسى رجل خفيف اللحم ممشوق مستدق، وهذا هو معنى قوله: «مضطرب»، وشعره ليس بشديد الجعودة ولا شديد السباطة، بل وسط بينهما، وهذا معنى: «رجل الرأس»، كأنه من شنوءة وهي قبيلة مشهورة في الجاهلية.

أما عيسى فهو وسط ليس بالطويل ولا بالقصير، إنما وسط بينهما، يبدو شكله كأنه يكاد يكون خارجًا من الحمام.

عيسى يصلي خلف المهدي:

من المكارم التي يكرم الله بها هذه الأمة أن بعضهم أمراء على بعض، فلا يأخذ أحد

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٤٠/١١٦).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري (٣٣٩٤، ٣٤٣٧)، ومسلم (٢٧٢/١٦٨) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

موضع الإمام إلا إذا كان منهم، ولذلك فإن المهدي يصلي إماماً بعيسى ابن مريم. بدليل ما رواه جابر عن الرسول ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»... قال: «فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَى صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ»^(١).

ما هي المهمة المكلف بها المسيح عند عودته؟

سبق معنا أن أول المهام المنوطة بالمسيح عليه السلام هي قتل الدجال، وقد أوردنا حديثاً طويلاً يدل على ذلك، ولكن ليست هذه هي المهمة الوحيدة التي سيقوم بها المسيح ابن مريم، حيث إنه سيحكم بين الناس بالعدل، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وقبل هذا وذاك، فإنه يدعو الناس إلى الإسلام حتى أن الله يهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام.

وفي رواية للشيخين قال الرسول ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْجُزْيَةَ، وَيَقْبِضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٢). ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء]^(٣).

٥٢- خروج يأجوج ومأجوج:

يأجوج ومأجوج هما طائفتان من الترك من ذرية آدم من ولد يافث بن نوح عليه السلام فقد جاء في الصحيح:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: وَمَا

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٤٧/١٥٦).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (٢٤٢/١٥٥).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (٢٤٢/١٥٥).

بَعَثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢٠] قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: أَبَشِّرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدٍ ثَوْرٍ أَيْضَ، أَوْ كَشَعْرَةِ يَتِضَاءُ فِي جِلْدٍ ثَوْرٍ أَسْوَدَ^(١).
والترك كما جاء وصفهم في صحيح البخاري: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ وَحَتَّى تُقَاتِلُوا الثُّرُكَ صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمْرَ الْوُجُوهِ ذُلْفَ الْأَنْوْفِ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْجَمَانُ الْمَطْرَقَةُ»^(٢). ولا تكاد تخلو هذه الصفات من سكان شرق آسيا، والله أعلم.

وأما من زعم أن منهم الطويل كالنخلة، ومنهم القصير كالشيء الحقيق، ومنهم من له آذان يتغطى بإحدهما، ويتوطأ الأخرى، فقد تكلف ما لا علم له به، وقال ما لا دليل عليه.

وهم القوم الذين عزلهم ذو القرنين بالسد الذي بناه فحجز بين شر هؤلاء القوم المفسدين في الأرض والقوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۖ ۝٩٢ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۖ ۝٩٣ قَالُوا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۚ ۝٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ ۝٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلُمْ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ۖ ۝٩٦ فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا ۖ ۝٩٧ قَالَ هَذَا

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣٤٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٥٨٩).

رَحْمَةً مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۚ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ [الكهف].

خروج هؤلاء القوم على الناس علامة من علامات الساعة قال تعالى: ﴿حَقَّتْ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧].

وهؤلاء يخرجون على الناس بعد أن يقتل عيسى بن مريم المسيح الدجال كما جاء ذلك صريحاً في صحيح مسلم: «يَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِيَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُخَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَيَنْتَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى ابْنِي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرَّرْتُ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَنْبَغْتُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةٌ مَاءٌ» (١).

فبعد أن يملأ هؤلاء القوم الأرض فساداً، يَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ (نوع من الدود) فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى (قتلى) كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَشْتُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْراً كَأَغْنَاكِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدِيرٌ وَلَا وَبَرٌ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَنْزُكَهَا كَالزَّلْفَةِ (المرأة)، ثُمَّ يَقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِئِي ثَمَرَتِكَ، وَرُدِّي بَرَكَتِكَ، فَيَوْمئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا، وَيُبَارِكُ فِي الرُّسْلِ (اللبن)، حَتَّى أَنَّ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ (الجماعة)، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَحِذَ مِنَ النَّاسِ، فَيَنْتَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ

تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارَجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ^(١). (أي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما تفعل الحمير ولا يكثرثون بذلك).

٥٣، ٥٤ - طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة:

جاء في الحديث الصحيح: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»^(٢).

قال الحافظ في الفتح: والذي يترجح من مجموع الأخبار؛ أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة. أهـ.

ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب فقد أخرج مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»^(٣).

قال الحاكم أبو عبد الله: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه.

قال الحافظ: والحكمة في ذلك؛ أنه عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة. أهـ.

(١) اقرأ الحديث بحرفيته في صحيح مسلم (٢٩٣٧/١١٠).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٦٥٠٦).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢٩٤١/١١٨).

أخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا عَصَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَخْطُمُ الْكَافِرَ - قَالَ عَفَّانُ (أحد رواة الحديث): أَنْفَ الْكَافِرِ - بِالْخَاتَمِ، وَتَجَلُّو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ عَلَى خِوَانِهِمْ فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ»^(١).

- معنى تجلّو وجه المؤمن: الجلي هو انحسار مقدم الشعر والمعنى تصقله وتبيضه.
- الخوان: هو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل.

تضارب أقوال العلماء في تعيين دابة الأرض إلى عدة أقول:

الأول: أنها فصيل ناقة صالح، قال القرطبي وهو أصحها والله أعلم.

الثاني: أنها الجساسة المذكورة في حديث تميم الداري.

وقيل غير ذلك من الأقوال والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

٥٥، ٥٦ - آية الدخان والحسوف الثلاثة:

جاء في الحديث الذي رواه مسلم: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ. فَذَكَرَ: الدُّخَانُ، وَالدَّجَالُ، وَالدَّابَّةُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خُسُوفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخُسُوفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخُسُوفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»^(٢).

٥٧ - الجهجاه!!:

عن أبي هريرة قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى

(١) رواه الترمذي (٣١٨٧) ضعفه الألباني، وأحمد في المسند (٧٨٧٧) وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف. وصححه أحمد شاكر في المسند (٧٩/١٥ - ٨٢).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣٩/٢٩٠١).

يَمْلِكُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْجَهَّجَاءُ»^(١). وَقَالَ مُسْلِمٌ: هُمْ أَرْبَعَةُ إِخْوَةٍ: شَرِيكٌ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ، وَعُغْمَيْرٌ، وَعَبْدُ الْكَبِيرِ بَنُو عَبْدِ الْمُجِيدِ.

٥٨- آية النار وهم آيتان:

الآية الأولى: وهي التي ظهرت في الثالث من جمادي الآخرة عام (٦٥٤هـ)؛ وهي قوله في الصحيحين: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَغْثَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى»^(٢).

وقد ظهرت هذه العلامة كما أخبر بها ﷺ فقد احترقت الحرة الشرقية من المدينة النبوية واستمرت النار ملتهبة فيها مدة طويلة، ولهبها يرى من بصرى الشام (وهي أرض حوران)، وما زالت حجارتها سوداء محترقة كالفحم إلى الآن، وكان ظهور هذه العلامة ليلة الأربعاء في الثالث من جمادي الآخرة من عام (٦٥٤هـ).

الآية الثانية: فهي لم تظهر بعد؛ فقد سأل عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ عن أول أسراط الساعة فقال ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَتَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ»^(٣).

ولفظ آخر عند مسلم في بعض الطرق قال المصطفى ﷺ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ. فَذَكَرَ: الدُّخَانُ، وَالْدَّجَالُ، وَالْدَّابَّةُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَتُزُولُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خُسُوفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخُسُوفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخُسُوفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»^(٤).

(١) صحيح، رواه مسلم (٦١/٢٩١١)

(٢) صحيح، رواه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٤٢/٢٩٠٢) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٣٣٢٩، ٤٤٨٠).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٣٩/٢٩٠١).

وهذا في الظاهر يعارض حديث البخاري حيث قال فيه النبي ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْتَرُّ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ»^(١).

ويجمع بينهما بأن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها؛ فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا.

حال الناس عند قيام الساعة:

فقد جاء في صحيح البخاري عن النبي ﷺ: «وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِفَحْتِهِ فَلَا يَطْعُمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعُمُهَا»^(٢).

معنى يليط حوضه: أي يصلحه بالطين والمدر فيسد شقوقه ليملأه، ويُسقى منه دوابه.

بداية الانقلاب الحقيقي: (نفخة الفناء)

إذا أذن الله جل جلاله بانقراض الكون وانتهاء الحياة الدنيا أمر إسرافيل أن ينفخ في الصور نفخة واحدة (نفخة الفناء) - فتتحل بهذه النفخة روابط هذا الكون - فترج الأرض رجاً، وتزلزل زلزلاً مروعاً، وتذك دكاً، وتُبس الجبال بساً فكانت هباءً منبثاً، وتفجر البحار تفجيراً، وتصاب السماء بانفطار عظيم ويبطل قانون الجاذبية المعروف الآن، وتتناثر النجوم والكواكب، وتنكدر الشمس، ويذهب ضوء الكل، وتنصهر الأجرام السماوية بجميع مجراتها فإذا هي كالنحاس المذاب، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِ ۖ﴾ [المعارج]، وإذا العالم كله سديم وبخار كما كان قبل خلقه.

(١) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٣٣٢٩، ٤٤٨٠).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٦٥٠٦).

وأما هذا الإنسان الذي يزعم أنه سيد هذا الكون، ولم يبرح يتناول حتى على خالقه عندما يشاهد هذه الأهوال بعينه، ويسمع دويها بأذنيه، يفقد رشده وصوابه حتى يصبح كالفراش المبتوث في حمقه، ويصبح هائجاً مائجاً سكران من شدة الفزع والهول وما هو بسكران، مرضعه عما أرضعت ذاهلة، وحوامله لما في بطونها واضعة وها هي آيات رب الكون تنطق بكل ما سيجري:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ②﴾ [الحج].

﴿الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ⑤﴾ [القارعة].

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ⑧ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ⑨﴾ [المعارج].

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا ③﴾ [الزلزلة].

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ③﴾ [الانفطار].

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③﴾ [التكوير].

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لَوْعِهَا كَاذِبَةٌ ② خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ③ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ④ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ⑤ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ⑥﴾ [الواقعة].

نشوء الحياة الثانية:

بعد فناء العالم بنفخة إسرافيل نفخة الفناء كما تقدم آنفاً، فبعد أربعين لا ندري هل هي أربعون يوماً أو أربعون شهراً أو أربعون سنة، بعد مضي هذا الوقت من الزمن يُنزل الله تعالى من السماء ماءً فتنبت الأجسام تحت الأرض كما ينبت البقل، حيث يتفاعل هذا الماء مع عظيم صغير في آخر سلسلة فقرات الظهر اسمه عَجَبُ الذنب، فإذا اكتملت الأجسام وأصبحت هياكل تامة التكوين تحت الأرض أرسل الله الأرواح التي قبضها ملك الموت إلى الأجساد فتحيا، ثم ينادي مناد الله

تبارك وتعالى: أن قوموا إلى ربكم، فتسمع وتجيّب، وتنشق الأرض عنهم سراغًا، ويقومون من قبورهم أحياء للحشر بعد أن تم النشر، وهذه المعلومات اليقينية التي سقناها لك قد جاءت بها آيات قرآنية وصحت بها سنن نبوية لا مجال لإنكارها أو الشك فيها قال تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق].

﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ ﴿٦﴾ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر].
قد جاء في صحيح البخاري ومسلم واللفظ له: «مَا بَيْنَ التَّفَخُّخَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَتَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَتَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَتَيْتُ، ثُمَّ يُنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، قَالَ: وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَنْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

في هذا الحديث لم يبين أبو هريرة راوي الحديث لفظ الأربعين، هل هو أربعون يومًا أو شهرًا أو عامًا، غير أنه ورد في رواية أخرى مفسرًا بلفظ: «سنة»، قاله النووي في شرحه على صحيح مسلم.

الحشر في عرصات القيامة:

قال الرسول ﷺ في الصحيحين: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ يَبْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ»^(٢).

- معنى عفراء: أي يبيض تميل إلى الحمرة قليلاً.

- وقرصة النقي: الخبز الأبيض السالم من الغش والنقي من النخالة.

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٨١٤، ٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥/١٤١) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠/٢٨) واللفظ له، كلاهما عن سهل بن سعد.

- العلم: أو المعلم: هو البناء المرتفع.

وفي الصحيحين أيضًا: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ غُرْلًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ النَّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟! قَالَ ﷺ: يَا عَائِشَةُ، الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»^(١).

معنى غرلاً: جمع أغرل وهو من لم يختتن.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان].

وقيل للرسول ﷺ: كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِّئَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!!»^(٢).

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [٨٥] وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا [٨٦] [مريم].

- المعنى: وفدًا: قال ابن عباس أي: ركبانا.

- وردًا: أي عطاشًا قد تقطعت أعناقهم من العطش؛ ولكنهم لا يردون إلى ماء

بل إلى جهنم وجحيمها ومهلها وحميمها.

جاء في صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُذْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ»، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَعْْنِي بِالْمِيلِ، أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ؟ قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٥٦/٢٨٥٩) واللفظ له عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٥٤/٢٨٠٦) واللفظ له عن قتادة عن أنس رضي الله عنهما.

إِلْجَامًا». قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ (١).

- معنى حقويه: مثني حقو وهو الخصر.

فسبحان الله وبحمده والله أكبر كانوا في الدنيا على السواء، يأكلون ويشربون ويلبسون ويركبون ويُرزقون يؤتاها من يحبّه الله تعالى ومن لا يحب، فلما جاء الموت عرف كل منهم سبيله، واتضح له مقيله، وأفضى كل منهم في برزخه إلى ما قدم، فبينما هم كذلك إذ صرخ بهم الصارخ، وصاح بهم الصائح، فخرجوا من الأجداث مسرعين، وإلى الداعي مهطعين، هؤلاء على الركائب، وهؤلاء على أقدامهم، وأولئك على وجوههم يحشرون، هؤلاء في النور ينظرون وأولئك في الظلمات لا يبصرون، هؤلاء إلى الرحمن يقدون، وأولئك إلى النار يُردون، هؤلاء حُلّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا، وأولئك لهم مقامع من حديد، يُصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود، هؤلاء عليهم حلل السندس والإستبرق، وأولئك مقرنون في الأصفاد سرايلهم من قطران، وتغشى وجوههم النار هؤلاء يقال لهم: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وأولئك يقال لهم: اخسأوا فيها ولا تكلمون، وما هم بخارجين من النار.

فحينئذ ظهر الفرقان، وامتاز الفريقان، وصار الغيب شهادة والسر علانية، فكم من كاس في الدنيا عَظُمَ يومئذِ عُثْيُهُ، وكم من طاعم في الدنيا عَظُمَ يومئذِ جوعه، وكم من ريان في الدنيا اشتد يومئذِ عطشه، وكم من ناعم في الدنيا اشتد يومئذِ بأسه، تَرَى الْكَافِرَ الْكَافِرَ يَصْعَدُ الْاٰخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْاَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٢﴾ [الفصم]، ﴿٨٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْنُهُمْ وَمَنْ هُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٨٤﴾ [الحائية].

أول من يدعى يوم القيامة آدم وإخراج بعث النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمُ،

فَتَرَأَى ذُرِّيَّتَهُ فَيَقَالُ: هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُخْرِجُ بَعَثَ
جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كَمْ أَخْرِجُ؟ فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةِ تِسْعَةَ
وَتِسْعِينَ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا أُخِذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِائَةِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فَمَاذَا يَبْقَى
مِنَّا؟ قَالَ: «إِنَّ أُمَّتِي فِي الْأُمَمِ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ
النَّارَ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَذَاكَ
حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا
هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]، قَالَ: فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ قَالُوا: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ
رَجُلٌ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»،
فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ
الْجَنَّةِ»، فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا
شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ
كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ»^(٢).

عذاب الممتنعين عن دفع زكاة أموالهم يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ
بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران].

قال الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ
لِيَآكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصْذَوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٢٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣)، ومسلم (٣٧٩/٢٢٢).

الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبَيَّتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي: بِشِدْقَيْهِ - يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ أَنَا كُنْتُكَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٨٠] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِخُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ...»^(٢).

حوض النبي ﷺ يوم القيامة:

ويرد المسلمون حوض النبي ﷺ ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وأنيته كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبداً، وليردن على رسول الله ﷺ الحوض رجال من أمته يعرفهم بعلامة الوضوء غراً محجلين، ثم يُطردون عن الحوض لأنهم نكصوا على أعقابهم وَغَيَّرُوا بَعْدَهُ ﷺ وما أكثرهم هذا الزمان، اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، لَكُمْ سِيَمًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٥٦٥).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٢٤/٩٨٧).

الْوُضُوءِ، وَلْيَصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَنِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أُحَدِّثُوا بِعَدِّكَ؟^(١).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إِنِّي عَلَى الْخَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَنِي وَمِنْ أُمَّتِي؟ فَيَقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بِعَدِّكَ؟ وَاللَّهِ مَا بَرَّحُوا يَزْجَعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»^(٢).

وقد اختلف العلماء في الخوض والورود عليه أين يكون ومتى الورود؟
ف قيل: يكون قبل الصراط إذ يحشر الناس عطشى فيرد المؤمن الخوض ويتساقط الكفار في النار بعد أن يسألوا السقيا كما سيأتي، وقيل: إنه يكون بعد الحساب والميزان والصراط والأول أقرب فإن النبي ﷺ قد ضرب موعداً لأصحابه رضي الله عنهم على الخوض، فعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للأَنْصَارِ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْخَوْضِ»^(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «خَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرِ مَأْوُهُ أَيْبُضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»^(٤).

وقد سُئِلَ النبي ﷺ عن عرضه وعن شرابه كما جاء في حديث ثوبان فقال: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عُثْمَانَ»، وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغْتَفِي فِيهِ مِيزَابَانِ يُمَدَّانِيهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ»^(٥) ورق: أي فضة.

(١) صحيح، رواه مسلم (٣٧/٢٤٧).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٣٩/١٠٦١).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٧/٢٢٩٢).

(٥) صحيح، رواه مسلم (٣٧/٢٣٠١).

طعام أهل الجنة يوم القيامة:

وفي هذا اليوم الطويل يكرم الله جل ثناؤه عباده الذين ارتضى لهم الجنة داراً ومسكناً، ويقلب لهم الأرض خبزة واحدة فيأكلون منها حتى يدخلوا الجنة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَكْفُوْهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفُو أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نَزْلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ» قَالَ: فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنَزْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَتَطْرُقُ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: إِدَامُهُمْ بِالْأَمِّ وَنُونٌ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: نُونٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةٍ كَبِيدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا^(١).

شفاعة النبي ﷺ في إدخال من لا حساب عليه من أمته الجنة:

قال الله عز وجل: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣١﴾ [ق].

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ ﴿١٣﴾ [التكوير].

وعن أبي هريرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِخْ لَنَا الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ؟ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ أَذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ...»^(٢).

وقد رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُنِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الدَّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَتَهَسَّ مِنْهَا نَهْسَةً^(٣)، فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَذَرُونَ بِي ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٣٠/٢٧٩٢).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٣٢٩/١٩٥).

(٣) أي: أكل منها بمقدم أسنانه

صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ
الْعَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ
مَا أَنتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ
بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ
بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى
إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ
يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي
نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ
الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟
أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ
مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي،
نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ
وَحَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا
قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ
وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى
مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ
وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا
فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ
يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى
عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي
الْمَهْدِ وَكَلِمَةً مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟
أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ
يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا

إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبُّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنَ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى^(١).

- ما بين المصراعين: ما بين جانبي الباب من أبواب الجنة.

- هَجَرَ: قرية في البحرين.

- بَصْرَى: منطقة في بلاد الشام.

سؤال النبي ﷺ ربه عز وجل عدد الذين يدخلون الجنة من أمته بغير حساب وإجابة الكريم الوهاب:

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثَ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

أمة محمد ﷺ أول من يحاسب من بين الأمم:

وفي هذا اليوم يُكرم الله جل ثناؤه النبي ﷺ ومن اتبعه من المسلمين فهم وإن

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣٤٠، ٣٣٦١، ٤٧١٢)، ومسلم (٣٢٧/١٩٤) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، صحيحه الألباني في صحيح

الجامع (٧١١١)، وأحمد في المسند (٢١٨٠٠) واللفظ له، وقال الأرناؤوط: صحيح

وهذا إسناد حسن.

كانوا آخر الأمم إلا أن الله سبحانه يجعلهم أول من يحشر، وأول من يدخل الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيِّدَ أَنْ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَتْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، ثُمَّ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا هَذَا اللَّهُ لَهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»^(١).

وفي رواية عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما: «نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُقْضِي لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ يُقَالُ: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيِّهَا؟ فَتَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ»^(٣).

من صور الحساب:

قال الله عز وجل: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾^(٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ [الغاشية].

وقال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٦) فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَلَمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ [الأعراف].

وقال الله عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾^(٢١) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ^(٢٦) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ^(٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ^(٢٣) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ^(٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ^(٢٥) [القيامة].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ»^(٤). بمعنى أنكم سترون ربكم رؤية واضحة كما ترون هذا القمر.

(١) صحيح، رواه البخاري (٨٧٦، ٨٩٨، ٣٤٨٦)، ومسلم (١٩/٨٥٥).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٢/٨٥٦).

(٣) صحيح، رواه ابن ماجه (٤٢٩٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٤٩).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٥٥٤، ٧٤٣٤)، ومسلم (٢١١/٦٣٣) واللفظ له.

كفر المتبوع بالتابع:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۖ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٨٢) [مرم].

قال الله جل ثناؤه: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَيْلًا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ۖ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ (٢٩) [يونس].

وقال الله عز وجل: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (١٦٦) وقال الذين اتَّبَعُوا لَوْ أَنْتَ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (١٦٧) [البقرة].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ النَّارِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجَزَّوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٣) [سبا].

في يوم القيامة وعند الحساب يقول الأتباع المستضعفون للكهنة والقساوسة والسادة والقادة: أنتم صددمتمونا عن الهدى وأورثتمونا العذاب فيقول هؤلاء: نحن أمرناكم برفض الإسلام وأمرناكم باتخاذ الأنداد، فما كان منكم إلا السمع والطاعة، دون أن تفكروا فيما قلناه لكم.

تبرؤ الملائكة من المشركين:

قال الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (١٠١) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (١٠٢) [سبا].

تقول الملائكة سبحانك لا إله إلا أنت نحن عبيدك ونبرأ إليك من عبادتهم لنا ما أمرنا بذلك ولكنهم كانوا يعبدون الشياطين وبهم يؤمنون.

فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ [سبا].

عجز الأوثان عن نصر الكافرين:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [٥٦] وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [٥٧] [الكهف].

وقال الله عز وجل: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [٦١] [القصص].

وقال جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [٩١] [الأنعام].

يخبر الله عز وجل عما يوبخ به المشركين يوم القيامة: ادعوا الآلهة التي كنتم تعبدونها في الحياة الدنيا هل ينصرونكم أو ينتصرون؟ يقول تعالى: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [٦١] [القصص].

تبرؤ المسيح عليه السلام ممن اتخذه وأمه إلهين من دون الواحد القهار:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [١٧١] مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [١٧٢] إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [١٧٣] [المائدة].

يقول عيسى عليه السلام: يا رب ما يكون لي أن أقول ما ليس من حقي، يا رب إنه لا يخفى عليك شيء، يا رب ما أمرتهم إلا بما أرسلتني به: إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم وكنت شهيداً عليهم مدة حياتي بينهم وأنا يا رب بريء مما أحدثوا بعدي والأمر بيدك، يا رب فافعل بهم ما تشاء.

قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

يقول تعالى مجيباً عبده ورسوله عيسى عليه السلام هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم، أي: الموحدين الموقنين المخلصين الخاشعين بما يكون لهم من ثواب في جنات الخلد التي تجري من تحتها الأنهار ورضوان من الله أكبر وذلك هو الفوز العظيم.

من فضائل هذه الأمة شهادتهم على الأمم جميعاً يوم القيامة:

ثم يدعى الرسل والأنبياء وأممهم يوم القيامة فتنكر الأمم تبليغ الرسل فتشهد هذه الأمة على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم أن رسلهم بلغتهم وأنهم كذبوا رسلهم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ نُوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهِدَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَيَجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] قَالَ: عَدَلًا ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]»^(١).

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٣٤٩).

يَشْهَدُ لَكَ، فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَدْعِي مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَغَ هَذَا قَوْمَهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقَالُ: وَمَا عَلِمُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جَاءَنَا نَبِيٌّ فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَغُوا فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] قَالَ: يَقُولُ: عَدْلًا ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]»^(١).

مناقشة الحساب:

ثم يحاسب الله عز وجل عباده فمنهم من يناقشه في الحساب ويستقصي عليه ويوقفه على قبيح أعماله ثم يساق إلى جهنم، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مریم]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [ال عمران: ٣٠].

السؤال يومئذ عن خمس:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ»^(٢).

وكذلك اليوم تنسى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظُّلُمَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قالوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قالوا: لَا، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ أَلَمَ أَكْرَمَكَ وَأَسَوَّدَكَ وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ:

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١١١٦٤) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) حسن، رواه الترمذي (٢٤١٦)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٩٩).

لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأَسَوِّدَكَ وَأَزْوَجَكَ وَأَسْخِرْ لَكَ الْحَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَاسُ وَتَرْبُعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، أَيُّ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذَا قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي فَتَنْطِقِي فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِیُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ^(١).

وفي حديث أنس عند مسلم: «... ثُمَّ يُخْلَى بَيْنَهُ وَيَبِينُ الْكَلَامَ قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلُّ»^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَقْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ؛ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي»^(٣).

من نوقش العذاب عَذَبَ:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقِشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَذَبَ»^(٤).

(١) صحيح، رواه مسلم (١٦/٢٩٦٨).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (١٧/٢٩٦٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٦٥٥٧) واللفظ له، ومسلم (٥١/٢٨٠٥).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٦٥٣٧)، ومسلم (٧٩/٢٨٧٦).

لا ترجمان بين العبد وبين ربه عز وجل:

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكْلُمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(١).

أول ما يحاسب الناس عليه يومئذ:

أول ما يحاسب العبد عليه يومئذ الصلاة فإن صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ.
عن أنس بن حكيم الضبي قال: خَافَ مِنْ زِيَادٍ أَوْ ابْنِ زِيَادٍ فَأَتَى الْمَدِينَةَ فَلَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: فَتَسَبَّنِي فَاتَّسَبْتُ لَهُ، فَقَالَ: يَا فَتَى أَلَا أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى رَحِمَكَ اللَّهُ، قَالَ يُؤْنَسُ -أحد رواة الحديث-: وَأَحْسَبُهُ ذَكَرَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ، قَالَ: يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِلْمَلَائِكَةِ وَهُوَ أَعْلَمُ: انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا، فَإِنْ كَانَتْ تَامَةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَةً، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ: أَتَمَّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ»^(٢).

الحساب اليسير:

ويدني الله عز وجل بعض المؤمنين الذين أسرفوا على أنفسهم فيعرض عليهم أعمالهم ويقرّرههم ويذكرهم بذنوب عملوها في الدنيا، ثم يعفو ليعلموا منّة الله جل ثناؤه على أهل الإيمان والإسلام.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (٦٧/١٠١٦).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٨٦٤) صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٧١)، وأحمد في

المسند (٩٢١٠) وقال الأرناؤوط: صحيح وهذا إسناد ضعيف.

الْمُؤْمِنُ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَشْرِئُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] (١).

أول ما يقضى بين الناس يومئذ في الدماء:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ» (٢).

قال العلماء: ليس هذا الحديث مخالفاً للحديث المتقدم: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الصَّلَاةُ» (٣)؛ لأن هذا الأخير فيما يتعلق بعبادة الخالق أما الآخر فهو فيما يتعلق بمعاملات الخلق.

كيفية القصاص يومئذ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٤٤١) واللفظ له، ومسلم (٥٢/٢٧٦٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٨٦٤)، ومسلم (٢٨/١٦٧٨) واللفظ له.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٤٤٩).

هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١).

المراؤون أول الناس الذين يقضى عليهم يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكَتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(٢).

المصورون من أشد الناس عذاباً يومئذ:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّورَ»^(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»^(٤).

(١) صحيح، رواه مسلم (٥٩/٢٥٨١) واللفظ له، والترمذي (٢٤١٨).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٥٢/١٩٠٥) واللفظ له، والنسائي (٣١٣٧).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٦١٠٩).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٩٧/٢١٠٨).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتَعَذُّبُهُ فِي جَهَنَّمَ»^(١).

الذين لا يعودون المرضى. ولا يطعمون ولا يسقون المحتاجين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تُعْذِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تُعْذِهِ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عَذَّتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»^(٢).

صبغة النار وصبغة الجنة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»^(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَنَزْلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ خَيْرٌ مَنَزِلٍ،

(١) صحيح، رواه مسلم (٩٩/٢١١٠).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٤٣/٢٥٦٩).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٥٥/٢٨٠٧).

فَيَقُولُ: سَلْ وَتَمَنَّ، فَيَقُولُ: مَا أَسْأَلُ وَأَتَمَنَّى إِلَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ شَرِّ مَنْزِلٍ، فَيَقُولُ لَهُ: أَتَقْتَدِي مِنْهُ بِطِلَاعِ الْأَرْضِ ذَهَبًا؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ نَعَمْ، فَيَقُولُ: كَذَبْتَ قَدْ سَأَلْتُكَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ وَأَيْسَرَ فَلَمْ تَفْعَلْ، فَيَرُدُّ إِلَى النَّارِ»^(١).

قَصْر يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ»^(٢).

صفة حساب رجل ممن شاء الله تعالى أن يغفر له بالرغم من كثرة سيئاته: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِإِلَهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَيُخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظْلَمَكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنْكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتَوَضَّعَ السِّجِلَّاتُ فِي

(١) صحيح، رواه أحمد (١٢٧٥٠) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم،

وروى النسائي جزء منه (٣١٦٠) صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٩٦).

(٢) صحيح، رواه الحاكم في المستدرک (٢٨٤/٢٨٤)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع

كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السَّجَّلَاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَتَّقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ^(١). الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد وسقوط الكفار في النار، وكشف الساق، وتحول الخلائق من الموقف والمرور على الصراط وشفاعة النبي ﷺ والنبين والملائكة عليهم السلام والمؤمنين وشفاعة أرحم الراحمين؛ ثم ينادي المنادي: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيسمعون ويطيعون ويتساقطون في جهنم ولا يبقى إلا من كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجر فيأتيهم الله جل ثناؤه في صورة غير التي رآوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم، فيستعيذون بالله منه ويقولون: إذا جاء ربنا عرفناه، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم الساق، فيكشف الرحمن عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويستعصى السجود على المنافق والمرائي، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول تبارك وتعالى في صورته الأولى فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت، ثم يؤتى بالصراط فيجعل بين ظهري جهنم ويمر الناس عليه إلى الجنة وهو أدق من الشعرة، وأحد من السيف، وسرعة الناس عليه على قدر أعمالهم فالمؤمن كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، وعلى الصراط خطاطيف مأمورة، فمن الناس من ينجو، ومنهم من يخذش، ومنهم الموبق بعمله، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين عباده أذن للشافعين في إخراج المؤمنين الذين أوبقتهم أعمالهم في النار، فيخرجون وقد ماتوا وتفحموا فيلقون في نهر الحياة بأفواه الجنة فينبتون كما تنبت الحبة فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، ثم يدخلهم الله جل ثناؤه الجنة.

حديث الصراط:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَاوُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟» قُلْنَا: لَا،

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٦٣٩) واللفظ له، وابن ماجه (٤٣٠٠) صحيحه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٦)، وأحمد في المسند (٦٩٥٥) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي رجاله ثقات رجال الصحيح غير إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، والحاكم في المستدرک (٩/٩) وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم.

قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَا رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَاهُمَا» ثُمَّ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيلِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَغُيَّرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنِ اللَّهِ فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيْبٌ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقِيفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَتَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ،

فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَأَقْرَأُوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] «فَيَسْمَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبَثُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُثُ الْحَيَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَيْضَ، فَيُخْرِجُونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ، فَيَجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْحَوَاتِيمَ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»^(١).

امتحشوا: أي احترقوا.

رواية أخرى لحديث الصراط:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ أَنَسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيَتِ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ:

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٤٤٠) واللفظ له، ومسلم (٣٠٢/١٨٣).

أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَسْتَبْعُونَهُ وَيُضْرِبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِيْبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَجُ، ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ يَمُنَّ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَثَرِ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتَحَشُوا، فَيَصْبُ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُثُونَ نَبَاتَ الْحَيَاةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ قَشَبْتَنِي رِيحُهَا وَأَخْرَقْتَنِي ذِكَاؤُهَا فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرُهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرُهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ: بَعْدَ ذَلِكَ يَا رَبِّ قَرَّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرُهُ؟ وَبِئْسَ مَا أَعْدَرْتُكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتَكَ ذَلِكَ تَسْأَلَنِي غَيْرُهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرُهُ، فَيُعْطِي اللَّهُ مِنْ غُھُودٍ وَمَوَائِقَ أَنْ لَا يَسْأَلُهُ غَيْرُهُ، فَيَقْرُبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرُهُ؟ وَبِئْسَ مَا أَعْدَرْتُكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشَقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَدْنَى لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا فَيَتَمَنَّى، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِيُّ، فَيَقُولُ لَهُ: هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا. قَالَ عَطَاءٌ: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: «هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هَذَا لَكَ

وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: حَفِظْتُ مِثْلَهُ مَعَهُ^(١).

شفاعة النبي ﷺ في إخراج المؤمنين من النار:

فإذا قضى الله جل ذكره بين العباد وعرف كل سبيله، أذن سبحانه بالشفاعة، فيشفع الأنبياء والملائكة والمؤمنون فيمن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وشفع الملائكة فيمن احترق من أهل الذنوب والمعاصي، حتى إذا شفع هؤلاء قال الرحمن: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة فينبتون في حافتيه.

عن معبد بن هلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حدثنا محمد ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَآجِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: لست لها، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: لست لها، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: لست لها، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٧٤) واللفظ له، ومسلم (٢٩٩/١٨٢).

حَبَّةٌ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»^(١).

شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر من أمته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»^(٢).

أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»^(٣).

إخراج العصاة الموحدين من النار بعد موتهم فيها رحمة من عند الله تعالى:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرٍ فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَيَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ»^(٤).

قال النووي رحمه الله: وأما معنى الحديث فالظاهر والله أعلم أن الكفار الذين هم أهل النار والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون، كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، كما قال تعالى:

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٥١٠) واللفظ له، ومسلم (٣٢٦/١٩٣).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (٣٣٨/١٩٩) واللفظ له.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٩٩).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٣٠٦/١٨٥).

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [الأعلى]، وهذا جارٍ على أهل الحق أن نعيم أهل الجنة دائم وأن عذاب أهل الخلود في النار دائم، وأما قوله: «وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ ...» إلى آخره فمعناه أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى، هذه الإماتة إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس، ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم، ثم يميتهم ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس المدة التي قدرها الله تعالى، ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحمًا فيحملون ضبائر كما تحمل الأمتعة ويلقون على أنهار الجنة فيصب عليهم ماء الحياة فيحيون وينبتون ويصيرون إلى منازلهم، وتكتمل أحوالهم فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه، والله أعلم.

أصحاب الأعراف:

قال الله عز وجل: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَنَدْخُلَهَا وَهُمْ لَا يَدْخُلُوهَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٠﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأعراف].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، فبينما هم كذلك إذا أطلع عليهم ربك قال: «قوموا ادخلوا الجنة، فإني قد غفرت لكم»^(١).

(١) صحيح، رواه الحاكم في المستدرک (٣٦٤/٣٢٤٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: لما ذكر الله تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار،
 به أن بين الجنة والنار حجاباً وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة.
 قال ابن جرير الطبري رحمه الله: وهو السور الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فَضْرِبَ
 بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] وهو
 الأعراف الذي قال تعالى فيه: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦] قال: والأعراف
 جمع عرف وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفاً، وإنما قيل لعرف
 الديك عرفاً لارتفاعه.

قال ابن كثير: واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها
 قرية ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، نص عليه
 حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله.
 القنطرة بين الصراط والجنة:

فإذا جاء المؤمنون على الصراط، ونجوا من النار، وشُقُّعوا فيمن أذن الله تعالى من
 أهل النار دخلوا الجنة، إلا من كانت له مظلمة عند أخيه، فإنهم يُحبسون على
 قنطرة بين الجنة والنار لِيُقْتَصَّ لبعضهم من بعض، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة.
 عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ
 مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ
 كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَأَلْذِي نَفْسٍ
 مُحَمَّدٍ يَدِيهِ لِأَحَدِهِمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»^(١).

قال الحافظ ابن حجر: لعل أصحاب الأعراف منهم يعني - رحمه الله - الذين
 كانت عندهم مظالم كثيرة لإخوانهم بحيث تستوي حسناتهم وسيئاتهم فيطول
 حبسهم ويرون أصحاب الصراط يسقطون في النار فيشفقون منها ويرون أصحاب
 الجنة فينادونهم ﴿أَنْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦].

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٣٥).

النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتْ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتْ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَسَاءَ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَسَاءَ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلُهُ فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ، فَهَنَالِكَ تَمْتَلِي وَيُزَوَّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»^(١).

الموت يذبح بين الجنة والنار:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَرْدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَرْدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»^(٢).

صفة النار ومن هم أهلها

تلاعن المشركين في النار:

ثم يُلقى المشركون في النار أمةً بعد أمة، جِنَّهُمْ وإنْسُهُمْ كلما دخلت أمة لعنت أختها، حتى إذا اجتمع فيها أهلها جميعًا شكت آخر أمة إلى الله تعالى أول أمة؛ لأنهم الذين أضلّوهم السبيل، فتقول أول أمة لآخر أمة: لقد ضللتكم كما ضللنا، على الرغم من الحجج الكثيرة التي قامت علينا وعليكم في الدنيا على ألسنة الرسل، ولو هدانا الله لهديناكم، سواء علينا وعليكم أصبرنا أم جزعنا ما لنا من خلاص.

قال الله جل ذكره: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٣٦/٢٨٤٦).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٤٣/٢٨٥٠).

فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْلَاهَا حَتَّى إِذَا أَذَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبَهُمْ
لَأُولَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأُخْرَبَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ [الأعراف].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي
النَّارِ لِحِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ
تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ [غافر].

وقال الله عز وجل: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا
كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِّنَ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ
لَهَدَيْنَكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٦١﴾ [إبراهيم].
وقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا
يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٣﴾ يَوْمَ ثَقَلَتْ أُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ
وَأَطَعْنَا الرُّسُولَ ﴿٦٤﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٥﴾ رَبَّنَا
ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٦﴾ [الأحزاب].

وقال الله جل ذكره: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾
مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصَرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
قُلُوْا أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ [الشعراء].

تبرؤ الشيطان من أتباعه في النار:

فإذا قضى الله بين عباده يُلقى الذين كفروا في جهنم فيناديهم الشيطان ويتبرأ من أن يكون شريكاً لله كما جعلوه في الحياة الدنيا فاطاعوه واتبعوه حتى عصوا الله ورسله.

قال الله جل ثناؤه: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم].

يقول إبليس: لا أستطيع اليوم أن أنفعكم فأخلصكم من العذاب الأليم، ولا تقدرون أنتم على شيء من ذلك فتخلصوني مما أنا فيه من العذاب العظيم، إن الله عز وجل وعدكم وعداً صادقاً فعصيتهم وكذبتم، ووعدتكم وعداً كاذباً فأجبتهم وصدقتهم فلا تلومني ولوموا أنفسكم.

حسرة أهل النار وندامتهم:

قال الله جل ثناؤه: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [٢٧] ﴿يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ [٢٨] ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [٢٩] [الفرقان].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ إِلَّا أَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ لَيَزِدَّادَ شُكْرًا، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلَّا أَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ لَيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ»^(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزِدُّ أَهْلُ

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٦٩).

الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»^(١).

وزاد مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مرم]، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا^(٢).

دوام عذاب أهل النار:

قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [٣٦] وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [٣٧] [فاطر].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل النار ليكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت وإنهم ليكون الدم»^(٣).

أصفاد النار وقطرانها:

قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ يَأْتِ خَلْقَ حَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد]. وقال الله جل ثناؤه: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [٤٩] سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [٥٠] [إبراهيم].

شجرة الزقوم:

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ﴾ [٤٣] طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [٤٤] كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٤٣/٢٨٥٠).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٤٠/٢٨٤٩).

(٣) صحيح، رواه الحاكم في المستدرک (١١٦/٨٧٩١) عن سلام بن مسكين وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٣٢).

الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْحَمِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ [الدخان].

وقال الله تعالى: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ ﴿٦٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْحَمِيمِ ﴿٦٨﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٩﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ تَنَاوَنَ مِنْهَا الْبُطُونُ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَكِلَى الْحَمِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَقْبَاءُ هُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ [الصافات].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ؟!»^(١).

صديدها:

قال الله عز وجل: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم].

قال الله جل ثناؤه: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج].

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٥٨٥)، وابن ماجه (٤٣٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٥٠).

عقوبة الذين يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويأتونه:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»^(١).

عمق قعرها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَذَرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا»^(٢). وقال عتبة بن غزوان رضي الله عنه: «ذَكَرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَوَاللَّهِ لَثُمْلَأَنَّ»^(٣).

إحاطة النار بأهلها:

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر].

قال الله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [٢٦] بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٧﴾ [الأنبياء].

أهون أهل النار عذابًا:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ، مَا

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٥١/٢٩٨٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣١/٢٨٤٤).

(٣) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (١٤/٢٩٦٧).

يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا»^(١).

تفاوت العذاب فيها:

عن سُمرَةَ بن جندب رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوتَيْهِ»^(٢). حجزته: منطقة الخصر ومتنصف الجسم.

قال الله عز وجل: ﴿سَاصِلِهِ سَقَرٌ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۚ لَا يُبْقَى وَلَا يُدْرُ ۚ﴾ [الدنر] أي: أنها تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون.

وقال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْنَى ۖ نَزَاعَةٌ لِّلشَّوَى ۚ تَدْعُوا مَنَ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۚ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۚ﴾ [المعارج] أي: أنها لشدة حرارتها تبری الجلد عن العظم وتنزعه ثم يبدل بعد ذلك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِّنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِّنْ نَّارِ جَهَنَّمَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً؟ قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَ يَتَسَعَّى وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»^(٣).

صفة خلق الكافر فيها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضِرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا يَبْنِي مَنَكِبِي الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلزَّكَاكِ الْمَشْرِعِ»^(٥).

(١) صحيح، رواه مسلم (٣٦٣/٢١٣).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣٣/٢٨٤٥).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٣٠/٢٨٤٣).

(٤) صحيح، رواه مسلم (٤٤/٢٨٥١).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٤٥/٢٨٥٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ غِلْظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا يَنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ»^(١).

النساء أكثر أهل النار:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةٌ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ وَأَصْحَابُ الْجِدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةٌ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ»^(٢).
أصحاب الجدد: الأغنياء.

صفة الجنة وأهلها

مهما وصفت الجنة فإن حقيقتها أعظم من الوصف ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ينعم فيها المؤمن الذي صدق قوله عمله، وكان من المتقين فجزاه الله أحسن الجزاء وأنعم عليه بدخوله جنة الخلد.

النبي ﷺ أول الناس دخولاً الجنة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتَحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»^(٣).

صفة أول زمرة يدخلون الجنة وعددهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يُلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَيْئُولُونَ، وَلَا يَتَغَوِّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتَفَلُّونَ، أَمْشَاطُهُمْ

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٥٧٧)، صحيحه الألباني في المشكاة (٥٦٧٥).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٥١٩٦، ٦٥٧٤)، ومسلم (٩٣/٢٧٣٦).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٣٣٣/١٩٧).

الذَّهَبُ، وَرَشَّحُهُمُ الْمِسْكَ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَأَزَوَّاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، أَخْلَقَهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»^(١).

- مجامرهم: أي المكان الذي يوضع فيه الجمر.

- الألوة: عود البخور الهندي.

وعن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا - أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ لَا يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيُّهُمَا قَالَ - مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيظُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ فَتَنْظُرُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخِرِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنَزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ» فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَزُقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنِ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَيَقُوكَ بِهَا عُكَاشَةُ»^(٣).

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (١٥/٢٨٣٤) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٤٧، ٦٥٥٤)، ومسلم (٣٧٣/٢١٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٣٧٤/٢٢٠) واللفظ له.

ذكر ما لأدنى أهل الجنة منزلة من الكرامة وما لأعلاهم:

عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضى رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة: رضى رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتئت نفسك، ولدت عيذك، فيقول: رضى رب، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وحتمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومضداه في كتاب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله أعذدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فأقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»^(٢).

ذكر أبوابها:

وأبواب الجنة ثمانية وقد تقدم أن ما بين جانبي الباب كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى، وسيدعى الصالحون كل بما سبق به من التطوع فمن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومنهم من سيدعى من جميع الأبواب ولعلمهم السابقون.

قال الله عز وجل: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر].

(١) صحيح، رواه مسلم (٣١٢/١٨٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢/٢٨٢٤).

وقال الله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَكَابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مُمْنَحَةً لَهُمْ
الْأَنْبُوبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ
مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ
أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ
الصَّدَقَةِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ
دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ:
«نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»^(١).

قال الحافظ ابن حجر: في الحديث إشعارٌ بقلّةٍ من يدعى من تلك الأبواب، وفيه
إشارة إلى أن المراد ما يتطوع به من الأعمال المذكورة لا واجباتها لكثرة من يجتمع
له العمل بالواجبات كلها بخلاف التطوعات، فقلّ من يجتمع له العمل بجميع
أنواعها، ثم من يجتمع له ذلك إنما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم له،
وإلا فدخله إنما يكون من باب واحد ولعله باب العمل الذي يكون أغلب عليه،
والله أعلم.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ
لَهُ: الرِّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ
الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»^(٢).

درجات الجنة:

الجنة درجات كثيرة، وما بين درجة وأخرى كما بين السماء والأرض، منها مائة
درجة للمجاهدين، ودرجات أخرى للمؤمنين والعلماء، والفردوس أوسط الجنة

(١) صحيح، رواه البخاري (١٨٩٧)، مسلم (٨٥/١٠٢٧).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١٦٦/١١٥٢).

وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة. قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه].
وقال الله عز وجل: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال الله جل ذكره: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ» أَرَاهُ قَالَ: «وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَثْرَلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا»^(٢).

علو غرفها:

قال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ عُرُفٌ مِّنْ فَوْقَهَا عُرُفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِبَ فِي الْأَفْقِ، مِنْ

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤) صححه الألباني في الصحيحة

الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَتَلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رَجَالَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ^(١).

ماكل أهل الجنة:

قال جل ثناؤه: ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيْفُونَ ۖ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۝ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۝ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخْلَدُونَ ۖ يَأْكُوبُ وَأَبَارِقُ ۖ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ۝ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ۝ وَفِيكِهِمْ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۖ وَلَحْمٌ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ۖ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۖ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۖ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۖ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۖ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۖ وَفِيكِهِمْ كَثِيرٌ ۖ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۖ وَفُرُشٌ مَّرْفُوعَةٍ ۖ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۖ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۖ عُرُبًا أَتْرَابًا ۖ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۖ﴾ [الواقعة].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَقَلَّبُونَ، وَلَا يَتَوَلَّوْنَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَحِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشَّحٌ كَرَشَّحِ الْمِشْكِ، يُلْهَمُونَ التَّشْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ»^(٢).

لا يتغوطون: لا يتبرزون.

خيامها وجنانها وتربتها:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَحِيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (١١/٢٨٣١).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٨/٢٨٣٥).

عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: وساق حديث الإسراء. قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَعَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ قَالَ: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللَّوْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»^(٢). جنابذ: خيام.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ أَنْبِثُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أَنْبِثُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا يَنْبَغِي الْقَوْمَ وَيَبْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءَ الْكِبَرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ»^(٣).

صفة شجرها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضْمَرَّ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ»^(٥).

صفة سوقها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَرْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ اَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»^(٦).

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٨٨٠)، مسلم (٢٣/٢٨٣٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٣٤٢)، مسلم (٢٦٣/١٦٣).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٤٨٧٨، ٧٤٤٤)، ومسلم (٢٩٦/١٨٠).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨).

(٥) صحيح، رواه الترمذي (٢٥٢٤)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٤٧).

(٦) صحيح، رواه مسلم (١٣/٢٨٣٣).

صفة قصورها:

قال الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِقَصْرِ مِنْ ذَهَبٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَدْخُلَهُ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِلَّا مَا أَعْلَمُ مِنْ غَيْرَتِكَ» قَالَ: وَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! (١).

صفة أنهارها:

قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) [الكهف].

وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ (١٥) [محمد].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ خِيَامُ اللَّوْلُؤِ، فَضَرَبْتُ يَدَيَّ إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ فَإِذَا مِشْكٌ أَذْفَرُ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أُعْطَاكَهُ اللَّهُ» (٢).

صفة الحور العين:

قال الله عز وجل: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩) [الصافات].

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٠٢٤)، ومسلم (٢٣٩٤/٢٠).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٥٤٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٦٥)، وأحمد في المسند (١١٥٩٧) واللفظ له، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وقال الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن].

وقال جل ثناؤه: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآثٍ﴾ [٤٩] جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْصَحَةٍ لَهُمْ
الْأَبْوَابُ [٥٠] مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ [٥١] وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرَفِ
الرَّابِ [٥٢] هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ [٥٣] إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ [٥٤] [ص].
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَرَوْحَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ
غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ - يَعْنِي
سَوِّطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اظَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ
لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَّتْهُ رِيحًا وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(١).
نصيفها: أي خمارها.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ
قُوَّةٌ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْجَمَاعِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يُطِيقُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «يُعْطَى قُوَّةٌ
مِائَةٌ»^(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ
الْجَنَّةِ لَيُغْنِينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ مَا سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ، إِنْ مِمَّا يُغْنِينَ: نَحْنُ
الْخَيْرَاتُ الْحَسَنَاتُ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كَرَامٍ، يَنْظُرُونَ بِقَرَّةِ أَعْيَانٍ، وَإِنْ مِمَّا يُغْنِينَ بِهِ: نَحْنُ
الْخَالِدَاتُ فَلَا يَمُتْنَ، نَحْنُ الْآمَنَاتُ فَلَا يَخْفَنَهُ نَحْنُ الْمَقِيمَاتُ فَلَا يَظْعَنَهُ»^(٣).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَصَلُ إِلَى نِسَائِنَا فِي
الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَصِلَ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءٍ»^(٤).

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٧٩٦).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٥٣٦) صحيحه الألباني في المشكاة (٥٦٣٦).

(٣) صحيح، رواه الطبراني في الأوسط، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (١٥٦١).

(٤) صحيح، رواه أبو نعيم في صفة الجن وقال الضياء المقدسي: رجاله عندي على شرط
الصحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٦٧).

(٤) صحيح، رواه الدارمي (٢٨٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٧).

وعن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»^(١). وَزَادَ فِي رَوَايَةٍ: «ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾» [يونس: ٢٦]»^(٢).

تساؤل أهل الجنة عن المكذبين:

فبينما أهل الجنة على سررهم متقابلين والخدم يطوفون عليهم بأطيب المأكول والمشارب، تذكر أحدهم صاحبًا له من المكذبين بيوم الدين، وما كان يسخر به من أمور البعث والحساب والجنة والعذاب، فنادى مناد: هل أنتم مطلعون؟ فاطلعوا فإذا بالمكذب في وسط الجحيم، فحينئذ يقول صاحبه من أهل الجنة: تالله إن كدت لتردين، أي: لقد كدت أن تهلكني لو أطعتك ولولا فضل الله عليّ لصرت مثلك في سواء الجحيم.

قال الله جل ذكره: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٤٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ^(٤١) فَوَكَهَهُمْ^(٤٢) مُكْرَمُونَ^(٤٣) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ^(٤٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقَبَّلِينَ^(٤٥) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ^(٤٦) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ^(٤٧) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ^(٤٨) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ^(٤٩) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ^(٥٠) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ^(٥١) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ^(٥٢) يَقُولُ أَهْلَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ^(٥٣) أَلْوَذًا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا^(٥٤) وَعِظْمًا أَلْوَذًا لِّمَدِينُونَ^(٥٥) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ^(٥٦) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ^(٥٧) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ^(٥٨) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ^(٥٩) أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَئِينَ^(٦٠) إِلَّا مِنَّا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ^(٦١) إِنَّ هَٰذَا لَهَوٌ الْفُورُ الْعَظِيمُ^(٦٢) لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ^(٦٣) [الصافات].

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٧/١٨١).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٩٨/١٨١).

مفاتيح الجنة

سأكتفي بذكر ثلاثين سببًا تمثل مفاتيح لدخول الجنة، ومن أراد أن يستزيد ففي كتب العلم المزيد ... فمن هذه الأسباب والمفاتيح:

السبب الأول والثاني: الإيمان والعمل الصالح:

جاء في القرآن الكريم أن الإيمان من أهم الأسباب الموصلة إلى دخول الجنة بإذن الله تبارك وتعالى، ولكنه دائمًا يأتي مقرونًا بالعمل الصالح لذلك لا تكاد تجد موضعًا فيه ذكر للإيمان وأنه سبب لدخول الجنة إلا وهو مقرون بالعمل الصالح. قال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة].

السبب الثالث: التقوى:

ومن أهم تعريفاتها:

✽ **التقوى:** هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

✽ من تعريفات التقوى أيضًا هو: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله (أي: كما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ) ترجو ثواب الآخرة وتترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران].

وقال ﷺ: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَأَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ الْفُجُورُ وَالْفَرْجُ»^(١).

(١) حسن، رواه الترمذي (٢٠٠٤)، حسنه الألباني في الصحيحة (٩٧٧).

السبب الرابع: طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله ﷺ:

قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»^(١).

السبب الخامس: الجهاد في سبيل الله:

ويكون القتال في سبيل الله بالنفس والمال واللسان.

قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَقٍ تُجَارُونَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المنحة: ١٢].

السبب السادس: التوبة بشروطها الخمسة:

(الإقلاع عن الذنب، الندم على ما فرط العبد في جنب الله عز وجل، العزم على عدم العودة إلى مقارفة الذنب من جديد، التحلل من المظالم بردها إلى أهلها، أن يأتي العبد بالحسنات الماحيات لأن الحسنات يذهبن السيئات).

فالتوبة تَجِبُ ما قبلها وكما قال ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»^(٢).

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٢٨٠).

(٢) حسن، رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) عن عبد الله بن مسعود، وحسنه الألباني في صحيح

الترغيب والترهيب (٣١٤٥).

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (٦٦) [مرء].

السبب السابع: الاستقامة على دين الله:

قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤) [الأحقاف].
وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرِكَ - قَالَ: (قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَ) (١).

السبب الثامن: طلب العلم لوجه الله تبارك وتعالى:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرَعْ بِهِ نَسْبُهُ» (٢).

السبب التاسع: بناء المساجد:

وفي الصحيحين عن عثمان بن عفان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا - قَالَ بُكَيْرٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: يَتَّعِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ - بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ» (٣).

السبب العاشر: حسن الخلق:

قال ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٢/٣٨).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٣٨/٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥، ٤٩٤٦)، والترمذي (١٤٢٥، ١٩٣٠)، وابن ماجه (٢٢٥).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٢٤/٥٣٣).

فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيَّتَ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»^(١).

السبب الحادي عشر: ترك المراء: للحديث السالف الذكر.

السبب الثاني عشر: ترك الكذب ولو كان مازحًا: للحديث السالف الذكر.

السبب الثالث عشر: المداومة على التطهر عند كل حدث، وصلاة ركعتين بعد الأذان:

روى الإمام الترمذي في سننه والحاكم وابن خزيمة في صحيحه عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا بِلَالًا فَقَالَ: «يَا بِلَالُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي! دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ -أَي: مشيتك- أَمَامِي» فقال بلال: يا رسول الله، ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها، فقال رسول الله ﷺ: «بهذا»^(٢).

السبب الرابع عشر: الذهاب إلى المسجد والعودة منه لأداء الصلوات:

روى الإمام مسلم في صحيحه والإمام البخاري في صحيحه وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»^(٣).

ويقول الإمام النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: (قوله ﷺ: «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا» النُّزْل ما يُهَيَّأ للضيف عند قدومه.

(١) حسن، رواه أبو داود (٤٨٠٠)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٢) صحيح، روى الترمذي الجزء الأول منه (٣٠٦٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٤). والحاكم في المستدرک (٢٩/١١٧٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط

الشيخين ولم يخرجاه، وابن خزيمة في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٤).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٢٨٥/٦٦٩).

السبب الخامس عشر: الإكثار من السجود لله تبارك وتعالى:

روى الإمام مسلم في صحيحه عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كُنْتُ أَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَّتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»^(١).

السبب السادس عشر: الحج المبرور:

قال ﷺ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَزِفْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٢).
وقال ﷺ: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٣).

السبب السابع عشر: قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة:

لقوله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكَرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ لَمْ يَخْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمَوْتُ»^(٤).

وهناك أذكار أخرى وُعِدَ من قالها موقناً بها بدخول الجنة منها دعاء سيد الاستغفار: جاء في صحيح البخاري عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ؛ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمَيِّسَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ،

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٢٦/٤٨٩)، وأبو داود (١٣٢٠)، والنسائي (١١٣٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (٤٣٨/١٣٥٠)، والترمذي (٨١١)، والنسائي (٢٦٢٧)، وابن ماجه (٢٨٨٩) كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (٤٣٧/١٣٤٩)، والترمذي (٩٣٣)، والنسائي (٢٦٢٢، ٢٦٢٣)، وابن ماجه (٢٨٨٨)، وأحمد في المسند (٧٣٠٧).

(٤) صحيح، رواه النسائي في زاد المعاد (١١٠/١)، وابن السني (١٢١) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٧٢).

وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).
 السبب الثامن عشر: صلاة اثنتي عشرة ركعة كل يوم وليلة تطوعاً لله تعالى:
 عن أم حبيبة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ: أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ»^(٢).

السبب التاسع عشر: إفشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام والصلاة بالليل والناس نيام:

قال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(٣).

السبب العشرون: الصدق في الحديث والوفاء بالوعد وأداء الأمانة وحفظ الفرج وغض البصر وكف اليد:

عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ اضْذُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وَأَدُّوا إِذَا أُؤْتِمْتُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»^(٤).

السبب الحادي والعشرون (وهو خاص بالنساء):

«إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا،

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٣٠٦).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٤١٥)، صحيحه الألباني في المشكاة (١١٥٩).

(٣) صحيح، رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١) عن عبد الله بن سلام، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٦٥).

(٤) حسن، رواه أحمد في المسند (٢٢٢٥١) وقال الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد رجاله ثقات، وابن خزيمة (٩١/٣)، وابن حبان (١٠٧)، والحاكم (٣٥٨/٤، ٣٥٩)، والبيهقي في الشعب (١/٤٧/٢) عن عمرو عن المطلب بن عبد الله عن عبادة مرفوعاً، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٧٠).

قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ»^(١).

السبب الثاني والعشرون: القيام بتربية وإعالة ثلاث بنات أو أخوات:

«مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الْجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِأَصْبُعَيْهِ»^(٢).

السبب الثالث والعشرون: الاحتساب والصبر على موت الأولاد والأصفياء:

قال ﷺ: «مَنْ اخْتَسَبَ ثَلَاثَةً مِنْ صُلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» فَقَامَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: أَوْ اثْنَانِ؟ قَالَ: «أَوْ اثْنَانِ»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّةً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ اخْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ»^(٤).

السبب الرابع والعشرون: كفالة اليتيم:

روى الإمام البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِأَصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى^(٥).

السبب الخامس والعشرون: عيادة المريض أو زيارة أخ في الله عز وجل:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْسَاكَ، وَتَبَوَّاتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنَزَلًا»^(٦).

السبب السابع والعشرون: السماح في البيع والشراء:

لقوله ﷺ: «أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًا وَبَائِعًا

(١) رواه أحمد في المسند (١٦٦٤) وقال الأرناؤوط: حسن لغيره، وابن حبان في صحيحه باب الهدى، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٤٩/٢٦٣١)، والترمذي (١٩١٤) واللفظ له.

(٣) صحيح، رواه النسائي (١٨٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦٩).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٦٤٢٤)، وأحمد في المسند (٩١٢٧).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٦٠٠٥).

(٦) حسن، رواه الترمذي (٢٠٠٨)، وابن ماجه (١٤٤٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٨٧).

وَقَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا»^(١).

السبب الثامن والعشرون: التجاوز عن المعسر:

لقوله ﷺ: «كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاةٍ: إِذَا أَتَيْتِ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ»^(٢).

السبب التاسع والعشرون: مجموعة أعمال صالحة إذا اجتمعت في المسلم في

يوم دخل الجنة بفضل الله:

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي أَمْرِي إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

السبب الثلاثون: الصبر على فقد نعمة البصر:

لما جاء في الحديث القدسي: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ»^(٤).



(١) صحيح، رواه النسائي (٤٦٩٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨١١)، وأحمد في المسند (٥١٠) واللفظ له، وقال الأرناؤوط: حسن لغيره.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٠٧٨، ٣٤٨٠)، ومسلم (٣١/١٥٦٢) واللفظ له.

(٣) صحيح، رواه مسلم (٨٧/١٠٢٨).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٥٦٥٣).

نعيم البرزخ وعذابه

البرزخ: لغة هو ما حجز بين شيئين، وفي عرف الدين هو الحياة التي تحدث للعبد من بعد موته إلى قيام الساعة.

ومن الأدلة على نعيم البرزخ وعذابه:

نذكر منها: قول الله عز وجل: ﴿فَوَقَّعَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر]، فقد ذكر الحق تبارك وتعالى في هذه الآيات عذاب الدارين: دار البرزخ ودار القرار ذكرًا صريحًا لا يحتمل غيره. ومن السنة النبوية:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ على قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ» قَالَ: فَدَعَا بِعِيسَى رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَنْبَسَا»^(١).

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشْهِيدِ الْآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٢).

ومنها الأحاديث التي وردت في سؤال القبر:

كحديث قتادة عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٢١٦، ٢١٨، ١٣٦١، ٦٠٥٢، ٦٠٥٥)، ومسلم (١١١/٢٩٢)

واللفظ له، وأبو داود (٢٠)، والترمذي (٧٠)، والنسائي (٣١)، وابن ماجه (٣٤٧).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٣٠/٥٨٨).

وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا قَالَ قَتَادَةُ: وَذَكَرَ لَنَا: «أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ» ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»^(١).

وعن البراء بن عازب أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾» [إبراهيم: ٢٧] ^(٢).

ومنها الأحاديث التي تبين صوراً من عذاب القبر:

فمن ذلك حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ فَيَقْصُصُ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصُصَ، وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي عَلَيْهِ بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَتَلَعُّ بِهَا رَأْسَهُ فَيَتَهَدَّدُ الْحَجَرُ هَاهُنَا فَيَتَبَعُ الْحَجَرُ يَأْخُذُهُ، فَلَا يَزِجُّعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكَلْبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقِّي وَجْهِهِ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ

(١) صحيح، رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٧٠/٢٨٧٠).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٤٦٩٩) واللفظ له، ومسلم (٧٣/٢٨٧١)، وأبو داود (٤٧٥٠)،

والترمذي (٣١٢٠)، والنسائي (٢٠٥٦، ٢٠٥٧)، وابن ماجه (٤٢٦٩).

مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، وَقَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ؟ قَالَ لِي: انْطَلِقْ، فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ الثَّوْرِ قَالَ: (يعني راوي الحديث) فَأَحْسَبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ وَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ قَالَ: فَاَنْطَلَقْنَا فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا قَالَ: قُلْتُ لَهُمْ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ لِي: انْطَلِقْ قَالَ: فَاَنْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ - كَانَ يَقُولُ: - أَحْمَرٌ مِثْلَ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ - وَإِذَا عَلَى شَطِ النَّهْرِ رَجُلٌ - قَدْ جَمَعَ الْحِجَارَةَ كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغُرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَّ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ: فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرَاةِ كَأَكْرَهٍ مَا أَنْتَ رَأَيْ رَجُلًا مَرَاةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّيِّعِ وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ قَائِمٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَنْ أَرَى رَأْسَهُ طَوِيلًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانِ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا وَمَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: قَالَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَاَنْطَلَقْنَا فَاَنْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرِ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: ازِقْ فِيهَا قَالَ: فَاَزَقْتِنَا فِيهَا فَاَنْتَهَيْتُ إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبْنٍ ذَهَبٍ وَلَبْنٍ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرُ مَنْ خَلَقَهُمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَيْ، وَشَطْرُ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَأَيْ، قَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا فَفَعَلُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، قَالَ: وَإِذَا نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْحَمِضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا وَقَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ الشَّوْءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ: قَالَ لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنَزِلُكَ، قَالَ: فَسَمَا بَصِيرِي ضُعْدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ (أَي: السَّحَابَةِ الْبَيْضَاءِ) قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ ذَرَانِي فَلَا دُخْلَهُ، قَالَ: أَمَا الْآنَ

فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ، قَالَ: قُلْتَ لِهَمَا: فَإِنِّي رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَ: قَالَا لِي: أَمَّا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ: أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَاهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ الثُّورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي يَسْبُحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ الْمَرْءُ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا فَإِنَّهُ مَالِكُ خَازِنِ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانَ شَطْرُ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرُ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ»^(١).

معنى يحشها: أي يحركها ويوقدها، يثلغ: أي يشرخ، ضوضوا: أي صرخوا. فإذا قال قائل: فإننا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة يضربون الموتى بمطارق من حديد، ولا نيران تأجج؟ فالرد عليه من وجوه:

١- أن الله سبحانه وتعالى جعل الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكامًا تختص بها.

٢- أن الله سبحانه وتعالى جعل أمر الآخرة وما يتعلق بها غيبًا، وحجبها عن إدراك المكلفين، وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمنون بالغيب عن غيرهم.

٣- أن النار في القبر، والخضرة التي في القبر، ليست من نار الدنيا، ولا من زروع الدنيا.

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٠٤٧) بنحوه.

وأعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جانب الآخر، هذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره، وهذا في روضة من رياض الجنة لا يصل ريحها ونعيمها إلى جاره، وقد أرانا الله من آيات قدرته في هذه الدنيا ما هو أعجب من ذلك، ولكن كثير من النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً إلا من وفقه الله وعصمه.

فإنا نجد النائم في فراش واحد، وهذا روحه في النعيم، ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه، وهذا روحه في العذاب، ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر.

وهذا جبريل عليه السلام كان يأتي إلى النبي ﷺ ويكلمه بكلام يسمعه ومن إلى جانب النبي لا يسمعه وأحياناً كان يأتي مثل صلصلة الجرس، ولا يسمعه غيره من الحاضرين.

وها هي الملائكة نزلت في غزوة بدر تضرب أعناق الكفار وتقاتل مع المسلمين، وهم لا يرونهم ولا يسمعونهم.

وها هم الملائكة (ملائكة الموت) ينزلون على المحتضر معهم كفن من أكفان الجنة وحنوطها، إن كان مؤمناً أو معهم المسوح إن كان كافراً، ويراهم الميت عياناً، ويكلمونه وعندما تخرج الروح تخرج، ولها رائحة كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، أو كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، والناس لا يرونهم، ولا يشمون تلك الرائحة، والمولى تبارك وتعالى يقول: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصْرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٩] أي: أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا.

والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَھُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥١] ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظالم للعبيد [الأنفال: ٥١] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ

تَجَزَّوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكَبْتُمْ مَا Χَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ [الأنعام].

وخلاصة القول: أن الله تبارك وتعالى قد أشهد بني آدم في هذه الدار ما كان منها أما ما كان من أمر الآخرة فقد أسدل عليه الغطاء، ليكون الإقرار به والإيمان به أي بالغيب سببًا لسعادتهم، فإذا كشف عنهم الغطاء صار عيانًا مشاهدًا.

القبر عذابه ونعيمه:

ما يكون قبيل قبض الروح، تردد الله سبحانه وتعالى في قبض نفس المؤمن: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١).

حضور الشيطان عند الاحتضار:

يحرص الشيطان على الحضور عند الاحتضار، ليختم للمرء بالشر والفسوق والعصيان، كما هو شأنه الحرص على الحضور عند سائر الأعمال، ودليل ذلك ما رواه جابر رضي الله عنه سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللَّقْمَةُ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَدَى ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، فَإِذَا فَرَّغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَذْهَبُ فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَاتُ»^(٢).

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٣٥/٢٠٣٣).

عند مجيء الموت:

طلب الكافر الرجوع للدنيا إذا جاءه الموت:

قال الله تعالى: ﴿وَحَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون].

سكرات الموت:

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»^(١).

عدم قبول إيمان الكافر عند الموت:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالَ: ﴿ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ﴾ بَنُو إِسْرَءِيلَ» [يونس: ٩٠] فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَخُذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ مَخَافَةً أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ»^(٢).
مجيء ملك الموت قبيل موت العبد عند رأس الميت.

تبشير ملك الموت للمؤمن بالمغفرة والرضوان، وللكافر بالسخط والغضب.

ما يكون بعد قبض الروح:

✽ سهولة خروج نفس العبد المؤمن، وعذاب الكافر بسبب صعوبة خروجها.

✽ خروج نفس العبد المؤمن كأطيب نفحة مسك وجدت، وخروج نفس الكافر

كأنتن ريح جيفة وجدت.

✽ المؤمن تخرج نفسه وهو يحمد الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ

تَخْرُجُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنَّتَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»^(٣).

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٤٤٩، ٦٥١٠).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٣١٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٦)، وأحمد في المسند (٢٨١٦) وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف والأصح وقفه.

(٣) صحيح، رواه النسائي (١٨٤٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٥٢)، وأحمد في المسند (٢٤٠٨) واللفظ له وقال الأرناؤوط: حسن، كلاهما عن ابن عباس.

✽ إذا قبض على الروح تبعه البصر؛ لقوله ﷺ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»^(١).

✽ استفتاح الملائكة للسموات كلها، واحدة تلو الأخرى بروح المؤمن وتفتح له جميعها.

✽ لا تفتح أبواب السماء للكفار.

✽ يأمر الله تعالى أن تعاد روح المؤمن إلى الأرض بعد أن يكتب كتابه في عليين.

✽ تطرح روح الكافر من السماء طرْحًا حتى تقع في جسده، بعد أن يكتب كتابه في سجين.

✽ استئناس الميت بجلوس الصالحين عند قبره حين يدفن، قدر ما تنحدر جزور ويقسم لحمها، لما ثبت عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: «فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَسْتُنُوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنَحْرُ جَزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي»^(٢).

✽ ضغطة القبر ولا نجاة لأحد منها: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَلَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً ثُمَّ رُخِّي عَنْهُ»^(٣).

✽ رد العقول على الموتى في القبر، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذَكَرَ فَتَانَ الْقُبُورِ فَقَالَ عُمرُ: أَتُرَدُّ عَلَيْنَا عُقُولُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ كَهَيْتِكُمُ الْيَوْمَ» فَقَالَ عُمرُ: بِفِيهِ الْحَجَرُ^(٤).

(١) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٧/٩٢٠).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٩٢/١٢١).

(٣) صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٠٦).

(٤) حسن، رواه أحمد في المسند (٦٥٦٧) وقال الأرناؤوط: حسن لغيره، وصحيح الترغيب والترهيب للشيخ الألباني (٣٥٥٣) وحسنه.

✽ سماع الميت قرع نعال أصحابه إذا انصرفوا عنه، ويبدأ سؤاله بعد الفراغ من الدفن، فقد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُّوا لَهُ بِالتَّيِّبَاتِ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»^(١).

مجيء الملكين للسؤال:

اسما الملكين اللذين يأتيان الميت وصفتهما:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا...»^(٢).

تثبيت الله تعالى المؤمنين في القبر:

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أَتَى ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»^(٣).

إجابة المؤمن وارتباك الكافر:

يجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع قبل السؤال، أما الرجل السوء فإنه يجلس في قبره فزعاً مشغوباً، عن عائشة رضي الله عنها قالت: جَاءَتْ يَهُودِيَّةٌ فَاسْتَطَعَمَتْ عَلَى بَابِي فَقَالَتْ: أَطْعِمُونِي أَعَاذَكُمُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَتْ: فَلَمْ أَزَلْ أَحْبِسُهَا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَقُولُ هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ؟ قَالَ: «وَمَا تَقُولُ؟» قُلْتُ: تَقُولُ: أَعَاذَكُمُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَمِنْ

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣٢٢١)، صحيحه الألباني في المشكاة (١٣٣).

(٢) حسن، جزء من حديث رواه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع

(٧٢٤).

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٣٦٩) عن البراء بن عازب رضي الله عنهما.

فِتْنَةُ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا فِتْنَةُ الدَّجَالِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا قَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ، وَسَأَحْذَرُ كُفُوهُ تَحْذِيرًا لَمْ يُحْذَرُهُ نَبِيٌّ أُمَّتُهُ، إِنَّهُ أَعْوَزَ وَاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ فَبِي تَفْتَنُونَ وَعَنِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرْعٍ وَلَا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: فِي الْإِسْلَامِ، فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَكَأَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَيُقَالُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ فَرْعًا مَشْعُوفًا فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُ كَمَا، قَالُوا: فَتُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا كُنْتَ عَلَى الشُّكِّ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُعَذَّبُ»^(١).

✽ يفتح للمؤمن باب إلى الجنة من قبره.

✽ يفتح للكافر باب إلى النار من قبره.

✽ رؤية العبد المؤمن مقعده من الجنة، ورؤية العبد الكافر مقعده من النار.

✽ يفسح للمؤمن في قبره مد البصر، ويضيق قبر الكافر.

✽ يتمثل العمل الصالح بشكل رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح،

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (٢٤٥٦٦) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط

مبشراً، وأما العمل الخبيث فإنه يأتي بشكل رجل قبيح الثياب، منتن الريح، مبشراً بما يسوؤه.

ضرب الكافر بمرزبة حتى يصير بها تراباً:

ودليل ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَاتَّهَمْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مستقبل القبلة) وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ يَبْضُ الْوُجُوهَ كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنَ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ - وفي رواية المطمئنة -، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا - وفي رواية إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يُعرج بروحه من قبلهم - فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَضَعُدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ - يَعْنِي بِهَا - عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ ١٩ ﴿كَتَبَ مَرْقُومٌ﴾ ٢٠ ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ٢١ [المطففين]

فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي - وعدتهم أني - مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: - فيرد إلى الأرض - فَنُعَادُ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ - قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين - فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ - شديدا الانتهار - فَيُجْلِسَانِيهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ - وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فذلك حين يقول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيْبِهَا، وَيُفَسِّحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّةَ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ - وفي رواية: يمثل له - رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، - أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم - هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، - فوالله ما علمتك إلا كنت سريعا في طاعة الله، بطيئا في معصية الله، فجزاك الله خيرا، ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا فإذا رأى ما في الجنة - فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، - قال: فيقال له: اسكن - قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ - وفي رواية الفاجر - إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ - غلاظ شداد - سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ - من النار - فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّةَ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتْهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ مِنْ اللَّهِ وَغَضَبِ، قَالَ: فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَرِعُهَا كَمَا يُنْتَرَعُ السَّقُودُ - الكثير الشعب - مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ - فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم

يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم - فَيَأْخُذْهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيفَةٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُدُونَ بِهَا فَلَا يَمُوتُونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْحَيِّثُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يَفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ الشَّقْلَى، - ثم يقال: أعيِدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى - فَتُطْرَحُ رُوحُهُ - من السماء - طَرْحًا ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٢١] فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ - قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه - وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ - شديدا الانتهار فينتهرانه - وَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا - تقول في - هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ - فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد - فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي - سمعت الناس يقولون ذاك! قال فيقال: لا دريت ولا تليت - فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ - وفي رواية ويمثل له - رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: - وأنت بشرك الله بالشر - مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْحَيِّثُ، - فوالله ما علمتك إلا كُنْتَ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ - فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا، ثُمَّ يُقَيِّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمَّ أَبْكَمَ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ! لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَابًا ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً

أُخْرِى فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ وَيُمَهَّدُ مِنْ فُرْشِ النَّارِ - فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»^(١).

❁ شم الملائكة لروح المؤمن.

❁ فرح المؤمنين باستقبال روح المؤمن الجديدة، أشد من أهل الغائب بغائبهم.

❁ ترك أرواح المؤمنين لتستريح من غم الدنيا فترة من الزمن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا قبض أته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي إلى روح الله فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً فيشمونه، حتى يأتوا به باب السماء فيقولون: ما هذه الريح الطيبة التي جاءت من الأرض؟ ولا يأتون سماء إلا قالوا مثل ذلك، حتى يأتوا به أرواح المؤمنين، فإنهم أشد فرحاً به من أهل الغائب بغائبهم، فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقولون: دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم الدنيا، فيقول: قد مات أما أتاكم؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية»^(٢).

استمرار عرض مقعد المرء من الجنة أو النار في القبر:

قال سبحانه: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر].

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَتَعَلَّكَ اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٨١٤٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح.

(٢) صحيح، رواه النسائي (١٨٣٣) صحيحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٦٥/٢٨٦٦)، والترمذي (١٠٧٣)، والنسائي

(٢٠٧٠-٢٠٧٢)، وابن ماجه (٤٢٧٠).

سماع البهائم لأصوات من يعذبون:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَوْتَى لَيَعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، حَتَّىٰ إِنَّ الْبَهَائِمَ لَتَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمْ»^(١).

القبر أول منزل من منازل الآخرة:

عن هانيء مولى عثمان بن عفان قال: كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ يَبْكِي حَتَّىٰ يَبْلُغَ لَحِيَّتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ»^(٢).

امتلاء قبور من وقعوا بالمعاصي بالظلمة:

قال ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَىٰ أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»^(٣).

عذاب القبر لا يطيق سماعه الأحياء:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَىٰ فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»^(٤). أَنْ لَا تَدَافِنُوا: أَي أَنْ تَتْرَكُوا الدَّفْنَ.

الأكل من شجر الجنة قبل يوم القيامة:

قال ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَنْعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥).

(١) صحيح، رواه الطبراني في الكبير (٢/٧٨/٣) صحيحه الألباني في صحيح الجامع (١٩٦٥).

(٢) حسن، رواه ابن ماجه (٤٢٦٧)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٢٣).

(٣) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٧١/٩٥٦)، وأحمد في المسند (٨٨٠٤) عن أبي هريرة.

(٤) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٦٧/٢٨٦٧) عن زيد بن ثابت.

(٥) صحيح، رواه النسائي (٢٠٧٣) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢٧١)، وصحيحه الألباني في

صحيح الجامع (٢٣٧٣)، وأحمد في المسند (١٥٣٥١) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

نفس المؤمن معلقة بدينه:

قال ﷺ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدِينِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»^(١).

دعاء أهل السماء للعبد المؤمن:

قال ﷺ: «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا - قَالَ حَمَّادٌ فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ - قَالَ: وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ، جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، وَعَلَى جَسَدِكَ كُنْتَ تَعْمُرِينَهُ، فَيُنْطَلِقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ، قَالَ: وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ - قَالَ حَمَّادٌ: وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا وَذَكَرَ لَعْنًا - وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ خَبِيثَةٌ، جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ»^(٢).

- التنوير للمؤمن في القبر.

- نوم المؤمن في قبره.

- شوق الميت لتبشير أهله.

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ وَالْآخِرُ النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ: نَمْ كَتَوَمَةِ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُتَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيَقَالُ لِلْأَرْضِ: السَّيِّمِي عَلَيْهِ فَتَلْسِمُ

(١) صحيح، رواه الترمذي (١٠٧٨، ١٠٧٩)، وابن ماجه (٢٤١٣) كلاهما عن أبي هريرة،

صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٧٧٩).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٧٥/٢٨٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَنْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»^(١).
قبر المؤمن يملاً عليه خضرًا إلى يوم يبعثون:

قال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ - مُحَمَّدٍ ﷺ؟ - فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا» قَالَ قَتَادَةُ: وَذَكَرَ لَنَا: «أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ» - وفي رواية: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خُضْرًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ - ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً - وفي رواية: بَيْنَ أُذُنَيْهِ - فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ - وفي رواية: يَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ»^(٢).

✽ جواب المؤمن في القبر هداية من الله تعالى.

✽ لا يسأل العبد عن غير العبادة والدين في القبر.

قال ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنْ اللَّهُ هَدَاهُ قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ، فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا بَيْتُكَ، كَانَ لَكَ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي فَيَقَالُ لَهُ: اسْكُنْ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَسْتَهْزِئُهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيَقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، فَيَقَالُ لَهُ: فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ:

(١) حسن، رواه الترمذي (١٠٧١) عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٤).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٧٠/٢٨٧٠).

كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»^(١).

عدم سماع الموتى لما يجري على الأرض:

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ﴾ [النمل].
سماع أهل القليب لكلام النبي ﷺ، وعدم قدرتهم على الجواب:
فقد ثبت في البخاري أن النبي ﷺ أَطْلَعَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى أَهْلِ الْقَلِيبِ فَقَالَ: «وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا؟ فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ»^(٢).

شوق الصحابة في البرزخ - ممن استشهدوا في سبيل الله تعالى، لإخبار من لم يمت من إخوانهم بالكرامة المعدة للشهداء:

قال ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحْدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى فَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَا كَلِمِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَا أَحْيَاءُ فِي الْجَنَّةِ نُزْرَقُ لِمَا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَتَكَلَّمُوا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ»^(٣).

العذاب الجسمي للعصاة:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» فَيَقْصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصُ، وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ

(١) صحيح، رواه الترمذي (٤٧٥١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، صححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٣٠).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٣٧٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داود (٢٥٢٠)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٥)، وأحمد في المسند (٢٣٨٤) وقال الأرناؤوط: حسن.

مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي
 بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَتْلَعُ بِهَا رَأْسَهُ فَيَتَهَدَّدُ الْحَجَرُ هَاهُنَا فَيَتْبَعُ الْحَجَرُ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا
 يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصْبَحَ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ
 الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ، انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا،
 فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكَلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي
 أَحَدَ شِقْيَيْ وَجْهِهِ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ
 يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ
 الْجَانِبِ حَتَّى يَصْبَحَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ
 الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا
 فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ الثَّوْرِ فَأَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ: فَإِذَا فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ فَاطْلَعْنَا فَإِذَا فِيهِ
 رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ
 ضَوْضُوا قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَاتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ حَسِبْتُ
 أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَحْمَرٌ مِثْلَ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ وَإِذَا عَلَى شَطِ النَّهْرِ
 رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عَنْهُ حِجَارَةٌ كَثِيرَةٌ، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الرَّجُلُ
 الَّذِي قَدْ جَمَعَ عَنْهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حِجْرًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟
 قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرَاةِ، أَوْ كَأَكْرَهٍ مَا
 أَنْتَ رَأَيْتَ رَجُلًا مَرَاةً، فَإِذَا هُوَ عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا
 هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ
 الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَنْ أَرَى رَأْسَهُ طَوْلًا فِي السَّمَاءِ،
 وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانِ رَأَيْتُهُمْ قَطُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ وَمَا هَؤُلَاءِ؟
 قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرِ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ
 مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ، قَالَ: قَالَا لِي: ارْزُقْ فِيهَا، فَارْتَقَيْنَا فِيهَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبْنٍ ذَهَبٍ
 وَلَبْنٍ فِضَّةٍ، فَاتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَانَا فِيهَا رِجَالٌ سَطَرُ

مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَائٍ، وَشَطْرُ مِنْهُمْ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَائٍ، قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، قَالَ: وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمُحَضُّ فِي الْبَيَاضِ، فَذْهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا وَقَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ الشَّوْءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ: قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ، فَمَا بَصَرِي صُعْدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ قَالَا لِي: هَذَا مَنْزِلُكَ قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَلَا دُخْلُهُ، قَالَا: أَمَا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ، قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي رَأَيْتُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ: أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ؛ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرَسُرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْجَرَاهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ الشُّورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ يَسْبُحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْأَةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا؛ فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنٌ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ - وَفِي رِوَايَةِ الْبَرْقَانِيِّ (وُلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ) -، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانَ شَطْرُ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرُ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ» (١).

من الذنوب التي يعذب عليها العصاة في القبر:

١- عذاب الذي يأخذ بالقرآن ويرفضه، والنائم عن الصلاة المكتوبة:

جاء في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه بطوله، وفيه: «أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيُثْلَغُ بِهَا رَأْسُهُ فَيَسْهَدُ هَاهُنَا فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ

كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى»، ثم جاء البيان في آخر الحديث بقول الملكين للرسول: «أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُنَلِّغُ رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ؛ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَتَأَمُّ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ». وفي رواية: «يفعل به إلى يوم القيامة».

٢- عذاب الكذب:

وفي حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه كذلك: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَائِي وَجْهِهِ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى».

وفي آخر الحديث: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَاهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ». وفي رواية: «يفعل به إلى يوم القيامة».

٣- عذاب الزناة والزواني:

وفي الحديث السابق كذلك: «فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ الثَّوْرِ فَأُخْسِبُ أَنَّهُ قَالَ: فَإِذَا فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ فَاطْلَعْنَا فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا». وفي بيان هؤلاء، جاء في الحديث: «وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ الثَّوْرِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي».

٤- عذاب آكل الربا:

وأيضاً بيانه في الحديث السابق الذكر، وفيه: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَحْمَرٌ مِثْلُ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ وَإِذَا عَلَى شَطِ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عَنْهُ حِجَارَةٌ كَثِيرَةٌ، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عَنْهُ الْحِجَارَةُ فَيَغْفِرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِيهِمْ حَجَرًا» وفي آخر الحديث: «وَأَمَّا

الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ يَسْبُحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرُّبَا».

٥- عذاب من لا يستبرئ من البول:

قال رسول الله ﷺ: «أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْ الْبَوْلِ»^(١).

٦- زيادة عذاب الكافر ببعض بكاء أهله عليه:

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»^(٢).

٧- عذاب الميت بما نيح عليه:

قال ﷺ: «الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ»^(٣).

٨- عذاب الميت ببعض أقوال أهله فيه:

قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ بِأَكْبَرِهِ فَيَقُولُ: وَآ جَبَلَاءَ وَآ سَيِّدَاءَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، إِلَّا وَكُلَّ بِهِ مَلَكَانِ يُلْهَزَانِيهِ: أَهَكَذَا كُنْتَ»^(٤).

٩- عذاب من كان يمشي في النسيمة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ؛ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّسِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»^(٥).

الأنبياء والبرزخ:

توكيل الله تعالى ملكًا عند قبر النبي ﷺ لإخباره بمن يصلي عليه، بتسمية الشخص الذي صلى على الرسول ﷺ باسمه، قال ﷺ: «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ؛

(١) صحيح، رواه ابن ماجه (٣٤٨) عن أبي هريرة، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٢).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٩٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٢٩٢)، ومسلم (١٧/٩٢٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) حسن، رواه الترمذي (١٠٠٣) عن أبي موسى، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٨٨).

(٥) صحيح، رواه البخاري (٢١٦، ١٣٧٨، ٦٠٥٢)، ومسلم (١١١/٢٩٢)، وأبو داود

(٢٠)، والترمذي (٧٠)، والنسائي (٣١)، وابن ماجه (٣٤٧).

فإن الله وكل بي ملكاً عند قبري، فإذا صلّ علي رجل من أمتي قال لي ذلك الملك: يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة»^(١).

وقال ﷺ: «أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنْ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا غُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ»^(٢).

- الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء:

قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُغْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ يَقُولُونَ: بَلَيْتَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»^(٣).

الأنبياء في القبور أحياء (حياة برزخية تختلف أحكامها عن أحكام الدنيا).

- صلاتهم عليهم السلام في قبورهم.

قال ﷺ: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»^(٤).

وقال ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرِي بِي عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»^(٥).

- التقاء الرسول بآدم ويحيى وعيسى ويوسف وإدريس وهارون وموسى وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

(١) حسن، رواه الديلمي (٣١/١/١) عن أبي بكر، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٧).
(٢) صحيح، جزء من حديث رواه ابن ماجه (١٣٦٧) عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في المشكاة (١٣٦٦).

(٣) صحيح، رواه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤) عن أوس بن أوس، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢١٢).

(٤) صحيح، رواه البزار في مسنده (٢٥٦)، وتمام الرازي في الفوائد (٥٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٢١).

(٥) صحيح، رواه مسلم (١٦٤/٢٣٧٥)، والنسائي (١٦٣١) عن أنس رضي الله عنه.

- بكاء موسى عليه السلام في البرزخ حسد غبطة.

- نصيحة موسى عليه السلام لرسولنا ﷺ، أن يسأل الله تعالى التخفيف فيما فرضه على عباده من الصلاة.

- عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يَتَنَمَّا أَنَا فِي الْحَاطِمِ - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحَجَرِ مُضْطَجِعًا - إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدْ قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ - فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي مَا يَعْني بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثَغْرَةٍ نَحَرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصْبِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيْمَانًا فَغَسَلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيْتُ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِدَائِبَةِ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ، - فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبَرَقُ يَا أَبَا حَمْرَةَ، قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ - يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَأُتِلِقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعَمَ الْجَبِّيُّ جَاءَ، فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعَمَ الْجَبِّيُّ جَاءَ، فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعَمَ الْجَبِّيُّ جَاءَ، فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: أَوْقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعَمَ الْجَبِّيُّ

جَاءَ، فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْجَمِيُّ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْجَمِيُّ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى قِيلَ لَهُ: مَا يُنْكِيكَ؟ قَالَ: أَبُكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْجَمِيُّ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْقَرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتُ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ

مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأَمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأَمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمِ أَمِرْتُ؟ قُلْتُ: أَمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»^(١).

ما ينتفع به الميت بعد موته:

١- الصلاة عليه:

قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتْلُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ»^(٢).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ»^(٣).

٢- استئناس الميت بإخوانه في الله بعد الدفن، قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها:

وقد تقدم معنا قول عمرو بن العاص رضي الله عنه: «فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُتُّوا عَلَيَّ الشَّرَابَ شَتًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أَرَا جُعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي»^(٤).

٣- الدعاء له بعد دفنه مباشرة بالتبشيت والاستغفار له:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٨٨٧) واللفظ له، ومسلم (٢٦٤/١٦٤).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٥٨/٩٤٧) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) حسن، رواه النسائي (١٩٩٣) عن ميمونة زوج النبي ﷺ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٨٧).

(٤) صحيح، رواه مسلم (١٩٢/١٢١).

وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُّوا لَهُ بِالتَّشْيِيتِ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»^(١).

٤- الصدقة الجارية التي عملها في حياته، وعلم نافع، وولد صالح يدعو له: قال ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٢).

٥- الصدقة من قبل ابنه:

عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ أُمِّي افْتَلَتْ نَفْسَهَا وَأَظْنُّهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقْتُ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»^(٣). افتلت نفسها: أي ماتت.

٦- الدعاء والاستغفار من سائر المسلمين والمؤمنين:

لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال ﷺ: «من استغفر للمؤمنين وللمؤمنات، كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»^(٤).

٧- رباط في سبيل الله تعالى في الدنيا:

قال ﷺ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ»^(٥).

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣٢٢١)، وصححه الألباني في المشكاة (١٣٣).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٤/١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٣٨٨) واللفظ له، ومسلم (٥١/١٠٠٤)، وأبو داود (٢٨٨١)، والنسائي (٣٦٤٩)، وابن ماجه (٢٧١٧).

(٤) حسن، رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٢٠٦٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٢٦).

(٥) صحيح، رواه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١) واللفظ له، كلاهما عن فضالة بن عبيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٦٢).

ما ينجي من عذاب القبر:

١- الاستشهاد في ساحة القتال:

أ- قال ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتٌّ خِصَالٍ يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوِّجُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ، وَيُسَفِّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»^(١).

ب- وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: كَفَى بِنَارِقَةِ الشُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»^(٢).

٢- الرباط في سبيل الله تعالى:

أ- قال ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَانَ»^(٣).

ب- قال ﷺ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَاطِبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ»^(٤).

٣- الموت بداء البطن:

عن عبد الله بن يسار قال: كُنْتُ جَالِسًا وَسَلِيمَانُ بْنُ صُرْدٍ وَخَالِدُ بْنُ عَرْفُطَةَ فَذَكَرُوا أَنَّ رَجُلًا تُوُفِيَ مَاتَ بِبَطْنِهِ، فَإِذَا هُمَا يَسْتَهَيَّانِ أَنْ يَكُونَا شُهَدَاءَ جَنَازَتِهِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَقْتُلْهُ بَطْنُهُ فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ»؟ فَقَالَ الْآخَرُ: بَلَى^(٥). وفي رواية: «صدقت».

(١) صحيح، رواه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩) واللفظ له عن المقدم بن معديكرب. وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص: ٢١).

(٢) صحيح، رواه النسائي (٢٠٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٣٨٠).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٦٣/١٩١٣) عن سلمان بن الإسلام.

(٤) صحيح، رواه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١) واللفظ له، كلاهما عن فضالة بن عبيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٦٢).

(٥) صحيح، رواه الترمذي (١٠٦٤)، والنسائي (٢٠٥٢) واللفظ له، وصححه الألباني في سنن النسائي (٩٨/٤).

٤- قراءة سورة تبارك:

قال ﷺ: «سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر»^(١).

٥- الموت يوم الجمعة أو ليلتها:

قال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ»^(٢).

❁ ملاحظة: كل الأحاديث التي ذكرناه في الحديث عن عالم البرزخ هي أحاديث ثابتة في السنة الصحيحة.



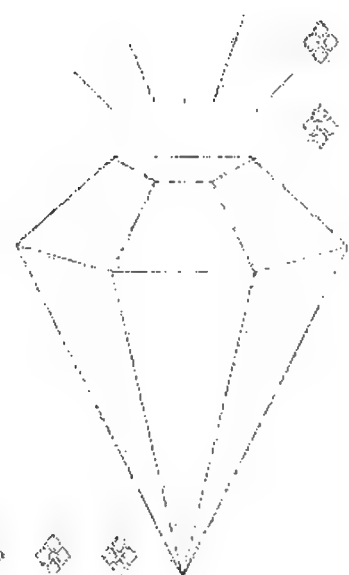
(١) صحيح، رواه أبو الشيخ في طبقات الأصبهانين (٢٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٤٣).

(٢) رواه الترمذي (١٠٧٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٧٣).

الركن السادس من أركان الإيمان

الإيمان بالقضاء والقدر

خيره وشره، وحلو ومده



الركن السادس من أركان الإيمان

الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، وحلوه ومره

ثمرة الرضا بالقضاء:

وللرضا بالقضاء نتائج سارة وثمرات طيبة ومن هذه النتائج السارة والثمرات الطيبة:

١- أنه يكسب صاحبه قوة الشكيمة، ومضاء العزيمة، فإن من اطمأنت نفسه إلى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، خلت جميع أعماله من الحيرة والتردد، وانتفى من حياته القلق والاضطراب؛ لأنه بمجرد ما يترجح لديه الإقدام على أمر ما أقدم عليه في غير ما خوف، ولا هيبة ولا تردد، ومن هنا فإنه لا يحزن على ماضٍ، ولا يغتم لحاضر، ولا يؤلمه هم المستقبل، وبذلك يكون أسعد الناس حالاً وأطيبهم نفساً، وأصلحهم بالاً، وأهدأهم خاطراً.

٢- أنه يكون من أشجع الناس عقلاً وقلباً، وأكرمهم قولاً ونفساً، فإن من عرف أن أجله محدود، ورزقه معدود، فلا الجبن يزيد في عمره، ولا الشح يزيد في رزقه، نafs في البطولات وسابق في المكرمات.

ومما لا شك فيه أن هذه الصفات قد تجلت واضحة في أمة الإسلام، أيام كانت عقيدة القضاء والقدر واضحة في نفوسهم، قوية في قلوبهم فقد فاقوا الناس شجاعة وكرماً وصبراً وحلماً، ومعرفةً وعلماً، الأمر الذي تمكنوا به من سيادة العالم، وقيادته مدة من الزمن طويلة غير قصيرة^(١).

(١) راجع ما كتبه فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري في كتابه عقيدة المؤمن (بتصرف).

موجز اعتقاد أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره يشمل:

١- الإيمان بأن الله تعالى علم ما يكون قبل أن يكون كيف يكون فقدّر ذلك وقضاه وكتبه في اللوح المحفوظ.

٢- أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملك الله تعالى إلا ما يشاء، فإذا شاء جاء ما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء.

٣- أهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى الإرادة والمشئّة، وأن للمخلوق إرادة ومشئّة ولكنها تابعة لإرادة الخالق ومشئّته.

٤- لا جبر، ولا نفي للقدر، والإنسان فاعل مختار على الحقيقة والله خالق الإنسان وخالق أفعاله.

٥- والله عليم بعباده علم إحاطة فيعلم من يستحق الهداية ممن يستحق الغواية، فأما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة، ولذلك فكلّ ميسر لما خلق له.

٦- هداية العباد وإضلالهم بيد الله فمنهم من هداه الله فضلاً، ومنهم من حققت عليه الضلالة عدلاً.

٧- إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى فما خلق الله تعالى في كونه من شيء إلا لحكمة بالغّة قد نعلمها وقد لا نعلمها.

٨- الآجال مكتوبة والأرزاق مقسومة، والسعادة والشقاوة مكتوبتان على الناس قبل خلقهم.

٩- الاحتجاج بالقدر يكون على المصائب والآلام، ولا يجوز الاحتجاج به على المعاييب والآثام، بل تجب التوبة منها، ويلام فاعلها.

١٠- الأسباب لها تأثير بإذن الله ومشيئته، ونفي تأثير الأسباب مخالف للشرع والعقل، والانقطاع إلى الأسباب كلية شرك في التوحيد، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، والتوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب، ولذلك فالمؤمن يأخذ بالأسباب ويتعلق بربها.

١١- الجزاء من ثواب وعقاب قائم على أساس الرحمة والعدل، فكل نعمة فهي رحمة من الله وفضل، وكل نقمة منه عدل.

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله أو نعمطوا فبفضله وهو الكريم الواسع

القدر قدران:

قدر عام: وهو الذي يشمل الكون كله وما يجري فيه من أحداث كالحياة والموت والقحط والجذب وما إلى ذلك من أحداث جارية على نظام السنن التي يقول الله فيها: ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، فالشمس والقمر والأرض والنجوم والكواكب وسائر المخلوقات كل ذلك مشدود بقوانين عجيبة، ومحكوم بسنن ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، كما صرح بذلك القرآن الكريم، وهذا قد سلم به وآمن به كل المؤمنين، ولم ينكره ولم يمار فيه أحد.

القدر الخاص: وهو المتعلق بأفعال العباد حسنها وسيئها، صالحها وفاسدها، وهذا هو الذي تضاربت به الأقوال، وتغيرت به الأحوال، وانقسم به الناس إلى أربعة أقسام واحدة على الحق، وثلاث فئات ترتع في الضلال، أما الثلاث فئات التي ترتع في الضلال فهم: (القدرية) أي: نفاة القدر، (والجبرية) (والإبليسية)، وأما الفرقة التي على الحق المبين فهم أهل السنة والجماعة الذين قالوا: (لا جبر، ولا نفي للقدر، والإنسان فاعل مختار على الحقيقة، والله خالق الإنسان وخالق أفعاله).

وإليك التفصيل في هذه الفرق:

أولاً: القدرية (نفاة القدر):

أول ما ظهر القول فيه على عهد عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي الراشد، وذلك في حدود المائة الأولى من الهجرة، قال به وأظهره ودعا إليه غيلان الدمشقي حتى قتله هشام بن عبد الملك، وهذا لا ينافي ما روي من أن القول بنفي القدر كان في أواخر أيام الصحابة رضي الله عنهم، إذ ما قيل في تلك الأيام كان مجرد قول قاله فرد أو أفراد، فأنكره عليهم من وجد من أصحاب رسول الله ﷺ كابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهم، حتى قضوا عليه واخمدوا نار فتنته إلى حين.

ونفي أولئك النفر للقدر معناه أن الأمور المتعلقة بأفعال العباد لم تُقض أزلاً ولم تكتب في كتاب المقادير (اللوح المحفوظ) ولم يعلمها الله تعالى قبل وجودها، ويبدو أن الطائفة التي قالت بنفي القدر بهذا المعنى قد دحضت حجتها وذهب باطلها وانتهت نهائياً من الوجود؛ لأن نصوص الكتاب والسنة في إثبات القدر الخاص والعام متكاثرة متضافرة بحيث يُعَدُّ منكرها كافراً لا مقام له بين المسلمين، وها نحن نورد تلك النصوص تسجيلاً لها في هذا المقام بهذه المناسبة، ليرتادها القلب كلما رانت عليه أثر الشبه التي لا تبرح تمر بالقلب، وتحوم حوله للإغواء والفتنة، ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝﴾ [الأعلى]، وقوله: ﴿مَّا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد].

وقول الرسول ﷺ في رواية لمسلم: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(١).

وقوله ﷺ في رواية للبخاري: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى

الْمَاءِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَتَبَ فِي الذُّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ»^(١)، والذكر هو اللوح المحفوظ.

وقوله ﷺ في رواية أبي داود: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٢).

قال ابن عمر رضي الله عنها في صحيح مسلم وقد أخبر أن ناسًا يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف - أي مستجد لم يسبق به علم الله ولا قدره - قوله لمن أخبره بذلك: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي، وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»^(٣).

وفي حديث ابن عباس عند الترمذي بسند حسن صحيح قوله ﷺ: «رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(٤).

غير أنه قد وجد فيما بعد من يقول بنفي القدر عن أفعال العباد، فزعم أن العبد يخلق أفعاله بنفسه، وأن الله تعالى لا دخل له في ذلك، ولا علم، وأن أفعال العباد لم تقدر ولم يعلمها الله تعالى قبل وجودها.

قالوا: كيف يفعل الله القبيح وهو ينهى عنه ويحرمه، وهذا هو أساس شبهتهم التي بنوا عليها مذهبهم في كون الله تعالى لم يخلق أفعال العباد ولم يقدرها لهم أو عليهم، وإنما العبد وحده هو الخالق لأفعاله وأضافوا إلى شبهتهم هذه شبهة أخرى وهي قولهم: كيف يخلق الله تعالى أفعال العباد ثم يعاقبهم عليها؟ وأصبحوا بهذا يعرفون بالقدرية، أي نفاة القدر، ولزمهم أن العبد مادام يستقل بخلق أفعاله فقد

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٤١٨).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨).

(٣) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (١/٨).

(٤) صحيح، رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٣٠٢).

أصبح ربًّا يخلق ما أراد أن يخلق من الأفعال، وبطل بذلك التوحيد الذي هو أصل الدين وأساسه، ومن هنا سموا بمجوس هذه الأمة، لتعدد الخالقين بحسب مذهبهم في أن الإنسان خالق أفعاله بمقتضى قدرته وعلمه لا بمقتضى قدرة الله وعلمه.

ثانيًا: الجبرية (طائفة من المعتزلة):

الجبر وحقيقته:

وعلى العكس من نفاة القدر كانت طائفة الجبرية من المعتزلة، أول من ظهر منهم الجعد بن درهم، وكان قد تلقى مذهب الجبر من يهودي من يهود الشام، وتلقاه عنه الجهم بن صفوان رئيس الطائفة الجهمية نفاة الصفات المعطلين.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مذهب القدر كمذهب الجبر كليهما من صنع اليهود لإفساد عقيدة المؤمنين، إذ سبق أن ذكرنا أن أول من قال بنفي القدر غيلان الدمشقي، الذي قتله هشام بن عبد الملك فلا يبعد أن يكون غيلان هذا قد تلقاه من يهود الشام أيضًا.

وحقيقة الجبر:

أن الإنسان لا يخلق أفعاله، ولا ينبغي أن تنسب إليه إلا على سبيل المجاز، فهي نسبة فعل لا نسبة إرادة واختيار إذ هي أفعال الله، أجراها على يد العبد غير مؤاخذ على أفعاله، وأنه لا يعاب منه فعل، ولا يلام عليه، ولو كان في غاية القبح والفساد، ولذا كان هذا المذهب أفسد وأشدّ شرًّا من سابقه الذي هو مذهب القدرية، والذي ينبغي الإشارة إليه هنا هو أن عقيدة الجبر بالرغم من كونها أكثر ضررًا وفسادًا من عقيدة نفي القدر فقد ظلت ظاهرة في المسلمين، سارية فيهم وبدون إرادة منهم لها، ولا رغبة فيها، ولعل السبب يعود في ذلك إلى أن عقيدة الجبر هذه لا تلقي التبعة على العبد فيما يرتكب من المعاصي، وفيما يقارف من الذنوب، وتجعله معذورًا أمام نفسه حتى قال بعض ضحايا هذا المعتقد الخطير: (أصبحت منفعلًا لما يختار مني ... ففعلي كله طاعات) وكم قعد هذا المعتقد الخاطيء الفاسد بكثير

من المسلمين عن العمل الجاد النافع فضعفوا ووهنوا، وأصيبوا بكل قاصمة للظهر حتى أصبحوا مثلاً في العجز والكسل، والتخلف في ميادين العمل والإنتاج، ووجد بسببهم العدو الكافر مجالاً للطعن في عقيدة الإسلام والاحتجاج على المسلمين فيما أصابهم، ونزل بهم بسلوك هؤلاء الذين قتلهم مذهب الجبر، وأفسد عليهم دينهم ودنياهم.

فلننظر كيف تحول مذهب الجبر إلى مذهب معطل قاتل، ولا يقود أهله إلا إلى خسران الدنيا والآخرة، أرأيت لو أخذ الناس كلهم بهذا المذهب ماذا كان يحدث للحياة؟ كانت تنتهي وكفى!!

فسبحان الله! ماذا يفعل التضليل بالناس! وهذا شأن كل المذاهب الهدامة التي هبطت بالإنسان إلى منزلة الحيوان، وبالتأمل يظهر لنا أن جميع المذاهب الهدامة المدمرة في العالم كانت من صنع اليهود الحاقدين على البشرية، الناقمين عليها، ومن هنا فإنني لا أشك أن مذهب الجبر كمذهب القدر، كمذهب التشيع كأكثر طرق الصوفية، الكل طبخ في مطابخ اليهود، وقدم طعاماً مسموماً للمسلمين ليموتوا به، ويهلكوا عليه. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والآن حان لنا أن نعرض عقيدة القدر والقضاء عرضاً أكثر وضوحاً وتحديداً من ذي قبل وتحت عنوان:

لا جبر ولا نفي للقدر:

الإنسان فاعل على الحقيقة مختار، والله خالق الإنسان وخالق أفعاله، وهو عليم بعباده علم إحاطة فيعلم من يستحق الهداية ممن يستحق الغواية، فأما من كان من أهل السعادة، فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة، فكل ميسر لما خلق له.

إنه قد صعب على غير الموفقين من الناس التوفيق بين كون الإنسان فاعلاً لأفعاله، مريدًا لها، مختارًا فيها، مهياً للثواب عليها إن كانت خيرًا، وللعقاب عليها إن

كانت شراً، وبين كون الله تعالى هو خالقه وخالق أفعاله خيرها وشرها، مع اعتقاد عدل الله وتنزيهه عن الظلم.

ومن هنا انقسموا فرقاً فقالت فرقة منهم: إن العبد هو خالق أفعاله بنفسه، وليس لله تعالى فيها دخل ألبتة، واعتذروا بكون أفعال الإنسان منها ما هو شر وقبيح ينزه الله تعالى عنه، ولا تجوز نسبته إليه، فالتزموا بناءً على هذا المذهب بمبدأ نفي القدر عن أفعال العباد، أي لم يعلمها الله تعالى أزلاً، ولم يقدرها، ولم تكتب في الذكر (كتاب المقادير)، ولزمهم في معتقدهم هذا أن يكون للكون غير خالق واحد، وهو رد صريح لقول الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقوله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فكانوا بهذا مجوساً لإثباتهم خالقين مع الله تعالى في الكون، وقد روى أحمد وأبو داود بسند حسن أن النبي ﷺ قال: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ إِنْ مَرَضُوا فَلَا تَعُودُهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُهُمْ»^(١).

وقالت فرقة أخرى بعكس ما قالت الأولى، فكانوا على النقيض معهم إذ قالوا: إن العبد لا إرادة له في أفعاله ولا اختيار، وليس هو بالفاعل على الحقيقة أبداً، وإنما الفاعل هو الله عز وجل وما ورد في القرآن من نسبة الفعل إلى العبد كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

إلى غير ذلك من الآيات التي تسند الفعل إلى العبد خيراً كان أو شراً، إنما هي نسبة مجازية علاقتها السببية ولم تكن نسبة حقيقية أبداً، إن هي إلا أفعال الله تعالى أجراها على يد العبد، والعبد مجبور عليها، غير مرید لها، ولا اختيار له في

(١) حسن، رواه أبو داود (٤٦٩١)، وحسنه الألباني في المشكاة (١٠٧)، وأحمد في المسند (٥٥٥٩) بنحوه.

فعلها أو تركها، ولزمهم بذلك أن لا يكون في فعل العبد حسن ولا قبح، ولا خير ولا شر، وبالتالي فلا حساب عليها ولا عقاب، وبناء على مذهبهم هذا فإنه لم يبق من معنى لبعثة الرسل، وإنزال الكتب، ووضع الشرائع، ومن هنا كان هذا المذهب مذهب الجبر والتعطيل أسوأ، وأفسد، وأقبح من القدرية.

ثالثاً: الإبليسية:

وقال فريق ثالث: إنه ما دام الله تبارك وتعالى قد نفى الظلم عن نفسه في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] وحرّمه على نفسه وعلى عباده في قوله في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ يَنَافِقَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا»^(١).

فكيف يجوز إذا عقلاً أن يكتب على العبد أزلاً أعماله ليقوم بها حتماً، ثم يؤاخذه عليها؟ بل ذهبوا إلى أكثر من هذا القول بشاعة وقبحاً فقالوا: ما دام الله تعالى علم مصير العبد وقرره، حيث قدره بكتابته في كتاب المقادير العام (اللوح المحفوظ)، وأصبح العبد لا محالة صائراً إليه شاء أم أبى، أحب أم كره، فكيف يؤمر العبد وينهى، ويطلب بفعل الطاعات، وترك المعاصي، والأمر قد بُتّ فيه، وفُرع منه، وإنما يؤمر وينهى من لم يحدد له مصير، وتقرر له نهاية، فمثل هذا يؤمر وينهى لتقرير مصيره بحسب استجابته لما أمر به ونهى عنه، وعدمها.

ولزمهم في مذهبهم هذا ما أصبحوا به شراً من إبليس ألا وهو الاعتراض على الله تعالى، ونسبة الظلم إليه وهو المنزه عن الظلم، البعيد عن كل نقص سبحانه لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وأخيراً ينبغي أن تسمى هذه الفرقة الحيارى المترددة (بالإبليسية) وإن كانت شراً من إبليس، وهدى الله أهل الإيمان والتقوى إلى الحق الذي اختلفت فيه تلك الفرق فضلت عنه وجانبته، وعاشت بعيدة عنه، وهي ما بين مجوسية نافية لأقدار الله

(١) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (٥٥/٢٥٧٧).

تعالى، مثبتةً باطلاً خالقين متعددين في العالم، في حين أنه لا خالق إلا الله سبحانه وتعالى، وبين جبرية معطلة للشرع، منكرة للعقل، وبين إبليسية معترضة على الله تعالى في قدره، نافية لمشيئته وحكمته، شاكة في عدله ورحمة قضائه. هدى الله تعالى أهل الإيمان والتقوى إلى الحق بإذنه فأمنوا بقضاء الله وقدره، وعدله ورحمته، وإرادته ومشيئته، وحكمته، وقالوا: لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن بقدر الله تعالى.

ذلك القدر الذي هو سر نظام الحياة، وهو علم الله الأزلي، وتقديره لكل شيء، وكتابته في اللوح المحفوظ، والمعبر عنه أحياناً بالإمام المبين كقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

فلا يزيد شيء عما كتب ولا ينقص، الأحداث الصغار التي تجري في هذا الكون كالأحداث الكبار والأعراض والصفات كالأجسام والذوات، كل شيء كان منذ كان الكون أو سيكون إلى انقراض الكون، قد جرى به العلم، ومضى فيه التقدير، وكتب في الذكر حتى عجز الخاملين، وكيس النابهين.

روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قوله: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ»^(١). وأخرج الشيخان عن علي أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: اغْمَلُوا فَكُلُّ مُسَيَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُسَيَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُسَيَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل]^(٢).^(٣)

(١) صحيح، رواه مسلم (١٨/٢٦٥٥).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٦/٢٦٤٧).

(٣) راجع ما كتبه أبو بكر الجزائري في الحديث عن القدرية والجبرية والإبليسية في كتابه عقيدة المؤمن (بتصرف).

الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة

الجهاد مأخوذ من الجهد وهو الطاقة والمشقة، يُقال: جاهد يُجاهد جهادًا ومجاهدة، إذا استفرغ وسعه، وبذل طاقته، وتحمل المشاق في مقاتلة العدو ومدافعة من أحل إعلاء كلمة الله تعالى، وهو ما يُعبر عنه بالحرب في العُرف الحديث، والحرب هي القتال المسلح بين دولتين أو أكثر، وهي أمر طبيعي في البشر، لا تكاد تخلو منه أمة ولا جيل.

تثريع الجهاد في الإسلام

أرسل الله رسوله إلى الناس جميعًا، وأمره أن يدعو إلى الهدى ودين الحق، ولبث في مكة يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وكان لابد من أن يلقي مناوأة من قومه الذين رأوا أن الدعوة الجديدة خطر على كيانه المادي والأدبي.

فكان توجيه الله له أن يلقي هذه المناوأة بالصبر، والعفو، والصفح الجميل: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩]، ﴿فَأَصْفَحْ أَلَصَّفَحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الحاقة: ١٤].

ولم يأذن الله بأن يقابل السيئة بالسيئة، أو يواجه الأذى بالأذى، أو يُحارب الذين حاربوا الدعوة، أو يُقاتل الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات.

﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون].

وكل ما أمر به جهادًا في هذه الفترة أن يُجاهد بالقرآن، والحُجة، والبرهان ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

ولما اشتد الأذى وتتابع الاضطهاد حتى وصل قمته بتدبير مؤامرة لاغتيال الرسول الكريم ﷺ، اضطر أن يُهاجر من مكة إلى المدينة، ويأمر أصحابه بالهجرة إليها بعد

ثلاث عشرة سنة من البعثة ... قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال].
﴿إِلَّا نَنْصُرَهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

وفي المدينة -عاصمة الإسلام الجديدة- تقرر الإذن بالقتال حين أطبق عليهم الأعداء واضطروا إلى امتشاق الحسام، دفاعاً عن النفس، وتأميناً للدعوة.
وكان أول آية نزلت قول الله سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتْلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ ﴿٣٩﴾ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠]. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْجَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج].

وفي هذه الآيات تعليل للإذن بالقتال بأمر ثلاثة:

١- أنهم ظلموا بالاعتداء عليهم، وإخراجهم من ديارهم بغير حق إلا أن يدينوا دين الحق، ويقولوا: ربنا الله.

٢- أنه لولا إذن الله للناس بمثل هذا الدفاع، لهدمت جميع المعابد التي يُذكر فيها اسم الله كثيراً، بسبب ظلم الكافرين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

٣- أن غاية النصر والتمكين في الأرض والحكم؛ إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

إيجابه:

وفي السنة الثانية من الهجرة، فرض الله القتال، وأوجبه بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة].

الجهاد فرض كفاية:

والجهاد ليس مفروضاً على كل فرد من المسلمين، وإنما هو فرض على الكفاية، إذا قام به البعض واندفع به العدو، وحصل به الغناء، سقط عن الباقيين.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء].

وفي البخاري: ويذكر ابن عباس: «انفروا ثبات» : سرايا متفرقين.

وقال سبحانه: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].
وثبت في الحديث الصحيح أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا إِلَىٰ بَنِي لُحْيَانَ مِنْ هَذِلٍ فَقَالَ: «لِيُتَبَعَتْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالْأُجْرُ بَيْنَهُمَا»^(١).

ولو وجبت على الكل لفست الدنيا فوجب أن لا يقوم به إلا البعض.

تنبيه:

من الفرائض ما يجب على كل فرد أن يقوم به ولا يسقط بإقامة البعض له مثل: الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج، فهذه فرائض عينية يلزم كل فرد أدائها، ولا يحل له أن يقصّر فيها.

ومن الفرائض ما يجب على بعض الناس دون البعض الآخر، وتسمى هذه الفرائض بفروض الكفاية وهي أنواع:

١- النوع الأول ديني: مثل: العلم، والتعليم، وحكم الشبهات، والرد على

(١) صحيح، رواه مسلم (١٨٩٦/١٣٧).

الشكوك التي تُثار حول الإسلام، وصلاة الجنازة، والأذان ونحو ذلك.

- ٢- والنوع الثاني ما يتصل بإصلاح النظام المعيشي: مثل: الزراعة، والصناعة، والطب، ونحو ذلك من الحرف التي يَضُرُّ تعطيلها أمر الدين والدنيا.
- ٣- والنوع الثالث من الفروض الكفائية ما يشترط فيه الحاكم: مثل: الجهاد، وإقامة الحدود؛ فإن هذه من حق الحاكم وحده، وليس لأي فرد أن يقيم الحد على غيره.

- ٤- والنوع الرابع ما لا يشترط فيه الحاكم: مثل: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الفضائل، ومطاردة الرذائل.

فهذه الفروض الكفائية لا تجب على كل فرد، وإنما الواجب أن ينهض بها بعض الأفراد، فإذا قاموا بها وحصلت بهم الكفاية، سقط الوجوب عن الأفراد جميعًا، وإذا لم يقوموا بها، أثموا جميعًا.

متى يكون الجهاد فرض عين؟

ولا يكون الجهاد فرض عين إلا في الصور الآتية:

- ١- أن يحضر المكلف صف القتال، فإن الجهاد يتعين في هذه الحال، يقول الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِشَكًۭا فَانْشَبُوا﴾ [الأنفال: ٤٥]. ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥].

- ٢- إذا حضر العدو المكان أو البلد الذي يُقيم به المسلمون؛ فإنه يجب على أهل البلد جميعًا أن يخرجوا لقتاله، ولا يحل لأحد أن يتخلى عن القيام بواجبه نحو مقاتلته إذا كان لا يمكن دفعه إلا بتكتلهم عامة، ومناجزتهم إياه. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَتِيلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣].

- ٣- إذا استقر الحاكم أحدًا من المكلفين؛ فإنه لا يسعه أن يتخلى عن الاستجابة

إليه. لما رواه ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»^(١). أي: إذا طلب منكم الخروج إلى الحرب فاخرجوا.

تنبيه:

أي لا هجرة من مكة إلى المدينة بعد فتح مكة، وكانت هذه الهجرة فرضاً في الإسلام فتُسخت بهذا الحديث. أما الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام فهي لم تُسَخ، بل هي مفروضة على من لا يأمن فيها على دينه.

يقول الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِمَّا لَكُمُ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة].

على من يجب؟

يجب الجهاد على المسلم الذكر العاقل البالغ الصحيح الذي يجد من المال ما يكفيه ويكفي أهله حتى يفرغ من الجهاد.

فلا يجب على غير المسلم، ولا على المرأة، ولا على الصبي، ولا على المجنون، ولا على المريض، فلا حرج على واحد من هؤلاء في التخلف عن الجهاد؛ لأن ضعفهم يحول بينهم وبين الكفاح، وليس لهم غناء يعتد به في الميدان، وربما كان وجودهم أكثر ضرراً مع قلة نفعه.

وفي هذا يقول الله سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١]. ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

وعن ابن عمر قال: عَرَضَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْقِتَالِ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٧٨٣، ٢٨٢٥).

عَشْرَةَ سَنَةٍ فَلَمْ يُجِزْنِي^(١). ولأنه عبادة فلا يجب إلا على بالغ.
 روى أحمد والبخاري عن عائشة قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟
 قَالَ: «نَعَمْ عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالٌ فِيهِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ»^(٢).
 وفي رواية: «لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»^(٣).

وروى الواحدي والسيوطي في الدر المنثور عن مجاهد قال: قالت أم سلمة رضي
 الله عنها: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا نَغْزُو، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ
 تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا
 اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٣٢﴾ [النساء]. أي: للرجال عمل خاص بهم كلفوا به وللنساء
 عمل خاص فلا يصح أن يتمنى كل من الفريقين عمل الآخر.

عن أنس رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
 وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُسْمِرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا
 تَنْقُرَانِ الْقِرْبَ - وَقَالَ غَيْرُهُ تَنْقُرَانِ الْقِرْبَ - عَلَى مَثُونِهِمَا، ثُمَّ تُفْرِغَانِيهِ فِي أَفْوَاهِ
 الْقَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَمَلَأْنِيهَا ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِيهَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ»^(٤).

خدم سوقهما: الخلاخل في سوقهما.

وعنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَهُ إِذَا غَزَا
 فَيَسْقِيَنَّ الْمَاءَ وَيُدَاوِيَنَّ الْجَرْحَى^(٥).

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٦٦٤)، ومسلم (٩١/١٨٦٨) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٨٧٥)، وابن ماجه (٢٩٠١) واللفظ له، وأحمد في المسند
 (٢٣٩٤٢).

(٣) صحيح، رواه البخاري (١٥٢٠، ٢٧٨٤).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٩٠٢، ٣٨١١)، ومسلم (١٣٦/١٨١١).

(٥) صحيح، رواه مسلم (١٣٥/١٨١٠)، وأبو داود (٢٥٣١)، والترمذي (١٥٧٥).

إذن الوالدين

الجهاد الواجب لا يُعتبر فيه إذن الوالدين، وأما جهاد التطوع فإنه لا بد فيه من إذن الوالدين المسلمين الحرين أو إذن أحدهما.

قال ابن مسعود: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

وقال عبد الله بن عمرو: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: «أَحْيَى وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»^(٢).

الاستعانة بالفجرة والمنافقين على الغزو:

يجوز الاستعانة بالمنافقين والفسقة على قتال الكفرة، وقد كان عبد الله بن أبي ومن معه من المنافقين يخرجون للقتال مع رسول الله ﷺ.

وقصة أبي محجن الثقفي -الذي كان يدمن شرب الخمر- وبلاؤه في حرب فارس مشهورة، وأما قتال الكفرة مع المسلمين فلا يجوز أن يستعان بهم لما ثبت في السنة الصحيحة أن النبي ﷺ خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فَلَحِقَهُ عِنْدَ الْحَرَّةِ فَقَالَ: إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ: تُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ؟ قَالَ: لَا قَالَ: ازْجِعْ فَلَنْ أُسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»^(٣).

الاستنصار بالضعفاء

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: رأى أبي فضلاً على دونه فقال النبي ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ»^(٤).

(١) صحيح، رواه البخاري (٥٩٧٠)، ومسلم (١٣٩/٨٥).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٠٠٤)، وأبو داود (٢٥٢٩)، والترمذي (١٦٧١)، والنسائي (٣١٠٣).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٨١٧/١٥٠)، وأبو داود (٢٧٣٢)، والترمذي (١٥٥٨)، وابن

ماجه (٢٨٣٢)، وأحمد في المسند (٢٤٦٣٢) واللفظ له.

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٨٩٦)، والنسائي (٣١٧٨).

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «رُبَّ أَشْعَثَ مَذْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ»^(١).

أي: أن الرجل قد يبدو في هيئة لا تسترعي الأنظار ولكنه قوي الإيمان، صادق اليقين، فلو دعا ربه لاستجاب له بمجرد دعائه.

فضل الجهاد والاستشهاد

الجهاد أفضل نوع من أنواع التطوع:

الجهاد: إعلاء لكلمة الله، وتمكين لهدايته في الأرض، وتركيز للدين الحق، ومن ثم كان أفضل من تطوع الحج والعمرة، وأفضل من تطوع الصلاة والصوم. وهو مع ذلك ينتظم كل لون من ألوان العبادات، سواء منها ما كان من عبادات الظاهر أو الباطن؛ فإن فيه من عبادة الباطن الزهد في الدنيا، ومفارقة الوطن، وهجرة الرغبات، وفيه من التضحية بالنفس والمال ويبيعهما لله ما هو ثمرة من ثمرات الحب والإيمان، واليقين والتوكل.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة].

المجاهد خير الناس

عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ؟ رَجُلٌ مُنْسِكٌ بَعْنَانٍ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالَّذِي يَتْلُوهُ؟ رَجُلٌ مُعْتَرِلٌ فِي غَنِيْمَةٍ لَهُ يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِيهَا، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ؟ رَجُلٌ يُسْأَلُ بِاللَّهِ وَلَا يُعْطِي بِهِ»^(٢).

وسئل النبي ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي

(١) صحيح، رواه مسلم (١٣٨/٢٦٢٢)، (٤٨/٢٨٥٤).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (١٦٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠١).

سَبِيلَ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ» قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ فِي شُعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»^(١). فقولُه: «مُؤْمِنٌ فِي شُعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» فيه دليل لمن قال بتفضيل العزلة على الاختلاط، وفي ذلك خلاف مشهور.

فمذهب الشافعي وأكثر العلماء: أن الاختلاط أفضل بشرط رجاء السلامة من الفتن، ومذهب طوائف أن الاعتزال أفضل.

وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأنه محمول على الاعتزال في زمن الفتن والحروب، أو هو فيمن لا يسلم الناس منه ولا يصبر عليهم، أو نحو ذلك من الخصوص.

وقد كانت الأنبياء صلوات الله عليهم وجماهير الصحابة والتابعين والعلماء والزهاد مختلطين، فيحصلون منافع الاختلاط، كشهود الجمعة، والجماعة، والجنائز، وعيادة المرضى، وحلق الذكر، وغير ذلك.

وأما الشُّعْب فهو: ما انفرج بين جبلين، وليس المراد نفس الشعب خصوصاً، بل المراد الانفراد، والاعتزال، وذكر الشعب مثلاً؛ لأنه خالي من الناس غالباً.

وهذا الحديث نحو الحديث الآخر، حين سئل عليه السلام عن النجاة (أي في زمن الفتنة) فقال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسْعَكَ يَتُّكَ وَابْكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^(٢).

الجنة للمجاهد

روى الترمذي: فَقَالَ: «لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ؟ اغْزَوْ فِي سَبِيلِ

(١) صحيح، رواه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٢٢/١٨٨٨، ١٢٣)، وأبو داود (٢٤٨٥)، والترمذي (١٦٦٠)، والنسائي (٣١٠٥)، وابن ماجه (٣٩٧٨).

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٤٠٦) عن عقبة بن عامر، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٢٧٤١).

اللَّهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ^(١). فُوقَ: هي المدة الزمنية التي تُسْتَعْرَقُ في حلب الناقة.

المجاهد يرتفع مائة درجة في الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ» أَرَاهُ قَالَ: «وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٢).

الجهاد لا يعدله شيء

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: لَا تَسْتَطِيعُونَهُ قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: لَا تَسْتَطِيعُونَهُ وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بَيَّاتِ اللَّهِ لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى»^(٣).

فضل الشهادة

قال رسول الله ﷺ: «لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَنْعَبُ دَمًا لَلْوُنْ لَوْنُ دَمٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ»^(٤).

(١) حسن، رواه الترمذي (١٦٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٧٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٧٩٠).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (١١٠/١٨٧٨) واللفظ له، والترمذي (١٦١٩)، والنسائي (٣١٢٨).

(٤) صحيح، رواه البخاري (٢٣٧، ٢٨٠٣، ٥٥٣٣)، ومسلم (١٠٥/١٨٧٦)، والترمذي (١٦٥٦)، والنسائي (٣١٤٧) واللفظ له، وابن ماجه (٢٧٥٣) كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال محمد بن إبراهيم: أُملى عليَّ عبد الله بن المبارك حين ودعته للخروج هذه الأبيات، وأرسلها معي إلى الفضيل بن عياض:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنجورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	وهج السنابل والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار أهل الله في	أنف امرئٍ ودخان نار لا يكذب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال: فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال: صدق أبو عبد الرحمن، ونصحني.

جاء في الحديث الصحيح: «للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أَزْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَشْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ»^(٢).

وقال ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنَ أَلَمِ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ أَلَمِ الْقَرْصَةِ»^(٣).

(١) صحيح، رواه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٨٢).

(٢) صحيح، رواه نسلم (١٢١/١٨٨٧)، والترمذي (٣٠١١)، وابن ماجه (٢٨٠١).

(٣) صحيح، رواه الدارمي (٢٤٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٤٥).

عن جابر بن عتيك أن النبي ﷺ قال: «الشَّهَادَةُ سَبْعٌ: سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجَمْعٍ شَهِيدٌ»^(١).

مفردات الحديث:

المطعون: من مات بالطاعون.

الغرق: الغريق.

ذات الجنب: وهو حالات التهاب الرئة وينشأ عنها بعد ذلك سوائل تتجمع على الرئة داخل الغشاء البلوري.

المبطون: من مات بمرض البطن، وهو مرض الاستسقاء.

بجمع: أي تموت عند الولادة والجنين داخل الرحم.

وعن سعيد بن زيد، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(٢).

قال العلماء: المراد بشهادة هؤلاء كلهم، غير المقتول في سبيل الله، أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء، وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم.

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ»^(٣).

ويلحق بالدين مظالم العباد، مثل: القتل، وأكل أموال الناس بالباطل، ونحو ذلك.

(١) صحيح، رواه أبو داود (٣١١١)، والنسائي (١٨٤٦)، وصححه الألباني في المشكاة (١٥٦١).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٤٧٧٣)، والترمذي (١٤٢١) واللفظ له، والنسائي (٤٠٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٤٥).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١١٩/١٨٨٦).

الجهاد لإعلاء كلمة الله

إن الجهاد لا يسمى جهادًا حقيقًا إلا إذا قُصِدَ به وجه الله، وأُريد به إعلاء كلمته، ورفع راية الحق، ومطاردة الباطل، وبذل النفس في مرضاة الله، فإذا أُريد به شيء من حظوظ الدنيا؛ فإنه لا يسمى جهادًا على الحقيقة.

فمن قاتل ليحظى بمنصب، أو يظفر بمغنم، أو يظهر شجاعة، أو ينال شهرة، فإنه لا نصيب له في الأجر، ولا حظ له في الثواب.

فعن أبي موسى قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ - من أجل الغنime - وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ - ليدكر بين الناس - وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيَرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

إنَّ النية: هي روح العمل، فإذا تجرد العمل منها كان عملاً ميتاً، لا وزن له عند الله.

روى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(٢).

وإن الإخلاص هو الذي يعطي الأعمال قيمتها الحقيقية، ومن ثم فإن المرء يبلغ بالإخلاص درجة الشهداء، ولو لم يستشهد.

يقول الرسول ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٣).

ويقول ﷺ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاذِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ»

(١) صحيح، رواه البخاري (١٢٣، ٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤ / ١٤٩)،

وأبو داود (٢٥١٧)، والترمذي (١٦٤٦)، والنسائي (٣١٣٦)، وابن ماجه (٢٧٨٣).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١)، وأبو داود (٢٢٠١)، وابن ماجه (٤٢٢٧).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٥٧ / ١٩٠٩)، وأبو داود (١٥٢٠)، والترمذي (١٦٥٣)،

والنسائي (٣١٦٢)، وابن ماجه (٢٧٩٧).

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعَذْرُ»^(١).

وإذا لم يكن الإخلاص هو الباعث على الجهاد، بل كان الباعث شيئاً آخر من أشياء الدنيا وأعراضها لم يحرم المجاهد الثواب والأجر فقط، بل إنه بذلك يعرض نفسه للعذاب يوم القيامة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكَتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(٢).

أجر الأجير

ومهما كان المجاهد مخلصاً، وأخذ الغنيمة فإن ذلك ينقص من أجره، فعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ إِلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلْثِي أَجُورِهِمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخَفِقُ وَتُصَابُ إِلَّا تَمَّ أَجُورُهُمْ»^(٣).

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٤٢٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٥٢/١٩٠٥) واللفظ له، والنسائي (٣١٣٧).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٥٤/١٩٠٦).

قال النووي: وأما معنى الحديث: فالصواب الذي لا يجوز غيره؛ أن الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم، أو سلم ولم يغنم، وأن الغنيمة هي في مقابلة جزء من أجر غزوهم؛ فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو، وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر ... وهذا موافق للأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصحابة.

فضل الرباط في سبيل الله

توجد ثغور يمكن أن تكون منافذ ينطلق منها العدو إلى دار الإسلام، ومن الواجب أن تحصن هذه الثغور تحصيناً منيعاً، كي لا تكون جانب ضعف يستغله العدو ويجعله منطلقاً له.

وقد رغب الإسلام في حماية هذه الثغور، بإعداد الجنود ليكونوا قوة للمسلمين، وأطلق على لزوم هذه الثغور؛ لأجل الجهاد في سبيل الله لفظ (الرباط) وقد جاء في فضله من الأحاديث ما يلي:

روى مسلم عن سلمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأَجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَانُ»^(١).

وقال: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَاطِبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنَمَّى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ»^(٢).

فضل الرمي بنية الجهاد

رغب الإسلام في تعليم الرمي والمناضلة بنية الجهاد في سبيل الله، وحبب في التدريب على ذلك ورياضة الأعضاء بممارسة الرمي والمناضلة.

(١) صحيح، رواه مسلم (١٦٣/١٩١٣).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١) واللفظ له، كلاهما عن فضالة بن عبيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٦٢).

١- عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» [الأنفال: ٦٠] أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ»^(١).

٢- وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُونَ وَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ فَلَا يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ»^(٢). «إِنَّ اللَّهَ لَيَدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ الثَّلَاثَةَ الْجَنَّةَ صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَالْمِدَّ بِهِ - المناول له -»^(٣).

٣- وقال ﷺ: «كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيَتَهُ فَرَسَهُ وَمَلَاعِبَتَهُ أَهْلُهُ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْحَقِّ»^(٤).

وقال القرطبي: ومعنى هذا والله أعلم: أن كل ما يتلهى به الرجل، مما لا يفيد في العاجل ولا في الآجل فائدة، فهو باطل والإعراض عنه أولى، وهذه الأمور الثلاثة؛ فإنه وإن كان يفعلها على أن يتلهى بها وينشط؛ فإنها حق لاتصالها بما قد يفيد؛ فإن الرمي بالقوس، وتأديب الفرس يعين على القتال، وملاعبة الأهل قد تؤدي إلى ما يكون عنه ولد يوحد الله ويعبده، فلهذا كانت هذه الثلاثة من الحق. أهـ. القرطبي.

الحرب في البحر أفضل من الحرب في البر:

لما كان القتال في البحر أعظم خطرًا كان أعظم أجرًا.

فعن أم حرام، أن النبي ﷺ قال: «الْمَائِدُ فِي الْبَحْرِ - الَّذِي يُصِيبُهُ الْقَيْءُ - لَهُ أَجْرُ

(١) صحيح، رواه مسلم (١٩١٧/١٦٧)، وأبو داود (٢٥١٤)، والترمذي (٣٠٨٣)، وابن ماجه (٢٨١٣).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٩١٨/١٦٨).

(٣) ضعيف، رواه أبو داود (٢٥١٣)، والنسائي (٣٥٧٨)، ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٧٣٢).

(٤) رواه الترمذي (١٦٣٧) وحسنه محقق جامع الأصول (٣٠٤٠).

شَهِيدٌ وَالْغَرِقُ لَهُ أَجْرُ شَهِيدَيْنِ»^(١).

صفات القائد

وقد عَدَّ الفخري في الصفات التي يجب أن تتوافر في قائد الجيش فقال: قال بعض حكماء الترك: ينبغي أن يكون في قائد الجيش عشر خصال من أخلاق الحيوان: جرأة الأسد، وحيلة الخنزير، وروغان الثعلب، وصبر الكلب على الجراح، وغارة الذئب، وحراسة الكركي، وسخاء الديك، وشفقة الديك على الفراريج، وحذر الغراب، وسمن (تعرو) [وهي دابة تكون بخرسان تسمن على السفر والكد].

الجهاد مع البر والفاجر

لا يشترط في الجهاد أن يكون الحاكم عادلاً أو القائد باراً، بل الجهاد واجب على كل حال، وقد يكون للرجل الفاجر في ميدان الجهاد من البلاء ما ليس لغيره.

الواجب على قائد الجيش

يجب على القائد بالنسبة للجنود ما يأتي:

١- مشاورتهم وأخذ رأيهم، وعدم الاستبداد بالأمر دونهم، لقول الله سبحانه :

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

(مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)^(٢).

٢- الرفق بهم، ولين الجانب لهم، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ

عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»^(٣). وعن معقل بن

يسار أنه ﷺ قال: «مَا مِنْ أَمِيرٍ تَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ

(١) حسن، رواه أبو داود (٢٤٩٣)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٨٣٩).

(٢) رواه الترمذي (١٧١٤).

(٣) صحيح، رواه مسلم (١٩/١٨٢٨).

إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ»^(١).

- ٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لا يتورطوا في المعاصي.
 - ٤- تفقد الجيش حيناً بعد حين، ليكون على علم بجنوده، حتى يمنع من لا يصلح للحرب من رجال، مثل المخذل وهو الذي يُزهد الناس في القتال، والمرجف الذي يطلق الشائعات، فيقول: ليس لهم مدد ولا طاقة، وكذلك من ينقل أخبار الجيش وتحركاته، أو يثير الفتن.
 - ٥- تعريف العرفاء.
 - ٦- عقد الألوية والرايات.
 - ٧- تخير المنازل الصالحة، وحفظ مكائدها.
 - ٨- أن يث العيون ليعرف حال العدو.
- وكان من هديه ﷺ أنه إذا أراد غزوة ورى بغيرها^(٢). وكان يث العيون ليأتوه بخبر الأعداء، وكان يرتب الجيوش، ويتخذ الرايات والألوية.

واجب الجنود

وواجب الجنود بالنسبة لقائدهم: الطاعة في غير معصية، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»^(٣). وأما الطاعة في المعصية، فإنه منهي عنها؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فقد روى البخاري ومسلم عن علي كرم الله وجهه قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا، فَأَغْضَبُوهُ فِي شَيْءٍ فَقَالَ: اجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَوْقِدُوا

(١) رواه مسلم (٢٢/١٤٢) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح، جزء من حديث طويل رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٥٣/٢٧٦٩).

(٣) صحيح، رواه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (٣٢/١٨٣٥).

نَارًا، فَأَوْقِدُوا، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَسْمَعُوا لِي وَتُطِيعُوا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَادْخُلُوهَا، قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّمَا فَرَزْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ، فَكَانُوا كَذَلِكَ وَسَكَنَ غَضَبُهُ، وَطُفِئَتِ النَّارُ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(١).

اعلم أخي المسلم أن الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة بشروطه، وأركانها.
إذا فما هي أركان الجهاد؟ الجهاد الشرعي المحقق لإحدى الحسنين السيادة أو الشهادة له ستة أركان:

١- النية الصالحة:

أن يكون الغرض منه إعلاء كلمة الله تعالى لا غير فقد جاء في الحديث المتفق عليه جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيَرَى مَكَانَهُ، -وفي رواية: يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، وفي رواية يقاتل غضبًا- فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢).

ولذلك فمن قاتل تحت أي راية غير راية الإسلام فقتل فقتلته جاهلية، استنادًا إلى قول المصطفى ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّةٌ»^(٣).

٢- أن يكون تحت راية أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وبإذنه:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (٣٩/١٨٤٠) واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٢٣)، ومسلم (٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤/١٤٩)،

وأبو داود (٢٥١٧)، والترمذي (١٦٤٦)، والنسائي (٣١٣٦)، وابن ماجه (٢٧٨٣).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٥٧/١٨٥٠).

ولا يجوز للمسلمين أن يعيشوا ثلاثة أيام بغير إمام تقام به الحدود وتؤمن به السبل وإن حدث ذلك فالجميع آثمون.

ومن تغلب على الأمة الإسلامية حتى وإن لم توجد فيه مواصفات الخليفة حتى اجتمعت عليه الكلمة وجبت طاعته في المعروف ومناصحته وحرم الخروج عليه حقاً لدماء المسلمين إلا إذا صدر منه كفر بواح صُراح فيه من الله برهان.

٣- إعداد العدة:

ياحضار ما يلزم للجهاد من سلاح عسكري وعتاد حربي ورجال مدربين على فنون الحرب والقتال مع بذل كامل الاستطاعة واستفراغ كامل الجهد، وأن يكون هذا الإعداد بصمت وحكمة حتى لا يعلم أعداء الله ما نريد.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال].

٤- رضا الأبوين وإذنهما:

لمن كان له أبوان أو أحدهما إذا كان الجهاد جهاد تطوع وليس فرض عين كما أسلفنا الحكم فيما سبق لقوله ﷺ للرجل الذي استأذنه في الجهاد فقال: «أَحْيِ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»^(١).

هذا إذا كان الجهاد فرض كفاية فلا بد من إذن الأبوين، أما إذا كان الجاهد فرض عين بأن داهم العدو ديار المسلمين أو عيّن الإمام رجلاً من الناس فإنه يسقط إذن الأبوين.

٥- طاعة الإمام:

فمن قاتل وهو عاصٍ للإمام فمات فقد مات ميتة جاهلية لقوله ﷺ: «مَنْ كَرِهَ

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٠٠٤)، وأبو داود (٢٥٢٩)، والترمذي (١٦٧١)، والنسائي (٣١٠٣).

مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَضْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَبْرًا فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلَّا مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).

٦- رضا الدائن في جهاد التطوع:

للحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ»^(٢). وفي رواية أخرى: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: «أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَكْفُرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ إِلَّا الدِّينَ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ»^(٣).

أنواع الجهاد:

١- جهاد الكفار والمشركين والمحاربين: بالمال والنفس واللسان لقوله ﷺ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»^(٤).

٢- جهاد الفساق: باليد واللسان والقلب لقوله في الحديث الصحيح: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٥).

٣- جهاد الشيطان: بدفع الشبهات وترك الشهوات. قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (٥٦/١٨٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) صحيح، رواه مسلم (١١٩/١٨٨٦).

(٣) صحيح، جزء من حديث رواه مسلم (١١٧/١٨٨٥) عن أبي قتادة رضي الله عنه.

(٤) صحيح، رواه أبو داود (٢٥٠٤)، والدارمي (٢٤٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٩٠)، وأحمد في المسند (١١٨٣٧، ١٣٢٢٦) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم.

(٥) صحيح، رواه مسلم (٧٨/٤٩)، والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٠٨)، وأبي داود (١١٤٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

٤- جهاد النفس: بكبح شهواتها ومقاومة رعوناتها.

وهناك ستة أمور تلزم لخوض المعركة:

١- الثبات والاستماتة حال الزحف: إذ حرم الله عز وجل الإنهزام أمام العدو

حال الزحف لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا

زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ ؕ الْاَذْبَارَ ۝١٥﴾ [الأنفال] ولا يجوز التولي عند الزحف إلا إذا

قصد مخادعة الكفار لينقض عليهم أو لينحاز إلى فئة من المسلمين فعند

ذلك لا إثم عليه ولا يعد منهزمًا لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِنَالٍ أَوْ

مُتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾ [الأنفال: ١٦] .

٢- ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان.

٣- طاعة الله ورسوله بفعل الأوامر وترك النواهي.

٤- ترك الخلاف والنزاع لدخول المعركة صفًا واحدًا كالبنيان المرصوص لا ثلثة

فيه ولا ثغرة.

٥- الصبر والمصابرة وعدم الجزع عند خوض المعركة حتى ينكشف العدو وتنهزم

صفوفه: وذلك كله استنادًا إلى قول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٥﴾

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ

الصَّادِرِينَ ۝١٦﴾ [الأنفال] .

٦- عدم العُجب بالكثرة: لأن العُجب بالكثرة يعني الاعتماد على العُدَّة وعدد

الناس ونسيان رب الناس وهذا من فعل الوسواس الخناس، هذا مع الاعتقاد

بأن النصر المؤزر إنما هو من عند الله العزيز الحكيم وصدق الله العظيم إذ

يقول: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا

وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] .

وهناك عشرة آداب للنفير في سبيل الله يجب مراعاتها لأنها من عوامل النصر:

١- عدم إفشاء أسرار الجيش وخططه الحربية: فقد كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يغزو غزوة ورى بأخرى حتى لا يعلم أعداؤه ما يريد، ويباح في الحرب الكذب على الأعداء والمخادعة لقوله ﷺ: «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ»^(١).

٢- استعمال الرموز والشعارات والشارات بين أفراد الجيش: للتعرف على بعضهم البعض في حال اختلاطهم بالعدو أو قربهم من مكانه فقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَكُمْ الْعَدُوَّ فَقُولُوا حَمَّ لَا يُنْصَرُونَ»^(٢). وفي رواية: «غَزَوْنَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَمَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ شِعَارُنَا أَمِثٌ أَمِثٌ»^(٣).

٣- اختيار المكان المناسب والزمان المناسب لشن المعارك: فقد كان ذلك من هديه ﷺ.

٤- الصمت عند خوض المعركة: إذ اللغط والصراخ يبددان القوى ويشتت الفكر ويسببان الفشل، فقد ثبت أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يكرهون الصوت عند القتال.

٥- إذا كان القتال فرض كفاية: أي غزو الكفار والمشركين في ديارهم بقصد دعوتهم إلى الإسلام وزيادة رقعة ديار المسلمين فلا بد من دعوة الكفار والمشركين إلى الإسلام قبل إعلان الحرب عليهم أو مهاجمتهم؛ فقد كان من هديه ﷺ وهدى صحابته الكرام أنهم إذا أرسلوا السرايا طلبوا من قادة

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٠٣٠)، ومسلم (١٧٣٩/١٧)، وأبو داود (٢٦٣٦)، والترمذي (١٦٧٥) عن جابر بن عبد الله.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (١٦٨٢) وصححه الألباني في جامع الترمذي.

(٣) حسن، رواه أبو داود (٢٥٩٦)، وحسنه الألباني في المشكاة (٣٩٥٠).

الجند أن يدعوا الكفار والمشركين إلى إحدى ثلاث خصال فأيتها أجابوا قبل منهم وكُفَّ عنهم، أول ما يدعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوا قُبِلَ منهم وكُفَّ عنهم، فإن أبوا فعند ذلك يدعوهم إلى إعطاء الجزية فإن أجابوا قُبِلَ منهم وكُفَّ عنهم، فإن أبوا فالقتال والله المستعان.

٦- عدم السرقة من الغنائم وعدم قتل النساء والأطفال والشيخوخ والرهبان: إذا لم يشاركوا في القتال فإن قاتلوا قُتِلُوا، للحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما: «وُجِدَتْ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةٌ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ»^(١).

٧- عدم الغدر بمن أجاره مسلم وأمنه على حياته: لقوله ﷺ: «لَا تَغْدِرُوا»^(٢). وقوله ﷺ: «إِنَّ الْعَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِيَوَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ»^(٣).

٨- عدم إحراق جثث القتلى بالنار تشفياً منهم: لقوله ﷺ: «إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا فَاقْتُلُوهُ وَلَا تُحْرِقُوهُ فَإِنَّهُ لَا يُعَذَّبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ»^(٤). وفي رواية: «إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا»^(٥).

٩- عدم المثلّة بالقتلى: يقول عمران بن حصين رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْتُسُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ وَيَنْهَانَا عَنِ الْمَثَلَةِ»^(٦).

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٠١٤، ٣٠١٥)، ومسلم (٢٤/١٧٤٤)، وأبو داود (٢٦٦٨)، والترمذي (١٥٦٩)، وابن ماجه (٢٨٤١).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٣/١٧٣١) عن بريدة بن الحصيب.

(٣) صحيح، رواه البخاري (٦١٧٨)، ومسلم (١٠/١٧٣٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) صحيح، رواه أبو داود (٢٦٧٣)، وصححه الألباني في سنن أبي داود.

(٥) صحيح، رواه البخاري (٣٠١٦).

(٦) صحيح، رواه أبو داود (٢٦٦٧)، وصححه الألباني في سنن أبي داود.

ولقوله ﷺ: «أَعَفُّ النَّاسِ قِتْلَةَ أَهْلِ الْإِيمَانِ»^(١).

١٠- الدعاء بالنصر على الأعداء: كان رسول الله ﷺ يقول بعد التعبئة للمعركة: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»^(٢). وقوله: «ثُتَانٍ لَا تُرْدَانِ أَوْ قَلَمًا تُرْدَانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(٣).

فتوى

سؤال: ما هو موقفكم من العمليات الفدائية بالأحزمة الناسفة التي توضع على الجسد، والتي يستخدمها الشباب المسلم ضد أعداء الله، وأعداء الملة في فلسطين؟

الجواب: نقول وبالله التوفيق: إنَّ الشباب المسلم في فلسطين يرى أنه ليس هناك طريقة للنيل من أعداء الله عز وجل إلا بهذه الطريقة (وأهل مكة أدرى بشعابها) ولذلك فهم يضطرون إليها كالمضطر إلى أكل الميتة، ومن ثم فنحن نحسبهم من الشهداء عند الله عز وجل ... هذا ما أتعبد الله تبارك وتعالى به والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

قتال أهل الرُّدَّة

تعريف الرُّدَّة: رجوع المسلم العاقل البالغ عن الإسلام إلى الكفر باختياره دون إكراه من أحد -سواء في ذلك الذكور والإناث- فلا عبرة بارتداد المجنون ولا الصبي لأنهما غير مُكلفين.

يقول النبي ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ

(١) ضعيف، رواه أبو داود (٢٦٦٦)، وابن ماجه (٢٦٨١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٩٦٣).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٩٦٦، ٣٠٢٤)، ومسلم (٢٠/١٧٤٢)، وأبو داود (٢٦٣١)، والترمذي (١٦٧٨)، وابن ماجه (٢٧٩٦).

(٣) صحيح، رواه أبو داود (٢٥٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧٩).

حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»^(١).

والإكراه على التلفظ بكلمة الكفر لا يُخرج المسلم عن دينه مادام القلب مطمئناً بالإيمان، وقد أكره عمار بن ياسر على التلفظ بكلمة الكفر فنطق بها، وأنزل الله سبحانه في ذلك: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل].

التكفير من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل دون أن يدل دليل شرعي على ذلك، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجه في حق المعين إلا إذا تحققت الشروط، وانتفت الموانع، والتكفير من أخطر الأحكام ولذلك يجب الثبوت والحذر من تكفير المسلم.

وقد حذر رسول الله ﷺ المسلمين من أن يقذف بعضهم بعضاً بالكفر لعظم خطر هذه الجناية، فقال فيما أخرجه مسلم عن ابن عمر: «إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»^(٢).

وقال في الحديث الصحيح: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا وَأَكَلَ ذَيْبَحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ»^(٣).

متى يكون المسلم مرتدًا؟

إن المسلم لا يعتبر خارجاً عن الإسلام ولا يحكم عليه بالردة إلا إذا انشرح صدره

(١) صحيح، رواه أبو داود (١٤١)، والنسائي (١٥٦)، وابن ماجه (٦٥٨)، وصححه الألباني في السنن، وأحمد في المسند (٢٤١٧٣) وقال الأرناؤوط: إسناده جيد.

(٢) صحيح، رواه مسلم (١١١/٦٠) واللفظ له، والبخاري (٦١٠٤)، وأبو داود (٤٦٨٧)، والترمذي (٢٦٣٧).

(٣) صحيح، رواه البخاري معلقاً في باب فضل استقبال القبلة بعد حديث (٣٩٣)، وروى (٣٩١) عن أنس رضي الله عنه: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا وَأَكَلَ ذَيْبَحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلَا تَخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ».

بالكفر، واطمأن قلبه به ودخل فيه بالفعل، لقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦]، ويقول الرسول ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(١). ولما كان ما في القلب غيبًا من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله، كان لابد من صدور ما يدل على كفره دلالة قطعية لا تحتمل التأويل، لذلك نُسب إلى الإمام مالك أنه قال: (من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهًا ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حُمِلَ أمره على الإيمان).

ومن الأمثلة الدالة على الكفر:

- ١- إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة: مثل إنكار وحدانية الله وخلقه للعالم وإنكار وجود الملائكة، وإنكار نبوة محمد ﷺ، وأن القرآن وحي من الله، وإنكار البعث والجزاء، وإنكار فرضية الصلاة والزكاة، والصيام والحج.
- ٢- استباحة محرم أجمع المسلمون على تحريمه، كاستباحة الخمر، والزنا، والربا، وأكل الخنزير، واستحلال دماء المعصومين وأموالهم.
- ٣- تحريم ما أجمع المسلمون على حله (كتحريم الطيبات).
- ٤- سَبُّ النبي أو الاستهزاء به، وكذا سَبُّ أي نبي من أنبياء الله.
- ٥- سَبُّ الدين، والطعن في الكتاب والسنة، وترك الحكم بهما مع تفضيل القوانين الوضعية عليهما.
- ٦- ادعاء فرد من الأفراد أن الوحي ينزل عليه.
- ٧- إلقاء المصاحف في القاذورات، وكذا كتب الحديث، استهانة بها واستخفافًا بما جاء فيها.
- ٨- الاستخفاف باسم من أسماء الله، أو أمر من أوامره، أو نهى من نواهيه، أو وعد من وعوده، إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام، ولا يعرف أحكامه، ولا يعلم حدوده، فإنه من أنكر شيئًا منها جهلاً به لم يكفر.

(١) صحيح، رواه البخاري (١)، وأبو داود (٢٢٠١)، وابن ماجه (٤٢٢٧).

وهناك مسائل أجمع المسلمون عليها، ولكن لا يعلمها إلا الخاصة، فإن منكرها لا يكفر، بل يكون معذورًا بجهله بها، لعدم استفادة علمها في العامة، كتحریم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وأن القاتل عمدًا لا يرث، وأن للجدّة السدس، ونحو ذلك. ولا يدخل في هذه الوسوس التي تساور النفس مما لا يؤاخذ الله بها.

فقد روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمَ بِهِ»^(١).

وروى مسلم عن أبي هريرة قال: «جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاطَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ! قَالَ: وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»^(٢). أي أنه صريح الإيمان هو الذي يمنعك من التحدث والعمل بما يمليه الشيطان عليك.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ»^(٣).

ما يترتب على الردة من عقوبات وأحكام:

- ١- تُحْبَطُ جميع الأعمال الصالحة التي فعلها المرتد قبل الردة.
- ٢- عليه غضب من الله تعالى.
- ٣- يستوجب العذاب الشديد في الآخرة، استنادًا إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَزِدْكَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٠٢/١٢٧) واللفظ له، والبخاري (٢٥٢٨، ٥٢٦٩، ٦٦٦٤)، وأبو داود (٢٢٠٩)، والترمذي (١١٨٣)، والنسائي (٣٤٣٣)، (٣٤٣٤، ٣٤٣٥)، وابن ماجه (٢٠٤٠، ٢٠٤٤).

(٢) صحيح، رواه مسلم (٢٠٩/١٣٢).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢١٢/١٣٤) واللفظ له، والبخاري (٣٢٧٦).

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل].

٤- يستتاب المرتد ويعطى فترة زمنية قدرها بعض العلماء بثلاثة أيام يراجع فيها نفسه، وتُفند فيها وساوسه، وتناقش فيها أفكاره، وأن تقدم له الأدلة والبراهين التي تعيد الإيمان إلى القلب واليقين إلى النفس، وتريح ما علق بالوجدان من ريب وشكوك فإن عدل عن موقفه بعد كشف شبهاته ورجع إلى الإسلام قبلت توبته، وإلا أقيم عليه حد الردة ألا وهو القتل بالسيف حدًا استنادًا إلى قول النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١).

«لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا يَأْخُذَ ثَلَاثٌ: رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ فَإِنَّهُ يُرْجَمُ، وَرَجُلٌ خَرَجَ مُحَارِبًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، أَوْ يُصَلَّبُ، أَوْ يُنْفَى مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ يُقْتَلُ نَفْسًا فَيُقْتَلُ بِهَا»^(٢).

والذين رأوا تقدير المدة بثلاثة أيام اعتمدوا على ما روي أن رجلاً قدم إلى عمر رضي الله عنه من الشام فقال: هل من مغربة خبر؟ قال: نعم. رجل كفر بعد إسلامه، فقال عمر: فما فعلتم به؟ قال: قربناه فضربنا عنقه، قال: هلاً حبستموه في بيتٍ ثلاثاً وأطعتموه كل يوم رغيفاً، واستبتموه لعله يتوب ويراجع أمر الله: اللهم إني لم أحضر، ولم أمر، ولم أرض إذ بلغني، اللهم إني أبرأ إليك من دمه.

٥- تُفسخ العلاقة الزوجية بين الزوجين بردة أحدهما فإن تاب المرتد منهما وعاد

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٠١٧).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٤٣٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٤٢).

إلى الإسلام من جديد، كان لابد من مهر وعقد جديدين إذا أراد استئناف الحياة الزوجية بينهما.

٦- لا يرث المرتد قريبه المسلم، ولا يُورَثُ ماله، وما ترك من مال يكون فيئًا للمسلمين يصرف في المصالح العامة للأمة لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لَا يَرِثُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ وَلَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُؤْمِنَ»^(١).

٧- يرى بعض العلماء أنه يفقد أهلية الولاية على غيره، فلا يجوز له أن يتولى عقد تزويج بناته ولا أبنائه الصغار، وتعتبر عقودهم بالنسبة لهم باطلة لسلب ولايته لهم بالردة.

٨- لا يُغَسَّل ولا يُصَلَّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَفْسٌ عَلَى قَبْرِهِ﴾ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ [التوبة: ٨٤].

هل قتال المرتدين جهاد في سبيل الله؟

نعم، هو جهاد في سبيل الله بمعناه الشرعي لأن تعريف الجهاد ينطبق عليه (فهو قتال الكفار لإعلاء كلمة الله) والمرتدون كفار وقتالهم هو لإعلاء كلمة الله وهذا ما يفهم من مناقشة الصحابة لموضوع المرتدين بعد إخضاعهم، فقد طالب أبو بكر الصديق المرتدين بعد هزيمتهم بديات قتلى المسلمين الذين حاربوهم بقوله لهم: (تَدُون قَتْلَانَا وَلَا نَدِي قَتْلَاكُمْ) فقال عمر بن الخطاب: (... أن يدوا قتلانا فلا، لأنهم قتلوا في سبيل الله واستشهدوا)^(٢).

قتال المخاريين (الحرابة أو قطاع الطرق)

تعريف الحرابة: وتسمى أيضًا قطع الطريق، وهي خروج طائفة مسلحة في دار الإسلام، لإحداث الفوضى، وسفك الدماء، وسلب الأموال، وهتك الأعراض،

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٢٨٣)، ومسلم (١/١٦١٤).

(٢) المغني لابن قدامة (٧٣/١٠).

وإهلاك الحرث والنسل، متحدية بذلك الدين والأخلاق والنظام والقانون. ولا فرق بين أن تكون هذه الطائفة من المسلمين، أو من الذميين، أو المعاهدين، أو الحريين، ما دام ذلك في دار الإسلام، وما دام عدوانها على كل محقون الدم، كما تتحقق الحراة بخروج جماعة من الجماعات، فإنها تتحقق كذلك بخروج فرد من الأفراد، فلو كان لفرد من الأفراد فضل جبروت وبطش، ومزيد قوة وقدرة يغلب بها الجماعة على النفس والمال والعرض، فهو محارب وقاطع طريق.

ويدخل في مفهوم الحراة العصابات المختلفة، كعصابة القتل، وعصابة خطف الأطفال، وعصابة اللصوص للسطو على البيوت، والبنوك، وعصابة خطف البنات والعذارى للفجور بهن، وعصابة اغتيال الحكام ابتغاء الفتنة واضطراب الأمن، وعصابة إتلاف الزروع وقتل المواشي والدواب.

الحراة جريمة كبرى:

والحراة أو قطع الطريق تعتبر من كبريات الجرائم ومن ثم أطلق القرآن الكريم على المتورطين في ارتكابها أقصى عبارة فجعلهم محاربين لله ورسوله، وساعين في الأرض بالفساد وغلظ عقوبتهم تغليظاً لم يغلظه لجريمة أخرى.

يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة].

ورسول الله ﷺ يعلن أن من يرتكب هذه الجناية ليس له شرف الانتساب إلى الإسلام، فيقول: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا»^(١).

(١) صحيح، رواه البخاري (٦٨٧٤، ٧٠٧٠)، ومسلم (١٦١/٩٨)، والنسائي (٤١٠٠)، وابن ماجه (٢٥٧٦) كلهم عن ابن عمر رضي الله عنه.

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).

شروط الحراية:

ولابد من توافر شروط معينة في المحاربين حتى يستحقوا العقوبة المقررة لهذه الجريمة، وجملة هذه الشروط هي:

١- التكليف: يشترط في المحاربين العقل والبلوغ، فالصبي والمجنون لا يعتبر الواحد منهما محاربًا.

٢- وجود السلاح: يشترط في المحاربين أن يكون معهم سلاح لأن قوتهم التي يعتمدون عليها هي قوة السلاح.

٣- البعد عن العمران: اشترط بعض العلماء أن يكون ذلك بعيدًا عن العمران والذي نختاره هو أن الحراية عامة في القفر والمصر لأن الآية بعمومها تناول كل محارب.

٤- المجاهرة: أي أن يأخذوا المال جهرة، فإن أخذوا مخفين فهم سراق، وإن اختطفوه وهربوا فهم منتهبون، وإن خرجوا على أناس جهرة فقهرروهم وأشهروا عليهم السلاح فهم قطاع طرق.

عقوبة الحراية:

أنزل الله سبحانه في جريمة الحراية قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣٤﴾ [المائدة].

فهذه الآية نزلت فيمن خرج من المسلمين يقطع السبيل ويسعى في الأرض

(١) صحيح، رواه مسلم (٥٣/١٨٤٨).

بالفساد، لقوله سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٢٤]، وقد أجمع العلماء على أن أهل الشرك إذا وقعوا في أيدي المسلمين فأسلموا فإن الإسلام يعصم دماءهم وأموالهم وإن كانوا قد ارتكبوا من المعاصي قبل الإسلام ما يستوجب العقوبة.

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] فدل ذلك على أن الآية نزلت في أهل الإسلام، ومعنى ﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: يحاربون المسلمين بما يحدثونه من اضطراب، وفوضى، وخوف، وقلق، ويحاربون الإسلام بخروجهم عن تعاليمه وعصيانهم لها، فإضافة الحرب إلى الله ورسوله إيذان بأن حرب المسلمين كأنها حرب على الله تعالى ورسوله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٩].

فالمحاربة هنا مجازية؛ قال القرطبي: ﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣]: استعارة ومجاز فالله سبحانه وتعالى لا يحارب ولا يغالب، لما هو عليه من صفات الكمال، ولما وجب له من التنزيه عن الأضداد والأنداد.

والمعنى يحاربون أولياء الله، فعبر بنفسه العزيزة عن أوليائه إكباراً لأذيتهم كما عبر عن الفقراء والضعفاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]. حثاً على الاستعطاف عليهم، ومثله في الحديث القدسي: «اسْتَطَعْتُكَ فَلَمْ تُطِعْ عَنِّي»^(١). انتهى.

سبب نزول هذه الآية:

قال الجمهور في سبب نزول هذه الآية: (إن الغرنيين - قبيلة من قبائل العرب - قدموا المدينة فأسلموا، واستوخموها - أي: أصابهم المرض والوخم لعدم موافقة هوائها لهم - وسقمت أجسامهم، فأمرهم النبي ﷺ بالخروج إلى إبل الصدقة فخرجوا، وأمر لهم بلقاح - جمع لقحة وهي الناقة الحلوب - ليشربوا من ألبانها،

(١) صحيح، جزء من حديث طويل رواه مسلم (٤٣/٢٥٦٩).

فانطلقوا فلما صَحَّحُوا قَتَلُوا الرَّاعِي، وَارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ وَسَاقُوا الْإِبِلَ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي آثَارِهِمْ، فَمَا ارْتَفَعَ النَّهَارُ حَتَّى جِيءَ بِهِمْ فَأَمَرَ بِهِمْ فَقُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَسُمِّمَتْ -فَقَّتْ- أَعْيُنُهُمْ، وَتُرِكُوا فِي الْحَرَّةِ -أَرْضَ خَارِجِ الْمَدِينَةِ ذَاتِ حِجَارَةٍ سَوْدَاءَ- يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقَوْنَ حَتَّى مَاتُوا.

قال أبو قلابة: فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣] الآية (١).

العقوبات التي قدرتها الآية الكريمة:

والعقوبة التي قررتها الآية الكريمة للذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا هي إحدى عقوبات أربع:

١- القتل.

٢- أو الصلب.

٣- أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف.

٤- أو النفي من الأرض.

وهذه العقوبات جاءت في الآية معطوفة بحرف ﴿أَوْ﴾ فقال بعض العلماء: (إنَّ

(١) إشارة إلى حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٣، ١٥٠١، ٣٠١٨، ٤١٩٢، ٤١٩٣،

٤٦١٠، ٥٦٨٥، ٥٦٨٦، ٥٧٢٧، ٦٨٠٢، ٦٨٠٤، ٦٨٠٥، ٦٨٩٩)، ومسلم

(٩/١٦٧١) بلفظ: «أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ

فَاجْتَوَوْهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ شِئْنَكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ

فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا فَفَعَلُوا فَصَحَّحُوا ثُمَّ مَالُوا عَلَى الرُّعَاةِ فَقَتَلُوهُمْ وَارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ

وَسَاقُوا ذَوْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ

فِي آثَرِهِمْ فَأَتَى بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا»،

وأبو داود (٤٣٦٤)، والترمذي (٧٢، ٧٣، ١٧٤٥)، والنسائي (٣٠٥، ٣٠٦، ٤٠٢٤،

(٤٠٣٥)، وابن ماجه (٣٥٧٨، ٣٥٠٣).

العطف بها يفيد التخيير، ومعنى هذا أنَّ للحاكم أن يتخير عقوبة من هذه العقوبات، حسب ما يراه من المصلحة، بصرف النظر عن الجريمة التي ارتكبتها (المحاربون)، وقال أكثر العلماء: (إِنَّ ﴿أَوْ﴾ هنا للتنويع لا للتخيير ومقتضاه أن تتنوع العقوبة حسب الجريمة وأن هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير).

ذكر ابن جرير قال: حدثني علي، حدثنا الوليد بن مسلم قال: قال الليث: وكذلك حدثني موسى المدني -وهو الأمير عندنا- أن عليًا الأسدي حارب، وأخاف السبيل، وأصاب الدم والمال، فطلبه الأئمة والعامة، فامتنع ولم يقدرُوا عليه حتى جاء تائبًا، وذلك أنه سمع رجلًا يقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَتْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر].

فوقف عليه فقال: يا عبد الله أعد قراءتها فأعادها عليه فأغمد سيفه، ثم جاء تائبًا حتى قدم المدينة من السَّحَرِ، فاغتسل ثم أتى مسجد رسول الله ﷺ فصلَّى الصبح، ثم قعد إلى أبي هريرة في أغمار أصحابه فلما أسفروا عرفه الناس، فقاموا إليه، فقال: لا سبيل لكم عليّ، جئت تائبًا من قبل أن تقدروا عليّ، فقال أبو هريرة: صدق، وأخذ بيده حتى أتى مروان بن الحكم -وهو أمير على تلك المدينة- في زمن معاوية، فقال: هذا علي جاء تائبًا ولا سبيل لكم عليه ولا قتل، فترك من ذلك كله، قال: وخرج علي تائبًا مجاهدًا في سبيل الله في البحر، فلقوا الروم فقرنوا سفينة إلى سفينة من سفنهم فاقتحم على الروم في سفينتهم فهربوا منه إلى شقها الآخر فمالت به وبهم، ففرقوا جميعًا.

فإن كانت الحراة مقصورة على إخافة المارة وقطع الطريق، ولم يرتكبوا شيئًا وراء ذلك فهؤلاء ينفون من الأرض، والنفي من الأرض قد يكون معناه اليوم في عصرنا (أي السجن) فيبقون في السجن حتى يظهر صلاحهم، (لأن السجن هو خروج من سعة الدنيا إلى ضيقها).

وإن كانت الحرابة بأخذ المال من غير قتل فعقوبة ذلك قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن الجناية زادت على السرقة بالحرابة.

وإن كانت الحرابة بالقتل دون أخذ المال؛ فإن هذا يستوجب القتل متى قدر الحاكم على المحاربين، ولا عبرة بعفو ولي الدم أو رضاه بالدية لأن عفو ولي الدم أو رضاه بالدية في القصاص لا في الحرابة.

وإن كانت الحرابة بالقتل وأخذ المال ففي ذلك القتل والصلب، أي: يصلبوا أحياء ليموتوا، فيربط على خشبة أو عمود أو نحوهما منتصب القائمة، ممدود اليدين ثم يطعن حتى يموت، أو يُشنق أو يُطلق الرصاص على صدره وقلبه، ومن الفقهاء من قال: إنه يقتل أولاً ثم يصلب للعبارة والعظة.

والأمر متروك للحاكم يختار منها ما تُدرأ به المفسدة وتحقق به المصلحة، وما ذكرناه فهو اجتهادات للأئمة الأعلام وهو في نطاق تفسير الآية الكريمة.

يقام حد الحرابة على المحاربين إذا قبض عليهم قبل التوبة. وإذا تاب المحاربون المفسدون في الأرض قبل القدرة عليهم، قبلت توبتهم ولا يقام عليهم حد الحرابة، ولكن لا تسقط حقوق الناس من الأموال والدماء إلا أن يعفو أولياء المقتول، أي: أن العقوبة حينئذ تكون من باب القصاص وليست من قبيل الحرابة.

والتوبة تكون بأن يُسلم المحارب نفسه للحاكم وأن يلقي السلاح وأن يتعد عن مواطن الجريمة وأن يتوب توبة نصوحاً.

قتال أهل البغي (الظلم والاعتداء)

تعريف أهل البغي: هم الجماعات ذات الشوكة والقوة تخرج على الإمام بتأويل سائغ معقول كأن يظنوا كفر الإمام، أو حيفه وظلمه، فيتعصبون ويرفضون طاعته ويخرجون عليه.

أحكامهم:

- ١- أن يرأسلهم الإمام ويتصل بهم فيسألون عما ينقمون منه، وعن أسباب خروجهم عنه، فإن ذكروا مظلمة لهم، أو لغيرهم أزالها الإمام، وإن ادّعوا شبهة من الشبه كشفها الإمام وبين وجه الحق منها، وذكر لهم دليله فيها، فإن فاءوا إلى الحق قبلت فينتهم، وإن أبوا قوتلوا وجوباً من كافة المسلمين لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].
- ٢- لا ينبغي قتالهم بما من شأنه أن يبيدهم كالقصف بالطائرات أو المدافع المدمرة، وإنما يقاتلون بما يكسر شوكتهم ويرغمهم على التسليم فقط.
- ٣- لا يجوز قتل ذراريهم ولا نساءهم ولا مصادرة أموالهم.
- ٤- لا يجوز الإجهاز على جريحهم، كما لا يجوز قتل أسيرهم ولا قتل مدير هارب منهم، لقول علي رضي الله عنه يوم الجمل: (لا يقتلن مدير، ولا يُجهز على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن)^(١).
- ٥- إذا انتهت الحرب وانهزموا فلا يقاد منهم ولا يُطالبون بشيء سوى التوبة والرجوع إلى الحق، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

تنبيه:

إذا اقتتل طائفتان من المسلمين لعصبية أو مال أو منصب بدون تأويل، فهما ظالمتان معاً، وتضمن كل واحدة منهما ما أتلقت من نفس ومال للأخرى.

القتال ضدّ الصّيال

القتال ضدّ الصّيال: نعني به القتال للدفاع عن الحرمات الخاصة [النفس والعرض والمال].

(١) رواه سعيد بن منصور وروى بمعناه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي.

دفاع الإنسان عن نفسه وعن غيره:

إذا اعتدى على الإنسان معتد يريد قتله، أو أخذ ماله أو هتك عرض حريمه، فمن حقه أن يقاتل هذا المعتدي دفاعاً عن نفسه وماله وعرضه ويدفع بالأسهل فالأسهل، فيبدأ بالكلام أو الصياح أو الاستعانة بالناس إن أمكن دفع الظالم بذلك، فإن لم يندفع إلا بالضرب فليضربه، فإن لم يندفع إلا بقتله فليقتله ولا قصاص على القاتل ولا كفارة عليه، ولا دية للمقتول لأنه ظالم معتد، والظالم المعتدي حلال الدم لا يجب ضمانه، فإن قُتل المعتدي عليه وهو في حالة دفاع عن نفسه وماله وعرضه فهو شهيد.

١- يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَنَ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مَن سَبِيلٍ﴾ [الشورى].

٢- وروى البخاري: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(١).

وكما يجب أن يدافع الإنسان عن نفسه وماله وعرضه يجب عليه كذلك الدفاع عن غيره إذا تعرض للقتل أو أخذ المال، أو هتك العرض، ولكن بشرط أن يأمن على نفسه من الهلاك.

لأن الدفاع عن الغير من باب تغيير المنكر والمحافظة على الحقوق، يقول رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ يَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢). وهذا من باب تغيير المنكر.

القتال للدفاع عن الحرمات العامة في المجتمع المسلم

أحكام إنكار المنكر على اختلاف الأحوال:

١- الأصل في إنكار المنكر أنه فرض كفاية، إذا قام به البعض، بحيث يتحقق

(١) صحيح رواه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (٢٢٦/١٤١)، وأبو داود (٤٧٧١)، والترمذي (١٤٢٠)، والنسائي (٤٠٨٤ - ٤٠٨٩) عن عبد الله بن عمرو.

(٢) صحيح، رواه مسلم (٧٨/٤٩)، والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٠٨)، وأبي داود (١١٤٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

المقصود سقط الطلب عن الباقي، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران].

٢- هذا، ويصبح تغيير المنكر فرض عين على من يشاهد المنكر من القادرين على إزالته، بشرط ألا يخافوا من الاعتداء على حرمتهم الخاصة، وألا يترتب على إنكارهم مفسدة أكبر من مفسدة المنكر الذي يقع أمامهم، يقول عليه الصلاة والسلام: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِ فَلَا يُغَيِّرُوا إِلَّا أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُمُوتُوا»^(١).

٣- وأما إذا لم يترتب على الإنكار وقوع مفسد من منكرات أخرى تضاف للمنكر الواقع؛ ولكن ترتب على هذا الإنكار إيقاع الأذى والضرر على أشخاص المنكرين، كما هي عادة أصحاب الفسق والفجور بقصد التشفي من المصلحين، أو ردعهم عن القيام بواجب إنكار المنكرات، وزجر غيرهم عن السير في الطريق نفسه ليخلوا الجو في البلاد للانحراف والمنحرفين. أقول: إذا ترتب إيقاع الأذى على أشخاص المنكرين فحسب دون أن يتعداهم إلى غيرهم من أقارب، وأصحاب ومواطنين آخرين فإن الإنكار في هذه الحالة يكون مندوباً، وإذا راحوا ضحية هذا الإنكار فهم شهداء الآخرة، وينطبق عليهم حديث رسول الله ﷺ: «وَمَنْ قَتَلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(٢). فإثبات الشهادة لمن يقتل وهو يقوم بإنكار المنكرات من أجل الدين دليل على مشروعية العمل الذي يقوم به، ومثوبته عند الله تعالى.

(١) حسن، رواه أبو داود (٤٣٣٩)، وابن ماجه (٤٠٠٩)، وحسنه الألباني في سنن أبي داود وابن ماجه.

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه الترمذي (١٤٢١) عن سعيد بن زيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٤٥).

٤- وأما إذا ترتب على إنكار المنكر إيقاع الأذى البليغ على المنكرين وعلى غيرهم من أقارب وأصحاب ومواطنين آخرين ... فإذا كان الآخرون الذين سيقع عليهم راضين بوقوع هذا الضرر، وفَدَّوا دينهم بأنفسهم أو مصالحهم، فالإنكار حينئذ مندوب، وإذا وصل هذا الضرر إلى حد القتل فهم من شهداء الآخرة، وينطبق عليهم الحديث السابق: «وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»... وأما إذا لم يرضوا بإيقاع الضرر عليهم من جراء إنكار المنكر فحينئذ يحرم الإنكار لأن إيذاء المسلمين محذور.

درجات إنكار المنكر:

١- التعرف على المنكرات بلا تجسس، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢] ولقوله ﷺ: «إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كَذَبْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ»^(١). ولما قيل لابن مسعود هذا فلان لحيته تقطر خمرا -أي يقصد المتكلم أن من شأنه وعادته شرب الخمر- فقال ابن مسعود: إنا قد نهينا عن التجسس.

٢- تعريف أصحاب المنكرات لأنهم يأتون عملاً غير مشروع، وتقديم العظة لهم باللين من القول أولاً، ثم استعمال العنف في الكلام ثانياً، إذا كان مثل هذا الأسلوب يجدي في إزالة المنكر.

٣- ثم من درجات إنكار المنكر مباشرة الضرب باليد والرجل، مما ليس فيه شهر السلاح ... فقد رجح ابن الجوزي المنع من استعمال السلاح لإنكار المنكر، وقال مانصه: (الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه إشهار سلاح أو سيف يجوز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة، فإن احتاج إلى أعوان يشهرون السلاح؛ لكونه لا يقدر على الإنكار بنفسه، فالصحيح

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٨٨٨) عن معاوية بن أبي سفيان، وصححه الألباني في صحيح

أن ذلك يحتاج إلى إذن الإمام، لأنه يؤدي إلى الفتن وهيجان الفساد^(١).
والذي نراه في هذه القضية، مع إعادة التذكير بأن الكلام لا يزال عن مجتمع مسلم وسلطة إسلامية شرعية، أن هذه المسألة تنقسم إلى حالتين:

أولاً: حالة خاصة: وهي حالة شروع في منكر لا يمكن تداركه، وذلك مثل رجل يحاول الاعتداء على امرأة، فلنا دفعه عنها بالتدريج، فإن استعمل الفاسق السلاح لارتكاب جريمته فلنا أن نستعمل السلاح لدفعه عن المنكر بالقوة، وهنا لا حاجة إلى إذن الدولة لأن المنكر على وشك الوقوع ومحاولة تبليغ السلطات أو استصدار إذن بالدفع بالقوة عن هذا المنكر المشارف يفوت معه المقصود ويقع معه المحذور، ومن الأدلة على جواز القتال هنا الحديث الصحيح: «وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(٢). ووجه الاستنباط أنه لما اعتبر القتل في هذه الحالة شهيداً دل على جواز القتال المؤدي إلى القتل، ولا شك أن الدفاع عن امرأة يراد الاعتداء عليها هو دفاع عن حرمت الدين.

ثانياً: حالة عامة: وتتمثل في احتياج إزالة المنكر أن تتقابل قوة المنكرين مع قوة أصحاب المنكرات بالسلاح، مما يؤدي إلى فتن ودماء فهنا نرى أن يقتصر دور المنكرين على تبليغ الهيئات المختصة في الدولة الإسلامية لتقوم بواجبها في إزالة المنكر، كمحل لبيع الخمر أو نادٍ للقمار أو ملهى للرقص والفساد ... وأما لجوء الأفراد إلى القتال من قبل أنفسهم لمنع المنكرات من وراء ظهر الدولة فهو أمر من شأنه أن يفتح باب القتال بين طوائف الأمة.

(ما كتبه في أحكام إنكار المنكر قد نخلته بتصرف من كتاب فضيلة الدكتور محمد خير هيكل، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية).

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي (١/١٩٥).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه الترمذي (١٤٢١) عن سعيد بن زيد، صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٤٥).

القتال ضد انحراف الحاكم

وقد يكون من يقوم بالمنكرات هو صاحب السلطة في البلاد، ففي هذه الحال جاءت النصوص الشرعية بتفصيل هذه الحال على النحو التالي:

١- يجب الإنكار على الحاكم في مستوى الوعظ والنصح بالقول اللين في بادئ الأمر، وذلك لأن الإنكار بما يزيل المنكر غير ممكن - في العادة - ما دامت القوة بيد صاحب السلطة، فيتوجه وجوب الإنكار الثابت في النصوص الشرعية إلى الإنكار باللسان فقط، عملاً بقول الرسول ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١). وإنما وجب أن يكون تقديم العظة والنصيحة للحاكم بالقول اللين في بادئ الأمر، للنصوص الشرعية الواردة في ضرورة حفظ هيبة الحاكم حين تقديم النصيحة له، ولذا كان استخدام الخشونة معه غير مشروع، لما في ذلك من الاستخفاف به، وهو أمر محذور.

٢- ويندب استخدام الخشونة مع الحاكم في الإنكار عليه باللسان، وذلك إذا اقتضى الأمر إظهار الغيرة على حرمة الله، وإفهامه فظاعة ما يُقدم عليه، من الخروج عن الشرع، وذلك بالشرط السابق، أي: إذا كان ضرر هذا الأسلوب ينحصر فيمن يقوم بالإنكار فحسب، ويفهم ذلك من حديث رواه النسائي عن طارق بن شهاب أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْعَرِزِ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ بَجَائِرٍ»^(٢). فقد سماه جهاداً لما فيه من مخاطرة بالنفس كما في الجهاد بمعناه الشرعي الحقيقي والمخاطرة في إسماع الحاكم لكلمة الحق في سبيل الإنكار

(١) صحيح، رواه مسلم (٧٨/٤٩)، والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٠٨)، وأبي داود (١١٤٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح، رواه النسائي (٤٢٠٩)، وصححه الألباني في سنن النسائي.

عليه منوطة - غالباً - بالكلمة الجارحة، والإنكار اللاذع.

٣- يحرم استخدام الخشونة مع الحاكم في الإنكار عليه باللسان إذا نتج عن ذلك ضرر على أشخاص آخرين، وهم غير راضين بما سيقع عليهم من مكروه، وفي هذا يقول ابن الجوزي: (الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين التعريف والوعظ، فأما تخشين القول نحو: يا ظالم، أو يا من لا يخاف الله؛ فإن ذلك كله إن حرّك فتنة يتعدى شرها إلى الغير لم يجز، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء)^(١).

٤- يحرم استخدام الضرب في دفع الحاكم على منكر يقتطفه لأن ضرب الحاكم ينافي الهيبة التي أمرت النصوص الشرعية بتوفيرها له، فوق ما من شأن هذا الأسلوب في إنكار المنكر من أن يحرض الحاكم على الثأر لكرامته المجروحة، وعزته المطعوننة فيرتكب من المفاصد والمضار ما هو أفظع من مفسدة المنكر الذي هو مقيم عليه، وتكون النتيجة عدم إزالة المنكر الراهن، بل إضافة مناكر جديدة إليه، مع صنوف من الأذى تصيب القريب، وقد لا ينجو منها البعيد.

٥- يحرم استعمال السلاح، والثورة على الحاكم إذا انحرف بفسق يرتكبه، أو ظلم يقتطفه، أو أمر غير مشروع يصدر عنه، ولكنه يبقى رغم ذلك صاحب الحق في السمع والطاعة في المعروف من أمر الإسلام، لا فيما يخرج عن هذا الإطار، مع وجوب العمل على تنحية هذا الحاكم المنحرف عن السلطة بالوسائل السلمية، إذا أصر على انحرافه، وتمادى في غيه، ووجب الإنكار باللسان إذا أمكن، أو بالقلب، وهو آخر المطاف - من حيث الضعف - في مراحل الإنكار على طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذا، والكلام هنا لا يزال عن صاحب السلطة الشرعية الذي لم يصل في انحرافه

(١) الآداب الشرعية (١/١٩٧).

إلى الخط الأحمر الخطر - إذا جاز هذا المجاز - ألا وهو الكفر البواح، سواء في عقيدة الحاكم نفسه، أو في العقيدة التي يقوم عليها نظام حكمه.

قلنا: يحرم استعمال السلاح في قتال الحاكم المنحرف من أجل الإنكار عليه، مع وجوب طاعته في المعروف لا في المنكر، ومع وجوب الإنكار عليه باللسان والقلب، أو بالقلب فحسب إذا كان وحده هو المقدور عليه، مع وجوب العمل على تنحيته عن السلطة بالوسائل السلمية.

والآن؛ ما هي الأدلة الشرعية على هذه النقاط؟

✽ أما تحريم استعمال السلاح في قتال الحاكم المنحرف من أجل الإنكار عليه فيستند إلى أحاديث كثيرة منها ما جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ: «إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرَى، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: لَا، مَا صَلَّوْا»^(١). أي: جعل النبي ﷺ المانع من مقاتلة أمراء الجور إقامتهم الصلاة .. فمن كره: أي بقلبه، ومن أنكر: أي بلسانه.

وروى البزار عن زيد بن وهب قال: (أنكر الناس من أمير في زمن حذيفة شيئاً، فأقبل رجل في المسجد (المسجد الأعظم)، يتخلل الناس حتى انتهى إلى حذيفة، وهو قاعد في حلقة، فقام على رأسه فقال: يا صاحب رسول الله ﷺ! ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فرفع حذيفة رأسه فعرف ما أراد، فقال له حذيفة: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحسن، وليس من السنة أن تشهر السلاح على أميرك)^(٢).

✽ أما وجوب طاعة الحاكم في المعروف لا في المنكر، فيفهم أيضاً من حديث

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٣/١٨٥٤)، والترمذي (٢٢٦٥)، وأحمد في المسند (٢٥٩٨٩)، (٢٦٠٣٧، ٢٦٠٦٦).

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار (٢٥١/٢).

مسلم السابق كما يفهم من قول النبي ﷺ في حديث آخر ورد في صحيح مسلم يقول فيه: «خِيَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ، قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، إِلَّا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَإِلَ فَرَاهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرَهُ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»^(١).

وكذلك ورد في عدم الطاعة في المنكر قول النبي ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِلْخَلْقِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

متى يكون الحكم بغير ما أنزل الله مخرجاً من الملة؟

يكون الحكم بغير ما أنزل الله مخرجاً من الملة في ست حالات:

- ١- إذا جحد الحاكم أحقية الحكم بما أنزل الله.
- ٢- إذا اعتقد الحاكم أن الأحكام الوضعية أفضل من حكم الله ورسوله.
- ٣- إذا اعتقد الحاكم أن الأحكام الوضعية مساوية في الفضل لحكم الله ورسوله.
- ٤- إذا اعتقد الحاكم جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله.
- ٥- إذا أوجد محاكم وضعيةً محادةً ومعاداةً لله ولرسوله، تستند في حكمها على الحكم الفرنسي أو الأمريكي أو البريطاني أو ما إلى ذلك من مذاهب الكفار.

- ٦- حكام الفرع الذين يحكمون بالعرف والعادة وحكايات الآباء والأجداد (وهو ما يعرف بالسواليف) رغبةً وإعراضاً عن حكم الله ورسوله.

(١) صحيح، رواه مسلم (٦٦/١٨٥٥).

(٢) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٠٩٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

فإذا فعل ذلك الحاكم أو اعتقده فقد كفر كفراً أكبر يخرج من الملة ... أما إذا قضى الحاكم في قضية معينة بشهوته وهواه، وهو يعلم أنه بهذا الحكم مجانب للحق والصواب، وأنّ حكم الله ورسوله هو الأفضل، وأنه مستحق للعقوبة بذلك، فقد كفر كفراً أصغر لا ينقل عن الملة ولكنه من الكبائر، وهذا قال فيه ابن عباس: (كفر دون كفر، كفر لا ينقل عن الملة)، وفي رواية: (هي لهم كفر، وليس كمن كفر بالله ورسوله).

الوصايا الذهبية في الحكم على مَنْ استبدل شرع الله والحاكمية بأحكام وضعية:

١- إنّ الذي يتولى الحكم عليهم العلماء الربانيون الراسخون في العلم، أصحاب الدراية والخبرة وليس الجهلاء الذين يقفزون في الهواء قفزات هوجاء.

٢- لا بد أن تتحقق شروط التكفير وتنتفي موانعه في حق المعين، ولذلك يُنسب إلى الإمام مالك أنه قال: (من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهًا ويحتمل الإيمان من وجه واحد حُمِلَ أمره على الإيمان).

٣- هل من حكم بهذه الأحكام الوضعية قد فعل ذلك محادةً ومعادةً لله ولرسوله أم فعل ذلك جهلاً أو خوفاً وجبناً من أعداء الله عزّ وجلّ فالحكم على الحاكم في الحالتين مختلفٌ تماماً.

٤- لا بد من إقامة الحجة على الحاكم بغير ما أنزل الله، فينصح من قبل العلماء الربانيين، وتُقدّم له الأدلة والبراهين على وجوب الحكم بما أنزل الله، وخطر استبدال شرع الله والحاكمية بأحكام وضعية؛ فإن عدل عن موقفه قُبِلَ منه وكُفَّ عنه، ووجبت طاعته ومناصحته بالمعروف.

٥- إن تبين بالأدلة الدامغة والقاطعة بعد إقامة الحجة عليه (أي الحاكم بغير ما أنزل الله) عناده، وسوء قصده، فلا يجوز تكلف التأويلات في حقه، بل لا بد من الخروج عليه بعد توافر أربعة شروط (أن تكون الظروف موالية - والحسابات دقيقة- وأن يملك المسلمون من القوة والحيلة ما يُمكنهم من

كسر شوكته وألا يترتب على ذلك مفسدة أكبر، وأن تكون هذه الشروط مجتمعة؛ فإن لم تتوافر هذه الشروط مجتمعة يحرم الخروج عليه، والذي يقدّر ذلك العلماء الربانيون الراسخون في العلم أصحاب الدراية والخبرة وليس الجهلاء الذين يقفزون قفزات هوجاء في الهواء.

تنبيهات

التنبيه الأول: قسّم العلماء الإمامة إلى ثلاثة أنواع:

أولاً: الإمامة البرّة: وهي التي تكون فيها الراية برّةً والأمير برّاً ومثال ذلك الخلافة الراشدة التي كانت في عهد الخلفاء الراشدين.

ثانياً: الإمامة الفاجرة: وهي التي تكون فيها الراية برّةً والأمير فاجراً، ولذلك لما أنكر الخوارج ضرورة الخلافة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قال علي رضي الله عنه وأرضاه: لا بد للمؤمنين من إمامة برّة كانت أو فاجرة، فقالوا: يا أمير المؤمنين هذه الإمامة البرّة قد عرفناها فما هي الفاجرة؟ فقال: يكفي أن تؤمن بها السبل وتقام بها الحدود ويُجاهد بها الأعداء ويُقسّم فيها الفيء.

ثالثاً: الإمامة الكافرة: وهي التي تكون فيها الراية كافرةً والأمير فاجراً كافراً. التنبيه الثاني: اعلم أيها الأخ الحبيب أنّ الإمامة الكبرى تثبت بإجماع الأمة، أو بيعة ذوي الحل والعقد منهم، ومن تغلب حتى اجتمعت عليه الكلمة وجبت طاعته بالمعروف، ومناصحته، وحرم الخروج عليه منعاً للفتنة وحقناً للدماء وتسكيناً للدهماء إلا إذا صدر منه كفر بواح ضراح فيه برهان من الله.

كلمة أخيرة في باب الجهاد:

لا يسعنا إلا أن نقول: والله ما كسدت بضاعة الله حتى يستامها المهرجون والمفلسون والمبطلون، ولذلك فالمؤمن الصادق كما يحرص على حمل المسواك لا بد أن يحرص على حمل السلاح فإن في حمله العزة والكرامة وفي اعتزاله الذل والصغار.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].



قتال الفتنة

تعريفه: هو قتال غير مشروع بين طائفتين أو أكثر من المسلمين، وهو ينطبق على الحالات الآتية:

١- القتال الناشئ بين الأطراف المتصارعة من المسلمين، عن جهل أو لهوى أو لأي غرض دنيوي، والداخل في هذا النزاع لا يدري من الحق من المبطل، وقد نبه الشرع الحكيم على وجوب الامتناع من المشاركة في هذا النزاع، وقد جاء في الحديث الذي رواه مسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يُدْرِي الْقَاتِلُ فِيْمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيْمَ قُتِلَ» فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»^(١).

٢- حالة كون الطائفتين المتصارعتين ظالمتين، ولا تأويل لواحدة منهما.

٣- وفي بدائع الصنائع حالة ثالثة: هي التي يعبر عنها الكاساني بقوله: (وما روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه إذا وقعت الفتنة بين المسلمين فينبغي للرجل أن يعتزل الفتنة ويلزم بيته، محمول على وقت خاص وهو ألا يكون إمام يدعو إلى القتال، وأما إذا كان، فدعاه يفترض عليه الإجابة)^(٢).

٤- وذكر الشوكاني عن بعضهم حالة رابعة، هي القتال في طلب الملك^(٣). ... أي: الصراع غير المشروع على السلطة.

وإليك بعض النصوص الشرعية التي تفيدنا في توضيح المعنى المراد من قول العلماء (قتال الفتنة):

١- جاء في الحديث الشريف الذي يرويه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «تَكُونُ فِتْنَةٌ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمُضْطَجِعِ، وَالْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ...

(١) صحيح، رواه مسلم (٥٦/٢٩٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) بدائع الصنائع (١٤٠/٧).

(٣) نيل الأوطار (٣٧٠/٥).

الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ الرَّايِبِ، وَالرَّايِبُ خَيْرٌ مِنَ الْمَجْرِي، قَتَلَهَا كُلُّهَا فِي النَّارِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ أَيَّامُ الْهَرَجِ» قُلْتُ: وَمَتَى أَيَّامُ الْهَرَجِ؟ قَالَ: «حِينَ لَا يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ» قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «اكَفُفْ نَفْسَكَ وَيَدَكَ وَادْخُلْ دَارَكَ...»^(١).

٢- عن محمد بن مسلمة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَقْتُلُونَ عَلَى الدُّنْيَا فَاعْمِدْ بِسَيْفِكَ عَلَى أَعْظَمِ صَخْرَةٍ فِي الْحَرَّةِ فَاضْرِبْ بِهَا حَتَّى يَتَكَسَّرَ ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ»^(٢).

٣- روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في الفتنة: «... كَسَرُوا قَسِيئَكُمْ، وَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ؛ فَإِنْ دَخَلَ -يَعْنِي عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ- فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنِي آدَمَ»^(٣).

والرأي الذي نرجحه في قتال الفتنة:

١- هو أن يقف المسلم في قتال الفتنة كموقف خير ابني آدم أي: هابيل الذي قتله أخوه قابيل عندما قال له: «لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ» [المائدة: ٢٨].

٢- أن الاستسلام وترك الدفاع عن النفس في قتال الفتنة -يأخذ حكم الإباحة، وسبب ترجيحنا لهذا الحكم هو أن النصوص الشرعية التي سبق استعراض الكثير منها- كلها جاءت بطلب ترك القتال بصيغة الأمر: «قَطَّعُوا

(١) رواه أحمد في المسند (٤٢٧٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٢/٧): رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٠/٧-٣٠١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(٣) صحيح، رواه أبو داود (٤٢٥٩)، وابن ماجه (٣٩٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٤٩).

أَوْتَارَكُمْ»، «كُنْ كَخَيْرِ ابْنِي آدَمَ»... وهذا معناه الأمر بالاستسلام وترك الدفاع حالة الاعتداء...

وهذا الأمر يعارض النصوص الشرعية بصيغ النهي الجازم عن الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وعدم التعرض للقتل، مثل قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] ففيهما نهي صريح عن قتل الإنسان نفسه، وتمكين الآخرين من قتل نفسه، كما هو صادق في النهي عن قتل نفوس الآخرين... ومن القواعد في أصول الفقه: (أن الأمر بعد النهي يدل على الإباحة)^(١).

ولكنها ليست إباحة بصورة مطلقة، بل مقيدة بالموضوع الذي وردت فيه، وقد وردت هذه الإباحة بموضوع قتال الفتنة فتختص بها.

هذا وقد جاءت قرائن تدل على أن الأمر بالاستسلام وترك الدفاع عن النفس في قتال الفتنة يأخذ حكم الإباحة، ومن هذه القرائن... لما حدثت الفتنة في آخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وحاصره الثوار، عرض عليه بعض الصحابة أن يدافعوا عنه، ولكنه رفض، فلو كان الاستسلام وعدم الدفاع عن النفس واجباً لما جاز لهم أن يعرضوا عليه ما يخالف هذا الواجب، بل يبعد أيضاً أن يعرضوا عليه ما يخالف المندوب، على رأي من يقول أن الاستسلام مندوب، فكان هذا الإجماع على جواز الدفاع قرينة تصرف طلب الاستسلام عن الوجوب والندب إلى الإذن والإباحة، والله أعلم.

هل قتال الفتنة من الجهاد في سبيل الله؟

إنه لمن البديهي أن يكون الجواب بالنفي، فالجهاد إنما هو قتال المسلمين للكفار حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله، بينما قتال الفتنة: إنما هو قتال المسلمين للمسلمين لتكون هناك فتنة، ويكون الدين لغير الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/٣٩٨).

وعلى هذا فقتال الفتنة غير داخل في الجهاد في سبيل الله، بل هو والجهاد على طرفي نقيض!

صحيح أن حالة الدفاع مأذون فيها شرعاً، على ما ذهب إلى ذلك الكثيرون، وأن القتل هنا دافع أو لم يدافع يفوز بشرف الشهادة ولكنها شهادة حُكْمِيَّة، شهادة في حكم الآخرة فقط، بينما قتل الجهاد هو شهيد في حكم الدنيا والآخرة أو في حكم الدنيا فقط^(١).



(١) شرح النووي على مسلم (٥١٥/١).

لمحة سريعة عن نشأة الخلافات العقيدية والفرق الإسلامية

يمر بنا في ثنايا هذا الكتاب كثير من الفرق والمسائل البارزة في العقيدة، لذلك أحببت أن أقدم لذلك لمحة سريعة، يعرف منها أصول هذه الفرق التي توسعت فيما بعد، وأصبح لبعضها شوكة لمناصرة الحكام إياها، أو لأسباب أخرى، ثم التعرف بعد ذلك على مذهب أهل السنة والجماعة.

١- عصر النبوة:

تكاد تتفق معظم المراجع التي تحدثت عن هذه الفترة، على عدم نشوب خلاف في مسألة من مسائل العقيدة، في عصر رسول الله ﷺ؛ فإن حصل شيء من ذلك - وهو نادر - فإنما كان يصدر عن طائفة من المنافقين، التي لم يتمكن الإسلام منها، فضلاً على ما كانت تبطن في دخيلتها من الرغبة في طمس معالم هذا الدين. فأصل القدريّة نشأ (عن طائفة من المنافقين يوم أحد إذ قالوا: هل لنا من الأمر من شيء؟ وقولهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقولهم: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦]... فهل ذلك إلا تصريح بالقدر).

والظاهر أن شبهة القدر خرجت من المشركين، كما يصرح الحديث الذي أخرجه مسلم في القدر: باب كل شيء بقدر، والترمذي في التفسير: باب ومن سورة القمر، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ فَتَزَلَّتْ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ [القمر] (١).

وكان العصر النبوي كفيلاً بإزالة أي شبهة تظهر بين الصحابة ولا يمكن أن نعتبر خوضهم في مثل هذا هو السبب الذي أنشأ فيما بعد تلك المذاهب التي عرفت

(١) صحيح، رواه مسلم (١٩/٢٦٥٦)، والترمذي (٢١٥٧، ٣٢٩٠)، وابن ماجه (٨٣).

بالقدرة وغيرها؛ لأنهم كانوا ينتظرون في ذلك توقيفا، فإذا جاءهم وقفوا عنده، ولم يتعدوه.

ومن المسائل العقيدية التي أثرت في العصر النبوي أيضًا، قضية ابن صياد، هل هو المسيح الدجال أم لا؟ فقد أخرج البخاري من حديث شعبة عن سعد بن إبراهيم ابن المنكر قال: «رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَخْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ ابْنَ صَائِدِ الدَّجَالِ، فَقُلْتُ: أَتَخْلِفُ بِاللَّهِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَخْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ» (١).

حتى رسول الله ﷺ كان متوقفا في أمره، فقد أخرج البخاري أيضًا من حديث الزهري قال: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الْعِلْمَانِ عِنْدَ أُطَمِ بَنِي مَغَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ صَيَّادٍ يَحْتَلِمُ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَاذَا تَرَى؟» قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَا نَبِيَّ صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خُلِطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا» قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْسَأُ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ» قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ» (٢).

وأخرج مسلم هذا الحديث عن ابن عمر من وجه آخر ولفظه: «لَقِيْتُهُ مَرَّتَيْنِ»، فذكر الأولى ثم قال: «فَلَقِيْتُهُ لَقِيَةً أُخْرَى وَقَدْ نَفَرْتُ عَيْثُهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَتَى فَعَلْتَ

(١) صحيح، رواه البخاري (٧٣٥٥)، مسلم (٩٤/٢٩٢٩).

(٢) صحيح، رواه البخاري (١٣٥٥، ٣٠٥٥، ٦١٧٣، ٦٦١٨)، ومسلم (٨٦/٢٩٢٤).

عَيْنُكَ مَا أَرَى؟ قَالَ: لَا أَذْرِي، قَالَ: قُلْتُ: لَا تَدْرِي وَهِيَ فِي رَأْسِكَ؟! قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ خَلَقَهَا فِي عَصَاكَ هَذِهِ، قَالَ: فَتَخَرَّ كَأَشَدِّ نَخِيرِ حِمَارٍ سَمِيعَتْ، قَالَ: فَرَزَعَمَ بَعْضُ أَصْحَابِي أَنِّي ضَرَبْتُهُ بِعَصَا كَانَتْ مَعِيَ حَتَّى تَكَسَّرَتْ، وَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ، قَالَ: وَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَحَدَّثَهَا فَقَالَتْ: مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يَتَعَثُّهُ عَلَى النَّاسِ غَضَبٌ يَغْضَبُهُ؟^(١).

ولقد ذكرنا مزيداً من أخباره وآراء العلماء في ذلك في أشرطة الساعة فانظر هناك.

وأيضاً رؤية رسول الله ﷺ ربه حين عرج إلى السماء، وكانت مثار خلاف بين بعض الصحابة على قولين:

الأول: قول ابن عباس ومن جاراها أنه رأى ربه.

والثاني: قول عائشة ومن جاراها أنه لم يره.

٢- عصر الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ:

وإذا تعديت عصر النبوة؛ فإن العصر الراشدي لم يشهد بين الصحابة أنفسهم من الخلافات إلا ما كان اجتهادياً، وشيئاً يسيراً في أمور العقيدة، وما سوى ذلك من شبهات القدريّة والجبريّة، كان بتأثير عناصر غريبة على الإسلام، وكان ذلك يقابل بصلابة وشدة وعنف.

فقد أخرج الدارمي في سننه عن سليمان بن يسار: (أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: صَبِغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِغٌ. فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُونًا مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينَ فَضَرَبَهُ وَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ. فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَسْبُكَ قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي)^(٢).

(١) صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٢/٩٩).

(٢) رواه الدارمي (٥٤/١).

وبالجملة، فأكثر المصادر متفقة على أن الخلافات الأساسية، بدأت من السنة السادسة لخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

يقول الإمام عبد القادر البغدادي: (وهم في أثناء ذلك كله على كلمة واحدة في أبواب العدل والتوحيد، والوعد والوعيد، وفي سائر أصول الدين ... وكانوا على هذه الجملة في أيام أبي بكر وعمر وست سنين في خلافة عثمان).

ويقول الشهرستاني: (غير أن أقاربه من بني أمية قد ركبوا نهاير فركبته وجاروا فجير عليه ووقعت اختلافات كثيرة وأخذوا عليه أحداثاً كلها محالة على بني أمية، منها:

- رده الحكم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده النبي عليه السلام، وكان يسمى طريد رسول الله ﷺ ... ومنها نفه أبا ذر إلى الربذة وتزويجه مروان بن الحكم بنته، وتسليمه خمس غنائم إفريقية له وقد بلغت مائتي ألف دينار، ومنها إيواؤه عبد الله بن سعد بن أبي سرح، بعد أن أهدر النبي عليه السلام دمه، وتوليته إياه مصر بأعمالها وتوليته عبد الله بن عامر البصرة، حتى أحدث فيها ما أحدث ... إلى غير ذلك مما نعموا عليه ..

ومنهم من يرجع نشأة الخوارج إلى هذه الفترة، فقد خرج عليه بعضهم - نتيجة لهذه التصرفات - وكانوا من القراء، وكان مقرهم الكوفة، فنفي بعضهم إلى الشام، كعبد الله بن الكواء، وحرقوق بن زهير وغيرهما، كما سيأتي.

قال البغدادي: (ثم اختلفوا بعد ذلك في شأن علي وأصحاب الجمل، وفي شأن معاوية وأهل صفين، وفي حكم الحكمين أبي موسى الأشعري وعمر بن العاص، اختلافًا باقياً إلى اليوم).

٣- الشيعة:

هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصاية إماماً جليّاً أو خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم من غيره، أو

تبقية من عنده، قالوا: وليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة، بل هي قضية أصولية، وهي ركن من أركان الدين. وفي تلك الأونة ظهر (عبد الله بن سبأ) وجماعة معه، بفكرة الرجعة وحلول الجزء الإلهي في علي رضي الله عنه وبنيه وآله ... وانقسمت الاختلافات بعد علي رضي الله عنه إلى قسمين:

أحدهما: الاختلاف في الإمامة.

والثاني: الاختلاف في الأصول.

والاختلاف في الإمامة على وجهين:

أحدهما: القول بأن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار.

والثاني: بأن الإمامة تثبت بالنص والتعيين.

وهذا الثاني هو الذي تبناه الشيعة حتى أصبح فيما بعد ركناً من أركان الإسلام عندهم، يكفر من لا يؤمن به.

ولم يكتف الذين شايعوا علياً بتقدسيه إلى حد الغلو والإفراط، بل كفّروا كل من خرج عليه.

قال ابن حزم: (وأما الشيعة، فعمدة كلامهم في الإمامة، والمفاضلة بين أصحاب النبي ﷺ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم). وقال قبل ذلك: (وأقرب مذاهب الشيعة إلى أهل السنة، المنتمون إلى أصحاب الحسن بن صالح بن حي الهمداني الفقيه، القائلون بأن الإمامة في ولد علي رضي الله عنه).

والثابت عن الحسن بن صالح رحمه الله هو قولنا، أن الإمامة في جميع قريش، وتولي جميع الصحابة رضي الله عنهم، إلا أنه كان يفضل علياً على جميعهم. والشيعة الرافضة فرق كثيرة، منهم من فرق أهل الإسلام، ومنهم غلاة خرجوا عن دائرة الإسلام وقد أطنبت كتب الفرق والعقائد في عرض آرائهم وأقوالهم.

٤- الخوارج:

قد ذكرنا أن بعضهم يرجع نشأتهم إلى عهد عثمان رضي الله عنه، وكان غالبهم من طبقة القراء ممن كانوا يسكنون الكوفة فخرجوا عليه ليردوه -ظناً منهم- إلى الكتاب والسنة، واتهموه بهجر الكتاب وإيثار ذوي القربى ورفع الدرّة، ووضع السوط، إلى آخر ما هنالك ... ثم تزايد عددهم، وكان من أبرز زعمائهم: حرقوص بن زهير البجلي، وعبد الله بن الكواء، ويزيد بن قيس الأرحبي، ومسعر ابن فدكي التميمي، وزيد بن الحصين السنبسي، ونفي عثمان رضي الله عنه جماعة منهم، كحرقوص بن زهير وابن الكواء وغيرهما إلى الشام، وكان حرقوص رأس أهل البصرة الذين شاركوا في مقتل عثمان رضي الله عنه.

غير أن معظم المصادر تعتبر ابتداءهم بالخروج من صفوف علي بعد أن كانوا معه على معاوية عندما رضي بالتحكيم، وكان زعمائهم آنذاك: الأشعث بن قيس، ومسعر بن فدكي، وزيد بن الحصين الطائي.

وافترق الخوارج على عشرين فرقة: المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والثعالبة، والعجاردة [وافترقت العجاردة فيما بعد فرقاً كثيرة] والإباضية.

وافترقت الإباضية فرقاً: الحفصية، والحارثية، واليزيدية، وأصحاب طاعة لا يراد بها وجه الله، واليزيدية وهي ليست من فرق الإسلام لاعتقادها بنسخ الشريعة المحمدية في آخر الزمان بنبي يبعث من العجم، كذلك الميمونية من العجاردة ليست من فرق الإسلام لإباحتها نكاح بنات البنات وبنات البنين كما أباحتها المجوس.

١- المحكمة الأولى: الذين خرجوا على علي رضي الله عنه حين جرى أمر التحكيم، وعلى رأسهم عبد الله بن الكواء، وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذئب الشدية، وغيرهم.

٢- والأزارقة: نسبة إلى نافع بن الأزرق.

٣- والنجدات: نسبة إلى نجدة بن عمار الحنفي.

٤- الثعلبية: أصحاب ثعلبة بن عامر.

٥- والعجاردة: أصحاب عبد الكريم بن عجرد.

٦- الإباضية: أصحاب عبد الله بن إباح.

أما ما يجمع بين الخوارج على اختلاف مذاهبها فهو تكفير علي وعثمان والحكمين وكل من رضي بتحكيمهما وأصحاب الجمل، والتكفير بارتكاب الكبائر، ووجوب الخروج على الإمام.

٥- القدرية والجبرية:

راجع ما كتب عنهما في الركن السادس من أركان الإيمان (الإيمان بالقضاء والقدر).

٦- المعتزلة:

أصل التسمية:

واختلف في أصل التسمية، والراجع أنها أطلقت أول ما أطلقت على واصل بن عطاء الغزال، وعمرو بن عبيد، حينما اعتزلا أو أحدهما مجلس الحسن البصري، ومنهم من جعل ذلك بسبب اعتزالهم الأمة بأسرها، لمخالفتهم في معتقدتهم في مرتكب الكبيرة، أو اعتزالهم الجماعة بعد وفاة الحسن.

وسبب هذا الاعتزال، أن الخوارج عندما كفّروا مرتكب الكبيرة، ولم يكفروه جمهور أهل السنة بذلك، بل جعلوه فاسقًا، قال واصل بن عطاء: بل الفاسق لا مؤمن ولا كافر، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين، فلما قال مقالته هذه في مجلس الحسن طرده، فالتزم زاوية من المسجد ودعا لبدعته هذه، فوافقه عليه عمرو بن عبيد، فقال الحسن: اعتزلنا واصل.

وأقاموا مذهبهم على أصول خمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال شارح الطحاوية: (فأما العدل، فستروا تحته نفي القدر، وقالوا: إن الله لا

يخلق الشر ولا يقضي به، إذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه، يكون ذلك جورًا، والله تعالى عادل لا يجور، ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يريده، فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز، تعالى الله عن ذلك. وأما التوحيد: فستروا تحته القول بخلق القرآن، ويلزمهم على هذا القول الفاسد، أن علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة.

وأما الوعيد: فقالوا: إذا توعد بعض عبده وعيّدًا، فلا يجوز ألا يعذبهم ويخلف وعيده، لأنه لا يخلف الميعاد، فلا يعفو عمن يشاء، ولا يغفر لمن يريد عندهم. وأما المنزلة بين المنزلتين: فعندهم أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر.

وأما الأمر بالمعروف: فهو أنهم قالوا: علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به، وأن نلزمه بما يلزمنا، وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا وقد افترقت المعتزلة عشرين فرقة: الواصلية، والعمرية، والهديلية، والنظامية، والأسوارية، والمعمرية، والإسكافية، والجعفرية، والبشرية، والمرداوية، والهشامية، والتمامية، والجاحظية، والحائطية، والحمارية، والخياطية، وأصحاب صالح قبة، والمويسية، والشحامية، والكعبية، والجباية، والبهشمية - المنسوبة إلى أبي هاشم بن الجبالي - فهذه اثنتان وعشرون فرقة، منها الحائطية والحمارية، من الفرق الغالية.

الواصلية: نسبة إلى واصل بن عطاء الغزال.

الهديلية: نسبة إلى أبي الهذيل حمدان بن الهذيل العلان.

النظامية: أصحاب إبراهيم بن يسار بن هاني النظام.

قال البغدادي: (وعشرون منها قدرية محضة، يجمعها كلها في بدعتها أمور منها: نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته الأزلية، وقولها بأنه ليس لله علم، ولا قدرة، ولا حياة، ولا سمع، ولا بصر، ولا صفة أزلية ... ومنها قولهم: باستحالة

رؤية الله عز وجل بالأبصار في الآخرة، ومنها قولهم جميعًا: بأن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس، ولا لشيء من أعمال الحيوانات، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم، وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير ... إلخ).

قال الشهرستاني: ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة، حين فسرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فنًا من فنون العلم، وسميتها باسم (الكلام).

٧- المرجئة:

(لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة).

قال ابن الأثير: (المرجئة: فرقة من فرق الإسلام، يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي إلى يوم القيامة).

- وقيل الإرجاء: تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة؛ فلا يُقضى عليه بحكم ما في الدنيا، من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار.

- وهم أصناف ثلاثة: صنف جمع بين الإرجاء في الإيمان والقدر، فهم محسوبون على هؤلاء وهؤلاء، كأبي شمر المرجئي ومحمد بن شبيب البصري والخالدي ... وصنف جمعوا بين الإرجاء في الإيمان ويقول جهم في الأعمال والأكساب، فهم محسوبون على الفريقين، وصنف خالصو الإرجاء، من غير قول بالقدر، وهم خمس فرق: الیونسية، والغسانية، والثوبانية، والتومنية، والمريسية، وأما النجارية فمرجعها إلا ثلاث فرق: البرغونية، والزعفرانية، والمستدركة، وأما البكرية والضرارية فكل منهما فرقة مستقلة، والجهمية فرقة واحدة، والكرامية ثلاث فرق: الحقاقية، والطرائقية، والإسحاقية.

- وجعلها بعضهم أربعة أصناف: مرجئة خوارج، ومرجئة قدرية، ومرجئة جبرية،

ومرجئة خالصة، وأما محمد بن شبيب، والصالحى والخالدي، فهم مرجئة القدريّة. وأبعد فرق المرجئة عن أهل السنة أصحاب جهم بن صفوان والأشعري ومحمد ابن كرام السجستاني؛ فإن جهماً والأشعري يقولان: إن الإيمان عقد بالقلب فقط، وإن أظهر الكفر والتلث بلسانه، وعبد الصليب في دار الإسلام بلا تقية ومحمد ابن كرام يقول: هو القول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه.

ملاحظة:

١- الیونسیة: أصحاب یونس بن عون النمیری.

٢- الغسانیة: أصحاب غسان الکوفي.

٨- الماتريديّة:

وهم أتباع أبي منصور الماتريدي، والماتريدي نسبة إلى قرية (ماتريد) من قرى سمرقند في بلاد ما وراء النهر، ويذكر بعضهم أن نسبه يرجع إلى أبي أيوب خالد ابن زيد بن كليب الأنصاري، وهو الذي نزل عليه رسول الله ﷺ عندما هاجر إلى المدينة.

تخرج في حلقة الإمام أبي نصر العياضي، وكان أبو نصر هذا من المجاهدين في بلاد ما وراء النهر وتخرج أيضاً على أبي بكر أحمد الجوزجاني، وأبي سليمان الجوزجاني وكان هذا الأخير تلميذ محمد بن الحسن، الإمام المعروف وهؤلاء كلهم من علماء الحنفية.

ثم أكب على كتب أبي حنيفة التي تتكلم في العقائد، (الفقه الكبير) و(العالم والمتعلم) وغيرهما، واستجد لها من الأدلة والحجج والبراهين، ما جعله يصبح فيما بعد إمام الأحناف في العقائد.

عاصر أبو منصور أبا الحسن الأشعري، وكانت وفاته سنة ٣٣٣هـ، وكان كلاهما في ذلك الوقت المجرى الصلب الذي دافع عن عقائد أهل السنة في وجه المعتزلة، وكان من تلاميذ أبي منصور الماتريدي: أبو القاسم بن إسحاق بن محمد

ابن إسماعيل، المشهور بالحكيم السمرقندي، وأبو محمد عبد الكريم بن موسى البزدوي، وأبو الليث البخاري، وغيرهم.

ومن مصنفاته: بيان وهم المعتزلة، تأويلات أهل السنة، الدرر في أصول الدين، الرد على تهذيب الكعبي في الجدل، عقيدة الماتريديّة، كتاب التوحيد وإثبات الصفات، كتاب الجدل، مأخذ الشرائع، في أصول الفقه، المقالات.

ورد الأصول الخمسة لأبي محمد الباهلي، رد أوائل أدلة الكعبي، رد وعيد الفساق للكعبي، الرد على أصول القرامطة، رد كتاب الإمامة لبعض الروافض.

لم يطبع من مصنفاته غير الجزء الأول من التأويلات، وكتاب التوحيد، الذي حققه الدكتور فتح الله خليف، عن نسخة مخطوطة يتيمة في مكتبة جامعة كمبردج بإنجلترا.

عقيدة أبي منصور الماتريدي:

١- يستهل الماتريدي كتاب التوحيد بفصل في إبطال التقليد: وهو في ذلك لا يخرج على الإجماع المعقد بين علماء الكلام من أهل السنة والمعتزلة على السواء، على فساد التقليد وبطلانه... ثم يسرد أدلته العقلية والشرعية في ذلك.

٢- ثم يعرض نظرية المعرفة، وهو في عرضه قريب من المعتزلة، بل من الفلاسفة، ويميز بين الأخبار المتواترة المتناقلة بين الناس، وهذه ينبغي تمحيصها، وبين الأخبار التي تأتينا عن طريق الرسل، فهذه يجب التسليم بها، (فمن أنكر ذلك فهو أحق من يقضى عليه بالتعنت والمكابرة)، وينبغي النظر والاستدلال، لأننا بذلك نعرف الحكمة من الموجودات، ولا سبيل إلى العلم إلا بالنظر.

ثم يسرد أبو منصور أدلته على حدوث الأجسام على طريقة المتكلمين، وهو يستخدم هذه الأدلة على وجود الله، فالمتضادات عنده لا تجتمع بنفسها، إنما

تحتاج إلى من يؤلف بينها، وهو الله، ثم يذكر أدلة كثيرة على وجود الله.
 ٣- ويذهب في (أسماء الله) مذهب التوقيف، فهل يقال عن الله هو جسم أو لا؟

يقول: (وحقه السمع عن الله، إن الجسم ليس من أسمائه، ولم يرد عنه ولا عن أحد ممن أذن لأحد تقليده، فالقول به لا يسع، وما دامت الأسماء توقيفية، وقفنا عند كل ما يجيء عن الشارع فيها.

٤- والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بلا كيف (إذ الكيفية تكون لذي صورة، بل يرى بلا وصف قيام وقعود، واتكاء وتعلق، واتصال وانفصال، ومقابلة ومدابرة، وقصير وطويل، ونور وظلمة، وساكن ومتحرك، ومماس ومباين، وخارج وداخل، ولا معنى يأخذه الوهم، أو يقدره العقل، لتعالیه عن ذلك). والكفار محرومون من هذه الرؤية ويعتقد أبو منصور أن البرهنة على جواز الرؤية عقلاً غير ممكنة، بينما يستدل عليها أبو الحسن الأشعري بالعقل، ودليل أبي الحسن: أن المرئيات في الشاهد رؤيتها لأنها موجودة، والله موجود، إذن تصح رؤيته ...

٥- أما قوله في الاستواء على العرش، وكذا في سائر الصفات، فهو أقرب ما يكون إلى السلف؛ لأنه يثبت هذه الصفات، وينفي عنها التشبيه، ولا يقطع بتأويلها على وجه لاحتمالها غيره، ويؤمن بها كما أرادها الله، ولعله تبع في ذلك إمام مذهبه أبا حنيفة، وكذا محمد بن الحسن، وقد تقدم في عقيدة أهل الحديث قولاً لأبي حنيفة في النزول، وأنه نزول بلا كيف ...

٦- وفي القضاء والقدر، يقف أبو منصور موقفاً وسطاً بين الجبر والاختيار، فالإنسان فاعل مختار على الحقيقة لما يفعله، وهو في فعله كاسب، ولكن هذا الفعل وإن كان كسباً، فهو خلق الله، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات]، فأفعال الإنسان لله بأن خلقها على ما

هي عليه، وأوجدتها بعد إن لم تكن، وللخلق على ما كسبوها وفعلوها، ويقول أبو منصور: (والعدل هو القول بتحقيق الأمرين، ليكون الله موصوفاً بما وصف به نفسه، محموداً به كما قال: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال: ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]، وليكون عدلاً متفضلاً كما قال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [نصت: ٤٦] وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣] ... وعند قيام الإنسان بفعل، يخلق الله قدره عند قصد هذا الفعل أو الكسب، يتم بها، واستحقاق المدح أو الذم مبني على هذا القصد، وهو يقسم القدرة التي هي مناط التكليف قسمين:

أولاً: قدرة ممكنة؛ وهي ما يسميها بسلامة الآلات وصحة الأسباب.

ثانياً: قدرة ميسرة زائدة على القدرة الممكنة، وهي التي يقدر الإنسان بها على الفعل المكلف به مع يسر تفضلاً من الله تعالى.

٧- وهو يفرق بين تقدير المعاصي والشُرور والقضاء بها، وبين فعل هذه المعاصي، فالأول من الله تعالى، والثاني من العبد بقدرته واختياره وقصده، ويمنع أبو منصور من إضافة الشر إلى الله، فلا يقال رب في الأرواث والخبائث، ولو أنه خالق كل شيء، وهذا الشق الأخير معروف عن السلف، أما تقسيمه القدرة، وجعل العبد فاعلاً باختياره وقصده وقدرته من وجه، ولو كان الله هو الفاعل من وجه آخر، فيه حيد عن مذهب السلف في ذلك.

٨- أما مسألة الإيمان، فلا منزلة عنده بين المنزلتين، ولا يخرج مرتكب الكبيرة عن الإسلام.

والإيمان هو تصديق بالقلب دون الإقرار باللسان، وإن أجريت أحكام الإسلام على من أقر بلسانه، وهذا أبسط أقوال المرجئة، وفي هذا يفرق الماتريدية عن السلف، وعنده لا يجوز الاستثناء في الإيمان، لأن الاستثناء

يستعمل في موضع الشكوك والظنون.

٩- ثم يعرض أبو منصور لمذاهب المجوس والزنادقة من دهرية وثنوية ومانوية وديسانية ومرقيونية، ويشرح في تفنيدها، وبهذه الفصول يختتم (كتاب التوحيد).

وقد اتفق أبو منصور الماتريدي وأبو الحسن الأشعري على مسائل عدة، واختلفوا في أمور، فمما اختلفوا فيه:

مسألة القضاء والقدر: فقال الماتريدي: إن القدر هو تحديد الله أزلًا كل شيء بحده الذي سيوجد به من نفع، وما يحيط به من زمان ومكان، والقضاء: الفعل عند التنفيذ، وقال الأشاعرة: إن القضاء بإرادة الله الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص، والقدر تعلق الإرادة بالأشياء في أوقاتها المخصوصة ... واختلفوا في أصل الإيمان: فذهب الماتريدي إلى أنه يجب على الناس معرفة ربهم ولو لم يبعث الله فيهم رسولاً، وذهب الأشاعرة إلى عدم وجوب الإيمان وعدم تحريم الكفر قبل بعثة الرسل، كما اختلفوا في زيادة الإيمان ونقصانه وشرطه ... إلخ.

كما اختلفوا في النبوة، هل يشترط فيها الذكورة؟ فجعلها الماتريدي شرطاً، ونفى ذلك الأشاعرة عنها، واحتج هذا الفريق بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٧]، ورد الفريق الأول: بأن الإيحاء هنا بمعناه الواسع، وهو الإلهام.

قال الأستاذ أحمد أمين: (ونحن لو دققنا النظر في الخلاف بين الأشعرية والماتريديّة، وجدنا الاعتزال أظهر في الأشعرية، بحكم تتلمذ الأشعري عهداً طويلاً ... وقد انتصر للمذهب الماتريدي كثير من علماء الحنفية، مثل فخر الإسلام البردوي، والتفتازاني، والنسفي، وابن همام ... إلى غيرهم، ولكنهم لم يبلغوا -والحق يقال- مبلغ أتباع الأشعري - فرجح مذهب الأشعري وزاد انتشاره، وكثر أتباعه).

٩- الأشاعرة:

وهم أتباع أبي الحسن الأشعري، واسمه علي بن إسماعيل بن أبي بشر واسمه إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الشعري، ولد سنة ٢٧٠هـ وتوفي سنة ٣٢٤هـ على خلاف في وفاته. أقام على الاعتزال أربعين سنة، حتى صار للمعتزلة إمامًا، تزوجت أمه بعد وفاة أبيه إسماعيل بأبي علي الجبائي، رأس المعتزلة في عصره، فتلقى عنه الأشعري مذهب الاعتزال حتى رسخ فيه، وكان يظن أنه سيصبح الإمام الأوحى في ذلك، وبعد اعتزاله أربعين سنة، دخل منزله خمسة عشر يومًا، منقطعًا عن العالم من حوله، ثم خرج إلى الجامع وصعد المنبر وقال: معاشر الناس، إنما تغيبت عنكم هذه المدة، لأنني نظرت، فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي شيء على شيء، فاستهديت الله، فهداني إلى اعتقاد أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد، كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه، ورمى به. وذكره ابن العماد في وفيات سنة ٣٢٤هـ وقال: (.. وكان قانعًا متعففًا .. ومما بيض به وجوه أهل السنة النبوية، وسود به رايات أهل الاعتزال والجهمية، فأبان به وجه الحق الأبلج، ولصدور أهل الإيمان والعرفان أثلج، مناظرته مع شيخه الجبائي التي بها قصم ظهر كل مبتدع مرائي، وهي كما قال ابن خلكان: سأل أبو الحسن المذكور أستاذه أبا علي الجبائي، عن ثلاثة إخوة: كان أحدهم مؤمنًا تقيًا، والثاني: كان كافرًا فاسقًا شقيًا، والثالث: كان صغيرًا، فماتوا، فكيف حالهم؟ فقال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات، وأما الكافر ففي الدرجات، وأما الصغير فمن أهل السلامة، فقال الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد، هل يؤذن له؟ فقال الجبائي: لا؛ لأنه يقال له: أخوك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعته الكثيرة، وليس لك طاعات، فقال الأشعري: فإن قال: ذلك التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة!! فقال الجبائي: يقول الباري

جل وعلا: كنت أعلم، ولو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم، فراعيت مصلحتك، فقال الأشعري: فلو قال الآخر الأكبر: يا إله العالمين، كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دوني؟ فانقطع الجبائي). قال ابن العماد: (ولهذه المناظرة دلالة على أن الله تعالى خص من شاء برحمته، وخص آخر بعذابه، وإلى أبي الحسن انتهت رئاسة الدنيا في الكلام، وكان في ذلك المقدم المقتدى الإمام، قال في كتابه (الإبانة في أصول الديانة) وهو آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه ...) وساق شيئاً من الكتاب المذكور.

عقيدة أبي الحسن الأشعري:

تقدم قول العلماء في رجوع أبي الحسن الأشعري عن مذهب الاعتزال، بعد اعتناقه أربعين سنة، ثم عزله في بيته وانقطاعه عن الناس خمسة عشر يوماً، ثم خروجه بالمذهب المعروف عنه، غير أن غالب الذين أرخوا وترجموا له، ذكروا في حياته هاتين المرحلتين لا غير، حاشا الحافظ ابن كثير، فإنه قال كما نقل عنه مرتضى الزبيدي: (ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

✽ أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

✽ والحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وتأويل الخبرية، كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك.

✽ والحال الثالث: إثبات ذلك كله، من غير تكييف ولا تشبيه، جرياً على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة (التي صنفها أخيراً).

هذا قول الحافظ ابن كثير في رجوعه، وقلمما تجد من فصل تفصيله في هذا الرجوع، وإنما تجد عند معظمهم أنه رجع إلى مذهب السلف، ومع ذلك تجد أصحابه المنتمين إلى مذهبه يؤولون آيات الصفات وأحاديثها، وهذا ليس مذهب

السلف، فوجب أن يكون ثمة حال وسطي كان عليها أبو الحسن، وهي التي ذكرها ابن كثير، إن صح النقل عنه.

ويقول الذهبي في العلو للعلي الغفاري: (كان أبو الحسن أولاً معتزلياً، أخذ عن أبي علي الجبائي، ثم نابذه ورد عليه وصار متكلماً للسنة، ووافق أئمة الحديث، فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن ولزموها لأحسنوا، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء، ومشوا خلف المنطق.

والذي يبدو، أن أبا الحسن إنما رجع في أيامه الأخيرة من حياته، وكانت سائر كتبه التي كتبها قبل، كاللمع والتأويلات وغيرها، قد انتشرت في الآفاق، واستنسخت في الأمصار، وعرفت بين العلماء والشيوخ، فتعلمذوا عليها، وخرجوا عليها تلاميذهم، فلما رجع أبو الحسن في تلك الأونة، كانت عقيدته في مرحلته الوسطى قد رسخت بين الناس، فأصبح الرجوع بعدئذ صعباً وشاقاً.

ومن هنا نجد أن الأشاعرة في كتبهم لا يعولون على رجوعه الأخير إلى مذهب السلف، بل يعتقدون ما عم عليه، مما دونه في المرحلة الوسطى هو عقيدة السلف، وإن خفي هذا على أحد، فإنه كان ينبغي ألا يخفى على الحافظ ابن حجر، لأنه يقف موقف المؤول في جميع المتشابه، مع ميله إلى مذهب السلف.

ومذهب السلف عنده هو التفويض، وذكرنا قبل أن التفويض ليس مذهب السلف، وإنما مذهبهم الإثبات مع نفي التشبيه، بينما التفويض أن تقول: أفوض علم ذلك إلى الله.

وقد انتصر أبو القاسم بن عساكر لأبي الحسن انتصاراً متيناً في كتابه (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري)، دافع فيه عن عقيدته في (الإبانة)، وافتتح كتابه به، فقال فيما نقله عنه ابن القيم الجوزية: (إذا كان أبو الحسن مستصوب المذهب عند أهل العلم بالمعرفة والانتقاد، فواقفه في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد، ولا يقدح في معتقده غير أهل الجهل والعناد، فلا بد أن

نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونتجنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركاً للخيانة، لتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في كتابه الذي سماه بـ(الإبانة) ... إلى آخره، وقد طبع هذا الكتاب (الإبانة في أصول الديانة) في حيدر آباد، سنة ١٣٢١هـ، وطبعة أجود منها في المدينة المنورة بمطابع الجامعة الإسلامية، سنة ١٩٧٥م.

وفي كتابه الإبانة يستهل أبو الحسن ذلك بالكلام على أهل الزيغ والضلال، فيقول: (... ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله عز وجل: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وأنكروا أن يكون له يدان مع قوله: ﴿لَمَّا خَلَّطْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وأنكروا أن يكون له عين مع قوله: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، ولقوله: ﴿وَلِئَصْنَعِ عَلَى عَيْنَيَّ﴾ [طه: ٣٩]، وأنكروا أن يكون لله علم مع قوله: ﴿أَنْزَلْنَاهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦]، وأنكروا أن يكون لله قوة مع قوله: ﴿ذُرْ أَلْقُوهُ أَلْمِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

ونفوا ما روي عن النبي ﷺ أن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وغير ذلك، مما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، وكذلك جميع أهل البدع من الجهمية والمرجئة والحرورية، وأهل الزيغ فيما ابتدعوا وخالفوا الكتاب والسنة، وما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وأجمعت عليه الأمة، كفعل المعتزلة والقدرية، وأنا ذاكر ذلك باباً باباً، وشيئاً شيئاً، إن شاء الله، وبه المعونة والتأييد، ومنه التوفيق والتسديد ..).

ثم يعقد باباً (في إبانة قول أهل الحق والسنة) فيقول: (فإن قال لنا قائل: هل أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟ قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون،

وبما كان يقول به (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل) نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مشوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ورفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به المبتدعين، وزيع الزائعين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وخليل معظم، وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا: أنا نقرُّ بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، ولا نرد من ذلك شيئاً، وأنَّ الله عز وجل إله واحد، لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وأنَّ الله استوى على عرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وأن له وجهًا كما قال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له عينًا بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]. وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالًّا، وأن له علمًا كما قال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦].

وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١]، ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفتته المعتزلة والجهمية والخوارج... وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة كما قال: ﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وأن العباد لا يقدر أن يخلقوا شيئًا وهم يخلقون.

حتى يقول: (...) ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل، من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب عز وجل يقول: هل من سائل؟ هل من مستغفر؟... وسائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافاً لما قاله أهل الزيغ والتضليل، ونعول فيما اختلفنا فيه

على كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وإجماع المسلمين، وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن بها، ولا نقول على الله ما لا نعلم. ونقول: إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر، ٢٢] وأن الله عز وجل يقرب من عباده كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وهو موافق في ذلك لأصحاب الحديث ولأبي منصور الماتريدي، فنخلص منه إلى أن موقف أصحاب الحديث، وموقف أبي منصور إمام الماتريدية، وموقف أبي الحسن الأشعري المتأخر من حياته من الآيات والأحاديث المتعلقة بالصفات موقف واحد، وهو إثباتها بلا كيف، وهذا الذي انتهينا إليه هو الحق في هذه المسألة -والله أعلم- وهو الذي ندين به، وأما ما ذهب إليه الحافظ وغيره، من الجري على طريقة الأشعري في مرحلته الثانية، بتأويل هذه المواضع لأن ظاهرها يوهم التشبيه، فليس بحق، وهو بدعة لم يكن عليها الرسول ﷺ ولا من شهد لهم بالخيرية من بعده، والله الموفق.



١٠- الصوفية في ميزان الكتاب والسنة

لقد انتشرت الصوفية في بلاد العالم الإسلامي، وانقسم الناس فيها إلى فريقين: مؤيد ومعارض، فكيف يعرف المسلم الحق؟ هل هو مع المؤيدين للصوفية، فيسير معهم؟ أم هو مع المعارضين للصوفية فيجتنبهم؟

إذا لابد من الرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة لمعرفة ذلك عملاً بقوله تعالى:

﴿فَإِنْ لَّنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

لم يعرف الإسلام اسم الصوفية في زمن الرسول ﷺ وصحابته والتابعين، ثم جاء جماعة من الزهاد لبسوا الصوف، فأطلقوا هذا الاسم عليهم، وقيل: مأخوذ من كلمة (صوفيا) ومعناها الحكمة، حينما ترجمت كتب الفلسفة اليونانية، وليست مأخوذة من الصفاء كما يدعي بعضهم لأن النسبة إلى الصفاء (صفائي) وليست (صوفي). يقول أبو الحسن الندوي في كتابه (ربانية لا رهبانية): ليتهم ما قالوا صوفية، بل سموها تزكية، كما قال الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فظهر هذا الاسم الجديد فرّق المسلمين.

وقد تختلف الصوفية الأولى عن الصوفية المتأخرة التي انتشرت فيها البدع أكثر من سالفاتها، وقد حذر منها الرسول ﷺ بقوله: «إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (١).

ومن الإنصاف أن نضع تعاليم الصوفية في ميزان الإسلام لنرى قربها أو بعدها عنه:

١- الصوفية لها طرق متعددة كالتيجانية، والقادرية، والنقشبندية، والشاذلية، والرفاعية وغيرها من الطرق التي يدعي كل منها أنه على الحق، وغيره على

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وصححه الألباني في صحيح

باطل، والإسلام ينهى عن التفرق ويقول الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ۚ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم].

٢- الصوفية تدعو غير الله من الأنبياء والأولياء والأحياء والأموات، فهم يقولون: (يا جيلاني، ويا رفاعي، ويا رسول الله غوثاً ومدداً، ويا رسول الله عليك المعتمد).

والشرع الحكيم ينهي عن دعاء غير الله تعالى، ويعتبره شركاً إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس]. ﴿الظَّالِمِينَ﴾ أي: المشركين. والرسول ﷺ يقول: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١).

فالدعاء عبادة كالصلاة لا تُصرف لغير الله ولو كان رسولاً أو ولياً، وهو من الشرك الأكبر الذي يحبط العمل، ويُخلد صاحبه في النار.

٣- الصوفية تعتقد أن هناك أبدالاً وأقطاباً وأولياء سلم الله لهم تصريف الأمور وتديرها في الكون والله يحكي جواب المشركين حين يسألهم: ﴿وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، فكان مشركوا مكة أحسن حالاً منهم في هذه القضية.

والصوفية يلجأون لغير الله عند نزول المصائب والله يقول: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۚ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام]. والله يحكي عن المشركين في الجاهلية حين تنزل بهم المصائب: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْثَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

(١) صحيح، رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٢٧) وأحمد في المسند (١٧٨٨٨)، (١٧٩١٩، ١٧٩٢٤) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

٤- بعض الصوفية يعتقد بوحدة الوجود، فليس عندهم خالق ومخلوق، فالكل

خلق، والكل إله، وزعيمهم ابن عربي المدفون بدمشق يقول:

العبد رب، والربُّ عبدٌ يا ليت شعري من المكلف؟

إن قلت عبدٌ فذاك حق أو قلت رب فأنيُّ يُكَلَّفُ؟^(١)

٥- الصوفية تدعو إلى الزهد في الحياة، وترك الأسباب والجهد والله تعالى يقول:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [الفصم: ٧٧].

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال].

٦- الصوفية تعطي مرتبة الإحسان إلى شيوخهم وتطلب منهم أن يتصوروا

شيخهم عندما يذكرون الله، حتى في صلاتهم، وهناك منهم من يضع

صورة شيخه أمامه في الصلاة، والرسول ﷺ يقول: «الإحسان، قَالَ: أَنْ

تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٢).

٧- الصوفية تدعي أن عبادة الله لا تكون خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنته،

ويستشهدون بقول رابعة العدوية: (اللهم إن كنت أعبدك خوفاً من نارك

فأحرقني فيها، وإن كنت أعبدك طمعاً في جنتك فأحرمني منها).

وترى بعضهم ينشدون قول عبد الغني النابلسي: من كان يعبد الله خوفاً

من ناره فقد عبد النار، ومن عبد الله طلباً للجنة فقد عبد الوثن.

والله عز وجل يمدح الأنبياء الذين يدعونه طلباً لجنته وخوفاً من عذابه

فيقول: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا

وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]. أي: راغبين في جنته، خائفين من عذابه.

(١) الفتوحات المكية لابن عربي.

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه ،

ومسلم (١/٨) عن عبد الله بن عمر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

والله يخاطب الرسول الكريم قائلاً: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام].

٨- الصوفية تبيع الرقص والذف ورفع الصوت بالذكر والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

ثم تراهم يذكرون بلفظ (الله) حتى يصلون إلى التلفظ بكلمة (آه ، آه) والرسول ﷺ يقول: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

ورفع الصوت في الذكر والدعاء منهي عنه بقول الله تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف]. (لا يحب المعتدين في الدعاء بالتشدد ورفع الصوت) ذكره تفسير الجلالين.

والرسول ﷺ يسمع أصحابه يرفعون أصواتهم فيقول لهم: «أَيْهَا النَّاسُ، ارْزِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ»^(٢).

(وهو معكم: بسمعه وعلمه).

٩- الصوفية تذكر اسم الخمر والشكر وتتغنى به، فيقول شاعرهم ابن الفارض:

شربنا على ذكر الحبيب مُدَامَةً سكرنا بها من قبل أن يُخْلَقَ الكرم

وتراهم في بعض المساجد ينشدون:

هَاتِ كَأْسَ الرَّاحِ وَاسْقِنَا الْأَقْدَاحِ

(والمدامة والراح: من أسماء الخمر).

نقول: لا يستحي المتصوفة من ذكر أسماء الخمر في بيت الله الذي أنشئ لذكر

(١) حسن، رواه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وحسنه الألباني في المشكاة (٢٣٠٦).

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٩٩٢، ٤٢٠٥، ٦٣٨٤، ٦٦١٠، ٧٣٨٦)، ومسلم (٢٧٠٤/

٤٤) واللفظ له، وأبو داود (١٥٢٦)، والترمذي (٣٣٧٤، ٣٤٦١)، وابن ماجه

(٣٨٢٤)، وأحمد في المسند (١٩٠٢٦، ١٩٠٧٨، ١٩٠٨٢، ١٩١٠٨، ١٩١٥١).

اللَّهُ لَا لَذَكَرَ أَسْمَاءَ الْخَمْرِ الْمَحْرَمَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة].

١٠- الصوفية تتغزل باسم النساء والصبيان في مجالس الذكر، فيرددون اسم الحب، والعشق والهوى، وليلى، وسعاد، وغيرها، وكأنهم في مجلس طرب، فيه الرقص، وذكر الخمر، مع التصفيق والصياح، والتصفيق من عادة المشركين وعبادتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].
(المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق).

١١- الصوفية تستعمل الدف المسمى (بالمزهر) في ذكرها، وهو مزمار الشيطان، جاء في الحديث الصحيح أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَيْهَا وَالنَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا يَوْمَ فَطُرٍ أَوْ أَضْحَى وَعِنْدَهَا قَيْتَانِ تُغْنِيَانِ بِمَا تَقَاذَفَتِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ، مَرَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَإِنَّ عِيدَنَا هَذَا الْيَوْمُ»^(١).

فقد أقر الرسول أبا بكر على قوله، ولكنه أخبره أنه في يوم عيد مسموح به للبنات، ولم يثبت عن الصحابة والتابعين أنهم استعملوا الدف عند ذكرهم، بل هو من بدع الصوفية التي حذر منها الرسول ﷺ بقوله: «مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).

(رد: غير مقبول).

(١) صحيح، رواه البخاري (٩٥٠، ٦٥٢، ٩٨٨، ٢٩٠٧) واللفظ له، ومسلم (١٦/٨٩٢)، والنسائي (١٥٩٣، ١٥٩٧)، وابن ماجه (١٧٩٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧/١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤) كلهم عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

١٢- بعض الصوفية يضرب نفسه بسيخ حديد بعد أن يتلو عزيمته الشركية أو أن يستغيث ويستعين بغير الله عز وجل فتأتيه الشياطين ليساعدوه على فعله؛ لأنه استغاث بغير الله، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] ﴿يَعْشُ﴾: يُعرض. وبعض الجاهل يظن أن هذا العمل من الكرامات، مع أن الفاعل لها قد يكون فاسقًا وتاركًا للصلاة، وكيف نعتبره كرامة، وصاحبه قد استغاث بغير الله، بل هذا من الشرك والضلال الذي قال الله فيه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٥].

وهو استدراج في طريق الضلال لفاعله بعد أن اختار الطريق لنفسه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

١٣- الصوفية لها طرق كثيرة كالتيجانية، والشاذلية، والنقشبندية، وغيرها، والإسلام له طريق واحد فقط، والدليل حديث ابن مسعود رضي الله عنه حين قال: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا» قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ السُّبُلُ وَلَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأَنْعَام: ١٥٣] (١).

١٤- الصوفية تدّعي الكشف وعلم الغيب، والقرآن يكذبهم قائلًا: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. وقال ﷺ: «لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ» (٢).

(١) حسن، رواه الدارمي (٢٠٢) وحسنه الألباني في المشكاة (١٦٦)، وأحمد في المسند (٤٤٢٣) وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٧٣٨٠) عن عائشة رضي الله عنها.

١٥- الصوفية تزعم أن الله خلق محمداً من نوره، وخلق من نوره جميع الأشياء، والقرآن يكذبهم قائلًا: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]. وقوله تعالى عن خلق آدم: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص]. وأما حديث: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» فهو موضوع وباطل^(١).

١٦- الصوفية تزعم أن الله خلق الدنيا لأجل محمد ﷺ والقرآن يكذبهم قائلًا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات]. وخاطب القرآن الرسول ﷺ بقوله: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر]. (اليقين: الموت).

١٧- الصوفية تزعم رؤية الله في الدنيا، والقرآن يكذبهم حين قال على لسان موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقد ذكر الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين (باب حكاية المحبين ومكاشفتهم) هذه القصة: قال أبو تراب يوماً: لو رأيت أبا يزيد! فقال له صديقه: إني عنه مشغول، قد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبي يزيد، قال أبو تراب: ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد (البسطامي) مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة.

ثم قال الغزالي: فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن. أقول للغزالي: بل يجب على المؤمن أن ينكرها لأنها كذب وكفر تخالف القرآن والحديث والعقل.

(١) موضوع، وقد أشار الألباني إلى بطلان هذا الحديث في تعليقه على حديث رواه مسلم (٦٠/٢٩٩٦) ولفظه: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٨٢٠/٤٥٨): وفيه إشارة إلى بطلان الحديث المشهور على ألسنة الناس أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ونحوه من الأحاديث التي تقول بأنه ﷺ خلق من نور فإن هذا الحديث دليل واضح على أن الملائكة فقط هم الذين خلقوا من نور دون آدم وبنيه.

١٨- الصوفية تدعي وتزعم رؤية الرسول ﷺ في الدنيا يقظة، والقرآن يكذبهم

قائلاً: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

(أي: من ورائهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا إلى يوم القيامة). ذكره الطبري.

ولم ينقل إلينا أحد من الصحابة أنه رأى الرسول ﷺ يقظة بعد وفاته، فهل هم أفضل من الصحابة؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

١٩- الصوفية تزعم أنها تأخذ العلم من الله مباشرة بدون واسطة الرسول ﷺ

فيقولون: (حدثني قلبي عن ربي)، قال ابن عربي المدفون بدمشق في كتابه الفصوص: (فمنا الخليفة عن الرسول الذي يأخذ الحكم عنه ﷺ أو بالاجتهاد الذي أصله أيضاً، وفيما من يأخذه عن الله فيكون خليفة الله!).

أقول: هذا الكلام باطل يخالف القرآن الذي ينص على أن الله أرسل محمداً ﷺ ليلغ الناس أوامر الله، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلِغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

ولا يمكن لأحد أن يأخذ عن الله مباشرة، وهو كذب وافتراء، ثم إن الإنسان لا يكون خليفة عن الله، لأن الله لم يغب عنا حتى يخلفه الإنسان، فالله هو الذي يخلفنا حينما نغيب ونسافر، ولذلك جاء في الحديث: «أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ» (١).

٢٠- الصوفية تقيم المولد والاجتماع باسم الصلاة على النبي ﷺ، وهم

يخالفون تعاليمه، ولذلك حينما يرفعون أصواتهم في الذكر والأنشيد والقصائد التي فيها الشرك الصريح، فتراهم يقولون مخاطبين الرسول ﷺ:

المدد يا عريض الجاه المدد ويا مفيض النور على الوجود المدد

(١) صحيح، رواه مسلم (١٣٤٢/٤٢٥)، وأبو داود (٢٥٩٩)، والترمذي (٣٤٤٧) عن ابن

عمر رضي الله عنهما.

يا رسول الله فرّج كربنا ما رآك الكرب إلا وشرد
أقول: الإسلام يوجب علينا الاعتقاد بأن مفيض النور على الوجود، والمفرج
للكروب هو الله وحده.

٢١- الصوفية تشد الرحال إلى القبور للتبرك بأهلها أو الطواف حولها، أو الذبح
عندها مخالفين قول الرسول ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ:
مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى» (١).

٢٢- الصوفية تتعصب لشيخوها، ولو خالفت قول الله ورسوله، والله تعالى
يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١].
والرسول ﷺ يقول: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ» (٢).
٢٣- الصوفية تستعمل الطلاسم والحروف والأرقام لعمل الاستخارة، والتمائم
والحجب وغير ذلك.

نقول: لماذا يلجأون إلى الخرافات من حساب الزوجين في الاستخارة،
وغيرها من البدع والمنكرات، ويتركون دعاء الاستخارة الوارد في صحيح
البخاري الذي كان يعلمه الرسول ﷺ أصحابه كالسورة من القرآن يقول:
«إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ
تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ
هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي
وَأَجَلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ
شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَأَجَلِهِ -

(١) صحيح، رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٣٩٧/٥١١).

(٢) صحيح، جزء من حديث رواه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (٣٩/١٨٤٠)، والنسائي
(٤٢٠٥) كلهم عن علي رضي الله عنه.

فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ»^(١).

٢٤- الصوفية لا تتقيد بالصلوات الواردة عن رسول الله ﷺ، بل يتدعون صلوات فيها الشرك الصريح الذي لا يرضاه الذي يُصلون عليه، فقد جاء في كتاب (أفضل الصلوات) لشيخ لبناني صوفي يقول فيه: (اللهم صل على محمد حتى تجعل منه الأحدية القيومية).

نقول: (الأحدية، والقيومية: من صفات الله وأسمائه فلا تصرف إلا لله عز وجل).

وفي كتاب (دلائل الخيرات) صلوات مبتدعة لا يرضاها الله ورسوله ﷺ، وهكذا يتبين لك أيها الأخ الحبيب أن الصوفية بعيدة عن الإسلام جدًا بعد أن رأيت اعتقادها وأعمالها في ميزان الإسلام، وأن العقل السليم يرفض هذه البدع والضلالات والمنكرات التي توقع في الشرك والكفر.

اللهم أرنا الحق حقًا، وارزقنا اتباعه وحبينا فيه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه وكرهنا فيه، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

من أقوال الصوفية

إن كثيرًا من الصوفية يظن أن الصوفية من الإسلام، وأن فيهم الأولياء، وأريد لكل أخ مسلم أن يطلع على أقوالهم ليرى بعدهم عن الإسلام وتعاليم القرآن:

١- يقول الشيخ محيي الدين بن عربي المدفون بدمشق وهو كبير الصوفية في كتابه الفتوحات المكية: (ورُب حديث يكون صحيحًا عن طريق رواته حصل لهذا المكاشف الذي عاين هذا المظهر، فسأل النبي ﷺ عن هذا

(١) صحيح، رواه البخاري (١١٦٦، ٦٣٨٢، ٧٣٩٠)، وأبو داود (١٥٣٨)، والترمذي

(٤٨٠)، والنسائي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (١٣٨٣)، وأحمد في المسند (١٤٢٩٧) كلهم

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

الحديث فأنكره وقال له: لم أقله ولا حكمت به فيعلم ضعفه، فترك العمل به على بينة من ربه، وإن كان عمل به أهل النقل لصحة طريقه، وهو في نفس الأمر ليس كذلك). وهذا الكلام موجود في مقدمة كتاب الأحاديث المشتهرة للعجلوني.

هذا الكلام خطير وضرب للحديث النبوي، وطعن في علماء الحديث كالبخاري ومسلم وغيره.

٢- ويقول ابن عربي عن وحدة الأديان كاليهودية والنصرانية والوثنية والإسلام:

وقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فأصبح قلبي قابلاً كل حالة فمرعئ لغزلان، ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن

والقرآن يرد كلام ابن عربي ويقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران].

٣- وابن عربي يعتقد أن الله هو المخلوق، والمخلوق هو الله، وكل منهما يعبد الآخر، ويُعبّر عن ذلك بقوله:

فَاحْمَدُنِي وَأَحْمَدُهُ وَيَعْبُدُنِي وَأَعْبُدُهُ؟

٤- ويقول ابن عربي في كتابه الفصوص: (إن الرجل حينما يضاجع زوجته، إنما يضاجع الحق)!

٥- ويشرح النابلسي ذلك بقوله: (إنما ينكح الحق).

٦- ويقول أبو يزيد البسطامي يخاطب الله: فزيني بوحداثيتك، وألبسني ربّانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رأي خلقك قالوا رأيناك ويقول عنه نفسه: سبحاني سبحاني، ما أعظم شاني، الجنة لعبة صبيان!!

٧- ويقول جلال الدين الرومي: مسلم أنا ولكنني نصراني، وبرهامي، وزادشتي، ليس لي سوى معبد واحد ... مسجد، أو كنيسة، أو بين أصنام!!

٨- يقول ابن الفارض: إن الله تجلّى لقيس بصورة ليلي، وتجلّى لكثير بصورة عزة، وتجلّى لجميل بصورة بُثينة في قصيدته التائية المعروفة، فهو يعتبر أن هذا من تجليات الحق.

٩- سُئِلت رابعة العدوية: هل تكرهين الشيطان؟ فقالت: (إن حبي لله لم يترك في قلبي كراهية لأحد) وتقول مخاطبة لله تعالى: (إن كنتُ أعبدك خوفاً من نارك فأحرقني بها!!) والله يحذرنا من النار فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦].

وقالوا عن رابعة: إنها كانت مُغْنِيَّة أو راقصة، فكيف يجوز الأخذ بقولها وهي تخالف القرآن؟

١٠- أُلّف الشيخ عثمان البرهاني وهو صوفي معاصر من السودان كتاباً سماه (انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان): ويقصد الوهابيين والإخوان المسلمين.

كرامات الصوفية

تزعم الصوفية أن لها رجالاً من الأولياء لهم كرامات وسأذكر للقارئ الكريم شيئاً من كراماتهم الصادرة عن أوليائهم ليرى أنها خرافات وضلالات وكفريات.

يقول الشعراني في كتابه (الطبقات الكبرى) يُعدد كرامات أولياء الصوفية:

١- وكان رضي الله عنه يلبس الشاش المخطط كعمامة النصاري، وكان دكانه منتناً قذراً، لأن كل كلب وجده ميتاً أو خروفاً يأتي به فيضعه داخل الدكان، فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده، وأنه توجه إلى المسجد فوجد في الطريق مسقاة كلاب فتطهر بها، ثم وقع في مشخة حمير.

٢- وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرداً (شاباً بلا لحية) راوده عن نفسه، وحسّس على مقعدته، سواء كان ابن أمير أو ابن وزير، ولو كان بحضرة والده أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس! ...

٣- ويتحدث الشعراني عن سيده (علي وحيش) فيقول: وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره يُنزله من على الحمار ويقول له امسك رأسها حتى أفعل بها، فإن أبى شيخ البلد، تسمر في الأرض لا يستطيع أن يمشي خطوة.

٤- يقول الشعراني عن سيده محمد الخضري: (أخبرني الشيخ أبو الفضل السرسبي؛ أنه جاءهم يوم الجمعة فسأله الخطبة، فطلع على المنبر، وحمد الله وأثنى عليه وحده ثم قال: وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام. فقال الناس: كفر، فسل السيف ونزل وهرب الناس كلهم من الجامع، فجلس على المنبر إلى أذان العصر، وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع، ثم جاء بعض أهالي البلاد المجاورة، فأخبر أهل كل بلدة أنه خطب عندهم وصلى فيهم، فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة، هذا ونحن نراه جالساً عندنا في الخطبة.

الجهاد عند الصوفية

الجهاد الصحيح عند الصوفية قليل جداً فهم مشغولون بجهاد أنفسهم على زعمهم ويروون حديثاً كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو قوله عليه السلام: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس».

فهذا لم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم، بل الواضح من القرآن والسنة أن جهاد الكفار من أعظم القربات إلى الله تعالى، وهذه أقوال الصوفية في الجهاد:

١- يقول الشعراني: لقد أخذ علينا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيفما دار، ولا يزدرون قط من رفعة الله عليهم، ولو كان في أمور الدنيا وولايتها.

٢- ويقول ابن عربي: إن الله إذا سلط ظالماً على قوم؛ فلا يجب أن يقاوموه، لأنه عقاب لهم من الله.

٣- وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكييران عاشا في عهد الحروب

الصليبية، فلم نسمع أن واحداً منهما شارك في قتال، أو دعا إلى قتال، أو سجل في شعره أو نثره آهة على الفواجع التي نزلت بالمسلمين، لقد كانا يقرران للناس: أن الله هو عين كل شيء، فليدع المسلمون الصليبيين، فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة بتلك الصور.

٤- ويذكر الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) عند بحث طريقة التصوف، أنه كان خلال الحروب الصليبية مشغولاً في خلوته تارة في مغارة دمشق، وتارة في صخرة بيت المقدس، يغلق بابها عليه في مدة تزيد على الستين. ولما سقط بيت المقدس في يد الصليبيين عام ٤٩٢ هـ لم يُحرِّك الغزالي ساكناً، ولا دعا للجهاد لإعادته، مع أنه عاش (١٢) سنة بعد سقوطه. وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي، لم يذكر فيه شيئاً عن الجهاد أبداً، بل ذكر فيه كثيراً من الكرامات التي هي خرافات وكفريات، وهي في الجزء الرابع ص ٤٥٦.

٥- ويذكر صاحب (تاريخ العرب الحديث والمعاصر) أن أصحاب الطرق الصوفية أشاعوا الخرافات والبدع، وبثوا روح الانهزامية والسلبية في النضال، فاستخدمهم الاستعمار كجواسيس.

٦- ومن كتاب (في التصوف) لمحمد فخر شقفة السوري (ص: ٢١٧) يقول: (نرى من واجبنا خدمة للحقيقة والتاريخ أن نذكر أن الحكومة الفرنسية في زمن الانتداب على سورية حاولت نشر هذه الطريقة (التيجانية) واستأجرت بعض الشيوخ لهذه المهمة، فقدمت لهم المال والمكان لتنشئة جيل يميل إلى فرنسا، لكن مجاهدي المغرب لفتوا انتباه المخلصين من أهل البلاد إلى خطر الطريقة التيجانية، وأنها فرنسية استعمارية تتستر بالدين، فهبت دمشق عن بكرة أبيها في مظاهرات صاخبة).

تعلق عقدي على قصيدة البردة

هذه القصيدة للشاعر البوصيري مشهورة بين الناس ولا سيما بين الصوفيين، ولو تدبرنا معناها لرأينا فيها مخالفات للقرآن وسنة الرسول ﷺ فهو يقول في قصديته:

١- يا أكرم الخلق مالي من ألذبه سواك عند حلول الحادث العظيم

يستغيث الشاعر بالرسول ﷺ ويقول له: لا أجد من ألتجئ إليه عند نزول الشدائد العامة إلا أنت، وهذا من الشرك الأكبر الذي يُخلد صاحبه في النار إن لم يتب منه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] (أي: المشركين) لأن الشرك ظلم عظيم. وقوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاً دَخَلَ النَّارَ»^(١). (الند: المثل).

٢- فإن من جودك الدنيا وضررتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وهذا مخالف لقول الله تعالى: ﴿وَرَبَّنَا لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [البقر: ١٢٦] (الليل). فالدنيا والآخرة من الله ومن خلقه، وليست من جود الرسول ﷺ وخلقته، والرسول ﷺ لا يعلم ما في اللوح المحفوظ، إذ لا يعلم ما فيه إلا الله وحده، وهذا إطرأ ومبالغة في مدح الرسول ﷺ حتى جعل الدنيا والآخرة من جود الرسول ﷺ وأنه يعلم الغيب الذي في اللوح المحفوظ بل إن ما في اللوح من علم الله، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] ... هذا وقد نهانا الرسول ﷺ عن الإطراء فقال: «لَا تُطَرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٢).

٣- ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به إلا ونلت جواراً منه لم يضم

يقول: ما أصابني مرض أو هم وطلبت منه الشفاء أو تفريج الهم إلا شفاني وفرج همي.

(١) صحيح، رواه البخاري (٤٤٩٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٤٤٥).

والقرآن يحكي عن إبراهيم عليه السلام قوله أنه قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء].

﴿وَإِنْ يَمَسُّنَكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].
والرسول ﷺ يقول: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١).
ولذلك فالرسول ﷺ لا يملك لنفسه فضلاً عن أن يملك لغيره ضرراً أو نفعاً أو شفاءً أو تفريج هم أو غم فالشفاء بيد الله عز وجل وهو الذي يفرج الكربات، ويغيث اللّهفات ويغني ذوي الفاقات ويعافي أصحاب العاهات والبليات.

٤- فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً وهو أوفى الخلق بالذم
يقول الشاعر: إن لي عهداً عند الرسول أن يدخلني الجنة؛ لأن اسمي [محمداً]،
ومن أين له هذا العهد، ونحن نعلم أن كثيراً من الفاسقين والشيوعيين من المسلمين
اسمه محمد؟ فهل التسمية بمحمد مُبرر لدخولهم الجنة؟
والرسول ﷺ قال لبنته فاطمة رضي الله عنها: «سَلِّينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي
عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً»^(٢).

٥- لعل رحمة ربي حين يَقْسُمُهَا تأتي على حسب العصيان في القِسَمِ
وهذا غير صحيح، فلو كانت الرحمة تأتي قسمتها على قدر المعاصي كما قال
الشاعر لكان على المسلم أن يزيد في المعاصي حتى يأخذ من الرحمة أكثر، وهذا لا
يقوله مسلم ولا عاقل لأنه يخالف قول الله تعالى: ﴿إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ومعنى ذلك أن رحمة الله بعيدة عن العاصين.

والله تعالى يقول: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧)، وأحمد في المسند (٢٦٦٤، ٢٧٥٨) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

(٢) صحيح رواه البخاري (٢٧٥٣، ٤٧٧١) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦ / ٣٥١)، والنسائي (٣٦٤٦، ٣٦٤٧) كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وَيُؤْتُونَكَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٦- وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من ** لولاه لم تُخرج الدنيا من العدم
الشاعر يقول: لولا محمد ﷺ لما خُلقت الدنيا، واللّه يكذبه ويقول: ﴿وَمَا
خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥١﴾ [الذاريات].
وأن محمدًا ﷺ خُلِق للعبادة وللدعوة إليها يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى
يَأْتِيَنَّكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿٩٩﴾ [الحجر]. (اليقين: الموت).

٧- أقسمت بالقمر المنشق إن له من قلبه نسبة مبرورة القسم
الشاعر يقسم ويحلف بالقمر، والرسول ﷺ يقول: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ
أَوْ أَشْرَكَ»^(١).

ثم يقول الشاعر يخاطب الرسول قائلاً:

٨- لو ناسبت قدره آياته عِظَمًا أحيأ اسمه حين يُدعى دارس الرمم
ومعناه: لو ناسبت معجزات الرسول ﷺ قدره في العظم، لكان الميت الذي
أصبح باليًا يحيا وينهض بذكر اسم الرسول ﷺ، وبما أنه لم يحدث هذا فالله لم
يُعط الرسول ﷺ حقه من المعجزات، فكأنه اعتاض على الله حيث لم يعط
الرسول ﷺ حقه!! وهذا كذب وافتراء على الله، فالله تعالى أعطى كل نبي
المعجزات المناسبة له، فمثلاً أعطى عيسى عليه السلام معجزة إبراء الأعمى
والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله وليس باسم عيسى عليه السلام، وأعطى لسيدنا
محمد ﷺ معجزة القرآن الكريم، وتكثير الماء والطعام وانشقاق القمر وغيرها.
ومن العجيب أن بعض الناس يقولون: إن هذه القصيدة تسمى بالبردة وبالبرأة؛
لأن صاحبها كما يزعمون مرض فرأى الرسول ﷺ، فأعطاه جبته فلبسها فبرئ من
مرضه! - وهذا كذب وافتراء - حتى يرفعوا من شأن هذه القصيدة، إذ كيف يرضى
الرسول ﷺ بهذا الكلام المخالف للقرآن ولهديه ﷺ وفيه شرك صريح.

(١) صحيح، رواه الترمذي (١٥٣٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٤٢).

علمًا بأن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَذْلًا؟!! بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَخَدَّهُ»^(١).

فاحذر أخي المسلم قراءة القصيدة وأمثالها المخالفة للقرآن، وهدى الرسول عليه الصلاة والسلام، والعجيب أن في بعض بلاد المسلمين من يُشَيِّع بها موتاهم إلى القبور، فيضمون إلى هذه الضلالة بدعة أخرى حيث أمر رسول الله ﷺ بالصمت عند تشييع الجنائز ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تعليق عقدي على كتاب دلائل الخيرات

أما بعد فإن كتاب (دلائل الخيرات) لمؤلفه محمد بن سليمان الجزولي منتشر في العالم الإسلامي، ولا سيما في المساجد يقرؤه المسلمون كثيرًا وربما قدموه على قراءة القرآن ولا سيما يوم الجمعة، وتتسابق المطابع في طبعه طمعًا في الربح المادي والديني دون النظر إلى الخسارة الأخروية التي تلحق أصحاب المطابع. ولو تصفح المسلم العاقل المطلع على أحكام دينه الكتاب لوجد فيه مخالفات شرعية كبيرة، وأهم هذه المخالفات:

- يقول مؤلفه في المقدمة (ص: ١٢) (مستمداً من حضرته العالية) ويقصد به الرسول ﷺ.

نقول: هذا الكلام يخالف القرآن الذي لا يجيز طلب المدد إلا من الله، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [ال عمران].

وكلام (دلائل الخيرات) يخالف قول الرسول ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(٢).

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٨٤٢) وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧)، وأحمد في المسند (٢٦٦٤، ٢٧٥٨) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

- ثم يقول في (حزب النصر لأبي الحسن الشاذلي) المكتوب على الهامش (ص: ٧): (يا هو، يا هو، يا من بفضله لفضله نسألك العجل).

نقول: إن كلمة (هو) ليست من أسماء الله الحسنى، بل هي ضمير يعود على الكلمة التي قبلها، ولذلك لا يجوز إدخال (يا) عليها كما يفعل الصوفية، وهي من بدعهم يزيدون في أسماء الله ما ليس منها.

- ثم يذكر المؤلف أسماء الرسول ﷺ ويعددتها، ويصفها بأسماء وصفات لا تليق إلا بالله عز وجل، علمًا بأن أسماء الرسول ﷺ وردت في قوله ﷺ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رَءُوفًا رَحِيمًا»^(١).

وعن أبي موسى الأشعري قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»^(٢).

- وأسماء الرسول التي ذكرها في (دلائل الخيرات) هي بدءًا من (٣٧-٤٧): (محبي، منج، ناصر، غوث، غياث، صاحب الفرج، كاشف الكرب، شاف) (ص: ٣٨، ٤٠، ٤٣، ٤٧).

أقول: هذه الأسماء والصفات لا تليق إلا بالله، فالحبي، والمنجي، والناصر، والمغيث، والشافى، وكاشف الكرب، وصاحب الفرج هو الله سبحانه وتعالى، وقد أشار القرآن إلى ذلك فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ [الشعراء].

(١) صحيح، رواه البخاري (٣٥٣٢، ٤٨٩٦)، ومسلم (١٢٥/٢٣٥٤) واللفظ له عن جبير ابن مطعم.

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٢٦/٢٣٥٥).

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ أن يقول للناس: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢١﴾ [الجن].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الكهف: ١١٠].

نقول: إن صاحب (دلائل الخيرات) خالف القرآن، وسوى بين الله ورسوله في أسمائه وصفاته، وهذا مما يتبرأ منه الرسول ﷺ ولو سمعه لحكم على قائله بالشرك الأكبر .. جاء رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقال له: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا!!؟ بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(١)، وفي رواية عند النسائي: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نَدًّا». (الند: المثل والشريك).

وقال ﷺ: «لَا تُظْرُونِي كَمَا أَطْرَثَ النَّصَارَى ابْنِ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٢).

(الإطراء: المبالغة والزيادة في المدح، ويجوز مدحه بما ورد في الكتاب والسنة).

- ثم ذكر بعض أسماء الرسول ﷺ: (مهيمن، جبار، روح القدس) [ص: ٤١،

٤٢].

والقرآن ينفي عن الرسول ﷺ فيقول له القرآن:

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ ﴿٢٢﴾ [الغاشية].

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥].

وروح القدس هو جبريل عليه السلام لقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

- ثم ذكر صاحب الكتاب صفات لا تليق بمسلم فضلاً عن رسول هو من أفضل

البشر فيقول عن الرسول ﷺ: (أحيد، أجير، جرثومة). [ص: ٣٧، ١١٥].

وفي أول الكتاب رفع المؤلف الرسول ﷺ إلى درجة الإله حينما قال: (محيي،

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٨٤٢) وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(٢) صحيح، رواه البخاري (٣٤٤٥).

ناصر، شاف، منج ...) إلى آخر الأوصاف التي مرت، وهنا ينزل بالرسول ﷺ إلى درجة (جرثومة، أجير) وهذا ما تقشعر له الأبدان، وتشمئز منه النفوس، وحاشاه ﷺ من ذلك، هو الذي نفع الله به الأمة، وبلغ الرسالة، وأنقذ بتعاليمه الناس من الظلم والشرك والتفرقة إلى العدل والتوحيد.

- ثم بعد هذا الكلام الباطل يعود ليصف الرسول ﷺ بأوصاف كاذبة فيها الشرك الذي يحبط العمل كقوله في صفحة (٩٠): (اللهم صل على من تفتقت من نوره الأزهار، واخضرت من بقية ماء وضوئه الأشجار).
فالله عز وجل هو الذي خلق الأشجار، وهو الذي فتق أزهارها، وأعطاهما لون الخضرة.

- ثم يقول عن الرسول ﷺ (ص: ١٠٠): (والسبب في كل موجود).
إن كان قصده أن الموجودات خلقها الله لأجل محمد ﷺ فهذا كذب وضلال.
لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات].
- ثم يقول المؤلف (ص: ١٩٨): (اللهم صل على محمد ما سجدت الحمايم، وحامت الحوائم، وسرحت البهائم، ونفعت التمايم).

وهذا الكلام يخالف كلام الرسول ﷺ الذي نهى عن التمايم فقال: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»^(١).

(والتميمة: هي الخرزة أو الودعة أو غيرها تعلق على الولد، أو السيارة، أو البيت لرد العين)، وهي من الشرك؛ وكلام المؤلف يخالف القرآن، فالنفع والضرر بيد الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

- ثم يقول الجزولي: (اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيء، وارحم محمدًا حتى لا يبقى من الرحمة شيء، وبارك على محمد حتى لا يبقى

(١) صحيح، رواه أحمد في المسند (١٦٩٦٩) وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

من البركة شيء، وسلّم على محمد حتى لا يبقى من السلام شيء). [ص: ٦٤].
 نقول: هذا كلام باطل يخالف القرآن فإن صلاة الله ورحمته وبركته وسلامه
 وكلماته دائمة لا تنفذ ولا تفنى، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ
 رَبِّي لَفَنَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثًّا بِعِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف].
 - جاء في كتاب (دلائل الخيرات) أيضًا: (اللهم صلّ على من منه انشقت
 الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق ... ولا شيء إلا وهو منوط، إذ لولا
 الوسطة لذهب كما قيل المتوسط).

نقول: هذا كلام باطل في أوله، وسخيف معقد في آخره يخالف الشرع والعقل.
 ثم يقول في تنمة هذا الدعاء [ص: ٢٦]: (وزج بي في بحار الأحدية، وانشلني
 من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى، ولا أسمع، ولا
 أحس إلا بها).

لاحظ أخي المسلم أن في هذا الدعاء أمرين:

أ- قوله: (وانشلني من أوحال التوحيد).

والأوحال هي الطين والأوساخ، فهل للتوحيد أوساخ؟!
 إن توحيد الله في العبادة والدعاء نظيف ليس فيه أوحال أو أوساخ كما يزعم ابن
 مشيش، وإنما الأوحال والأوساخ في دعاء غير الله من الأنبياء أو الأولياء، وهو من
 الشرك الأكبر الذي يحبط العمل ويخلد صاحبه في النار.

ب- قوله: (وزج بي في بحار الأحدية، وأغرقني في عين بحر الوحدة).

أقول: هذه وحدة الوجود عند بعض الصوفية التي عبّر عنها زعيمهم ابن عربي
 المدفون بدمشق حيث قال في الفتوحات المكية:

العبد رب، والرب عبد يا ليت شعري من المكلف؟

إن قلت عبد فذاك حق وإن قلت رب فأنتي يُكلف؟

فانظر كيف جعل العبد ربًا، والرب عبدًا، فهما مستويان عن ابن عربي وابن

مشيش الذي ذكر كلامه في (دلائل الخيرات).

- ثم ذكر المؤلف [ص: ٨٣]: (اللهم صل على كاشف الغمة، ومُجلي الظلمة، ومؤلي النعمة، ومؤتي الرحمة).

نقول: هذا إطرأ لا يرضاه الإسلام وقد نهى الرسول ﷺ عنه.

- ثم يقول: علي بن سلطان محمد القاري في ورده الذي سماه: (الحزب الأعظم) المطبوع على هامش (دلائل الخيرات): (اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره). [ص: ١٣٨].

نقول: هذا كلام باطل يكذبه الحديث القائل: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ»^(١). أما حديث: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر». فهو حديث عند أهل الحديث مكذوب وموضوع وباطل^(٢).

- جاء في بعض النسخ من كتاب (دلائل الخيرات) وفي آخر قصيدة جاء فيها:

بأبي خليل شيخنا وملاذنا قطب الزمان هو المسمى محمد

نقول: إن شيخه محمد يلوذ ويلتجئ إليه عند المصائب، وهذا شرك؛ لأن المسلم لا يلوذ إلا بالله، ولا يلتجئ إلا إليه لأنه حي قادر، وشيخه ميت عاجز لا ينفع ولا يضر.

ويعتقد أن شيخه قطب الزمان، وهذا اعتقاد الصوفية القائلة: (إن في الكون أقطاباً

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، (٣٣١٩)، صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨).

(٢) موضوع، وقد أشار الألباني إلى بطلان هذا الحديث في تعليقه على حديث رواه مسلم (٦٠/٢٩٩٦) ولفظه: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥٨/٨٢٠/١): وفيه إشارة إلى بطلان الحديث المشهور على ألسنة الناس أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ونحوه من الأحاديث التي تقول بأنه ﷺ خلق من نور فإن هذا الحديث دليل واضح على أن الملائكة فقط هم الذين خلقوا من نور دون آدم وبنيه.

يتصرفون في أمور الكون، حيث جعلوهم شركاء لله في تدبير الأمور، مع أن المشركين السابقين يعتقدون أن المَدْبِرَ للكون هو الله وحده، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

تنبيه:

لقد ورد في كتاب (دلائل الخيرات) أدعية صحيحة، ولكن هذه الطامات الكبرى السابقة الموجودة فيه أفسدت عقيدة القارئ للكتاب إذا اعتقد بها، فلم تعد تنفع الأدعية الصحيحة.

وفي الكتاب أخطاء كثيرة، ومن أراد التوسع فيرجع إلى كتاب (كتب ليست من الإسلام) لمؤلفه الأستاذ محمود مهدي استانبولي حيث تكلم عنه، وعن قصيدة البردة، ومولد العروس، وطبقات الأولياء للشعراني، وتائية ابن الفارض، والأنوار القدسية، والتنوير في إسقاط التدبير، ومعراج ابن عباس، والحكم لابن عطاء السكندري وغيرها من الكتب التي طالب المؤلف بإحراقها لما فيها من الضرر على عقيدة المسلمين.

[فيما يتعلق بالصوفية والتعليق على قصيدة البردة وكتاب دلائل الخيرات نخلته بتصرف من كتاب توجيهات إسلامية للشيخ محمد جميل زينو].



١١- أهل السنة والجماعة

مجمل أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة:

أهل السنة والجماعة:

هم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

وسُمّوا أهل السنة: لاستمساكهم واتباعهم لسنة النبي ﷺ.

وسُمّوا الجماعة: لأنهم الذين اجتمعوا على الحق، ولم يتفرقوا في الدين، واجتمعوا على أئمة الحق، ولم يخرجوا عليهم، واتبعوا ما أجمع عليه سلف الأمة، ولما كانوا هم المتبعين لسنة رسول الله ﷺ، المقتفين للأثر، سموا (أهل الحديث)، و(أهل الأثر)، و(أهل الاتباع)، ويسمون (الطائفة المنصورة)، و(الفرقة الناجية)^(١).

أولاً: قواعد وأصول: في منهج التلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة:

✽ مصدر العقيدة هو كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ الصحيحة، وإجماع السلف الصالح.

✽ كل ما صح من سنة رسول الله ﷺ وجب قبوله، وإن كان آحاداً.

✽ المرجع في فهم الكتاب والسنة، هو النصوص المبينة لها، وفهم السلف

الصالح، ومن سار على منهجهم من الأئمة، ثم ما صح من لغة العرب، لكن

لا يُعارض ما ثبت من ذلك بمجرد احتمالات لغوية.

✽ أصول الدين كلها، قد بينها النبي ﷺ، وليس لأحد أن يحدث شيئاً زاعماً

أنه من الدين.

✽ التسليم لله، ولرسوله ظاهراً وباطناً، فلا يعارض شيء من الكتاب، أو السنة

الصحيحة بقياس، ولا ذوق، ولا كشف، ولا قول شيخ، ولا إمام ونحو ذلك.

✽ العقل الصريح موافق للنقل الصحيح، ولا يتعارض قطعتان منهما أبداً، وعند

توهم التعارض يقدم النقل.

(١) راجع ما كتبه د. ناصر عبد الكريم العقل في (مجمل أصول أهل السنة والجماعة في

العقيدة) بتصرف.

✽ يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية في العقيدة، وتجنب الألفاظ البدعية. والألفاظ المجملة المحتملة للخطأ والصواب، يستفسر عن معناها، فما كان حقاً أثبت بلفظه الشرعي، وما كان باطلاً رد.

✽ العصمة ثابتة للرسول ﷺ والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع على ضلالة، وأما آحادها فلا عصمة لأحد منهم حتى وإن كان من أخص أولياء الله المتقين، وما اختلف فيه الأئمة وغيرهم فمرجه إلى الكتاب والسنة، مع التماس العذر للمخطئ من مجتهدي الأمة.

✽ في الأمة محدثون ملهمون، والرؤيا الصالحة حق، وهي جزء من النبوة، والفراسة الصادقة حق، وهي كرامات ومبشرات - بشرط موافقتها للشرع - وليست مصدراً للعقيدة ولا للتشريع.

✽ المراء في الدين مذموم، والمجادلة بالحسنى مشروعة، وما صح النهي عن الخوض فيه، وجب امتثال ذلك، ويجب الإمساك عن الخوض فيما لا علم للمسلم به، وتفويض علم ذلك إلى عالمه سبحانه.

✽ يجب الالتزام بمنهج الوحي في الرد، كما يجب في الاعتقاد والتقرير، فلا ترد البدعة ببدعة، ولا يقابل التفريط بالغلو، ولا العكس.

✽ كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثانياً: التوحيد العلمي الاعتقادي:

✽ الأصل في أسماء الله وصفاته: إثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ على الحقيقة من غير تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تأويل، ولا تفويض، ولا تشبيه كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] مع الإيمان بمعنى ألفاظ النصوص، وما دلت عليه.

✽ التمثيل والتعطيل في أسماء الله وصفاته كفر، أما التحريف الذي يسميه أهل البدع تأويلاً، فمنه ما هو كفر، كتأويلات الباطنية، ومنه ما هو بدعة ضلالة، كتأويل نفاة الصفات، ومنه ما يقع خطأ.

❁ وحدة الوجود واعتقاد حلول الله تعالى في شيء من مخلوقاته، أو اتحاده به، كل ذلك كفر مخرج من الملة.

❁ الإيمان بالملائكة الكرام إجمالاً، وأما تفصيلاً فيما صح به الدليل، من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم بحسب علم المكلف.

❁ الإيمان بالكتب المنزلة جميعها، وأن القرآن الكريم أفضلها وناسخها، وأن ما قبله طراً عليه التحريف، وأنه لذلك يجب اتباعه دون ما سبقه.

❁ الإيمان بأنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم، وأنهم أفضل ممن سواهم من البشر، ومن زعم غير ذلك فقد كفر، وما صح به الدليل بعينه منهم، وجب الإيمان به معيئاً، ويجب الإيمان بسائرهم إجمالاً، وأن محمداً ﷺ أفضلهم وآخرهم وأن الله أرسله للناس جميعاً.

❁ الإيمان بانقطاع الوحي، بعد محمد ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ومن اعتقد خلاف ذلك كفر.

❁ الإيمان باليوم الآخر، وكل ما صح فيه من الأخبار، وبما يتقدمه من العلامات والأشراط.

❁ الإيمان بالقدر، خيره وشره من الله تعالى، وذلك بالإيمان بأن الله تعالى علم ما يكون قبل أن يكون كيف يكون، فقدّر ذلك وقضاه وكتبه في اللوح المحفوظ، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون إلا ما يشاء، فإذا شاء جاء ما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء والله تعالى على كل شيء قدير وهو خالق كل شيء فعال لما يريد.

❁ الإيمان بما صح الدليل عليه من الغيبات كالعرش والكرسي، والجنة والنار، ونعيم القبر وعذابه، والصراط والميزان، وغيرها دون تأويل شيء من ذلك.

❁ الإيمان بشفاعة النبي ﷺ وشفاعة الأنبياء والملائكة، والصالحين، وغيرهم يوم القيامة كما جاء تفصيله في الأدلة الصحيحة.

❁ رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة وفي المحشر حق، ومن أنكرها أو أولها فهو زائع ضال، وهي غير ممكنة لأحد في الدنيا.

❁ كرامات الأولياء والصالحين حق، وليس كل أمر خارق للعادة كرامة، بل قد يكون استدراجاً، وقد يكون من تأثير الشيطان والمبطلين، والمعيار في ذلك موافقة الكتاب والسنة أو عدمها، ولذلك يعرض الرجل بأقواله وأفعاله وأحواله وإلهاماته ومكاشفاته ومخاطباته وخوارق عاداته على الكتاب والسنة فمن وافق في ذلك الكتاب والسنة قبلنا منه، وإن خالف الكتاب والسنة ضربنا بها عرض الحائط، حتى وإن طار في الهواء أو مشى على الماء، وإن لم نعلم أوافق هو أو مخالف توقفنا في أمره.

❁ المؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وكل مؤمن فيه من الولاية بقدر إيمانه.

ثالثاً: التوحيد الإرادي:

الطلبى (توحيد الألوهية):

❁ الله تعالى واحد أحد، لا شريك له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته، وهو رب العالمين، المستحق وحده لجميع أنواع العبادة المشروعة.

❁ صرف شيء من أنواع العبادة المشروعة كالدعاء، والاستغاثة، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكل، والخوف، والرجاء، والحب، ونحوها لغير الله تعالى شرك، أيّا كان المقصود بذلك، ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلًا، أو عبداً صالحاً، أو غيرهم، ولذلك فلا تصرف العبادات المشروعة لا لنبي مرسل أو ملك مقرب فضلاً عن غيرهما.

❁ من أصول العبادة أن الله تعالى يُعبد بالحب والخوف والرجاء والتعظيم جميعاً، وعبادته ببعضها دون بعض ضلال، قال بعض العلماء: (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء).

❁ التسليم والرضا والطاعة المطلقة لله ورسوله ﷺ، والإيمان بالله تعالى حكماً من الإيمان به رباً وإلهاً، فلا شريك له في حكمه وأمره، وتشريع ما لم يأذن به الله، والتحاكم إلى الطاغوت، واتباع غير شريعة محمد ﷺ، وتبديل شيء منها كفر، ومن زعم أن أحداً يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى فقد كفر كفراً أكبر يخرج من الملة.

❁ الحكم بغير ما أنزل الله كفر أكبر، وقد يكون كفراً دون كفر:

فالأول: إذا جحد الحاكم أحقية الحكم بما أنزل الله أو اعتقد أن الأحكام الوضعية أفضل من حكم الله ورسوله أو أنها مساوية في الفضل لحكم الله ورسوله أو اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله أو أوجد محاكم وضعية محايدة ومعاداة لله ورسوله تحكم بالحكم الأمريكي أو البريطاني أو الفرنسي أو غيرها من القوانين الوضعية الأرضية وكذلك حكام الفرع الذين يحكمون بالسواليف والعرف والعادة والتقاليد وحكايات الآباء والأجداد، فإذا فعل ذلك الحاكم واعتقده فقد كفر كفراً أكبر يخرج من الملة.

❁ والثاني: العدول عن شرع الله، في واقعة معينة لهوى مع الالتزام بشرع الله. تقسيم الدين إلى حقيقة يميز بها الخاصة وشريعة تلتزم بها العامة دون الخاصة، وفصل السياسة أو غيرها عن الدين باطل، بل كل ما خالف الشريعة من حقيقة أو سياسة أو غيرها فهو إما كفر، وإما ضلال، بحسب درجته.

❁ لا يعلم الغيب إلا الله وحده، واعتقاد أن أحداً غير الله يعلم الغيب كفر، مع الإيمان بأن الله يطلع بعض رسله على شيء من الغيب.

❁ اعتقاد صدق المنجمين والكهان كفر، وإتيانهم والذهاب إليهم كبيرة.

❁ الوسيلة المأمور بها في القرآن هي ما يقرب إلى الله تعالى، من الطاعات المشروعة، والتوسل ثلاثة أنواع:

أ- مشروع: وهو التوسل إلى الله تعالى، بأسمائه وصفاته، أو بعمل صالح

من المتوسل، أو بدعاء الحي الصالح.

ب- بدعي: وهو التوسل إلى الله تعالى بما لم يرد في الشرع، كالتوسل بذوات الأنبياء، والصالحين، أو جواهرهم، أو حقهم، أو حرمتهم، ونحو ذلك.
ج- شركي: وهو اتخاذ الأموات وسائط في العبادة، ودعائهم وطلب الحوائج منهم والاستعانة بهم ونحو ذلك.

❁ البركة من الله تعالى، يختص بعض خلقه بما يشاء منها، فلا تثبت في شيء إلا بدليل.

وهي تعني كثرة الخير وزيادته أو ثبوته ولزومه.

وهي في الزمان كليلة القدر.

وفي المكان كالمساجد الثلاثة.

وفي الأشياء كماء زمزم.

وفي الأعمال، فكل عمل صالح مبارك.

وفي الأشخاص، كذوات الأنبياء، ولا يجوز التبرك بالأشخاص -لا بذواتهم ولا آثارهم- إلا بذات النبي ﷺ وآثاره إذ لم يرد الدليل إلا بها، وقد انقطع ذلك بموته ﷺ وذهاب آثاره.

❁ التبرك من الأمور التوقيفية، فلا يجوز التبرك إلا بما ورد به الدليل بمعنى لا يكون التبرك إلا بما علم شرعاً أن فيه بركة وأذن الشارع الحكيم بطلبه والتماسه.
❁ أفعال الناس عند القبور وزيارتها ثلاثة أنواع:

الأول: مشروع: وهو زيارة القبور لتذكر الآخرة، وللسلام على أهلها، والدعاء لهم.

الثاني: بدعي ينافي كمال التوحيد: وهو وسيلة من وسائل الشرك، وهو قصد عبادة الله تعالى، والتقرب إليه عند القبور، أو قصد التبرك بها، أو إهداء الثواب عندها، والبناء عليها، وتخصيصها وإسراجها، واتخاذها مساجد، وشد

الرحال إليها، ونحو ذلك مما ثبت النهي عنه أو مما لا أصل له في الشرع.

الثالث: شركي ينافي التوحيد: وهو صرف شيء من أنواع العبادة لصاحب القبر، كدعائه من دون الله، والاستعانة والاستغاثة به، والطواف، والذبح، والنذر له، ونحو ذلك.

❀ الوسائل لها حكم المقاصد، وكل ذريعة إلى الشرك في عبادة الله أو الابتداع في الدين يجب سدها.

رابعًا: الإيمان:

❀ الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص:

فهو: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

فقول القلب: اعتقاده وتصديقه.

وقول اللسان: إقراره.

وعمل القلب: تسليمه وإخلاصه، وإذعانه، وحبه، وإرادته للأعمال الصالحة.

وعمل الجوارح: فعل المأمورات، وترك المنهيات.

❀ من أخرج العمل عن الإيمان فهو مرجي، ومن أدخل فيه ما ليس منه فهو مبتدع.

❀ من لم يقر بالشهادتين لا يثبت له اسم الإيمان، ولا حكمه، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

❀ الإسلام والإيمان اسمان شرعيان بينهما عموم وخصوص من وجه ويسمى أهل القبلة مسلمين.

❀ مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان وفي الآخرة تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، والموحدون كلهم مصيرهم إلى الجنة، وإن عذب منهم بالنار من عذاب، ولا يخلد أحد منهم فيها قط.

❁ لا يجوز القطع لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه.
❁ الكفر في الألفاظ الشرعية قسمان: أكبر مخرج من الملة وأصغر غير مخرج من الملة ويسمى أحياناً بالكفر العملي.

❁ التكفير من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل ما لم يدل دليل شرعي على ذلك، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجه في حق المعين إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع، والتكفير من أخطر الأحكام فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم.
خامساً: القرآن الكريم:

❁ القرآن كلام الله حروفه ومعانيه، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وهو معجزة دالة على صدق من جاء به ﷺ، محفوظ إلى يوم القيامة.
❁ الله تعالى يتكلم بما شاء، متى شاء، كيف شاء، وكلامه تعالى حقيقة، بحرف وصوت، والكيفية لا نعلمها، ولا نخوض فيها.
❁ القول بأن كلام الله معنى نفسي، أو أن القرآن حكاية، أو عبارة، أو مجاز، أو فيض، وما أشبهها ضلال وزيف، وقد يكون كفراً.
❁ من أنكر شيئاً من القرآن أو ادعى فيه النقص أو الزيادة أو التحريف فهو كافر.
❁ القرآن يجب أن يفسر بما هو معلوم من منهج السلف، ولا يجوز تفسيره بالرأي المجرد فإنه من القول على الله بغير علم وتأويله بتأويلات الباطنية وأمثالها كفر.

سادساً: القدر:

❁ من أركان الإيمان، الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، ويشمل: (الإيمان بكل نصوص القدر ومراتبه؛ العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق، وأنه تعالى لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه).

❁ الإرادة والأمر الواردان في الكتاب والسنة نوعان:

أ- إرادة كونية قدرية: (بمعنى المشيئة) وأمر كوني قدري.

ب- إرادة شرعية: (لازمها المحبة) وأمر شرعي.

وللمخلوق إرادة ومشيئة ولكنها تابعة لإرادة الخالق ومشيئته.

❁ هداية العباد وإضلالهم بيد الله، فمنهم من هداه الله فضلاً، ومنهم من حققت عليه الضلالة عدلاً.

❁ العباد وأفعالهم من مخلوقات الله تعالى، الذي لا خالق سواه، فالله خالق لأفعال العباد، وهم فاعلون لها على الحقيقة.

❁ إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى، وإثبات تأثير الأسباب بمشيئة الله تعالى.

❁ الآجال مكتوبة، والأرزاق مقسومة، والسعادة والشقاوة مكتوبتان على الناس قبل خلقهم.

❁ الاحتجاج بالقدر يكون على المصائب والآلام، ولا يجوز الاحتجاج به على المعايب والآثام، بل تجب التوبة منها، ويلام فاعلها.

❁ الانقطاع إلى الأسباب شرك في التوحيد، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، ونفي تأثير الأسباب مخالف للشرع والعقل، والتوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب، والمؤمن يأخذ بالأسباب ويتعلق بربها.

سابعاً: الجماعة والإمامة:

❁ الجماعة - في هذا الباب - هم أصحاب النبي ﷺ والتابعون لهم بإحسان، المتمسكون بآثارهم إلى يوم القيامة، وهم الفرقة الناجية، وكل من التزم بمنهجهم فهو من الجماعة، وإن أخطأ في بعض الجزئيات.

❁ لا يجوز التفرق في الدين، ولا الفتنة بين المسلمين، ويجب رد ما اختلف فيه المسلمون إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان يدعو إليه السلف الصالح.

❁ من خرج عن الجماعة، وجب نصحه، ودعوته، ومجادلته بالتي هي أحسن، وإقامة الحجة عليه، فإن تاب وإلا عوقب بما يستحق شرعاً، إنما يجب حمل الناس على الجمل الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، ولا يجوز امتحان عامة المسلمين بالأمر الدقيقة، والمعاني العميقة.

❁ الأصل في جميع المسلمين سلامة القصد والمعتقد حتى يظهر خلاف ذلك، والأصل حمل كلامهم على المحمل الحسن، ومن ظهر عناده وسوء قصده فلا يجوز تكلف التأويلات له.

❁ فرق أهل القبلة الخارجة عن السنة، متوعدون بالهلاك والنار، وحكمهم حكم عامة أهل الوعيد، إلا من كان منهم كافراً في الباطن، والفرق الخارجة عن الإسلام كفار في الجملة، وحكمهم أنهم مرتدون.

❁ الجمعة والجماعة من أعظم شعائر الإسلام الظاهرة، والصلاة خلف مستور الحال من المسلمين صحيحة، وتركها بدعوى جهالة حاله بدعة.

❁ لا تجوز الصلاة خلف من يظهر البدعة أو الفجور، مع إمكانها خلف غيره، وإن وقعت صحت، ويأثم فاعلها إلا إذا قصد دفع مفسدة أعظم، فإن لم يوجد إلا مثله أو شر منه جازت خلفه، ولا يجوز تركها.

❁ الإمامة الكبرى تثبت بإجماع الأمة، أو بيعة ذوي الحل والعقد منهم، ومن تغلب حتى اجتمعت عليه الكلمة وجبت طاعته بالمعروف، ومناصحته، وحرم الخروج عليه منعاً للفتنة، وحقناً للدماء، وتسكيناً للدهماء، إلا إذا ظهر منه كفر بواح ضراح فيه من الله برهان.

❁ الصلاة والحج والجهاد واجبة، مع أئمة المسلمين وإن جاروا.

❁ يحرم القتال بين المسلمين على الدنيا أو الحمية الجاهلية، وهو من أكبر الكبائر، وإنما يجوز قتال أهل البدعة والبغي وأشباههم، إذا لم يمكن دفعهم بأقل من ذلك، وقد يجب بحسب المصلحة والحال.

❁ الصحابة الكرام كلهم عدول، وهم أفضل هذه الأمة، والشهادة لهم بالإيمان والفضل أصل قطعي معلوم من الدين بالضرورة، ومحبتهم دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق، مع الكف عما شجر بينهم، وترك الخوض فيه بما يقدح في قدرهم، وأن القتال والشجار الذي حدث بينهم كانوا فيه متأولين فمن أصاب منهم فله أجران مع الشكر، ومن أخطأ فله أجر مع العذر، وما أريق بينهم من دماء قد كف الله عنها أيدينا فلا نلطخ بها أليستنا.

وأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وهم الخلفاء الراشدون، وثبت خلافة كل منهم حسب ترتيبهم.

❁ من الدين محبة آل بيت رسول الله ﷺ، وتوليهم، وتعظيم قدر أزواجه أمهات المؤمنين، ومعرفة فضلهن، ومحبة أئمة السلف، وعلماء السنة والتابعين لهم بإحسان، ومجانبة أهل البدع والأهواء.

❁ الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، وهو ماضٍ إلى قيام الساعة. ❁ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الإسلام، وأسباب حفظ جماعته، وهما يجبان بحسب الطاقة، والمصلحة معتبرة في ذلك.

أهم خصائص أهل السنة والجماعة وسماتهم:

أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، فإنهم على تفاوتهم فيما بينهم، لهم خصائص وسمات تميزهم عن غيرهم منها:

❁ الاهتمام بكتاب الله حفظًا وتلاوة وتفسيرًا، والاهتمام بالحديث، معرفة وفهمًا وتمييزًا لصحيحه من سقيم، لأنهما مصدر التلقي، مع إتباع العلم بالعمل.

❁ الدخول في الدين كله، والإيمان بالكتاب كله، فيؤمنون بنصوص الوعد، ونصوص الوعيد وبنصوص الإثبات، ونصوص التنزيه، ويجمعون بين الإيمان بقدر الله، وإثبات إرادة العبد ومشيئته وفعله، كما يجمعون بين العلم والعبادة، وبين القوة والرحمة، وبين العمل بالأسباب والزهد.

- ❁ الاتباع، وترك الابتداع، ونبذ الفرقة والاختلاف في الدين.
- ❁ الاقتداء، والاهتداء بأئمة الهدى العدول المقتدى بهم في العلم والعمل، والدعوة - الصحابة ومن سار على نهجهم - ومجانبة من خالف سبيلهم.
- ❁ التوسط: فهم في الاعتقاد وسط بين فرق الغلو وفرق التفريط، وهم في الأعمال والسلوك وسط بين المفرطين والمفرطين.
- ❁ الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق وتوحيد صفوفهم على التوحيد والاتباع، وإبعاد كل أسباب النزاع والخلاف بينهم، ولا يوالون، ولا يعادون، على رابطة سوى الإسلام والسنة.
- ❁ الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، وإحياء السنة، والعمل لتجديد الدين، وإقامة شرع الله وحكمه في كل صغيرة وكبيرة.
- ❁ الإنصاف والعدل: فهم يراعون حق الله تعالى، لا حق النفس أو الطائفة، ولهذا لا يغالون في موال، ولا يجورون على معاد، ولا يغمطون ذا فضل فضله أيًا كان.
- ❁ التوافق في الأفهام والتشابه في المواقف، رغم تباعد الأقطار والأعصار، وهذا من ثمرات وحدة المصدر والتلقي.
- ❁ الإحسان والرحمة وحسن الخلق مع الناس كافة.
- ❁ النصيحة لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.
- ❁ الاهتمام بأمور المسلمين ونصرتهم، وأداء حقوقهم، وكف الأذى عنهم.

ترجمه الله وسنته صف كلمات كتاب

(الياقوت والمرجان في عقيدة أهل الإيمان)

الطبعة الرابعة



مراجع كتاب الياقوت والمرجان

في عقيدة أهل الإيمان

(أ) في التفسير:

- ١- القرآن الكريم.
 - ٢- تفسير القرآن، لابن كثير المتوفى [٧٧٤هـ].
 - ٣- جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري المتوفى [٣٠١هـ].
 - ٤- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي المتوفى [٦٧١هـ].
 - ٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي [١٢٧٩هـ].
 - ٦- في ظلال القرآن الكريم، لسيد قطب.
 - ٧- الأساس في التفسير، لسعيد حوى.
 - ٨- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري.
 - ٩- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي.
- (ب) كتب الحديث:

- ١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني المتوفى [٨٥٢هـ].
- ٢- شرح النووي على صحيح مسلم، للنووي المتوفى [٦٧٦هـ].
- ٣- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٤- الترغيب والترهيب، للمنذري المتوفى [٦٥٦هـ].
- ٥- جامع الأصول، لابن الأثير الجزري المتوفى [٦٠٦هـ].
- ٦- تحفة الأحوذى على جامع الترمذي، للمباركفوري المتوفى [١٣٧٣هـ].
- ٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود.
- ٨- سنن الدارمي، لعبد الله الدارمي المتوفى [٢٥٥هـ].
- ٩- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، للساعاتي.

١٠- مجمع الزائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي المتوفى [٨٠٧هـ].

١١- مستدرک الحاكم على الصحيحين، للحاكم المتوفى [٤٠٥هـ].

١٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ ناصر الدين الألباني.

(ج) كتب العقيدة:

١- معارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي.

٢- شرح الطحاوية، بتحقيق الألباني.

٣- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسلمان بن عبد الله بن محمد

ابن عبد الوهاب المتوفى [١٢٣٣هـ].

٤- عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد عصام الكاتب.

٥- عقيدة التوحيد، لشيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٦- الإيمان، لابن تيمية المتوفى [٧٢٨هـ].

٧- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية المتوفى [٧٢٨هـ].

٨- الولاء والبراء، للقحطاني.

٩- الإيمان، للدكتور محمد نعيم ياسين.

١٠- التوسل أنواعه وأحكامه، للألباني.

١١- عقيدة المؤمن، للشيخ أبي بكر الجزائري.

١٢- مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، للدكتور ناصر عبد الكريم العقل.

(د) كتب السير:

١- البداية والنهاية، لابن كثير المتوفى [٧٧٤هـ].

٢- سيرة ابن هشام، لابن هشام المتوفى [٢١٨هـ].

(هـ) كتب اللغة:

١- القاموس المحيط، للفيروزآبادي المتوفى [٨١٧هـ].

٢- لسان العرب، لابن منظور.

٣- مختار الصحاح، للرازي المتوفى [٦٦٦هـ].

(و) كتب أخرى:

١- مجموعة الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٢- منهاج الفرق الناجية، للشيخ محمد جميل زينو.

٣- وقاية الإنسان من الجن والشيطان، للشيخ وحيد عبد السلام بالي.

٤- الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار، للشيخ وحيد عبد السلام بالي.

٥- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية.

٦- الملل والنحل، للشهرستاني.

٧- عقد الدرر في المهدي المنتظر، للعلامة يوسف بن يحيى المقدسي.

٨- إغائة اللّهفان، لابن قيم الجوزية.

٩- فقه السنة، لسيد سابق.

١٠- إسلامنا، لسيد سابق.

١١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية.

١٢- الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية.

١٣- الكلم الطيب، لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الألباني.

١٤- الفتن والملاحم لابن كثير.

١٥- مشكاة المصابيح، للتبريزي تحقيق الألباني.

١٦- أشراف الساعة، للدكتور يوسف الوابل.

١٧- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، للدكتور محمد خير هيكل.

١٨- توجيهات إسلامية، للشيخ محمد جميل زينو.

١٩- الطريق السوي في اقتفاء أثر النبي ﷺ، للدكتور عبد اللطيف آل موسى.

٢٠- بالإضافة إلى مجموعة من الكتب والرسائل التي ذكرت في طيات هذا

الكتاب.

ملاحظة:

ترقيمات تحقيق الأحاديث النبوية في حواشي الكتاب هي على النحو التالي:

١- صحيح البخاري، ترقيم فتح الباري.

٢- صحيح مسلم، ترقيم عبد الباقي.

٣- سنن الترمذي، ترقيم أحمد شاكر.

٤- سنن النسائي، ترقيم أبي غدة.

٥- سنن أبي داود، ترقيم محيي الدين.

٦- سنن ابن ماجه، ترقيم عبد الباقي.

٧- مسند أحمد، ترقيم إحياء التراث.

٨- موطأ مالك، ترقيم موطأ مالك.

٩- الدارمي، ترقيم علمي وزمرلي.



فهرس الكتاب

الصفحة	العنوان
٣	مقدمة
٧	تهيد
	الركن الأول من أركان الإيمان
٩	الإيمان بالله
١١	التوحيد
١٥	معنى: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾
١٧	معنى لا إله إلا الله
١٧	وهي تنفي أربعة أمور وتثبت أربعة أمور
١٨	شروط لا إله إلا الله
٢٢	من مظاهر مولاة الكفار
٢٥	من مظاهر مولاة المسلمين
٣٦	أقسام الناس فيما يجب في حقهم من الولاء والبراء
٣٩	معنى محمد رسول الله
٤٠	أسماء الله الحسنى
٤٦	الشرك الأكبر والأصغر
٤٩	الكفر وأنواعه
٤٩	كفر أكبر .. كفر أصغر
٥١	احذروا الطواغيت
٥٢	أنواع النفاق
٥٣	مظاهر الشرك
٥٥	الطيرة والقال
٦٠	نواقض الإسلام (المخرجة من الملة)
٦٧	التبرك
٦٧	بما يكون التبرك؟
٧٠	اتخاذ القبور أعيادًا
٧٢	التوسل المشروع والممنوع

٧٧	الوسائل المحرمة
٨٢	الاستشفاع .. التشفع .. الشفاعة
٩٠	محبة الله عز وجل
٩٧	أوثق عرى الإيمان
٩٧	«الحب في الله .. والبغض في الله»
١٠٥	محبة رسول الله ﷺ
١١١	الولاية
١١١	طبقات الأولياء
١١٤	بعض التقارير
١١٤	التقرير الأول
١١٨	التقرير الثاني
١٢٠	التقرير الثالث
١٢٧	والجن والإنس على أحوال
١٣٢	التقرير الرابع
١٣٨	التقرير الخامس
١٤٤	الخوف
١٥١	فضل الصلاة على النبي ﷺ

الركن الثاني من أركان الإيمان

الإيمان بالملائكة

١٥٥	
١٥٧	عالم الملائكة
١٥٧	خلق الملائكة
١٥٧	تفاضل الملائكة
١٥٧	أعمال الملائكة
١٦٢	بعض صفات الملائكة
١٦٥	أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان
١٦٧	عالم الجن والشياطين
١٦٨	أصناف الجن
١٦٨	أدلة وجود الجن والشيطان
١٧٢	وجوب الإيمان بوجود الجن والشياطين
١٧٢	مادة خلق الجن

- ١٧٢ لِمَ سمي الجن جنًّا؟
- ١٧٣ افتقار الجن إلى الغذاء
- ١٧٣ الجن يتوالدون
- ١٧٤ هل بين الجن والشيطان فرق؟
- ١٧٤ هل الجن والشياطين يتشكلون؟
- ١٧٧ أين يسكن الجان؟
- ١٧٧ هل الجن تسترق السمع من الملأ الأعلى؟
- ١٧٨ الجن أقل قدرًا وأدنى كرامة من الإنسان
- ١٧٩ هل صالحو الجن يدخلون الجنة؟
- ١٧٩ هل الجن يؤذون الناس؟
- ١٨٠ جنان البيوت
- ١٨١ تنبيهات
- ١٨٢ ضعفهم وعجزهم
- ١٨٢ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق
- ١٨٢ لا سلطان لهم على عباد الله الصالحين
- ١٨٤ خوف الشيطان وهربه من بعض عباد الله
- ١٨٥ تسخير الجن لسليمان عليه السلام
- ١٨٦ كذب اليهود على سليمان
- ١٨٧ عجزهم عن الإتيان بالمعجزات
- ١٨٧ لا يتمثلون بالرسول ﷺ في الرؤيا
- ١٨٨ لا يستطيعون أن يتجاوزوا حدودًا معينة في أجواء الفضاء
- ١٨٨ لا يستطيعون فتح باب أغلق وذكر اسم الله عليه
- ١٨٩ شبهة وجوابها
- ١٩٠ لا نسب بين الجن ورب العزة
- ١٩٠ كيف يُبلغون وحي الله إليهم؟
- ١٩١ عموم رسالة محمد ﷺ إلى الإنس والجن
- ١٩٢ شهادتهم للمسلم
- ١٩٣ وفود الجن
- ١٩٤ دعوتهم للإنس
- ١٩٥ أسباب العداء وتاريخه وشدة هذا العداء
- ١٩٦ تحذير الله لنا من الشيطان

١٩٦	أهداف الشيطان
٢٠٤	قائد المعركة
٢٠٥	لكل إنسان قرين
٢٠٦	أساليب الشيطان في إضلال الناس
٢١٦	السحر
٢١٧	الأدلة على وجود السحر
٢٢١	شبهة وجوابها
٢٢٥	الاتفاق بين الساحر والشيطان
٢٢٦	كيف يحضر الساحر جنيًا؟
٢٣١	علامات يعرف بها الساحر
٢٣٢	أنواع السحر
٢٣٢	أولاً: سحر التفريق
٢٣٤	ثانياً: سحر المحبة (الثَّوَلَة)
٢٣٧	ثالثاً: سحر التخيل
٢٣٨	إبطال سحر التخيل بكل ما يطرد الشياطين
٢٣٨	نموذج عملي لإبطال سحر التخيل
٢٣٩	رابعاً: سحر الجنون
٢٤٠	خامساً: سحر الخمول
٢٤١	سادساً: سحر الهواتف
٢٤١	سابعاً: سحر المرض
٢٤٣	ثامناً: سحر التزيف (الاستحاضة)
٢٤٤	تاسعاً: سحر تعطيل الزواج
٢٤٥	معلومات هامة عن السحر
٢٤٦	عاشراً: الربط
٢٤٧	الفرق بين الربط والعجز الجنسي والضعف الجنسي
٢٤٨	علاج بعض أنواع العقم
٢٤٨	كيف تفرق بين العقم الطبيعي والعقم بسبب الجن؟
٢٤٩	حكم السحر في الإسلام
٢٤٩	هل يجوز حل السحر بالسحر؟
٢٥٠	هل يجوز تعلم السحر؟
٢٥١	الفرق بين السحر والكرامة والمعجزة

٢٥١	إبطال السحر
٢٥١	العلاج
٢٦١	علاج سحر المحبة
٢٦٢	تحصينات ضد السحر والمس الشيطاني
٢٦٢	الحصن الأول
٢٦٢	الحصن الثاني
٢٦٣	الحصن الثالث
٢٦٣	الحصن الرابع
٢٦٣	الحصن الخامس
٢٦٤	الحصن السادس
٢٦٤	الحصن السابع
٢٦٤	الحصن الثامن
٢٦٥	الحصن التاسع
٢٦٥	الحصن العاشر
٢٦٥	الحصن الحادي عشر
٢٦٥	الحصن الثاني عشر
٢٦٦	الحصن الثالث عشر
٢٦٦	الحصن الرابع عشر
٢٦٦	الحصن السادس عشر
٢٦٧	الحصن السابع عشر
٢٦٧	الحصن الثامن عشر
٢٦٧	الحصن التاسع عشر
٢٦٧	الحصن العشرين
٢٦٩	تأثير العين
٢٦٩	الأدلة من القرآن الكريم على تأثير العين
٢٧٠	الأدلة من السنة النبوية على تأثير العين
٢٧٤	الفرق بين العين والحسد
٢٧٥	الجن يعينون الإنس
٢٧٦	علاج العين

الركن الثالث من أركان الإيمان

الإيمان بالكتب

٢٧٩	
٢٨١ حقيقة الإيمان بالكتب
٢٨٢ ما عرف من الكتب الإلهية وما لم يُعرف
٢٨٥ منزلة القرآن الكريم بين كتب الله تعالى
٢٨٧ لوحة مشرقة ببيان ما في القرآن من الهدى والخير
٢٨٩ شروط الانتفاع بما في القرآن من الخير والهدى
٢٩٠ تقرير أخير لعقيدة المؤمن في الكتب السماوية

الركن الرابع من أركان الإيمان

الإيمان بالرسول ﷺ

٢٩٣	
٢٩٥ أ- الوحي
٢٩٥ الوحي الإلهي وطرقه
٢٩٧ ب- النبوة
٢٩٨ النبي
٢٩٨ مؤهلات النبوة
٢٩٩ ج- صفات الأنبياء والمرسلين
٣٠٠ هـ- الرسل عليهم السلام
٣٠١ عدد الرسل
٣٠٢ ديار الرسل
٣٠٣ أولو العزم من الرسل
٣٠٣ معنى الإيمان بالرسول والأنبياء
٣٠٤ وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل وكونه ركناً من أركان الإيمان
٣٠٥ الخلاصة
٣٠٦ ترجمة لحياة الرسول ﷺ
٣٠٦ محمد رسول الله ﷺ
٣٠٦ التعريف به ﷺ
٣١٠ الأدلة والبراهين الدالة على نبوة النبي محمد بن عبد الله ﷺ
٣١١ أ- شهادة الكتب السابقة له على نبوته وتبشير الأنبياء السابقين بها
٣١١ ب- شهادة علماء أهل الكتابين

- ج- شهادة بلايين من المسلمين ٣١٤
 د- شهادة الحق عز وجل وملائكته ٣١٤
 هـ- شهادة المعجزات ٣١٥
 الكلمة الأخيرة في مبحث الإيمان بالرسول ٣١٨

الركن الخامس من أركان الإيمان

الإيمان باليوم الآخر

- ما المراد باليوم الآخر؟ ٣٢٥
 أدلة البعث ٣٢٥
 الحكمة في المعاد ٣٢٩
 وجوب الإيمان باليوم الآخر ٣٢٩
 أشراط قيام الساعة ٣٣١
 ١- بعثة النبي ﷺ ٣٣٢
 ٢- تمني الموت لشدة البلاء الذي ينزل بالناس ٣٣٢
 ٣- كثرة المال وفيضه وعدم قبول الصدقة ٣٣٢
 ٤- رفع العلم وظهور الجهل وكثرة الزنا وشرب الخمر ٣٣٣
 ٥- تقارب الزمان ٣٣٣
 ٦- كثرة القتل ٣٣٤
 ٧- اقتتال فئتين عظيمتين دعوتهما واحدة ٣٣٤
 ٨- بعث الدجالين ٣٣٥
 ٩- كثرة الزلازل ٣٣٦
 ١٠- كثرة النساء وقلة الرجال ٣٣٦
 ١١- ولادة الأمة ربها وتطاول الحفاة العراة في البنيان ٣٣٧
 ١٢- اتباع الأمم الأخرى ٣٣٧
 ١٣- قتال الأعاجم ٣٣٨
 ١٤- إضاعة الأمانة بتوسيد الأمر إلى غير أهله ٣٣٨
 ١٥- ذهاب الصالحين ٣٣٨
 ١٦- موته ﷺ، وموتان يأخذ المسلمين وهدنة مع الروم ٣٣٩
 ١٧- عبادة الأوثان ٣٣٩
 ١٨- انحسار الفرات عن كثر من ذهب ٣٤٠
 ١٩- خروج القحطاني ٣٤١

- ٢٠- قتال اليهود ٣٤١
- ٢١- كثرة أعوان الظلمة ٣٤٢
- ٢٢- كثرة شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق ٣٤٢
- ٢٣- أن تكون التحية للمعرفة: تسليم الخاصة ٣٤٢
- ٢٤- ظهور الكاسيات العاريات ٣٤٣
- ٢٥- انتشار الربا ٣٤٣
- ٢٦- التماس العلم عند الأصاغر ٣٤٣
- ٢٧- زخرفة المساجد والتباهي بها ٣٤٤
- ٢٨- كثرة الكتابة وانتشارها وظهور القلم ٣٤٤
- ٢٩- كثرة التجارة ٣٤٤
- ٣٠- تشييب المشيخة ٣٤٥
- ٣١- ظهور المعازف واستحلالها ٣٤٥
- ٣٢- كثرة موت الفجأة ٣٤٥
- ٣٣- انتفاخ الأهلة ٣٤٥
- ٣٤- كثرة المطر وقلة النبات ٣٤٥
- ٣٥- وقوع التناكر بين الناس ٣٤٦
- ٣٦- ظهور الخسف والمسح والقذف إذا ظهر الخبث ٣٤٦
- ٣٧- ظهور الفحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار ٣٤٦
- ٣٨- كلام السباع والجمادات للإنس ٣٤٦
- ٣٩- صدق رؤيا المؤمن ٣٤٧
- ٤٠- كثرة الكذب وعدم الثبوت في نقل الأخبار ٣٤٨
- ٤١- ارتفاع الأسافل وظهور السنوات الخداعة ٣٤٨
- ٤٢- نفي المدينة لشرارها ثم خرابها آخر الزمان ٣٤٨
- ٤٣- عود أرض العرب مروجًا وأنهارًا ٣٤٩
- ٤٤- كثرة الروم وقتالهم للمسلمين ٣٤٩
- ٤٥- حصار العراق والشام وهو مقدمة لخروج المهدي ٣٥٠
- ٤٦- بيان عمران بيت المقدس وخراب يثرب ٣٥٠
- ٤٧- توقف الحج وخراب الكعبة ٣٥٠
- ٤٨- المهدي المنتظر ٣٥١
- بعض ما جاء في أخبار المهدي المنتظر ٣٥١
- أولاً: بيان أنه من ذرية رسول الله ﷺ وعترته ٣٥١

- ٣٥١ ثانيًا: بيان اسمه وهيئته
- ٣٥٢ الخسف بالبيداء بالجيش الذي يريد الكعبة
- ٣٥٣ بيان أن الله عز وجل يصلحه في ليلة واحدة
- ٣٥٣ بيان أن الخير يزيد في عهده
- ٣٥٣ ٤٩ - فتح المسلمين مدينة جانب منها في البحر وجانب منها في البر
- ٣٥٤ ٥١، ٥٠: خروج المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام
- ٣٥٤ موجز عن الدجال ونزول عيسى
- ٣٥٧ نزول عيسى بن مريم عليه السلام
- ٣٥٨ المسيح الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام
- ٣٥٩ قصة ابن صائد، وهل هو المسيح الدجال؟
- ٣٦١ متى يخرج الدجال؟
- ٣٦٢ أين العرب يوم خروج الدجال؟
- ٣٦٢ ما هو سبب خروج الدجال؟
- ٣٦٣ من أين يخرج الدجال؟
- ٣٦٣ هل كان الدجال موجودًا في العهد النبوي؟
- ٣٦٥ فتوحات المسلمين قبل خروج الدجال
- ٣٦٦ قتال المسلمين والروم قبل خروج الدجال مباشرة
- ٣٦٧ خير فوارس الأرض تستطلع خبر الدجال
- ٣٦٧ هل يستطيع الدجال القتل والإحياء؟
- ٣٧٠ أسلحة الدجال الإغوائية المزيفة
- ٣٧٠ جنة الدجال نار ... وناره جنة
- ٣٧١ هل يستخدم الدجال الطعام والماء كسلاح للإغواء؟
- ٣٧١ ما هي المدة التي يمكثها الدجال في الأرض؟
- ٣٧٢ هل يتبع اليهود الدجال؟
- ٣٧٢ وما إسراره في الأرض؟
- ٣٧٢ المسيح ابن مريم يضع حدًا لفتنة الدجال
- ٣٧٤ كيف يتقي المؤمن فتنة الدجال؟
- ٣٧٥ الأماكن التي لا يدخلها الدجال
- ٣٧٦ عودة المسيح
- ٣٧٧ كيف يمكن للمؤمنين أن يتعرفوا على عيسى عند نزوله؟
- ٣٧٧ عيسى يصلي خلف المهدي

- ٣٧٨ ما هي المهمة المكلف بها المسيح عند عودته؟
- ٣٧٨ ٥٢- خروج يأجوج ومأجوج
- ٣٨١ ٥٣، ٥٤- طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة
- ٣٨٢ ٥٥، ٥٦- آية الدخان والخسوف
- ٣٨٢ ٥٧- الجهجهاه!
- ٣٨٣ ٥٨- آية النار
- ٣٨٤ حال الناس عند قيام الساعة
- ٣٨٤ بداية الانقلاب الحقيقي (نفخة الفناء)
- ٣٨٥ نشوء الحياة الثانية
- ٣٨٦ الحشر في عرصات القيامة
- ٣٨٨ أول من يدعى يوم القيامة آدم وإخراج بعث النار
- ٣٨٩ عذاب المتنعين عن دفع زكاة أموالهم يوم القيامة
- ٣٩٠ حوض النبي ﷺ يوم القيامة
- ٣٩٢ طعام أهل الجنة يوم القيامة
- ٣٩٢ شفاعة النبي ﷺ في إدخال من لا حساب عليه من أمته الجنة
- سؤال النبي ﷺ ربه عز وجل عدد الذين يدخلون الجنة من أمته بغير حساب وإجابة الكريم الوهاب
- ٣٩٤ أمة محمد ﷺ أول من يحاسب من بين الأمم
- ٣٩٥ من صور الحساب
- ٣٩٦ كفر المتبوع بالتابع
- ٣٩٦ تبرؤ الملائكة من المشركين
- ٣٩٧ عجز الأوثان عن نصر الكافرين
- ٣٩٧ تبرؤ المسيح عليه السلام ممن اتخذوه وأمه إلهين من دون الواحد القهار
- ٣٩٨ من فضائل هذه الأمة شهادتهم على الأمم جميعًا يوم القيامة
- ٣٩٩ مناقشة الحساب
- ٣٩٩ السؤال يومئذ عن خمس
- ٣٩٩ وكذلك اليوم تنهى
- ٤٠٠ من نوقش العذاب عُدب
- ٤٠١ لا ترجمان بين العبد وبين ربه عز وجل
- ٤٠١ أول ما يحاسب الناس عليه يومئذ
- ٤٠١ الحساب اليسير

- ٤٠٢ أول ما يقضى بين الناس يومئذ في الدماء
- ٤٠٢ كيفية القصاص يومئذ
- ٤٠٣ المراءون أول الناس الذين يقضى عليهم يوم القيامة
- ٤٠٣ المصورون من أشد الناس عذابًا يومئذ
- ٤٠٤ الذين لا يعودون المرضى، ولا يطعمون ولا يسقون المحتاجين
- ٤٠٤ صبغة النار وصبغة الجنة
- ٤٠٥ قصر يوم القيامة على المؤمنين
- ٤٠٥ صفة حساب رجل ممن شاء الله تعالى أن يغفر له بالرغم من كثرة سيئاته ...
- ٤٠٦ حديث الصراط
- ٤٠٨ رواية أخرى لحديث الصراط
- ٤١٠ شفاعة النبي ﷺ في إخراج المؤمنين من النار
- ٤١١ شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر من أمته
- ٤١١ أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ
- ٤١١ إخراج العصاة الموحدين من النار بعد موتهم فيها رحمة من عند الله تعالى
- ٤١٢ أصحاب الأعراف
- ٤١٣ القنطرة بين الصراط والجنة
- ٤١٤ النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء
- ٤١٤ الموت يذبح بين الجنة والنار
- ٤١٤ صفة النار ومن هم أهلها
- ٤١٤ تلاعن المشركين في النار
- ٤١٦ تبرؤ الشيطان من أتباعه في النار
- ٤١٦ حسرة أهل النار وندامتهم
- ٤١٧ دوام عذاب أهل النار
- ٤١٧ أصفاد النار وقطرانها
- ٤١٧ شجرة الزقوم
- ٤١٨ صديدها
- ٤١٩ عقوبة الذين يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويأتونه
- ٤١٩ عمق قعرها
- ٤١٩ إحاطة النار بأهلها
- ٤١٩ أهون أهل النار عذابًا
- ٤٢٠ تفاوت العذاب فيها

- ٤٢٠ صفة خلق الكافر فيها
- ٤٢١ النساء أكثر أهل النار
- ٤٢١ صفة الجنة وأهلها
- ٤٢١ النبي ﷺ أول الناس دخولاً الجنة
- ٤٢١ صفة أول زمرة يدخلون الجنة وعددهم
- ٤٢٣ ذكر ما لأدنى أهل الجنة منزلة من الكرامة وما لأعلامهم
- ٤٢٣ ذكر أبوابها
- ٤٢٤ درجات الجنة
- ٤٢٥ علو غرفها
- ٤٢٦ مأكّل أهل الجنة
- ٤٢٦ خيامها وجنانها وتربتها
- ٤٢٧ صفة شجرها
- ٤٢٧ صفة سوقها
- ٤٢٨ صفة قصورها
- ٤٢٨ صفة أنهارها
- ٤٢٨ صفة الحور العين
- ٤٣٠ دوام نعيم أهلها
- ٤٣٠ أعظم كراماتها
- ٤٣١ تساؤل أهل الجنة عن المكذبين
- ٤٣٢ مفاتيح الجنة
- ٤٤٠ نعيم البرزخ وعذابه
- ٤٤٠ الأدلة على نعيم البرزخ وعذابه
- ٤٤٥ القبر عذابه ونييمه
- ٤٤٥ حضور الشيطان عند الاحتضار
- ٤٤٦ عند مجيء الموت
- ٤٤٦ طلب الكافر الرجوع للدنيا إذا جاءه الموت
- ٤٤٦ سكرات الموت
- ٤٤٦ عدم قبول إيمان الكافر عند الموت
- ٤٤٦ ما يكون بعد قبض الروح
- ٤٤٨ مجيء الملكين للسؤال
- ٤٤٨ اسما الملكين اللذين يأتيان الميت وصفتهما

- ٤٤٨ تثبيت الله تعالى المؤمنين في القبر
- ٤٤٨ إجابة المؤمن وارتباك الكافر
- ٤٥٠ ضرب الكافر بمرزبة حتى يصير بها ترابًا
- ٤٥٤ سماع البهائم لأصوات من يعذبون
- ٤٥٤ القبر أول منزل من منازل الآخرة
- ٤٥٤ امتلاء قبور من وقعوا بالمعاصي بالظلمة
- ٤٥٤ عذاب القبر لا يطيق سماعه الأحياء
- ٤٥٤ الأكل من شجر الجنة قبل يوم القيامة
- ٤٥٥ نفس المؤمن معلقة بدينه
- ٤٥٥ دعاء أهل السماء للعبد المؤمن
- ٤٥٦ قبر المؤمن يملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون
- ٤٥٧ عدم سماع الموتى لما يجري على الأرض
- ٤٥٧ سماع أهل القلب لكلام النبي ﷺ، وعدم قدرتهم على الجواب
- شوق الصحابة في البرزخ - ممن استشهدوا في سبيل الله تعالى، لإخبار من لم يمت من إخوانهم بالكرامة المعدة للشهداء
- ٤٥٧ العذاب الجسمي للعصاة
- ٤٥٧ من الذنوب التي يعذب عليها العصاة في القبر
- ٤٥٩ الأنبياء والبرزخ
- ٤٦١ - الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء
- ٤٦٢ - صلاتهم عليهم السلام في قبورهم
- ٤٦٢ ما ينتفع به الميت بعد موته
- ٤٦٥ ما ينجي من عذاب القبر
- ٤٦٧

الركن السادس من أركان الإيمان

- ٤٦٩ الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، وحلوه ومره
- ٤٧١ ثمرة الرضا بالقضاء
- ٤٧٢ موجز اعتقاد أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر
- ٤٧٤ أولاً: القدرية (نفاة القدر)
- ٤٧٦ ثانيًا: الجبرية (طائفة من المعتزلة)
- ٤٧٧ لا جبر ولا نفي للقدر
- ٤٧٩ ثالثًا: الإبليسية

- ٤٨١ الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة
- ٤٨١ تشريع الجهاد في الإسلام
- ٤٨٣ الجهاد فرض كفاية
- ٤٨٤ متى يكون الجهاد فرض عين؟
- ٤٨٥ على من يجب؟
- ٤٨٧ إذن الوالدين
- ٤٨٧ الاستعانة بالفجرة والمنافقين على الغزو
- ٤٨٧ الاستنصار بالضعفاء
- ٤٨٨ فضل الجهاد والاستشهاد
- ٤٨٨ المجاهد خير الناس
- ٤٨٩ اللجنة للمجاهد
- ٤٩٠ المجاهد يرتفع مائة درجة في الجنة
- ٤٩٠ الجهاد لا يعدله شيء
- ٤٩٠ فضل الشهادة
- ٤٩٣ الجهاد لإعلاء كلمة الله
- ٤٩٤ أجر الأجير
- ٤٩٥ فضل الرباط في سبيل الله
- ٤٩٥ فضل الرمي بنية الجهاد
- ٤٩٦ الحرب في البحر أفضل من الحرب في البر
- ٤٩٧ صفات القائد
- ٤٩٧ الجهاد مع البر والفاجر
- ٤٩٧ الواجب على قائد الجيش
- ٤٩٨ واجب الجنود
- ٤٩٩ أركان الجهاد؟
- ٥٠١ أنواع الجهاد
- ٥٠٢ وهناك ستة أمور تلزم لخوض المعركة
- ٥٠٣ آداب النفير في سبيل الله
- ٥٠٥ فتوى
- ٥٠٥ قتال أهل الردّة
- ٥٠٦ متى يكون المسلم مرتدًا؟
- ٥٠٨ ما يترتب على الردة من عقوبات وأحكام

- هل قتال المرتدين جهاد في سبيل الله؟ ٥١٠
- قتال المحاربين (الحرابة أو قطاع الطرق) ٥١٠
- قتال أهل البغي (الظلم والاعتداء) ٥١٦
- القتال ضد الضيال ٥١٧
- القتال للدفاع عن الحرمات العامة في المجتمع المسلم ٥١٨
- أحكام إنكار المنكر على اختلاف الأحوال ٥١٨
- درجات إنكار المنكر ٥٢٠
- القتال ضد انحراف الحاكم ٥٢٢
- متى يكون الحكم بغير ما أنزل الله مخرجاً من الملة؟ ٥٢٥
- الوصايا الذهبية في الحكم على من استبدل شرع الله والحاكمة بأحكام
وضعية ٥٢٦
- تنبيهات ٥٢٧
- قتال الفتنة ٥٢٩
- لمحة سريعة عن نشأة الخلافات العقيدية والفرق الإسلامية ٥٣٣
- ١- عصر النبوة ٥٣٣
- ٢- عصر الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ ٥٣٥
- ٣- الشيعة ٥٣٦
- ٤- الخوارج ٥٣٨
- ٥- القدرية والجبرية ٥٣٩
- ٦- المعتزلة ٥٣٩
- ٧- المرجئة ٥٤١
- ٨- الماتريدية ٥٤٢
- عقيدة أبي منصور الماتريدي ٥٤٣
- ٩- الأشاعرة ٥٤٧
- عقيدة أبي الحسن الأشعري ٥٤٨
- ١٠- الصوفية في ميزان الكتاب والسنة ٥٥٣
- من أقوال الصوفية ٥٦٢
- كرامات الصوفية ٥٦٤
- الجهاد عند الصوفية ٥٦٥
- تعليق عقدي على قصيدة البردة ٥٦٧
- تعليق عقدي على كتاب دلائل الخيرات ٥٧٠

٥٧٧ ١١- أهل السنة والجماعة
٥٧٧ مجمل أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة
٥٧٧ أولاً: قواعد وأصول: في منهج التلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة
٥٧٨ ثانياً: التوحيد العلمي الاعتقادي
٥٨٠ ثالثاً: التوحيد الإرادي
٥٨٣ رابعاً: الإيمان
٥٨٤ خامساً: القرآن الكريم
٥٨٤ سادساً: القدر
٥٨٥ سابقاً: الجماعة والإمامة
٥٨٧ أهم خصائص أهل السنة والجماعة وسماتهم
٥٨٩ مراجع كتاب الياقوت والمرجان في عقيدة أهل الإيمان
٥٩٣ فهرس الكتاب

